محمد الزبيرى

ومشروع حــزب الله

(١٩٤١ ـ ١٩٦٥)

تأليف

د. عبد العزيز قائد المسعودى

كلية الآداب – قسم التاريخ

جامعة صنعاء

٢٠٠٤ م / ١٤٢٥ هـ



مكتبة مدبولى



محمد الزبيرى ومشروع حزب الله

(١٩٤١ ـ ١٩٦٥)


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

محمد الزبيرى
ومشروع حــزب الله
(١٩٤١ ـ ١٩٦٥)

تأليف
د. عبد العزيز قائد المسعودى
كلية الآداب – قسم التاريخ
جامعة صنعاء

٢٠٠٤ م / ١٤٢٥ هـ

مكتبة مدبولى


بسم الله الرحمن الرحيم

التنفيذ الإلكتروني : أيمن وعماد عبد العزيز المسعودي .
المراجعة اللغوية : الأستاذ محمد سالم شحاب .
التنفيذ الطباعي : مكتبة مدبولي – القاهرة .

رقم الإيداع : ١١١٨٦/ ٢٠٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-208-437-6

الطبعة الأولى ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ

الإهداء

الإهـــداء : إلى أبي الأحـــرار اليمـــنيين القاضـــي العلامة محمد بن محمود الزبيرى قصيدة ((الجمهـــورية)) لشاعر الحرية والثورة الشاعر المجرى ((بيتوف شاندور)) :

أيتها الجمهورية ، يا بنت الحرية ،
يا أم الحرية المعطاء فى العالم ،
أحييك مسبقاً ، فى البعيد ،
أريد أن أكرمك أيتها النائية ،
بينما يجدفون على اسمك
ويغمرون بمظاهر التكريم
هؤلاء الذين يطمعون فى صلبك
الآن أريد أن أهديك السلام
بعد فترة يتكاثر المعجبون بك ،
عندما تنتصرين وتجدين العدو معفراً دامياً فى الغبار
ذلك لأنك ستنتصرين أيتها الجمهورية المجيدة ،
رغم كل الحواجز والعقبات
مثل نابليون جديد ، ولكن نقى
ستسودين على الأرض جمعاً
من لا يستسلم لعذوبة عينيك حيث تأتلق شعلة الحب
ستحطمه يدك العنيفة
حيث يبرق حسام صاعق .
ستنتصرين ويرفعون لك قوس نصر عظيما
ربما وسط مرج من أزهار ، ربما فى قعر بحر من دم
فى هذا العيد المتألق الفخم احب أن تجدينى ولكن هل هذا ممكن
أم سيكون الموت قد حملنى إلى سجون القبر العميقة

لئن لم يقدر لى أن أشهد العيد الكبير ،
أيها الأصدقاء فاذكرونى ، أنا جمهورى ، وجمهورى سأبقى
تحت الأرض مسجى
سترون قبرى ، وهنا
ستهتفون عاشت الجمهورية
وسأسمع صوتكم ويهبط السلام على رفات قلبى المزعج .

محتويات الكتاب

مشروع البحث وإشكاليته

محمد الزبيرى وحزب الله :

يحيط الكثير من اللبس والغموض بنشأة حزب الله وتطوره فى اليمن المعاصر ، وتعرض زعيمه القاضى محمد بن محمود الزبيرى لاغتيال سياسى فى ظروف غامضة . سوف أسلط الضوء فى هذه الدراسة على تجربة حزب الله ، مع الأخذ بعين الاعتبار مدى تأثر زعامته بأفكار ومبادئ تنظيم الإخوان المسلمين فى مصر ، ومحاولة تطبيق بعض برامجه فى الساحة اليمنية . ولا تتعدى الفترة التاريخية التى نتناولها بالدراسة والبحث ثلاثة أعوام ، وهى فترة مزدحمة بالأحداث التاريخية والوقائع السياسية – تحديداً منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢، حتى تاريخ اغتياله فى مطلع شهر إبريل ١٩٦٥. [١]

إن الغاية من هذا البحث استقصاء مدى الدور الذى لعبه الزبيرى فى قيادة المعارضة فى العهدين الملكى والجمهورى . ولذا فإن الدراسة تحمل أهمية خاصة ، لأنها تحلل وتناقش أموراً ما زالت مثار جدل وخلاف فى الأوساط العلمية ؛ وتفتح الباب على مصراعيه أمام إمكانية التقييم التاريخى لتجربة حزب الله وزعامته . فثمة فكرتان متضادتان فى وصف سيرة الزبيرى الذاتية : الأولى تظهره كمؤسس فعلى لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين فى اليمن . [٢] وفى الطرف المقابل يرفض كثير من الكتاب المشايعين للزبيرى رفضاً قاطعاً هذه المقولة . فالقاضى الزبيرى ، من وجهة نظرهم ، لا ينتمى إلا لحركة الأحرار اليمنيين كعقيدة سياسية تنبع من واقع اليمن، ويعتنق اتباعها الشورى والدستور، قد والاها طيلة حياته حتى تاريخ وفاته . [٣]

إن ضعف التاريخ المكتوب والشفوى لتلك المرحلة ، لا يبرر للدارسين الاقتصار على نقل المعلومات من مصدر واحد دون تدقيق ؛ وبإشكالية حولت الزبيرى من شخصية سياسية اجتماعية إلى شخصية أسطورية . فكل الذين نسبوا حياته وفكره لحركة الأحرار اليمنيين ، أهملوا تلك الحلقة المفقودة من حياته الحافلة بالنشاط بدار العلوم فى مصر ، حيث أعتنق هناك فكر جماعة الإخوان المسلمين . ولم يتطوع واحداً من هؤلاء الدارسين والباحثين بذكر أهمية هذه المحطة فى حياته الثقافية والسياسية حتى تاريخ وفاته .

وتأتى عملية اغتياله فى قرية رجوزة المحاذية لجبل برط [٤] يوم الخميس ٣٠ ذى القعدة ١٣٨٥هـ / الموافق ١ أبريل عام ١٩٦٥م ، ليتحول شخص الزبيرى وحياته إلى رمز بل

وأســطورة ![5] ولنا أن نتساءل : لماذا حظى الزبيرى بــهذه المكــانة الرفيعة التى جعلت منه شخصــية أسطورية ، أو بتعبير آخر بطلاً وطنياً خــالداً فى قلوب أهل اليمن ؟ وهل تنسحب هــذه المكانة المقدسة على شخصه ، بسبب موقفــه السياسى المعارض للنظام الملكى وتشرده خــارج الوطن نحو ربع قرن من الزمن ؟ أم بسبب طريقة موته الدرامية فى جبل برط فى العهد الجمهورى ؟ وهــل يمكن القول مثلاً إن القاضى ضحى بحياته من أجل "القضية الجمهورية" ؟ أم من أجل قضية " دولة اليمن الإسلامية " ؟

ومن نتائج هذا التعارض ، تتولد فكرة البحث مجدداً فى سيرة الزبيرى السياسية ولاسيما مرحلة حزب الله . وللخروج من طور البحث التقريرى الوصفى للمشكلة التاريخية (الزبيرى ومشروع حزب الله فى اليمن) إلى طور التحليل العلمى لهذه الظاهرة السياسية ، ينبغى الإشارة هــنا إلى موقفــين سياسيين متناقضين تبنتهما زعامة الحزب فى بداية مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . الموقف الأول يكمن فى أن القاضى الزبيرى ، كان فى مقدمة علماء اليمن الذين نادوا بقيــام النظام الجمهورى ، بل وأيد بقوة التدخل المصرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية لصالح الثورة اليمنية ؛ والموقف الثانى يكمن فى أن هذا التأييد المنقطع النظير للنظام الجمهورى والدور المصــرى ، ســرعان مــا تحول من تأييد وموالاة إلى شجب ومنابذة . يبدو لنا هذا السلوك المتذبذب بين موقفين غاية فى التناقض والمراوغة ، علماً بأن الزبيرى رغم ثقافته الزيدية المتشيعة نسبياً [6] ، ان يرفض العمل بمبدأ التقية ، فهو معروف بمواقفه الناقدة للحكام المستبدين سواء فى العهدين الملكى أم الجمهورى .

وتحــاول الدراســة من خلال طرح مثل هذه التساؤلات إثبات فرضية مهمة ، وهى أن الــزبيرى الذى أفنى عمره وزهرة شبابه فى مقاومة الأئمة الحكام فى العهد الملكى البائد ، كان يتطــلع إلى لعب دورٍ أكبر فى الحياة السياسية فى العهد الجمهورى ، بالمقارنة بالأدوار السابقة الــتى لعــبها فى صفوف المعارضة السياسية – كعضوٍ قيادى فى (الجمعية اليمانية الكبرى – ١٩٤٤-١٩٤٨) ، ورئيــس لتنظيم (الاتحاد اليمنى – ١٩٥٣-١٩٦٢) . تولى الزبيرى فور عودته إلى ارض الوطن (صنعاء) حقيبة وزارة المعارف ، ذلك المنصب الذى شغله لبضعة أيــام فى عهد الحكومة الدستورية فى مارس عام ١٩٤٨ . [7] وفى العهد الجمهورى تدرج فى مناصــب عــليا فى الدولة كان أبرزها عضو مجلس الرئاسة والمكتب السياسى ونائب رئيس الــوزراء . فما هو الدور الذى كان يتطلع إليه فى العهد الجمهوري: رئاسة الجمهورية العربية اليمنية ؟ أم زعامة دولة اليمن الإسلامية ؟

انطـــوت مرحلة الجمهورية العربية اليمنية على محطات تاريخية فاصلة تدافعت فى سياق تكوينها وقائع سياسية كبرى ، وتحولات اجتماعية واقتصادية عميقة ، ساهمت جميعها فى تكوين مجتمع سياسى انتقالى من طور القبيلة إلى طور الدولة . فى هذه المرحلة شاهد المجتمع اليمنى أزمة الحـــرب الأهــلية الـــتى قسمت المجتمع اليمنى إلى قسمين متناحرين ، حيث أصبح الاحتكام للسلاح المجال الأوسع فى الحياة السياسية ، لا سيما عندما أتخذ الصراع بين الشمال (الملكى) والجنوب (الجمهورى) طابعاً عقائدياً ، ساهمت فى تغذيته القوى الإقليمية والدولية المتورطة فى حـــرب الـــيمن .[8] وفى ظـــل تفاقم أزمة الحرب الأهلية فى اليمن بين المعسكرين الجمهورى والملكى من جهة ، وفى ظل تعارض مصالح القوى المحلية والإقليمية ، برز إلى السطح مشروع دولة اليمن الإسلامية الذى تجشمت زعامة حزب الله عبء الدعوة إلى قيامها . وكان الهدف مـــن وراء هـــذا الـــتحرك المحافظة على النظام الاجتماعى الذى هزته الثورة هزاً عنيفاً، سيما فى مجالات القيم والسلطة والثروة .[9]

كـــانت الوجهة الغالبة عند معظم أقطاب المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال، الدفـــاع عـــن مطالبها الملحة بإحلال السلام محل الحرب ، وتطبيق حكم الشورى فى الإسلام لتحل محل القوانين العسكرية والأحكام العرفية . ومن يتأمل برنامج حزب الله سوف يكتشف المـــزج العجيـــب بين مفهومى الدين والدولة ، أو بتعبير أكثر دقة بين مفهومى اليقين الثورى والحكم الشعبى . لهذا السبب حرص القاضى الزبيرى على تشخيص الواقع السياسى فى العهد الجمهورى من منطلق دولة القبيلة ، بدلاً من منطلق قبيلة الدولة .[10] وهذا ما يمكننا تتبعه فى دعوة الزبيرى الحارة إلى عقد سلسلة من المؤتمرات الشعبية ، التى ظهرت على السطح كتجمع سياســـى دينى وقبلى ، أتخذ من العمل الحزبى طريقاً له للتعبير عن مناهضته للوجود المصرى فى الـــيمن. وقد تجلى ذلك فى القرارات والتوصيات المنبثقة عن مؤتمرى عمران وخمر . وستقتصر معالجتنا لهذه العلاقة الشائكة بين السلطة والمعارضة على تجمع حزب الله وائتلاف كتلة خمر من جهة ، وعلى القوى السياسية والاجتماعية التى كانت تقف وراءه فى هذا الاتجاه .

لقـــد ظـــل شكل الانتماء سواء إلى النظام الملكى أم إلى النظام الجمهورى ، كما وصفه الزبيرى بواقعية فى أهم أعماله : (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) و (مأساة واق الواق) ، انـــتماءً إلى مجـــتمع زراعى تقليدى لم تفرز قواه السياسية إلا زعامات عشـــائرية أو مذهبية ، تسودها الفرقة والخلاف بدلاً من الألفة والانسجام . ولعل مفهوم القاضى لهذا المجتمع القبلى ينـــبغى ألا يؤخذ ببساطة على أنه مفهوم لمجتمع مثالى متحرر من الطائفية السياسية . لقد كان

مدركـاً اسـتحالة بناء مجتمع متجانس متحرر من رواسب النظام الملكي ومقومات الرعوية الدينية ، التي غالباً ما تسكن في حدود الأسرة والقبيلة بمعزل عن حدود الوطن والمواطنة . (١١) تلك هـي حدود المسألة المطروحـة في أدبيات حركة الأحرار اليمنيين منذ حركة ١٧ شباط ١٩٤٨م الدستورية ، حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م الجمهورية ، وانشقاق اتباع حزب الله في خريف عام ١٩٦٣م عن النظام الجمهوري

إن هـذه التركيبة السياسية والاجتماعية للمعارضة الدينية والقبلية هي التي توجه الفكر والعمـل السياسـي في الـيمن المعاصـر ، واستندت في نشوئها إلى العداء الموجه للمؤسسة العسـكرية الحاكمة في العهد الجمهوري والقوى الجديدة المناصرة له . كانت جماعة حزب الله في الـيمن تعـبر عـن عقيدة سياسية ، أخذت تطرح بقوة شعارات الشورى والدستور ، بل والدعـوة العلـنية إلى قيام دولة اليمن الإسلامية ، كأطر سياسية مناهضة للنظام الجمهوري العسكري . كان النظام الجمهوري يعاني أزمة الشرعية بفعل التدخل المصري في اليمن ، ومهد الطـريق لظهـور جماعة الإخوان المسلمين فرع اليمن ، حيث وظفت زعامة حزب الله الدين لصـالح القبيـلة ، بشـكل عام لخدمة أهدافها وبرامجها السياسية تمهيداً لظهور وصاية الفقيه المحتسب ، ليكون على رأس هذه الدولة . (١٢) وهكذا ، بإمكاننا القول إن برنامج حزب الله ، لا يعـدو أن يكون سواء ظاهرة دينية سياسية تعبر عن عصبية قبلية موروثة من ماض سحيق يتردد صداها في فصول وأبواب مسرحية الزبيري المشهورة باسم (مأساة واق الواق) (١٣) .

هـذه إذن ملابسـات وفرضـيات مخيفة لعلها تفسر موقف المعارضة المنشقة عن نظام السـلال ، الـتي اتخذت في نفس الوقت موقفاً مناهض للوجود المصري العسكري في اليمن والتشـكيك في دوره النضـالي ؛ لكـي يشـتد عودها على بذور التناقض الساكن في تجربة الجمهورية العربية اليمنية . هكذا بدأت معارضة حزب الله ذات التوجه الديني ، ومعارضة كتله خمر ذات التوجه القبلي تحت تأثير تطور الحرب الأهلية في اليمن والتدخل السعودي ، تبحث عن حل للمشكلة اليمنية في إطار تسوية سياسية تكون فيها المعارضة هي الرابحة على حساب السـلطة . وقد تزايد عبر هذه الوسيلة تأكيد اتجاه سياسي يدعو للسلام والمصالحة الوطنية ، وبلورة الذات أو الخصوصية اليمنية . وبالتالي فإن ما تفرع عن هذه التجربة من رؤى ومواقف أصبحت بمثابة ثوابت دينية ووطنية في شتى التجارب السياسية التي بلورتها لاحقاً تجربة وصاية الفقيـه المحتسـب، عـندما أضحت صيغة المجلس الجمهوري هي الصيغة المفضلة لدى زعامة

المعـــارضة فى عهد القاضى محمد الزبيرى (١٩٦٢-١٩٦٥)، والقاضى عبد الرحمن الإريانى (١٩٦٧-١٩٧٤) .

تعريف المصطلحات السياسية :

نولى فى هذه الدراسة اهتماماً كبيراً بالمصطلحات السياسية الشائعة الاستخدام فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، كونها الأساس النظرى لموضوع بحثنا وثيق الصلة بتجربة حزب الله . ومن ثم التعرض لحالة التعارض القائم بين السلطة والمعارضة حول تحديد ماهية نظام الحكم فى الـــيمن الجمهورى . فالمصطلحات التى نوردها فى سياق البحث – من وجهة نظرنا – تشكل جزء مهم من نظام اجتماعى واقتصادى يشتمل على مجموعة مفاهيم سياسية وثقافية ، يصعب فهـــم الواقـــع السياسى بدونها . وقوام هذه المرحلة التاريخية نجاح زعامة حزب الله فى تكوين معارضة سياسية نشطة قادرة على فرض إرادتها على مجريات أحداث الحرب الأهلية فى البلاد . فالمعارضـــة من واقع السلطة كما جسدتها تجربة حزب الله ، يمكن النظر إليها فى نطاق علاقتها بالسلطة العسكرية الحاكمة ، كانت تتأرجح بين حدى التنابذ والصراع فى ظل الوجود المصرى العســـكرى فى البلاد ، الأمر الذى أدى إلى تآكل شرعية المؤسسة العسكرية الحاكمة فى عهد السلال ، حيث كشفت عجزها المستمر عن تقديم حلول مناسبة للمشكلة اليمنية .

تـــترادف فى هذه المرحلة – عهد المشير السلال (١٩٦٢-١٩٦٧) ، مع بدء احتكاك الشعب اليمنى وقادته بحركة النهضة العربية الحديثة ، كما جسدتها التجربة الناصرية وبأشكال متعددة : تدخل سياسى وعسكرى ومؤثرات ثقافية واجتماعية جديدة ، ساهمت فى خلق نخبة جديـــدة قوامها الضباط والتجار والمثقفين . وللدور المصرى فى اليمن أثره العميق فى حدوث تغيـــير عميق ومفاجئ فى موازين السلطة لصالح القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة ، التى وقفـــت إلى جانب النظام الجمهورى وأيدت الوجود المصرى بدون تحفظ .[١٤] وقد تمثل هذا الـــتحول المفـــاجئ فى التركيبة السياسية للنخبة الحاكمة فى العهد الجديد ، بحيث أصبح يحتل منصـــب رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء وقيادة الجيش أشخاص عاديين من عامة الشعب ، وبينما كانت المناصب السياسية والإدارية المهمة فى العهد البائد (إمام، أمير، عامل، حـــاكم) محصورة فى أبناء الطبقة العليا من السادة العدنانيين والقضاة القحطانيين .[١٥]

تستوقفنا العديد من المصطلحات الفقهية المتعلقة بطبيعة الأدوار السياسية والثقافية التى نهضت بها النخب القديمة (سادة ، قضاة ، مشايخ ، علماء) فى فترة المملكة المتوكلية اليمانية .

ففي مواجهة السلطة العسكرية والنخبة الجديدة (ضباط ، تجار ، مثقفين) في مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، اكتسب الصراع على السلطة والثروة بعداً عقائدياً ضمن الحقل السياسي العام للمجتمع . كان الجديد (جيل ١٩٦٢) دائماً هو الجزء المحرك والأكثر قدرة على المبادرة السياسية والفعل الاجتماعي في مواجهة القديم (جيل ١٩٤٨) ، مستمداً شرعيته من أهداف الثورة الستة ، ومن الدعم الشعبي للنظام الجمهوري ، والدور المصري المساند له . وفي المقابل عبّرَ القديم عن رفضه وتحديه لنظام السلال ، باعتباره سلطة طارئة في البلاد مرهونة بالوجود المصري وحمايته . فالصيغة الدينية حزب الله ، أو الصيغة القبلية كتلة خمر [١٦] بمعزل عن كتلة بكيل [١٧] ، ظهرت على السطح كقوة سياسية متنامية تتصدى لمنطق السلطة المركزية للنظام الجمهوري ، في اتجاه ثابت نحو تأصيل ذاتها وديمومتها داخل مدار السلطة والمجتمع . تجسدت معالم هذه الحركة على مستوى المؤتمرات الشعبية (عمران وخمر والطائف وحرض)، التي جاءت مجسدة لآمال وتطلعات زعامات المؤسسة القبلية (حاشد وبكيل) ، ممهدة الطريق بذلك أمام القوى التقليدية في المجتمع اليمني للنهوض بأدوار سياسية وثقافية في مرحلة الجمهورية اليمنية وما بعدها .

نفهم من هذا أنه لا يمكن حصر هذا التحول المفاجئ للنخبة السياسية في العهدين - الملكي والجمهوري - فقط في من وصلوا إلى المناصب العليا في جهاز السلطة الرسمية في نطاق النخبة العسكرية ، لأن هذا التعريف سيكون قاصراً جداً ، إذا احتل بعض عناصر النخبة المدنية مراكز مهمة في رئاسة الدولة (المشير عبد الله السلال)، ونائبه (الدكتور عبد الرحمن البيضاني) . لكن إذا كان أحدهم عسكرياً متنفذاً (الفريق حسن العمري) فإنه يستطيع أن يؤثر على القرارات المتخذة على المستوى المركزي ، وذلك بسبب انتماءه إلى جماعة معينة ، وغالباً ما تكون هذه الجماعة هي التي مكنته من الوصول إلى المنصب الذي يتولاه . حيث نجد مثلاً أن منصب أمير الجيش ، وبالمثل منصب الوزير الأول في العهد الملكي لا يتضمن امتيازات وصلاحيات واسعة كما قد يتبادر إلى الذهن . فالمنصب العسكري الذي كان يشغله الشريف محمد الضمين لا تتعدى صلاحياته نطاق وحدات الجيش الدفاعي بمعزل عن الجيش النظامي . [١٨] أما القاضي عبد الله العمري الوزير الأول المقرب من المقام الشريف ، فإنه لم يكن سوى كفاءة إدارية مسخرة لخدمة ولي نعمته الإمام يحيى حميد الدين ، الذي كان يجمع بين يديه السلطات الثلاث . [١٩]

وفى هذا الاتجاه يلعب الوجهاء والأعيان – أهل الحل والعقد – دوراً مهماً فى الحياة السياسية والثقافية فى البلاد، بمعزل عن أى تأثير يذكر لزعامة التنظيمات والأحزاب الحديثة التى ظل نفوذها مقصوراً على الأعضاء . فالمثقفون اليمنيون شبههم أحد الدارسين اليمنيين " بجالية أجنبية " لا تربطها رابطة بواقع المجتمع . (٢٠) وهذا التشبيه صائباً إذا ما أدركنا أن الغالبية العظمى من أهل اليمن كانوا وما زالوا يحددوا هويتهم السياسية إما بالإسلام أو القبيلة، ولم يكن لدى غالبيتهم وعى بالعمل السياسى المنظم إلا فى إطار محدود للغاية لا يتعدى حدود القرية أو العشيرة أو المذهب . (٢١)

من هنا نفهم الدلالة السياسية لمصطلح حزب الله ، الذى تبنته المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال ، منوهاً هنا بعدم الربط بين حزب الله فى اليمن موضوع بحثنا، وحزب الله فى لبنان ، نظراً للاختلاف البين فى برنامجيهما ومنطلقاتهما النظرية والسياسية . وبالمثل يجب أن نفرق بين مصطلح (وصاية الفقيه المحتسب) فى تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، ومصطلح (ولاية الفقيه) فى تجربة جمهورية إيران الإسلامية ، واضعين فى عين الاعتبار الفارق الزمانى والمكانى بين التجربتين اليمنية والإيرانية . (٢٢) فزيدية اليمن هم هادوية لا يقرون بمبدأ العصمة والغيبة والتقية ، وإن كان يقر بعضهم مبدأ وصاية الفقيه المحتسب فى زمن غيبة الإمام الفاضل والمفضول ، كنتيجة للفراغ السياسى المترتب على سقوط النظام الملكى من جهة ، وتبعات التحديات الخارجية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية من جهة ثانية . فجماعة حزب الله بزعامة القاضيين محمد الزبيرى وعبد الرحمن الإريانى ، كانا يتطلعان إلى إعادة تنظيم المجتمع المحيط بهم على هذه الأسس والمبادئ المقدسة للإسلام الحنيف ، أى (أسلمة الحداثة) . (٢٣) واستخدام تعبير حزب الشورى هو تكريس لنفس المبدأ القرآنى الذى ينص على ضرورة مشاروة الحاكم (الخليفة) أو (الإمام) لمن حوله من علماء وخبراء ومستشارين فنيين فى كافة مجالات الحياة الدينية والدنيوية . وتأييداً لهذا المبدأ يستشهد بخلفاء الرسول (ص) وبمبدأ إجماع الصحابة والتابعين، وبعدم إمكان الاستغناء عن الخليفة لإقامة الشعائر الدينية وصلاح الرعية . (٢٤)

ويصب فى هذا الاتجاه مصطلح (أهل الحل والعقد) الذى غالباً ما تشير إليه أدبيات الحركة الإسلامية فى اليمن المعاصر ، وهى تقصد بذلك الشخصيات السياسية والاجتماعية المتنفذة فى المجتمع – القادرة على استنباط أحكام شرعية (فتاوى)، وقوانين عرفية (قواعد قبلية) لتقديم الحلول المناسبة لأى مشكلة طارئة وفق تصورها الخاص ، سواء أكانت هذه

مسائل تتعلق بالسياسة أو المجتمع أو الاقتصاد . [٢٥] بهذا المعنى ، ينطوى هذا المصطلح وغيره على العديد من التعقيدات التي تفرض كشف ما تتفرد به النخب التقليدية من نفوذ وصلاحيات تعزز وتكرس نظام العهد الإمامي وقيمه الرعوية الدينية والاستلاب المذهبي على حساب مفهوم المجتمع الأهلي وحقوق المواطنة الذى قامت من أجله الثورة اليمنية ، وسعت قطاعات واسعة من المجتمع اليمني ترسيخه فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية .

ويجرنا الحديث عن المصطلحات إلى ذكر مصطلح (الخروج) ، أى الثورة ضد الحاكم الظالم ، كونه هو الآخر مصطلحاً قرآنى ، يراد به الدعوة إلى الجهاد المقدس ضد حزب الشيطان ومن والاه . وبالتالى فإن ما تفرع عن هذا المصطلح القرآنى من رؤى وتجارب فكرية وسياسية أضحت من الثوابت المبدئية لدى زيدية اليمن الهادوية ، منذ لحظة خروج الإمام زيد على السلطة الأموية، وخروج الإمام الهادى على السلطة العباسية، باعتبارهما سلطتين جائرتين اغتصبتا الخلافة . [٢٦] فالإمامة (الرئاسة) ، لا تقوم لها قائمة بدون الدعوة ، أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تمهيداً للخروج . فالإمام زيد بن على كان يرى أنه من حق " كل فاطمى شجاع عالم سخى ، خرج ثائراً على الظلم يكون إماماً ومهدياً ، وليس الإمام منا من جلس فى بيته ، وأرخى ستره وثبط عن الجهاد، ولكن الإمام منا من جاهد فى سبيل الله حق جهاده ودافع عن رعيته . " [٢٧] وعملية خروج القاضى الزبيرى عن نظام السلال ، وضعته فى مأزق سياسى ليس مع السلطة الجمهورية فحسب ، بل ومع المعارضة الملكية باعتباره فقيه قحطانى لا يمت بصلة لأئمة آل البيت . فهو بحكم موقعه السياسى – وزيراً للمعارف وعضو المكتب السياسى – ، نصب نفسه فى موقع المحتسب على شخص رئيس الجمهورية ، وهذا أمراً منافى لمبدأ الحسبة عند زيدية اليمن . " فالمحتسب هو المقارب للإمام ، ولم يبلغ رتبة الاجتهاد ، وله وإليه ما للإمام من الولاية ، إلا ما استثنى على خلاف فى المستثنى . " [٢٨]

أما مصطلح (ثورة) و(جمهورية) ، فهما واضحان وتعبيران شائعان فى قاموس السياسة العربية المعاصرة، ونقيضهما (ثورة مضادة) و(ملكية). ولكن علينا أن نفرق تماماً بين عبارات (انقلاب) و(انتفاضة) و(حركة) و(ثورة) ، فمثلاً عند الإشارة إلى أحداث ١٧ شباط ١٩٤٨ فى اليمن ، نعنى بذلك الحركة الدستورية التى قادها حزب الأحرار اليمنيين المؤطر نشاطه تحت مظلة الجمعية اليمانية الكبرى بزعامة الإمام الهادى عبد الله الوزير . فهذه الحركة من الناحية النظرية لا تدخل فى إطارها العقائدى مفهوم الجمهورية ، فقد كانت زعامتها تطالب بقيام إمام دستورى منتخب من قبل أهل الحل والعقد . [٢٩] وعندما نشير إلى أحداث

مارس ١٩٥٥، نعنى بذلك حادثة الحوبان، التى تحولت من فتنة عمياء أشعلها عسكر الإمام فى ضـواحى مدينة تعز ، إلى انقلاب عسكرى قاده المقدم أحمد يحيى الثلائى ، لصالح إمامة سيف الإسـلام عـبد الله بـن يحيى حميد الدين ضد أخيه الإمام أحمد .[٣٠] وبالمثل نستخدم عبارة انتفاضـة ، عـند الإشارة لحركة (٥) نوفمبر ١٩٦٧ ، بزعامة القاضى عبد الرحمن بن يحيى الإريـانى ، الذى كان يتطلع بدوره لمنصب رئاسة الدولة منذ زمن بعيد، حتى جاءت الفرصة الـتاريخية المناسبة للقيام بهذا الدور، خصوصاً بعد الإطاحة بحكومة السلال العسكرية .[٣١] وهكذا نقيس مصطلح ثورة (٢٦) سبتمبر ١٩٦٢ ونسقطه إسقاطاً على مصطلح ثورة (٢٣) يوليو ١٩٥٢، نظراً لتطابق أهداف ومبادئ الثورتين ، وما أحدثتهما من تغيير جذرى فى بنية المجتمع والدولة فى كل من مصر واليمن .

يقصد بكلمة (جمهورية) بناء مجتمع جديد على أنقاض النظام القديم ، يقوم على أسس مـن العدالة والمساواة الاجتماعية بين السكان . إذ لا يمكن القيام بهذه الوظيفة دون حدوث تغيـير أو إصلاح جذرى ، وهذه وظيفة الثورة السياسية التى تبعث فى الناس الأمل والتطلع لحياة أفضل من السابق . هكذا ، تظهر لنا دلالة كلمة جمهورية عربية يمنية التى ورد ذكرها فى سياق أهداف ومبادئ الثورة الستة. فى حين اقتصر مفهوم (الحكم الشعبى) ومفهوم (اليقين الـثورى) الذى يستخدمه الزبيرى على تلك القضية المحورية فى مذهبه الفكري، الذى يرتكز عـلى مشروع دولة اليمن الإسلامية . فالصلة أو الرابطة بين المفهومين ، يراد به تأكيد هوية الثورة اليمنية على أنها ثورة إسلامية نابعة من صميم الواقع وتضاريسه .

سنتجاوز هنا التعريفات التى تنطبق على مصطلحات : جمهورية ، وثورة ، وحكم شعبى ، الـتى يوازيها بالمقابل مصطلحات : دولة ، ووطن ، وقبيلة ، وهى على الجملة مفردات يتردد صداها فى برنامج حزب الله. وتثير هذه المصطلحات فى الدراسات والأبحاث اليمنية [٣٢] نوعاً مـن التشوش الذهنى لدى القارئ ، حيث لا يزال الخلاف قائماً حول الأدوار السياسية التى نهـض بهـا الزبيرى فى العهد الجمهورى . فالقاضى له دوره المتميز فى مرحلة الاتحاد اليمنى ، حيـث نجح فى تأطير نشاط المعارضة وتوحيد صفوفها من أجل مواصلة النضال السياسى ضد النظام الملكى ، ممهداً الطريق لقيام الجمهورية . لكنه بعد قيام الثورة وإعلان الجمهورية ، تحول إلى داعيـة للسلام والمصالحة وزعيماً سياسى متحمس لمشروع دولة اليمن الإسلامية . وهذه نقطـة واضحة وبينه لمن أراد اقتفاء مسيرة حزب الله وبرنامجه السياسي، الذى أثار لغطاً كثير حـول هـذه المسألة : القضية الجمهورية. وينقطع اللغط وتتضح الرؤية برجوعنا إلى أدبيات

حـــركة المعارضة بشقيها الديني (حزب الله) ، والقبلي (كتلة حمر)، بغض النظر عن إدعاء كوادرها انتمائهم وولائهم المطلق للنظام الجمهوري.

ولقد بذلت محاولات كثيرة لوضع محمد الزبيرى فى مكانة معينة لتحديد دوره السياسى بدقـــة وأمانـــة ، ولم أجـــد له نعتاً يتناسب مع حجم دوره الناشط فى الحياة السياسية اليمنية المعاصرة ، غير نعت " داعية دولة اليمن الإسلامية " . ولسنا هنا بحاجة إلى أن ننسب للقاضى موقفاً سياسياً غير مؤكد من أجل أحياء النـــزعة القحطانية القديمة فى فكرنا التاريخى المعاصر . ولعل محاولة تبييض صحائف أبي الأحرار ، بتكرار القول فى كتابات بعض الأدباء اليمنيين اليوم من أنه لم يتخل عن الثورة ولا عن الجمهورية ، وإنما رفض الخضوع لمشيئة المؤسسة العسكرية الحاكمة ، مفضلاً الخروج من صنعاء إلى جبل برط بهدف جمع أنصار ومريدين للنظام الجديد . والمعجـــبون بشـــعر الزبيرى أو بتجربة حزب الله سيعيدون النظر فى سيرته الأدبية والسياسية عـــندما يتبين لهم أن القاضى قد تراجع عن مواقفه السابقة المؤيدة للوجود المصرى ، وأنه قبل التحالف مع المعسكر المضاد للثورة ، تحديداً القوى الثالثة .

إن مثل هذا التصنيف – من وجهة نظرنا – لا يجرد الزبيرى من صفته الدينية والوطنية، بقدر ما يتيح الفرصة للقارئ العادى قراءة الحدث التاريخى كما هو دون تضخيم أو تحجيم ، بـــل وتوضـــيح ما التبس حول هذه الشخصية من غموض وإبهام . وعلينا ألا نتحرى الكمال أو المعصـــومية عـــند الـــتعرض لســـيرته ؛ فالأسماء والألقاب سنوردها على علاتها فى سياق استعراضنا للأحداث والوقائع ، كما عكستها تجربة حزب الله . فهذه المنهجية قد تساعدنا فى إزاحة جزء من شبح هذه الأسطورة ، التى تم اختزالها فى العناوين التالية :

- أبو الأحرار اليمنيين .
- أديب اليمن الثائر .
- أمير شعراء اليمن .
- شاعر الحرية .
- شاعر الجماهير الأول .
- شاعر الشعب .

- شاعر الوطنية .

- شاعراً ومفكراً .

- ضمير اليمن الثقافى والوطنى .

- المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى . (٣٣)

إن تجربة القاضى الزبيرى وحزب الله ليست سوى أحد المظاهر المتكررة فى تاريخ اليمن المعاصر ، فهناك بالمثل يتم تكريم الشيخ المجاهد عبد الله الحكيمى ، الذى اعتبره البعض الزعيم الروحى لحركة الأحرار اليمنيين فى لحظات اليأس والانكسار فى أعقاب تصفية رموز الحركة الدستورية جسدياً عام ١٩٤٨ . كما تم تكريم العديد من الشخصيات الوطنية بعد رحيلها ، إذا ما تذكرنا تلك المظاهرة الثقافية المبالغ فيها ، التى أعدتها السلطة فى أربعينية الشيخ الراحل أحمد محمد نعمان عام ١٩٩٧ ؛ فهى وغيرها ، من وجهة نظرنا ، لا تعدو أن تكون ضرباً من النفاق السياسى ، كون الرجل قد شبع موتاً وطواه النسيان وهو حياً بين ظهرانينا . لا نحتاج هنا إلى التذكير بتلك القطيعة التى حصلت بين القاضى محمد الزبيرى والشيخ أحمد نعمان ، وللعناصر البعثية ذات التوجه القبلى المفروضة على قيادة الاتحاد اليمنى دوراً بارزاً فى تعميق الهوة بينهما ، حيث دفعت بالأخير شد الرحال إلى عدن ، حيث أسس هناك تلك القلعة العلمية - كلية بلقيس عام ١٩٦٠ . (٣٤) كان هؤلاء الناشطون فى صفوف الاتحاد اليمنى المنحل فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، يلزموا الصمت عن صلتهم بالنعمان ، لكن فى اللقاءات العامة عندما يرد ذكر الزبيرى ، يصل الإعجاب لدى بعض هؤلاء بشخص الزبيرى إلى حد التقديس والعبادة . (٣٥)

تفيد الإشارات السابقة فى كشف طبيعة المواقف السياسية المتناقضة داخل المجال العام لحركة المعارضة اليمنية المعاصرة . فمصطلح (القوى الثالثة) بمفهومه السياسى المتداول فى عهد السلال ، نشأ فى ظروف استثنائية صاحبت فترة قيام الثورة وإعلان الجمهورية على أنقاض النظام الملكى البائد . حيث يعكس هذا المصطلح وجود معارضة سياسية فاعلة ضد الوجود المصرى ، أطلقت زعامته على نفسها أولاً مسمى(حزب الشورى) ، ثم مسمى (اتحاد القوى الشعبية) . وقد ضم هذا الائتلاف السياسى فى منتصف عقد الستينيات من القرن الحالى لفيفاً من الساسة المخضرمين - من جمهوريين دستوريين منشقين عن مجلس قيادة الثورة ، وملكيين شورويين منشقين عن مجلس الإمامة . ويرى اتباع هذا التيار أن الحل الأمثل

للمشكلة اليمنية هو إفساح المجال أمام العناصر المستقلة فى بحث أسباب الأزمة -الحرب الأهلية- لإدلاء بدلوهم فى هذه المسألة. وهم يشددون على أن دعوة السلام والمصالحة الوطنية ، تمثل مفتاح الحل للمشكلة اليمنية . وبالتالى يصرون على أن مشروع دولة اليمن الإسلامية هو الخيار الثورى الأمثل فى جنوب شبه الجزيرة العربية؛ ويدخل فى نطاق هذا الائتلاف السياسى تجمع حزب الله وتجمع كتلة خمر . (٣٦)

فالازدواجية السياسية والثقافية لهذه القوى الاجتماعية تحدد مظاهر الصراع على السلطة ، من وجهة نظر المعارضة الجمهورية والملكية ، التى تدافع زعاماتها عن الانفتاح المذهبى على كافة الأطراف المعنية بالقضية اليمنية ؛ وهى تبدو أكثر التنظيمات السياسية المنادية بفكرة المساواة السياسية فى حدود تقاسم السلطة والثروة وفق تقسيمات جهوية ومذهبية وقبلية . وهذا التجمع غالباً ما يطلق أتباعه على أنفسهم تسمية أهل الحل والعقد، تأكيداً منهم لدورهم المؤثر فى الحياة السياسية والاجتماعية فى اليمن . فالثابت تاريخياً أن السادة والقضاة والشيوخ وكبار ملاك الأرض ، هم الذين تحملوا العبء الأكبر فى تفجير حركة ١٩٤٨ الدستورية ، وانقلاب مارس ١٩٥٥ ، وانتفاضة قبيلة خولان عام ١٩٦٠، وبذلك مهدوا لقيام ثورة ١٩٦٢ الجمهورية ؛ فهم يشكلون جماعة عقائدية تقبل التعايش مع الطرف الأخر من الضباط والتجار والمثقفين ، لكنهم لا يقبلوا التفريط بمكاسبهم التاريخية ، الأمر الذى يضعهم فى حالة نزاع دائم مع الجديد على السلطة .

والمقصود من وراء هذه التعريفات والمصطلحات السياسية تحديد جوهر الخلاف بين السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر ؛ فالبرامج السياسية المبثوثة فى بيانات حزب الله تدور حول فكرة الحكم الشعبى والخصوصية اليمنية، التى تؤكد الذات الرافضة للعنصر الخارجي. واضح من خلال السياق التاريخى للمعارضة الجمهورية والمعارضة الملكية للوجود المصرى فى اليمن بنموذجه الثورى الناصرى ، الذى يتبنى عقيدة أشمل لحركة التحرر الوطنى فى العالم العربى ؛ وهى عقيدة أشمل من عقيدة حركة الأحرار اليمنيين ، التى تتسم بالجمود والمحافظة والانكفاء على الذات . فالمجتمع اليمنى الذى كان غالباً ما ينفر من العنصر الأجنبى ، لا سيما أولئك الأئمة العلويين ، الذى استقروا فى البلاد منذ عشرة قرون من الزمن ، كان يحتفظ بنفس النظرة للجندى المصرى الذى جاء إلى جنوب شبه الجزيرة العربية يؤدى رسالة القومية العربية دفاعاً عن عروبة اليمن وكرامته وحريته المسلوبة . (٣٧) وقد تمثل هذا الاستياء فى ذروته فى شخص القاضى الزبيرى ، الذى هاجم فى أعماله النثرية والشعرية الوجود المصرى العسكرى

فى السيمن ، الذى أخل بالتوازن السياسى لصالح القوى السياسية والاجتماعية الجديدة ، التى أظهرت حماساً منقطع النظير للثورة والجمهورية .

وإذا كانت النقلة النوعية فى اليمن الجمهورى التى حدثت بفعل مد الحركة القومية العربية أمراً ضرورياً وحتمياً لحدوث التحول الاجتماعى الجذرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، فإن ضمان استمرارها وبقائها يتوقف على الجهود الذاتية . ولا يعنى هذا أن الدور المصرى فى اليمن قد تم تقييمه تقيماً إيجابياً أو سلبياً بكل الأحوال. ولعل الزبيرى زعيم حزب الله كان فى مقدمة أحرار اليمن الذين سارعوا إلى إظهار فرحة الشعب اليمنى بالدعم المصرى للثورة اليمنية والنظام الجمهورى . وهو رغم إقامته الطويلة فى مصر عبد الناصر كان قد استوعب تماماً طبيعة الدور المصرى فى اليمن من جهة ، والدوافع الإستراتيجية التى دفعته إلى التدخل السياسى والعسكرى فى اليمن ؛ وما يرمى إليه من إحداث تغيير جذرى فى شتى ميادين الحياة وثيقة الصلة بشعوب المنطقة. (٣٨)

يدفعنا هذا الكلام إلى معرفة الأسباب الموضوعية والذاتية التى دفعت زعامة حزب الله إلى إحداث انقلاب مفاجئ على النظام الجمهورى والدور المصرى الداعم له . لذا يقتضى معرفة طبيعة الدور السياسى الذى كان الزبيرى يتطلع للقيام به ، عندما قرر الخروج من العاصمة صنعاء إلى جبل برط ، منظماً بذلك إلى صف المعارضة الملكية – تحديداً القوى الثالثة ، وقد درج على هذا النهج – الخروج – الدعاة والمحتسبين من السادة العلويين الطامحين فى مركز الإمامة (الرئاسة) . ومن هذا الوجه ، أثارت عملية خروج القاضى عن النظام العسكرى – لغطاً فى أجواء صنعاء الثورة والجمهورية ، بكونها خروجاً عن الثوابت الوطنية ، أى أهداف الثورة الستة .

بكل الأحوال يبقى – الدور المصرى – شكلاً من أشكال التدخل السياسى والعسكرى فى إقليم شبه الجزيرة العربية ، وهذا الدور تتغير أهدافه ومراميه فى كل حقبة تاريخية منذ العهد الفاطمى حتى العهد الناصرى ، حتى لو تقمص هذا الدور دور البطل المحرر لشعوب المنطقة من نير الاستبداد الإمامى ، وتغنى بأمجاد العروبة والإسلام . فهل كان الزبيرى زعيم حزب الله قد تحول من مناصر للدور المصرى إلى معارض لهذا التدخل، بعد أن أدرك بالفعل اتساع الهوة بين مقاصد وأهداف الثورتين – المصرية واليمنية – من جهة ، كما أدرك أن اتساع الدعم والتأييد قد تحول بمرور الوقت إلى نفوذ ووصاية ؟

مــن هــذا العــرض التاريخى ، تظهر لنا عدة نقاط مهمة أغفل ذكرها معظم الكتاب والباحــثين ، الذيــن أولــوا عنايــتهم الخاصة بتقديم عرضاً تاريخى عام للاتجاهات السياسية المتعارضــة ، ســواءً فى فترة المملكة المتوكلية اليمانية (١٩١٨ - ١٩٦٢) ، أو فى مرحلة الجمهوريــة العربية اليمنية (١٩٦٢ - ١٩٩٠) ، مكتفون بالقول إن ثورة (٢٦ سبتمبر) طوحــت النظام الملكي واجتثته من الجذور . ورغم إعلان الثورة اليمنية عن أهدافها الستة، لم توضع هذه المبادئ موضع التطبيق العملي إلا فى إطار محدود ، مما ساهم فى إفراغ التجربة من محتواها . وللقوى التقليدية فى المجتمع اليمنى دوراً بارزاً فى هذا الاتجاه ، فقد استطاعت الدخول فى منافسة محمومة مع القوى الجديدة على مناصب الدولة العليا (رئاسة الدولة وقيادة الجيش) ، مســتفيدة من خبرتها السياسية وحنكتها الإدارية التى اكتسبتها فى العهد الماضى . فكان لها الغلبة عندما تحركت بقوة فى حركة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الانقلابية، بزعامة القاضى عبد الرحمن الإريــاني، الذى أطاح بحكومة السلال مستغلاً حالة الفراغ السياسى فى البلاد، بعد انسحاب الجيش المصرى من اليمن فى نفس العام. (٣٩)

نســتخلص مــن هذه الملاحظات أن المعارضة - الدينية والقبلية - المنشقة عن النظام الجمهــورى ، تكــون قد أغفلت الدور العربى المصرى الداعم للثورة اليمنية (٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ و١٤ أكــتوبر ١٩٦٣) . هذه التجربة الثورية كانت قد أعطتها تجربة قاسية ، رغم أنها أتاحت لها الفرصة المساهمة بشكل أفضل فى الحياة السياسية . وإذا كانت ثمة قطيعة سياسية قد حدثت بالفعل بين جيل (١٩٤٨) وجيل (١٩٦٢) ، فإن ثمة وشائج اجتماعية ظلت تربط الأبــاء (الحرس القديم) بالأبناء (شباب الثورة) . وأضيف إلى هذه الثورة السياسية ، تلك الصدمة الثقافية الناتجة عن الحضور المصرى الواعى برسالة الجمهورية العربية المتحدة فى إقليم شبه الجزيرة العربية بوجه خاص ، وفى الوطن العربى بوجه عام .

الدراسة وأقسامها :

نحاول فى مجمل هذا البحث مراجعة سيرة القاضى الزبيرى وذلك من خلال تقديم صورة حيــة عنه فرض علينا التعرف على عصْره وحياته ، والمشكلة المحورية التى استأثرت باهتمامه ودفعته إلى الاشتغال بالسياسة عبر الاشتغال بالأدب . فإنتاجه النثرى يتعدى إنتاجــه الشعرى، كما تتحدث عن ذلك أهم أعماله التى خــلفها لنا . ومثلما أسهم الزبيرى فى تأسيس منظومة شــباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى العهد الملكى ، باعتبارها حركة سياسية مناهضة

لحكـــم بيت حميد الدين ، حرص فى العهد الجمهورى على تكوين حزب الله ، باعتباره تنظيماً دينى تتطلع زعامته إلى المساهمة فى تقديم حلول إصلاحية تنقذ اليمن من ويلات الحرب الأهلية المدمرة . وعلى هذا الأساس ، قمنا بتقسيم الدراسة إلى ثمانية فصول رئيسة .

فى الفصلين الأول والثانى : نستعرض جوانب مهمة من حياة الزبيرى العلمية والمؤثرات الثقافية والاجتماعية فى فكره السياسي. بالإضافة إلى تقديم نبذة عامة لأهم أعماله – النثرية – الأدبية والسياسية . البرنامج الأول من برامج شـــباب الأمر بالمعروف، والإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، ورواية ماسأة واق الواق . كما حددنا المشكلة المحورية فى فكر الزبيرى بهدف توضيح مفهوم اليقين الثورى أو الحكم الشعبى (القبلى) ، كونه يمثل جزءاً من برنامج العمل السياسى للحركة الإسلامية فى اليمن المعاصر . فالخلفية الاجتماعية والثقافية للقاضى الزبيرى تســـاعدنا عـــلى فهم تضارب المصالح بين المؤسسة الإمامية والمعارضة الوطنية ، لا سيما تلك العناصـــر الناشـــطة من السادة العلويين والقضاة القحطانيين المتذمرين من حكم الإمام يحيى ، الذين شكلوا ائتلافاً سياسى عرف باسم حزب الأحرار اليمنى ؛ وكان فى مقدمة أهدافه إقامة ملكية دستورية . والإتيان بنموذج من الأعمال النثرية للقاضى الزبيرى تساعدنا فى فهم مغزى المعارضة للنظام السياسى فى عهد الإمامين يحيى وولده أحمد حميد الدين .

وفى الا صل الثالث . حاولنا تتبع الظروف التاريخية المحيطة بظهور حزب الله (١٩٦٢– ١٩٦٥) فى لعهد الجمهورى ، وتطوره من تجمع دينى إلى تجمع قبلى ، كونه يمثل حلقة وصل لتنظيم الاتحاد اليمنى (١٩٥٢–١٩٦٢) . كما قمنا بإعادة مراجعة موضوعية لموقف زعامته السياســـية المناهضـــة لنظام السلال ، وتصورها الخاص ، لمفهوم حكم الشورى فى الإسلام ، وماهيـــة المصـــالحة الوطـــنية كما جسدها قرارات وتوصيات مؤتمر عمران المنعقد فى سبتمبر ١٩٦٣ كان هدف المعارضة إلغاء الحكم العسكرى ، والتخفيف من حدة التدخل المصرى فى الشـــئون الداخلية للبلاد . وأهمية هذه المرحلة كانت واضحة للمشاهد والمشارك بالدرجة نفســـها منذ ذلك الحين وما بعده ، حيث أخذت زعامة المعارضة تطالب بقيام حكومة مدينة تباشـــر شـــئون الدولة بمعزل عن ضغوط القيادة المصرية . لهذا شعر العسكريون بأنهم عرضة لمعـــاداة عـــلماء الدين وشيوخ القبائل ، كما كانوا على وعى كامل أن الدخول فى مواجهة مكشـــوفة ضـــدهم ، سوف يفقد النظام الجمهورى حليف قوى لا يمكن الاستغناء عنه ، لأن الشعب اليمنى فى العهد الجديد كان يبحث عن أبطال شعبيين ، عوضاً عن الأئمة الحكام ومن لف لفهم من الشخصيات التراثية .

أما موضوع الفصل الرابع : فهو يقدم عرضاً عاماً للدراسات والأبحاث اليمنية التى أولت اهتمامها بشعر الزبيرى ونثره فى العهدين - الملكى والجمهورى . وهى تحاول تقديم صورة مثالية لسيرة الزبيرى الأدبية والسياسية ، ضمن هذا المنظور ومن خلاله ، يصبح ضرورياً إعادة تقييم دور الزبيرى فى صفوف حركة المعارضة الدينية والقبلية ، مع الأخذ بعين الاعتبار علاقة المعارضة الجمهورية -حزب الله- بالقبائل اليمنية -جمهورية وملكية- المتمردة على السلطة المركزية . فالدارسون والباحثون الذين تناولوا سيرة الزبيرى بالتعليق والمناقشة لم يكترثوا كثيراً بنشاطه السياسى خلال الثلاث السنوات الأخيرة من حياته ، فيما لو استثنينا تلك الأعمال لعبد الملك الطيب ، التى حاولت توضيح منهجه فى الإصلاح السياسى من زاوية عقائدية بحتة . وسبب هذا الانفصام يرجع إلى غياب المنهجية العلمية ، وإلى تغليب العاطفة والهوى على البحث الموضوعى المتجرد .

أما فى الفصل الخامس : فقد خصصناه لاستعراض برنامج المعارضة ، معتمدين فى ذلك على نشرات الحزب السرية، وأدبيات حركة المعارضة الإسلامية فى اليمن المعاصر. وكذا الوثائق الرسمية لكل من حكومة الجمهورية العربية اليمنية وحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، لاسيما تقارير المخابرات العسكرية ، التى كانت ترصد نشاط وتحركات اتباع حزب الله وأنصاره داخل مدينة صنعاء وخارجها . وسنتعرف من خلال هذا الفصل على الهدف الإصلاحى من وراء تأسيس الحزب والنشاطات السياسية للمعارضة كما ترجمت على أرض الواقع أثناء انعقاد مؤتمر خمر للسلام فى منتصف عقد الستينيات من القرن الحالى .

وفى الفصل السادس : قمنا بدراسة الواقع السياسى المستجد فى العهد الجمهورى فى ضوء التدخل المصرى ، والانقسام السياسى الحاد فى صف النخبة السياسية حول الكيفية التى يمكن بها معالجة أزمة الحرب الأهلية فى اليمن . فالشعارات البراقة التى رفعتها المعارضة ، بقدر ما كانت موجهة ضد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، كانت موجهة ضد نظام السلال ، وكان الغرض من ترديدها استقطاب المعارضة القبلية (كتلة خمر) ، التى حاولت المحافظة على شعرة معاوية مع النظام الجمهورى ، بهدف ضمها إلى صف المعارضة الدينية (حزب الله) ، باعتبارهما شريكين فى الثورة والثروة . ولعل دعوة الزبيرى إلى الخروج علانية على السلطة الجمهورية ، توافق مع خروجه من صنعاء إلى جبل برط ، حيث أعلن من هناك إمكانية الالتقاء مع المعارضة الملكية المنشقة عن مجلس الإمامة، التى كانت عناصرها بدورها قد

رفعت شعار دولة اليمن الإسلامية، كخيار أمثل وبديل للنظام الملكي الاستبدادى (بيت حميد الدين) والنظام الجمهورى ، أى الدكتاتورية العسكرية .

وفى الفصل السابع : تتبعنا ما جاء فى قصيدته اليتيمة (القانون والفرس والميدان) التى شن فيها هجومه الكاسح على نظام السلال المدعوم من قبل القيادة العسكرية المصرية ؛ والقصيدة تحتوى على (٣٢ بيتاً) تناول فيها مظاهر فساد الجهاز الحاكم فى العهد الجمهورى ، وموقفه الرافض للسلطة العسكرية . فالقصيدة من وجهة نظرنا تعتبر وثيقة أدبية سياسية ، قد تساعدنا فى فك رموز هذه الشخصية العلمية فى ضوء قراءتنا لأخر عمل شعرى نظمه الزبيرى خلال الثلاث السنوات الأخيرة من حياته . فكل ما نريد التعرف عليه فى هذا الفصل هو رأيه فى النظام الجمهورى ، وعلى وجه الخصوص فى المؤسسة العسكرية الحاكمة. كما سنحاول استخراج بعض المعانى من بين سطور وقوافى القصيدة ، التى تساهم فى إسدال ستار الصمت على اغتيال القاضى وملابساتها العامة فى السياسة اليمنية ، حيث أصبح العنف منهجاً طبقته السلطة للتخلص من رموز المعارضة .

ونختتم الدراسة بالفصل الثامن الذى لخصنا فيه تركة الزبيرى فى ضوء تجربة حزب الله فى اليمن المعاصر ، وتأثيرها المستمر على مجمل الحياة السياسية والثقافية فى جنوب شبه الجزيرة العربية . وقد نجحت عناصر المعارضة الدينية (حزب الله) فى تعبئة عناصر المعارضة القبلية (كتلة خمر) ضد المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، سواء فى عهد المشير عبد الله السلال ، أو فى عهد المقدم إبراهيم الحمدى ؛ ومن ثم نجحت فى الوثوب إلى قمة السلطة بعد الإعلان عن قيام دولة الوحدة فى مطلع عقد التسعينيات من القرن الحالى .

ملاحظات على المصادر والمراجع :

فى ضوء هذه الملاحظات النظرية العامة ، يمكن الشروع فى استعراض موجز لمصادر الدراسة ، وهى متنوعة : يمنية وعربية وأجنبية . فأية دراسة لا تعتمد على المصادر والمراجع تظل فى نظرنا قاصرة ، كما أنها لا ترقى إلى مستوى البحث العلمى ، الذى يقتضى استعراضاً لمجمل الجهود السابقة للباحثين . فالإشارة للجهود المبذولة فى هذا المجال لا تقلل من قيمة بحثنا ، بقدر ما تثرى الموضوع ؛ ولكننا بطبيعة الحال لسنا ملزمين بالتقيد بما جاء فيها . بهذا القول لا أزعم أننى سوف أتحرر من مؤثرات الأبحاث والدراسات السابقة ، وإنما سأحاول إعادة النظر فى مسائل موضوعية ومنهجية نتحرى من خلالها تمحيص المسلمات التاريخية إكمالاً للفائدة .

وشـــاهدنا على ذلك ليس قائمة المراجع المثبتة فى الصفحات الأخيرة من الكتاب ، بل الوثائق الغــير منشــورة والشهادات التاريخية لبعض الشخصيات السياسية الفاعلة فى أحداث الثورة اليمنية ، التى اعتمدنا عليها بصورة أساسية فى سياق الدراسة .

وبهـــذا العـــرض لمحتويات المصادر ، بإمكاننا أن نبين للقارئ القيمة الكبرى للوثائق التى اعتمدنا عليها فى مجمل الدراسة . فالوثائق المصرية التى استطعنا التوصل لبعض منها ، هى عبارة عن ستة ملفات ، كل ملف يحوى حوالى (٧٠ ورقة فولسكاب) ، حررت معظمها بخط اليد أو بالآلـــة الطابعـــة من قبل مجموعة من الضباط العاملين بهيئة الخبراء العرب التى كان يرأسها حينذاك العميد على عبد الخبير ، أحد رجال المشير عبد الحكيم عامر ، والبعض الأخر حررها بعض الضباط العسكريين المصريين المنتدبين للعمل بوزارة شئون القبائل ، وعلى رأسهم العميد محمـــد محمـــود قاسم الملقب بـــ (الصاروخ) . وهى تحوى بعض التقارير الخاصة بالمخابرات العامة ومكتب الاستطلاع والأمن الحربى التابع للقيادة المصرية بصنعاء ، ساعدتنا الإطلاع عن كـــثب على طبيعة الدور المصرى فى اليمن ، وخفايا الصراع الدائر حينذاك بين نظام السلال والمعارضة الجمهورية بشقيها الدينى (حزب الله) ، والقبلى (كتلة خمر) . [(٤٠)]

تشـــكل هذه الوثائق مصدراً مهماً لدراستنا وبحثنا ، نظراً لتركيزها على نشاط القوات المصـــرية المـــرابطة فى الـــيمن ، كما أنها تقدم معلومات قيمة عن نشاط المعارضة الجمهورية والملكية، خلال الفترة الممتدة من سبتمبر ١٩٦٣ حتى أغسطس ١٩٦٦، إلا أن معظمها يغلب على صياغتها منهج التقارير والبلاغات الرسمية لضباط المخابرات ، الذين عادة ما يعمدون إلى المبالغة فى نقل المعلومات ، خصوصاً فيما يتعلق بالأشخاص المعارضين للنظام الجمهورى . فهم فى تحريرهم لمثل هذه التقارير لم يمحصوا الأخبار التى تصلهم عادة بواسطة المبلغين (المخبرين) ، كما لم يقوموا بتقصى أسباب الحوادث ونتائجها ؛ بما فى ذلك أسماء الأماكن الجغرافية والقبائل اليمنية وحتى الأشخاص ، عادة ما ترد أسمائهم بطريقة مصحفة. فيذكر مثلاً أحداً التقارير اسم القاضى محمد بن محمود الزبيرى ، هكذا : محمد يحيى الزيدى ، ويرد مثلاً فى أحد الوثائق اسم القاضـــى عبد الرحمن بن يحيى الإريانى هكذا : الفقى عبد الرحمان الإيرانى ؛ وغالباً ما يرد اسم الشـــيخ عبد الله بن حسين الأحمر هكذا : شيخ الله ناصر الأحمر ، مما يؤكد أن ناسخيها كانوا من منتسبى القوات المسلحة المصرية .

أما الوثائق اليمنية التى حصلنا على جزء يسير منها أمدنى بها بعض الأصدقاء الذين كانت لهـم صلات بجهاز المخابرات التابع لمكتب رئاسة الجمهورية ، أو دائرة المباحث العامة المرتبطة بالقيـادة المصرية ، فقد ترجانى جميعهم من دون استثناء عدم ذكر أسماءهم ، لأسباب معروفة لا تخفـى على القارئ . فالتقارير بصورة عامة كتبت بخط اليد ، وهى مليئة بالأخطاء اللغوية والإملائية ، عمد محرريها إلى تشويه الحقائق ، فهى غالباً ما تنعت قيادات المعارضة بالخيانة ، بل وتلصـق بهم تهمة العمالة للمخابرات البريطانية والأمريكية ، أو القيام بدور الطابور الخامس لصالح المعسكر الملكى أو الحكومة السعودية .

وحرصـاً منـا على تقديم دراسة وثائقية متوازنة ، قمنا بجمع المعلومات المتعلقة بنشاط المعارضـة ، التى نشرت بعضها على شكل دراسات حزبية ومذكرات سياسية ، يغلب عليها الطـابع الشخصى . وقد أفدنا كثيراً من كتابات أحد أقطاب المعارضة ، لا سيما تلك الثلاث المؤلفات لعبد الملك الطيب ، أولها (منهج الزبيرى فى الإصلاح والحكم - ١٩٧٤) ، الذى ضـمنه بمعـلومات مهمة تناولت نقاطاً أساسية تتعلق بالمنهج السياسى الذى أرتاه الزبيرى فى إصلاح الأوضاع المتردية فى البلاد قبل وبعد قيام ثورة ١٩٦٢ . وبعد فترة زمنية (١٧ عاماً) أتحفـنا الطيـب بكتابه الثانى (التاريخ يتكلم - ١٩٩١) ، وهو يحوى معلومات قيمة عن البرنامج السياسى لحزب الله ، والظروف المحيطة بعملية خروج القاضى الزبيرى من صنعاء إلى جـبل بـرط ، ونشاطاته هناك فى أوساط القبائل المتمردة ضد نظام السلال ، حتى اللحظات الأخـيرة من حياته . وبعد ثمانية أعوام من ذلك التاريخ أصدر الطيب كتابه الثالث (الثورة والـنفق المظـلم - ١٩٩٩) ، فى مجـال توثيق نشاط المعارضة حيث أحتل عنصر الشمول والتوسـع فى الأخبار هذه المرة ، ليس عن زعيم حزب الله فحسب ، بل ولتأكيد دور رئيس حزب التجمع اليمنى للإصلاح الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، الذى تطرق بشكل مسهب لجوانب مهمة من حياته وجهاده ضد حكومة السلال والقيادة المصرية .

فضـلاً عما سبق نشره من وثائق ودراسات تتعلق بنشاط المعارضة ، لنستوفى المعلومات الضـرورية التى استجدت بعد مضى ثمانية وثلاثون عاماً ، منذ أن ظهر كتاب عبد الله بن عبد الإله : نكسة الثورة اليمنية ، فى بداية عقد الستينيات . لكن هذا المؤلف على ما يبدو ، كتب باسم مستعار وقد دون صاحبه هذه الملاحظة فى الوجه الخارجى من الغلاف الأخير " إن هذا الكـتاب سيواجه طعناً وتساؤلاً وسيكون له أعداء وأصدقاء . والمرجو من كل من يشك فى صحة ما فيه أن يزور اليمن ، فرؤية الحقيقة أبلغ من السماع عنها . " هذه الملاحظة تغنى عن

التعليق عن مرمى صاحب الكتاب، والمرجح أن مؤلفه هو القاضى عبد الرحمن بن يحيى الإريانى، فقد عمد إلى استخدام الاسم الحركى لرفيق نضاله فى سجن حجة القاضى المرحوم عبد الله بن عبد الإله الأغبرى ؛ وشاع أن القاضى عبد الملك الطيب ساهم فى صياغة هذا الكتاب ، والله أعلم .

وترجع أهمية هذه الكتب الأربعة إلى أن أبوابها مكتظة بالوثائق الصحيحة والموضوعة، التى تعبر عن وجهة نظر المعارضة وبرامجها السياسية ؛ فضلاً عن تحاملها الشديد ضد القيادتين السياسيتين - المصرية واليمنية . فالجرح الشخصى هو المنهج المتبع فى معظم فصولها وصفحاتها ، حيث عمد المؤلف إلى تضخيم أدوار قيادة المعارضة الأحياء (الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر) ، قبل الأموات (القاضى محمد محمود الزبيرى والقاضى عبد الرحمن الإريانى) . فنشر الطيب بحثه (الثورة والنفق المظلم) ، بهدف إيضاح موقفه وموقف رئيس التجمع اليمنى للإصلاح من الشيخ أحمد محمد نعمان ، الذى كان يمثل الرقم الصعب فى المعارضة الجمهورية ، حيث تعرض الشيخ النعمان للثلب أكثر مما تعرض له المشير السلال والدكتور البيضانى ؛ ومثلما جرد النعمان من وطنية وجنسيته حياً ، جرد أيضاً من دورة التاريخى فى زعامة حركة المعارضة ميتاً ، حيث نعته صاحب كتاب الثورة والنفق المظلم بهذه العبارة " إمام اليمن الجديد ".(٤١)

ويتضح من كل هذا أن سيل المطبوعات اليمنية المعاصرة، تعتمد منهج (الرد والرد على)، فعناصر المعارضة الملكية واكبت هذا التطور بدورها ، وحرصت على توضيح موقفها ليس من النظام الجمهورى فحسب ، بل ومن خصومها السياسيين المتربعين لكراسى السلطة فى الزمن الحاضر . مع أننا نلاحظ اتجاهين مختلفين نسبياً فى عرض الأحداث والوقائع التاريخية وثيقة الصلة بفترة المملكة المتوكلية اليمانية (١٩١٨ - ١٩٦٢) ، وفترة الجمهورية العربية اليمنية (١٩٦٢ - ١٩٧٤) . الاتجاه الأول يهتم بالدفاع عن شرعية الثورة والنظام الجمهورى ؛ والاتجاه الثانى يحرص أصحابه على بسط تقديم ملاحظات نقدية موجهة ضد النخبة الحاكمة فى العهد الجديد . فالاهتمام المتزايد بكتابة التاريخ وتدوين الأنساب (المشجر) للسلالات الحاكمة والأسر المتنفذة ، كان منذ قرون عديدة ، ولا يزال إلى اليوم إحدى السمات الرئيسة لدى شريحة من المجتمع تدعى تفوقها المادى والمعنوى على سائر فئات الشعب .

ومـــن المؤلفات التى تعبر أحسن تعبير عن هذا الاتجاه كتاب زيد بن على الوزير (محاولة لفهم المشكلة اليمنية – ١٩٧١) ، وكتاب أحمد بن محمد الشامى (رياح التغيير فى اليمن – ١٩٨٥) ، كلاهما قدما عرضاً تاريخياً لأبعاد المشكلة اليمنية من وجهة نظرهما . فحرب الثمان ســـنوات فى الـــيمن كـــانت وليدة التدخل المصرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وضعت المعارضـــة المـــلكية فى واجهة الأحداث السياسية والعسكرية . فكان من الضرورى أن يسهم أقطاب المعارضة فى إظهار أدوارها فى الصراع المحتدم بين المعسكرين الجمهورى والملكى . وإذا كان الوزير يحرص كثير على إبراز الدور التاريخى لأسرته (آل الوزير) ، فإن الشامى يحرص أكـــثر مـــنه على إبراز دوره شخصياً فى أحداث حركة ١٩٤٨ الدستورية ، وأحداث مارس ١٩٥٥ ، والحـــركة الثورية سبتمبر ١٩٦٢ ، كونه عاصر هذه الأحداث ، بل وتبوء خلالها مناصب سياسية رفيعة ، بفضل علاقته الجيدة بالأئمة الحكام .

إن رصد الشامى لرياح التغيير فى اليمن الحديث والمعاصر ، فيه فهم عميق لمجريات الحياة السياسية من وجهة نظر أديب وسياسى مخضرم شارك فى صنع الأحداث التاريخية سلباً وإيجاباً . وملاحظـــات المؤلـــف فى وزنه للرجال دقيقة وطريفة ، فإذا جاء على وصف خصمه اللدود الشـــيخ أحمد محمد نعمان نعته أكثر من مرة بـــ "الثائر السياسي" أو "الثائر المغامر" ؛ فهو من وجهـــة نظـــره شـــديد التحفظ لا يثق بالأصدقاء ولا الأعداء ، خبرته الأيام وخبرها، يحسب للخطوة قبل أن يرفع قدمه خشية الوقوع فى الهاوية . أما القاضى الإريانى فينعته بلقب "شيخ الإســـلام المجتهد" ، الملم ببواطن الأمور ، استطاع النجاة من الموت أكثر من مرة، حيث نفذ بجلده من بين النطع والسيف، دون أن يظهر بمظهر الخنوع أو الضعف .

وبهذه المتابعة ، نلاحظ مدى الاهتمام الكبير الذى صار يوليه الساسة اليمنيون – مدنيين وعســـكريين – الذين شاركوا فى صنع الأحداث التاريخية . ومن جملة هذه الدراسات كتاب (ثـــورة الـــيمن الدســـتورية – ١٩٨٥) ، الذى قام بتأليفه أربعة من رؤساء خلايا القيادة العســـكرية لحـــركة ١٩٤٨ ، هم المشير عبد الله السلال ، والعميد حسين الدفعى ، والعقيد حســـين عنـــبه ، والمقدم مجاهد غالب ؛ وكتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية – ١٩٧٨) ، الـــذى أشرف على إعداده لجنة من تنظيم الضباط الأحرار برئاسة المقدم أحمد الرحومى . فى هذيـــن الكتابين يتابع المؤلفون (المقدم عبد الله المؤيد ، والمقدم صالح الأشول ، والمقدم محمد الخـــاوى ، والمقـــدم عبد الله صبره) ، المسار التاريخى لحركة المعارضة الوطنية خلال النصف الأول مـــن القـــرن العشـــرين ، بهدف إظهار دور مؤسسة القوات المسلحة والأمن فى الحياة

السياسية ، ومساهمة تنظيم الضباط الأحرار فى كلتا الحركتين الثوريتين – ١٩٤٨ الدستورية و ١٩٦٢ الجمهوريـــة . فهذه الإصدارات (المذكرات الشخصية) ، كانت عملاً محفزاً لظهور المزيد من العناوين المتشابهة .

ولم يكـــن الاهـــتمام بـــتدوين الأحداث هو المصدر الملهم لظهور مثل هذه الدراسات والأبحـــاث ، بقدر ما كان الهدف من وراء إصدارها كتابة المذكرات الشخصية ، كما حدث عـــندما أقدم اللواء عبد الله جزيلان فى كتابه (التاريخ السرى للثورة اليمنية – ١٩٨٧) ، فكـــان هذا النوع من الكتابة يوضح الخلفية التاريخية لثورة ١٩٦٢ ، إضافة إلى إيضاح دور العســكريون فى تفجـــير الموقف فى صنعاء ، وتوضيح الخلافات الشخصية بين ضباط الثورة والساســة المدنيـــين وشـــيوخ القـــبائل. وقد ترتب على ذلك انقسامات ومؤامرات سياسية وعسكريـــة ضارية ، خاضها رجال الثورة على مستوى الجبهتين الداخلية والخارجية . كما بين المؤلـــف موقـــف القيـــادة اليمـــنية – تنظيم الضباط الأحرار– من القيادة المصرية السياسية والعسكرية، الداعمة للثورة اليمنية فى عهد السلال .

وفى الاتجاه الأخر للمذكرات الشخصية الخاصة بالعسكريين ، نشط الدكتور عبد الرحمن البيضـــانى ، فنشر كتاب (مصر وثورة أليمن – ١٩٩٤) ، الذى يكاد أن يكون صورة طبق الأصـــل لمؤلفـــه الآخـــر (أوجاع اليمن – ١٩٩٩) ، حيث جمع المؤلف فيه شتات أوراقه وذكـــرياته ، وهـــو يميل لتصحيح بعض القراءات المصحفة لتاريخ الثورة اليمنية بهدف إفحام خصـــومه ، وبالـــتالى إظهار دوره المتميز فى نصرة الثورة والنظام الجمهورى ، والدفاع قدر الإمكـــان عن مواقفه السياسية ، التى غالباً ما وصفها خصومه بالانتهازية بل والطائفية . وقد أمـــدنى الكتاب الأخير بمعلومات قيمة عما خفى من الصراع بين القادة العسكريين والساسة المدنيـــين خـــلال الشهور الأولى من الثورة . وقد ألحق المؤلف كتابيه مجموعة قيمة من الوثائق المخطوطـــة والرسائل الشخصية الدامغة والصور الناطقة ، استدراكاً لما سبق نشره من أبحاث ودراسات ، تحاول الانتقاص منه شخصياً كما فعل صاحب كتاب (البيضانى يرد على البيضانى – ١٩٨٦) .

أما بالنسبة للمراجع الثانوية ، ذات الصبغة العلمية الأكاديمية ، فقد استفدت كثيراً من أطروحة الدكتوراه المقدمة لجامعة القاهرة وصاحبها أحمد يوسف أحمد (الدور المصرى فى اليمن – ١٩٨١) . وهى فى اعتقادى من أفضل الدراسات العلمية المنشورة حتى الآن، كونها تبرز

الـــدور المصـــرى من وجهة نظر باحث عربى مصرى مختص . من هذه الزاوية، تظهر الدراسة أهميـــة الدور المصرى فى نصرة الثورة اليمنية وتثبيت النظام الجمهورى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، رغم التحديات الداخلية والضغوط الإقليمية والدولية التى واجهت القيادة السياسية لـــلجمهورية العربية المتحدة ، ممثلة بشخص الرئيس جمال عبد الناصر . فالدور المصرى كما أظهـــره المؤلف ، ليس دوراً إقليمياً بقدر ما هو دوراً قومياً تمليه المصالح المشتركة بين الشعبين العـــربيين – المصرى واليمنى ؛ واليمن كانت وستظل العمق التاريخى لمصر ، وهذا هو المبحث الرئيســـى أو المشكلة التاريخية للدراسة ، بغض النظر عن تلك الملاحظات النقدية التى أبداها الدكـــتور عبد العزيز المقالح فى كتابه (عبد الناصر واليمن فصول من تاريخ الثورة اليمنية – ١٩٨٦) ، بهـــدف التقليل من قيمة الجهود العلمية للدارسين والباحثين الذين يخالفونه الرأى حول مهمة الدور المصرى وموقف زعامة حزب الله المعارضة له .

وبهذه الدراسة (الدور المصرى فى اليمن) ، تحقق تطور نوعى فى مجال الدراسات اليمنية المعاصرة ، يذكرنا فى نفس الوقت بالإنجاز الآخر (الزبيرى أديب اليمن الثائر – ١٩٧٩) ، الذى أعده عبد الرحمن محمد العمرانى كأطروحة ماجستير مقدمة لإحدى الجامعات الفرنسية . ويتضـــح مـــن كـــل هذا أن صدور مثل هذه الدراسات الأكاديمية ، تساعد القارئ المختص والعادى على الإلمام بتاريخ اليمن المعاصر ، والتعرف عن كثب عن طبيعة الصراع على السلطة فى مرحـــلة الجمهوريـــة العـــربية اليمـــنية . كان ذلك قد ترافق مع صدور بعض الدراسات الأجنبية ، نذكر منها على سبيل المثال المراجع التالية :

- Manfred Wenner. Modern Yemen 1918 - 1966. Baltimore, 1968.

- Dana Shmidt. Yemen The Unknown War. New York , 1968 .

- Robert Stookey. Yemen The Politics Of Y. A. R. Baltimore, 1978.

- Fred Halliday. Arabia Without Sultans. London , 1979.

كان للدور المصرى فى اليمن أثره البالغ فى اجتذاب نظر بعض الباحثين الغربيين ، الذين أولوا اهتمامهم الخاص بإقليم شبه الجزيرة العربية باعتبارها منطقة استراتيجية حساسة للدول العظمى ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا ، تلك الدولتان العريقتان فى حقل الاستعمار ومجـــال الدراسات الإستشراقية . فاليمن أصبحت منطقة جاذبة للدارسين والباحثين الغربيين ،

كونها أحد الدول العربية التي لم تتعرض للغزو الاستعماري المباشر ، باستثناء قاعدة عدن ومحمياتها . وهذا التوجه الثقافي المبطن نلمسه بشكل واضح في سلسلة الدراسات التاريخية والاجتماعية (الأنثروبولوجية) للمجتمع اليمني المعاصر ؛ أو كما حاول كل من مانفريد وينر صاحب كتاب (اليمن الحديث - ١٩٦٨) ، الذي قدمه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة جون هوبكنس بولاية ماريلاند الأمريكية ، وكتاب روبرت ستوكي (الحياة السياسية في اليمن - ١٩٧٨) ، الذي قدمه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة هيوستن بولاية تكساس الأمريكية . فالأول أكاديمي محترف والثاني دبلوماسي متقاعد خدم في القنصلية الأمريكية بمدينة تعز ، خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٦ . أما كتاب دانا شميدت (الحرب غير المعروفة في اليمن - ١٩٦٨) ، فهو ضابط سياسي سبق وأن شغل وظائف حكومية في مستعمرة عدن (الشطر الجنوبي سابقاً) ؛ وعند الشروع في تأليف كتابه قام بزيارات ميدانية ولقاءات شخصية واسعة النطاق ، مع بعض المسئولين في المعسكرين الجمهوري والملكي . فالكتاب لا يتجاوز بأي حال من الأحوال منهج الكتابة الريبورتاجية ، والمؤلف لا يخفي تعاطفه الواضح مع الإمام المخلوع محمد البدر والنظام الملكي البائد في اليمن .

من هذا المنطلق ، نجد غالبية الكتاب الغربيين ، لا يخفون كراهيتهم المفرطة للوجود المصري العسكري في جنوب شبه الجزيرة ، فالحقبة الناصرية بالنسبة لهم تشكل امتداداً لعهد محمد علي باشا والي مصر ، الذي كان يتطلع لإقامة إمبراطورية عربية كبرى في الشرق العربي. وهذا عين ما فعله إدجار أوبالانس في كتابه (الحرب في اليمن - ١٩٧١) ، علماً بأن هذا الكتاب قام بترجمته من الإنجليزية إلى العربية (عبد الخالق لاشين) ، ترجمة مصحفة بما في ذلك عنوان الكتاب الذي ترجمه بتصرف على النحو التالي (السياسة والحرب في اليمن) . فالمؤلف هو ضابط سياسي سابق برتبة رائد خدم في الجيش البريطاني ، كما شارك بدوره مع المرتزقة البيض في حرب اليمن لصالح المعسكر الملكي . وهو ينطلق في كتابه من عقلية استعمارية لا تحيد قيد أنملة عن العصر الفيكتوري ، فهو يرى في شخص عبد الناصر حاكماً عسكرياً ديكتاتورياً يشن حرباً جهادية ضد بريطانيا العظمى باسم عقيدة القومية العربية .

في الاتجاه المعاكس ، طلع علينا الكاتب البريطاني الأيرلندي الأصل فريد هاليدي بكتابه (الجزيرة العربية بدون سلاطين - ١٩٧٩) . وهذا الكتاب ترجم للعربية أيضاً بصورة محورة لن تلتزم الأمانة العلمية سواء في ضبط عنوان الكتاب نفسه ، أو في سياق ترجمة النص بطريقة مصحفة من الإنجليزية إلى العربية . لكن المهم أن هاليدي هو الكاتب الغربي الوحيد ، الذي

أظهــر تعاطفــاً واضحاً مع حركة التحرر العربى فى العالم الثالث ، وقد أبدى إعجابه الشديد بــتجربة جمهوريــة الــيمن الجنوبية الشعبية ، التى قادت الكفاح المسلح ليس ضد الاحتلال الــبريطانى فى مســتعمرة عدن فحسب ، بل وضد الأنظمة الملكية المحافظة فى أرجاء الجزيرة العربية .

ولمــا كــان القاضى محمد الزبيرى موضع اهتمام عدد من الباحثين والدارسين اليمنيين والعرب والأجانب . طلع علينا المستشرق البريطانى بمقالته

- Sarjeant, R.B. " The Yemeni Poet Al-Zubairi ", Arabian Studies, Vol. 5 (January 1979): 78-130.

وهى دراسة لا تخلو من العمق ، فجاء تحليله فى تقويم شخصية الزبيرى الأدبية منسجماً مــع مواقفه السياسية ، بتفاديه الطريقة التى نهجها غيره فى سرد المعلومات دون تيسير الإفادة من نتائجها فى مجال وضوح الرؤيا لدور الزبيرى فى الحياة السياسية اليمنية المعاصرة . ودوافع سارجنت فى صياغة المقالة واضحة ، كونه يضع الزبيرى فى ميزان التاريخ ، وترك التفصيلات للباحثين الراغبين التأمل مجدداً فى سيرته .

وبالمثل أولى الدارسون اليمنيون عنايتهم الخاصة بدور المعارضة القبلية ، باعتبارها جزءاً مكمــلاً لمعارضة حزب الله بزعامة القاضى الزبيرى . نذكر هنا مساهمة كلٍّ من فضل أبو غانم فى دراســته الأولى (البــنية القبلية اليمنية – ١٩٨٥) ، والثانية (القبيلة والدولة فى اليمن ١٩٩٠) ، ودراســة محمد محسن الظاهرى (الدور السياسى للقبيلة فى اليمن – ١٩٩٠) . هــذه الدراسات تندرج فى سياق خط فكرى رعته جامعة صنعاء ومركز الدراسات والأبحاث اليمــنية مــنذ تأسيسهما فى عام ١٩٧٠ ، وبالتالى حرص الكاتبان على إظهار دور القبيلة فى الحيــاة السياسية وصناعة القرار؛ فضلاً عن دراسة قائد نعمان الشرجبى (القرية والدولة فى المجتمع اليمنى – ١٩٩٠) ، التى حرص صاحبها على إظهار دور القرية فى العهد الجمهورى . فالحرب الأهلية فى اليمن ١٩٦٢ – ١٩٧٠ ، وضعت شيوخ القبائل فى بلاد اليمن الأعلى ، جنــباً إلى جنب مع شيوخ الرعية فى بلاد اليمن الأسفل فى واجهة الأحداث السياسية ؛ فكان من الضرورى والمفيد أن يسهم أصحاب هذا الخط فى عملية دعم المعارضة الدينية (حزب الله) المــتحالفة مــع المعارضة القبلية (كتلة خمر) ، كونهما دخلا فى مواجهة مكشوفة مع المؤسسة

العسكرية الحاكمة فى صنعاء (حزب الشيطان) ، سواء فى عهد المشير عبد الله السلال ، أو فى عهد المقدم إبراهيم محمد الحمدى .

ففـــى ضوء هذا التعريف ، ليس من الغريب أن تحتل القبيلة مكان الدولة ، فهذه النظرة تشـــكل جـــزءاً جوهرياً من تصورها لهويتها الخاصة . والبحث هنا ، فى تطور معرفة الباحثين المهـــتمين بتاريخ حركة المعارضة من زاوية الوطن لا القبيلة ، يسوقنا إلى التذكير بفضل تلك الدراسات الرائدة فى هذا المجال : محمد عبد السلام (الجمهورية بين السلطنة والقبيلة فى اليمن الشـــمالى – ١٩٨٨) ، وأحمد الصياد (السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر – ١٩٩٢) ، وســـعيد الجناحى (الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة – ١٩٩٢) . هذه الأبحاث استعرضـــت جوانب مختلفة من العمل السياسى المؤطر فى تنظيمات وأحزاب سياسية حديثة، خاضـــت الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطانى فى الشطر الجنوبى من الوطن سابقاً ، والنظام الملكى الإمامى وأعوانه فى الشطر الشمالى سابقاً .

وكتحصيل حاصل ، لهذه الجهود المضنية المهتمة بدراسة الحياة السياسية فى اليمن المعاصر ، ظهـــرت بعـــض الدراسات المهتمة بسيرة الزبيرى – الأدبية والسياسية ؛ وتأتى فى مقدمتها دراسة علوى عبد الله طاهر (الزبيرى شعره نثره – ١٩٧٧) ، وعبد العزيز المقالح (الزبيرى ضـــمير اليمن الثقافى والوطنى – ١٩٨٦) . ولعل هاتين الدراستين قد ساهمتا فى عملية بناء جـــزء من الزبيرى الأسطورة، قيد البناء والتشييد ، والمكتب اليمنية بدورها تنتظر المزيد من جـــنس هـــذه الدراسات. أما أن يستنتج بعض الباحثين صوراً مبالغة لنثره وشعره ، فهذا أمر لا نرضاه ، كونه محض تشويه لسيرة أبى الأحرار محمد بن محمود الزبيرى .

واســـتكمالاً لمسيرة البحث العلمى الجاد فى إخراج أعمال الزبيرى الشعرية كاملة ، أثار بعـــض الباحثين جملة من الملاحظات النقدية المتعلقة بنشاطه السياسى . وكانت دراسة كل من رياض القرشى (شعر الزبيرى بين النقد وأوهام التكريم – ١٩٩٠) ، وعبد الله البردونى (من أول قصـــيدة إلى أخـــر طـــلقة – ١٩٩٣) ، ترميان إلى توضيح الجوانب الغامضة فى سيرته السياسية والأدبية ، جميعها تنوعت بتنوع الموضوعات المدروسة . وبقى كتاب القرشى (شعر الزبيرى) ، واحداً من أهم الدراسات النقدية الجادة ، حيث حفلت دراسته بقصائد شعرية لم يســـبق لأحـــد نشرها . ولعل الحافز لهذا الإنجاز العلمى يعود إلى ظاهرة التنافس العلمى بين الباحـــثين اليمنيين ، الذين أولوا عناية خاصة بشعر الزبيرى . ونحن بدورنا نعنى بنثره للتعرف

على تجربة حزب الله وتداعياها السياسية فى الساحة اليمنية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية وما بعدها .

أمـــا الشـــق الثانى من المصادر التى اعتمدنا عليها تعود إلى سلسلة المقابلات الشخصية أو المكاتـــبات الخطية التى أجريتها مع نفر من رواد حركة المعارضة الوطنية فى اليمن المعاصر ، وذلك أثناء شروعنا فى إعداد أطروحة الدكتوراه حول (القوى الاجتماعية والسياسية لحركة المعارضة اليمنية – ١٩٨٧) . فقد زودنى بمعلومات قيمة كلٌ من فضيلة القاضى عبد الرحمن بن يحيى الإريانى ، والشيخ أحمد محمد نعمان ، والمشير عبد الله السلال ، والأستاذ على ناصر العنسى ، والأستاذ أحمد حسين المرونى وآخرون ، لا يتسع المجال لذكرهم هنا .

هوامش الفصل التمهيدى

(١) تشـير المصادر على أن تاريخ استشهاد الزبيرى هو ١ إبريل من عام ١٩٦٥م / الموافق يوم الخميس ٣٠ ذى القعدة ١٣٨٥ هـ ، انظر عبد الملك الطيب : التاريخ يتكلم ، ص ٢٤٧ ، وعبد الرحمن طيب بعكر : المجـاهد الشـهيد محمد محمود الزبيرى ، ص ٢٧٩ ، على عكس ما يذهب إليه الباحث علوى عبد الله طاهر : الزبيرى شعره ونثره وآراء الدارسين فيه ، ص ٧٢ .

(٢) راجع فى هذا الصدد : عبد الستار الحلوجى : الزبيرى شاعر اليمن ، ص ٤٢ ، وعبد الله البردونى : من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، ص ٢٤ ، وعبد العزيز المقالح : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، ص ٢٣ .

(٣) انظـر القراءات النقدية المضادة أيضاً فى أعمال عبد الرحمن العمرانى : الزبيرى أديب اليمن الثائر ، ص ٢٤٤ ، وعبد العزيز المقالح : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، ص ١٥٨ .

(٤) جـبل مشـهور فى الشمال الشرقى من صنعاء على مسافة نحو خمس مراحل، وهو من بلاد همدان ثم من بكيل . انظر محمد بن محمد الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، (ج١) ، ص ١٠٧ .

(٥) عـالج بعض جوانب هذا الموضوع - الزبيرى الواقع والأسطورة - محمد عبد السلام فى دراسته للواقع اليمنى : الجمهورية بين السلطنة والقبلية فى اليمن الشمالى ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٦) فى مؤلفات الزبيرى وعى عميق بالفكر الزيدى ، راجع على سبيل المثال مساهمته الناقدة للمذهب الهادوى فى كتاب الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، ص ٧ - ٨ ، وتلك المقدمة النثرية والشعرية التى خص بها كـتاب (التاج المذهب فى أحكام المذهب) لمؤلفه أحمد بن قاسم العنسى ، فى مطلع حياته الأدبية وعمره لم يتجاوز العشرين ربيعاً . انظر عبد الرحمن محمد العمرانى : الزبيرى أديب اليمن الثائر ، ص ١٤١ .

(٧) أحمـد عبد الرحمن المعلمى : الزعيمان الزبيرى والنعمان سيرة نضالية وأحاديث وطنية وقومية موثقه ، ص ٤٤ .

(٨) هنرى لورنس: اللعبة الكبرى الشرق العربى المعاصر والصراعات الدولية ، ص ٢٠٧.

(٩) عبد الملك المقرمى : التاريخ الاجتماعى للثورة اليمنية ، ص ٣٥٠ وما تليها .

(١٠) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٠ .

(١١) غالـباً ما يوصف المجتمع اليمنى بالتقليدية والمحافظة ، حول هذه المسألة نحيل القارئ لدراسة على محمد عبده : الطائفية فى اليمن ، ص ٣٠ وما تليها .

(١٢) انظر :

Michael. C. Hudson. Arab Politics the Search for legitimacy, p. 344.

(١٣) عبارة عن عمل أدبي تطرق فيه المؤلف لفصول مختارة من تاريخ اليمن القديم والحديث بشيء من السخرية اللاذعة والتعريض بالأئمة الحكام (بيت حميد الدين) .

(١٤) سلطان أحمد عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، ص ١٨٥ .

(١٥) انظر كل من قائد نعمان الشرجبي : الشرائح الاجتماعية فى المجتمع اليمنى ، ص ١٥٤ ، والمقرمى : التاريخ الاجتماعى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٦٨ .

(١٦) تحالف سياسى قبلى يضم عشائر قبيلة حاشد المؤلفة من أربعة بطون رئيسة : بنى صريم ، وخارف ، وعذر ، والعصيمات ، جميعها تقطن شمال العاصمة صنعاء ، ومعقلها مدينة خمر . أما المجال الحيوى لنفوذها مدينة عمران ومحيطها القبلى وهى تبعد نحو خمسين كيلومتراً شمال صنعاء . عرف عن هذا التجمع القبلى تأييده للنظام الجمهورى بزعامة الشيخ عبد الله الأحمر ، الذى أعدم والده الشيخ حسين وأخيه حميد الأحمر وهما فى الأسر من قبل الإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين فى خريف عام ١٩٥٩. انظر على محمد عبده : مسار الحركة الوطنية اليمنية، ص ١٠٦، ومحمد بن أحمد الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، ج١ ، ص ١١٦ .

(١٧) تحالف سياسى قبلى يتألف من أربعة عشر بطن ، نخص بالذكر منها : أرحب ، وبرط ، ووايلة ، ودهمة ، وهمدان الشام ، وخولان، ونهم ، وبنى حشيش ، وعيال سريح، وجبل عيال يزيد . تشكل جميع هذه البطون حزام سكانى يطوق خصر العاصمة صنعاء من كل الاتجاهات ، وهى معروفة بولائها المطلق للنظام الإمامى (بيت حميد الدين) ، فيما لو استثنينا من ذلك المواقف الفردية المؤيدة للنظام الجمهورى لبعض زعامات بكيل من أمثال : الشيخ أمين أبو رأس ، والشيخ مطيع دماج ، والشيخ عبد الخالق الطلوع . انظر الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، سبق ذكره ، ج١ ، ص ١٢٥ وما تليها .

(١٨) حول البناء العسكرى للجيشين النظامى والبرانى فى مرحلة المملكة المتوكلية اليمانية نحيل القارئ لكتاب سلطان ناجى : التاريخ العسكرى لليمن ، سبق ذكره ، ص ١١١ ، وناجى على الأشول : الجيش والحركة الوطنية فى اليمن ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(١٩) يقدم القاضى محمد بن على الأكوع تراجم ميسرة لأهم الشخصيات الاجتماعية والسياسية الفاعلة خلال الفترة القاسمية ، انظر مؤلفه : حياة عالم وأمير ، ص ٣٢٣ وما تليها ، وراجع أيضاً محمد أنعم غالب فى كتابه : عوائق التنمية فى اليمن عرضاً وافياً للنظام السياسى فى مرحلة المملكة المتوكلية اليمانية ، كما هو الحال فى دراسة محمد سعيد العطار : التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى اليمن ، ص ٣٦ وما بعدها .

(٢٠) عبد الملك بن محمد الطيب : الثورة والنفق المظلم ، ص ٩٤ .

(٢١) انظر كلّ من إلهام محمد مانع : الأحزاب والتنظيمات السياسية فى اليمن (١٩٤٨ – ١٩٩٣) دراسة تحليلية ، ص ١٦٠ ، ورياض نجيب الريس : رياح الجنوب اليمن ودوره فى الجزيرة العربية (١٩٩٠ – ١٩٩٧) ، ص ٣٢٠ .

(٢٢) لا ينسحب هذا القول – وصاية الفقيه المحتسب – على تجربة جمهورية إيران الإسلامية ، وإنما على تجربة المجلس الجمهورى فى عهد القاضى عبد الرحمن الإريانى ، حيث عطلت الحريات السياسية تحت شعار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وكان القائمون بأمر الحسبة ، قد رفعوا شعارات سياسية فى وجه المعارضة مثل : الحزبية جآت بمسوح الرهبان أو قرون الشيطان فهى مرفوضة ، من تحزب خان ، إننا نرفض الأفكار المستوردة .. الخ . انظر خالد بن محمد القاسمى : الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً ، ص ١٦٤ ، وأيضاً المقالة المتعارضة حول الخروج والحسبة عند أشواق أحمد غليس : التجديد فى فكر الإمامة عند الزيدية فى اليمن ، ص ١٣٣ – ١٣٤ ، ويحيى بن حسين النونو : نظام الحسبة عند الزيدية ، ص ٦٩ – ٧٠ ، ومقالة إسماعيل بن على الأكوع : " معالم مضيئة فى حياة الرئيس الإريانى "، ص ٢٤ ، فى كتاب القاضى الإريانى حكيم الثورة اليمنية . انظر أيضاً :

Hudson. Arab Politics the Search for Legitimacy. p. 345.

(٢٣) وضع المفكر الإسلامى سيد قطب تصوره الخاص عن المجتمع العربى المعاصر الذى نعته بالمجتمع الجاهلى فى القرن العشرين . راجع على سبيل المثال مناقشة حسن حنفى للأصولية الإسلامية فى ضوء تجربة الإخوان المسلمين فى بحثه المستفيض : الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ – ١٩٨١ (٦) الأصولية الإسلامية ، ص٣٢–٣٤ ، وجيل كيبل : يوم الله الحركات الأصولية المعاصرة فى الأديان الثلاثة (ترجمة نصير مروة) ، ص ١٠ .

(٢٤) على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم ، ص ١٨ .

(٢٥) راجع عن الدور السياسى والاجتماعى الذى يلعبه علماء الدين ومشايخ القبائل فى السياسة اليمنية فضل أبو غانم: البنية القبلية فى اليمن بين الاستمرار والتغيير ، ص ٢٢٢–٢٢٣.

(٢٦) انظر كلّ من كتاب الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص ١١٦ ، والبغدادى : الفرق بين الفِرق ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢٧) أحمد محمود صبحى : فى علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين ، ج٣ ، ص ٦٠ .

(٢٨) النونو : نظام الحسبة عند الزيدية ، سبق ذكره ، ص ١٠٩ .

(٢٩) عبد الله الشماحى : اليمن الإنسان والحضارة ، ص ٢٠٨ .

(٣٠) انظر تفاصيل انقلاب مارس ١٩٥٥ فى كتاب أحمد السقاف : أنا عائد من جنوب شبه الجزيرة العربية ، ص ٣٠ ، وأحمد بن محمد الشامى : رياح التغيير فى اليمن ، ص ٤٣١ وما بعدها ، وإسماعيل الأكوع : هجر العلم ومعاقله فى اليمن ، ج٣ ، ص ٨٤٧ .

(٣١) مركز الدراسات والبحوث اليمنى : حصار صنعاء شهادات للتاريخ ، ص ٧٣ .

(٣٢) على سبيل المثال لا الحصر انظر المصطلحات السياسية التى تحتل الصدارة لعناوين بعض الدراسات التالية : عبد الله بن عبد الإله : نكسة الثورة فى اليمن ، ص ٤٧ - ٤٨، ومحمد على الشهارى : اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال ، ص ٦٧ - ٦٨ ، أحمد قايد الصايدى : حركة المعارضة اليمنية، سبق ذكره ، ص١٥٠ وما تليها ، وعبد الملك المقرمى : التاريخ الاجتماعى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٣٥٣ .

(٣٣) اقتبسنا هذه التسميات من عدة دراسات وأبحاث ، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ، دراسة كلّ من العمرانى : أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره ، ص ٩ ، المقالح : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى ، سبق ذكره ، ص ٤٨ .

(٣٤) أحمد محمد نعمان : كلية بلقيس قلعة تقدمية ، ص ٥ - ٦ .

(٣٥) انظر مقدمة كتاب الزبيرى شاعراً ومناضلاً بقلم عبد العزيز المقالح ، ص ٦ .

(٣٦) سبق وأن حاولنا تعريف هذه المصطلحات السياسية فى سياق الفصل نفسه ، وفى أطر محدودة ، ولمزيد من الإيضاح حول هذين المصطلحين حزب الله وكتله حمر ، اللذين جرى استخدامهما على نطاق واسع فى كتاب البردونى: من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، سبق ذكره، ص ٢٨ وما تليها ، وسلطان أحمد عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، ص ١٨٢ .

(٣٧) من إجابات الأستاذ على ناصر العنسى ، حررت فى صنعاء بتاريخ ١٢ سبتمبر عام ١٩٧٧ .

(٣٨) يجدر الإشارة هنا إلى مقالة أبو بكر السقاف: " الزبيرى شاعراً ومفكراً "، ص ٢٦ وما بعدها ، فى كتاب الزبيرى شاعراً ومناضلاً ، حيث تسلط الأضواء على تجربته السياسية والأدبية فى عهدين - الإمامة (الملكية) والثورة (الجمهورية) . وانظر أيضاً :

Elizbeth Monare. Britain's Moment in the Middle East 1914 - 71, p. 214.

(٣٩) انظر كلّ من عبد الرحمن سلطان : الثورة اليمنية وقضايا المستقبل ، ص ٧٩ ، ومحمد أحمد محجوب : الديمقراطية فى الميزان ، ص ١٧٠ وما تليها .

(٤٠) زودنا بهذه الوثائق شاكراً الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية الأسبق ، عضو اللجنة الثلاثية المنبثقة عن مؤتمر القمة العربى الرابع المنعقد بالخرطوم فى أغسطس عام ١٩٦٧ .

(٤١) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٥١ .

الفصل الأول

الحياة السياسية فى عصر الزبيرى

نشأته وثقافته :

إن الإحاطة بشخصية محمد بن محمود الزبيرى وتكوينها الثقافى والسياسى والاجتماعى ، يتطــلب منا فهم مغزى معارضة حزب الله من جهة ، والدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية مـــن جهة أخرى. فالقاضى الزبيرى الذى أعلن خروجه من صنعاء إلى جبل برط، أراد بوعى أو بدون وعى أن يلعب نفس الدور ، الذى كان يلعبه السادة العلويون الخارجون عن سلطة إمـــام صنعاء، حيث يلجئون عادة إلى القبائل اليمنية المتعطشة للحرب، للحصول على دعمها ومساندتها للفوز بمنصب الإمامة ، أى الرئاسة . فهل ساهمت ثقافته الدينية وخلفيته الاجتماعية فى خلق هذا الطموح لديه ، حيث أخذ يتطلع بدوره للعب دور الفقيه المحتسب فى ظل غياب الإمـــام الفاضل والإمام المفضول ؟ لذلك ، فإن تصور هذا الدور المزدوج ، يحتاج منا دراسة متعمقة فى نشأته وثقافته . فمن هو الزبيرى ؟

ولـــــد محمـــد بن محمود بن محمد بن أحمد بن لطف البارى الزبيرى بمدينة صنعاء عام ١٩١٩م/ ١٣٣٨هـــ .[١] يجمع المؤرخون على أن أسرة الزبيرى ، تنحدر من أسر العلم القحطانيـــة الـــتى اشتغل معظم أفرادها بالقضاء والفتيا والتجارة ، ويعد أمثال هذه الأسر من الطـــبقة المتوســـطة فى المجـــتمع اليمنى ؛ ويكون لها مكانة دينية واجتماعية من الناحية العلمية والأدبيـــة ، أكـــثر ممـــا يكون من الثروة .[٢] ولعل هذه المكانة الاجتماعية ، هى التى جعلته ينصرف كلياً عن الاشتغال بالقضاء أو التجارة ، مفضلاً الاشتغال بالأدب والسياسة .

تذكر المصادر أن عدد لا بأس به من أسرة الزبيرى ظلت تتوارث الوظائف المذكورة – القضـــاء والـــتجارة – من أمثال جده القاضى أحمد لطـــف البارى الزبيرى (ت ١٨٦٩م / ١٢٨٦هـــ) ، الذى شغل مناصب قضائية مهمة فى وسط عهد الدولة القاسمية . وكان جده فى مقدمة علماء السلطة الإمامية ، الذين ساهموا فى الحط من معارضة الفقيه الصوفى سعيد بن صالح الهتار (ت ١٨١٤م / ١٢٥٧ هـــ) ، صاحب الدنوة ، الذى قاد ثورة فلاحية بناحية

حـــبيش فى لواء إب ضد إمام صنعاء الهادى محمد بن المتوكل. [٣] وكان جده معروفاً بتشيعه للمؤسسة الإمامية الزيدية ، بحكم انتمائه المذهبى ؛ وهذا هو شأن معظم الأسر الصنعانية التى ارتبطت مصالحها بالأئمة الحكام . فى هذا المحيط الاجتماعى والثقافى ، ولد الزبيرى فى محيط أســـرة محافظـــة ، تـــتعاطى العلم والتجارة للحفاظ على كينونتها وبقائها داخل مدينة صنعاء العاصمة الثقافية والسياسية للدولة القاسمية .

دخـــل الـــزبيرى الكتاب فى السادسة من عمره ، وظل فيه حتى أتم العاشرة ، وفى هذه الأثـــناء تعلم القراءة والكتابة ، وأكمل حفظ القرآن الكريم وتجويده ، فكان محط عناية فقيه الكـــتاب الشيخ الحافظ أحمد محبوب . [٤] وتأثر بالقرآن الكريم ، وتمثل بلاغته ، وطالع طرفاً صالحاً من كتب التفسير والحديث ، وعدداً من دووابن الشعـــر العربى ، كديوان أبى الطيب المتنبى والبحترى وأبى تمام وغيرهم .

وبعد وفاة والده ، التحق بالمدرسة العلمية بصنعاء ، التى أنشأها الإمام يحيى مباشرة بعد دخوله صنعاء عاصمة الحكم ؛ حيث كانت هذه المدرسة تستقبل طلبة العلم من الأسر الميسورة ، الذين ينخرطون بعد إكمال دراستهم بالجهاز القضائى لحكومة المملكة المتوكلية اليمانية . [٥] وفى المدرســـة العـــلمية ، ظهـــرت ميول الزبيرى الأدبية ، فكان يُعنى بدروس النحو والأدب والـــبلاغة أكـــثر من عنايته بموضوعات الفقه والشريعة ؛ وهذا يفسر لنا سبب تركه مقاعد الدراســـة قـــبل أن يحصـــل على إجازة الغاية . [٦] وكان الحصول على إجازة علمية من هذه المدرسة تمهد لحاملها الطريق أمامه للالتحاق بوظيفة حكومية قضائية أو إدارية . [٧]

ويذكر عبد الرحمن العمرانى أن موهبة الزبيرى الأدبية – الشعرية والنثرية – برزت منذ ســـن مبكرة من عمره ، بقوله : " وكان أول ما نشر له مطبوعا كما نعتقد قصيدة شعر مع مقدمـــة نـــثرية قـــرض بهـــا كتاب (التاج المذهب ..) وذلك أى عـــندما كان عمر أديبنا الـــزبيرى عشرين عاما تقريبا .. " [٨] والمعروف أن كتاب (التاج المذهب لأحكام المذهب) للقاضـــى احمد بن قاسم العنسى ، يعتبر واحدا من أهم المصنفات الفقهية ، التى عنيت بتقديم شـــرح واف لـــــ (كـــتاب شرح الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار) للإمام المهدى أحمد بن يحى المرتضـــى. وهذان الكتابان كانا من أهم الكتب المقررة لطلبة العلم فى المدرسة العلمية وغيرها من المدارس الدينية المرتبطة بالمؤسسة الإمامية الزيدية الهادوية .

وقبل أن يتم الزبيرى دراسته بالمدرسة العلمية رحل إلى تعز ، حيث التحق هناك بديوان السيد على الوزير ، صديق والده وجارهم السابق فى حى بستان السلطان بمدينة صنعاء ، الذى بدوره أولاه رعاية خاصة . وكان الزبيرى قبل أن يلتحق بدار العلوم ، قد أختاره السيد على الوزير أمير لواء تعز لتدريس اللغة العربية فى المدرسة الأحمدية منذ عام ١٩٣٥ ، حتى عام ١٩٣٧ . وفى سنة ١٩٣٨ التحق بدار العلوم بالقاهرة على نفقة السيد الوزير ؛ وقيل إن الفريد على الوزير لمس فيه ذكاءً ونبوغاً مبكراً ، مما جعله يقتنع برعايته ، ربما بهدف كسبه إلى صفه وصف أسرته (بيت الوزير) ، التى تنافس (بيت حميد الدين) فى المركز والثقل والطموح فى السلطة .[٩] ففى سنة مولد الزبيرى ، كان اليمن يخوض تجربة الاستقلال وما تولد عنها من تداعيات سياسية كادت تودى بالتجربة إلى الضياع .

عاش القاضى الزبيرى فى النصف الأول من القرن العشرين ، وهى مرحلة سياسية حرجة من تاريخ اليمن المعاصر. وقد شهدت فترة المملكة المتوكلية اليمانية (١٩١٨ - ١٩٦٢) أحداثا سياسية وعسكرية مهمة ، كان لها دورها فى تقويض محاولات الطبقة الإمامية الحاكمة (بيت حميد الدين) الرامية إلى توحيد اليمن الطبيعى بالفشل الذريع .[١٠] كان المجتمع اليمنى يزخر بتناقضات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية ، حيث لم تكن هنالك قواسم مشتركة مثلاً بين سكان اليمن الأسفل الخاضعين للحكم العثمانى ، وبين سكان اليمن الأعلى الذين شكلوا العمود الفقرى للمقاومة المسلحة ضد الوجود العسكرى التركى . وقد اضطر الباب العالى إلى تسليم مقاليد السلطة والحكم فى بلاد اليمن الأعلى للإمام يحيى حميد الدين بموجب صلح دعان عام ١٩١١ ، ومن بعدها استطاع إلحاق بلاد اليمن الأسفل بالسلطة المركزية فى صنعاء ، بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية عام ١٩١٨ .[١١]

فمنذ تسلم الإمام يحيى مقاليد السلطة فى اليمن ، لم يستطع خلق كيان سياسى متماسك ، حيث ظلت الولاءات المذهبية والعشائرية مظهر عام للحياة السياسية ، رغم تمسك الحكام فى الظاهر بمبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية دون هوادة .[١٢] وكانت عملية الضم القسرى لبلاد اليمن الأسفل قد اتسمت بردود الفعل الرسمية لدى الأئمة الحكام ، بالانتقام ممن يخالفهم مذهبياً ، فهم فى نظرهم إما رفض ، أو كفار تأويل .[١٣] وهذا واضح بشكل بارز من هذا المصطلح الفقهى ، الذى أطلقه الأئمة على الأتراك العثمانيين ، وعملية إسقاط هذا المصطلح وتعميمه بشكل فج على سكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية ، كونهم سنة - شافعية .

فقد اتهمتهم السلطة المركزية فى صنعاء بتقصيرهم فى تطبيق الشريعة المطهرة ، بما فى ذلك إقامة الصلاة بدون إمام ، وعدم ذكر عبارة (حى على خير الفلاح) عقب أذان كل صلاة . (١٤)

ورغم المحاولة الجادة التى بذلها الإمام يحيى فى توحيد اليمن ، فقد اصطدم مشروع اليمن الطبيعى بالعديد من العقبات الداخلية والخارجية . وفى مقدمتها ذلك التناقض الحاد بين النخبة السياسية – السادة والقضاة – ، حيث كانا يقفا على طرفى نقيض . وبالرغم من حماس الدولة إلى تطبيق الشريعة ، والحرص على المساواة بين فئات المجتمع اليمنى ، إلا أن النخبة العلوية احتفظت لنفسها بتطبيق مبدأ الفضل والشرف ، التى أصبحت القاعدة الأساسية المعمول بها فى حكم البلاد والعباد . وعندما حاول آل حميد الدين التفرد بالسلطة ، تصدى لهم أبناء عمومتهم من آل الوزير . (١٥) ولكن بنى الوزير سرعان ما تعرضوا لنكبة سياسية أفقدتهم مراكزهم التنفيذية المهمة فى مراكز الدولة ، لا سيما بعد تعيين الإمام يحيى أبنه الأمير أحمد ولياً للعهد وأميراً للواء تعز عام ١٩٣٨م بدلاً من الأمير السيد على الوزير، كما عين ابنه الثانى الأمير محمد أميراً للواء الحديدة بدلاً من السيد عبد الله الوزير ، وابنه الثالث الأمير الحسن أميراً للواء ذمار بدلاً من السيد عبد القدوس أحمد الوزير. (١٦) فالصورة التى يمكن رسمها لليمن فى نهاية عقد الثلاثينيات تتميز بالتناقضات السياسية والانقسامات الأسرية التى ساهمت فى تفكيك عرى عصبية الطبقة الحاكمة .

بقدر ما راهن الإمام يحيى وابنه أحمد على جهود السيد الوزير فى المحافظة على تماسك عصبية الطبقة الحاكمة ، كواجهة تختفى وراءها الصراعات الأسرية حول دست الإمامة . فقد كان الطرفان يخشيان نفوذ الأسر القحطانية المتطلعة لدور أكبر فى الحياة السياسية . وما أربك خطط الطرفين (آل حميد الدين وآل الوزير) ، أن رموز الأسر القحطانية المنخرطة فى صفوف المعارضة بزعامة الشيخ أحمد نعمان والقاضى محمد الزبيرى ، كانا يعدان العدة لصياغة الخطوط العريضة لقيام حرك ثورية فى صنعاء بمساعدة تنظيم الإخوان المسلمين فى مصر . كان ذلك بعد وصول المجاهد الجزائرى الفضيل الورتلانى الممثل الشخصى للإمام حسن البنا إلى اليمن ، وقبل التحاق الأمى إبراهيم بن يحيى حميد الدين بحركة الأحرار اليمنيين بمدينة عدن . (١٧)

فعلى الصعيد السياسى سوف يشهد اليمن سلسلة من الصدامات المسلحة بين الحكومة الإمامية ، التى كانت تتطلع إلى توحيد اليمن وبسط نفوذها السياسى على الخصوم من جهة، وبين المعارضة القبلية والحضرية التى كانت ترفض ذلك الواقع السياسى والاجتماعى

والاقتصـــادى المنحط .[18] وكان مشروع اليمن الموحد – المملكة المتوكلية اليمانية – ، قد تعـــثر من جراء الصراع المسلح بين الحكومة المركزية فى صنعاء والعشائر اليمنية ، التى كانت تـــأبى التفريط بحريتها واستقلالها لمشيئة الطبقة الحاكمة. ونشأ من جراء ذلك الصراع دويلات متنافسة (محميات عدن الشرقية والغربية ، الإمارة الإدريسية ، الدولة السعودية الثالثة) ، وكان التناحر فيما بين هذه الإمارات والدول من أجل التوسع ، والتفرد بحكم الجزيرة العربية سبباً كافياً لخلق جو سياسى مضطرب فى المنطقة .[19]

وكـــانت النتـــيجة لهـــذه السياسة المركزية خلق اضطرابات سياسية من جراء الحروب الحكومية – القبلية المتواصلة ، التى جرتها إلى خوض غمار حرب طاحنه مع جيرانها فى الشمال والجـــنوب . ففى تخوم اليمن الشمالية والـــجنوبية، منى اليمن بهزيمتين عسكريتين مفجعتين متتاليتين ، أسفرتا عن ضياع إقليم عسير ، والمحميات التسع .[20] وكان من أثر تخلخل سيطرة الحكومة الإمامية سياسياً وفكرياً بعد هذه الهزائم العسكرية ، انتعاش حركة المعارضة الحضرية الـــتى أخذت على عاتقها مسئولية إنقاذ البلاد من الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية . وأبدى الملك عبد العزيز آل سعود والحاكم البريطانى لمستعمرة عدن تعاطفاً ملحوظاً مع زعامة المعارضة ممثلة بشخص السيد عبد الله الوزير، الذى مثل الحكومة اليمنية فى مفاوضات اتفاقية الطائف فى ربيع عام ١٩٣٤م.[21] والسيد الوزير سوف ينتهى فى آخر أيام حياته إلى اعتناق مـــبادئ حركـــة الأحرار اليمنيين وعقيدتها الإصلاحية ، التى نادت بقيام حكومة دستورية فى اليمن تمهيـــداً للقضاء على حكم بيت حميد الدين .

وعلى الصعيد الاقتصادى ، كـــان الأمراء والحكام وكبار موظفى الدولة هم المستفيدون الوحيـــدون مـــن السياسة المركزية الإدارية المفرطة التى تبنتها الحكومة الإمامية . فقد حصل زعمـــاء الأسر الذين انخرطوا فى خدمة الإمام يحيى على اقطاعات واسعة من الأرض ، واشتغل غالبيـــتهم بالتجارة . ومارس قادة الجيش النظامى والبرانى أساليب وخشية فى جمع الزكاة من السكان .[22] كـــما مارست الحكومة الإمامية ضغوطاً سياسية واقتصادية على فقهاء الصوفية الأشـــعرية ، والطـــلائع المثقفة من العلماء المستنيرين الذين انخـــرطوا ضمن تيار المعارضة الدينية والوطنية فى مواجهة النخبة العلوية الحاكمة .

وقصـــارى القـــول ، إن اضطراب الحياة السياسية كان له أثر إيجابى على صعيد انتعاش حـــركة المعارضـــة الريفية الحضرية ضد حكم بيت حميد الدين . وكان القاضى الزبيرى ممثلا

لــلجيل الــذى شــاهد نهايــة الفترة التركية العثمانية وبداية عصر الاستقلال الوطنى لليمن الشمــالى عام ١٩١٨م ، فترة المملكة المتوكــلية اليمانية ، وما انطوى عليه ذلك الجيل من أحــلام كبيرة وانكسارات وخيبات اكثر ، قياساً إلى آمال عريضة كان يحلم بتحقيقها عشية حصول اليمن الشمالى على استقلاله . وكان مثلا لمرحلة تاريخية بالغة الأهمية والتأثير ، لما حملته من إمكانيات واحتمالات ، وما وعدت به من نتائج إيجابية وسلبية فى اتجاه بناء مشروع اليمن الحديث .

مذهبة فى الإصلاح :

اخــتفت شخصــية القاضى الزبيرى فى رداء دوره السياسى المناهض لحكم أسرة حميد الدين، وانتمائه الأسرى إلى إحدى الأسر القحطانية المناهضة للمؤسسة الإمامية . لذلك وجد فى معاصريه ومؤرخى تجربته ، من يعفيه من مسئولية سلوكه ومواقفه السياسية المعارضة لحكم العسكريين فى العهد الجمهورى . فهو فى نظر الكثير من الدارسين والباحثين أديب اليمن الثائر وضمير اليمن الثقافى ، الذى جاء يجمع كلمة أهل اليمن ويوحد صفوفهم فى مواجهة الرجعية المتسترة برداء الثورة والجمهورية . " وما كان الزبيرى فى يوم من الأيام سياسياً محترفاً أو طامحاً فى جــاه أو منصب حتى ينافق عبد الناصر ويتزلفه ويبدى ما لا يبطن " . [٢٣] والمعروف عن القاضى منذ نعومة أظفاره ، انغماسه فى السياسة حتى أذنيه ، وهو رجل يتقد بالذكاء ، شديد الدهاء ، يتقن نسج الخيوط المتعاكسة فى آن واحد . وقد تفتحت مواهبه فى مرحلة دار العلوم بالقاهــرة ، عندما تم استقطابه إلى صفوف جماعة الإخوان المسلمين ، ليعود إلى اليمن مشكلاً أول خلية سياسية " كانت هذه البداية التى مهدت الطريق لآراء وأفكار الإخوان المسلمين إلى عقــول وقلوب الأحرار اليمنيين ، كما كانت رسائل الأستاذ البنا مصدراً من مصادر تثقيف الأحرار داخل المملكة المتوكلية".[٢٤]

إن اخــتيار عام ١٩٦٢م كنقطة انطلاق لمسيرة حزب الله فى اليمن ، كما يقترحه بعض الدارسين المهتمين بشعر الزبيرى ، يبقى بنظرى اعتباطياً ، فهم يحاولون فصل رأس الزبيرى عن جسده ، كما لو أن مرحلة شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٩٤١ – ١٩٤٢ ، فترة مستقلة بذاتها عن حياته الثقافية والسياسية . فبرغم من أن عام ١٩٤٤ ، يشير إلى تحول حاسم فى حيــاة الزبيرى ، فإنه يقع بالنسبة لتاريخ اليمن المعاصر وسط مرحلة جديدة بدأت مع قيام الحكومة الدستورية وسقوطها فى منتصف مارس من عام ١٩٤٨. [٢٥] إننا نواجه هنا مشكلة

عويصــــة تتعلق بدور الزبيرى فى العهد الملكى ليس بمعزل عن العهد الجمهورى فحسـب ، بل بمعـــزل عن نشاط أولئك الأحرار الذين كانوا معه فى تعز وعدن والقاهرة وصنعاء حتى لحظة خروجه إلى جبل برط ، واستشهاده هناك فى مطلع إبريل من عام ١٩٦٥.

مـــن خلال مطالعتنا لأعماله النثرية والشعرية وثيقة الصلة بتجربة شباب الأمر بالمعروف مـــن جهة ، وتجربة حزب الله من جهة ثانية ، تكوَّن لدينا شعور قوى ، بأن كلتا التجربتين لا يمكـــن فصـــلهما عـــن بعضهما بأى حال من الأحوال ولعل محنة خروج الزبيرى من سجن الأهنوم (خرجنا من السجن شم الأنوف ---- كما تخرج الأسد من غابها) ، [٢٦] حتى لحظة خروجه من صنعاء إلى جبل برط ، كان اليقين الثورى لديه قد تجسد فى صياغة مفهوم الحكم الشـــعبى ، الـــذى كـــان يرمى من خلال الدعوة إليه مع أتباعه ومريديه ، إلى كسر وصاية العسكريين على النظام الجمهورى .

كانت محطة صنعاء بالنسبة للزبيرى ، تمثل نقطة الانطلاق الأولى إلى فضاء المعرفة العلمية المفرطة فى محافظتها على تراث السلف ، بل والمغرقة فى تشيعها لمذهب آل البيت ، حيث مال العـــلماء وطلبة العلم إلى الجمود والمحافظة . [٢٧] على عكس محطتى تعز وعدن اللتان أحدثتا تحـــولاً ملموســـاً فى فكره وموافقة السياسية تجاه الذات وتجاه الآخر ، فأخذ يميل إلى التحرر والانعتاق من القيود والمحرمات فى مملكة الإمام يحيى . وكانت محطة القاهرة ، هى الفترة الحاسمة فى حياتـــه، حيث صقلت موهبته الشعرية وهذبت مواقفه السياسية ، بشكل أفضل من محطة الباكســـتان – تـــلك المحطة العابرة ، التى تركت فى ضميره ووجدانه جرحاً عميقاً ، كان من الصعب عليه تضميده ونسيانه . [٢٨]

ذهـــب الـــزبيرى إلى باكستان لاجئاً ، وعاش هناك متخفياً باسم مستعار ، حيث كانت الســـلطات تـــبحث عنه بتهمة المشاركة فى عملية اغتيال إمام اليمن يحيى . وفى غياب الأهل والخلان ، عاش الزبيرى الشاب فى كراتشى حياة التسكع ، حيث اشتغل بالمضاربة (الدلالة) فى أحيـــاء العاصـــمة ، وأصبح فى زمرة المطلوبين للعدالة . فمن يقرأ مقدمة ديوانه الشعرى (صلاة فى الجحيم) ، يجد إشارات واضحة لتلك المحنة التى ألمت به قبل نزوحه إلى مصر عبد الناصر . يقول الزبيرى : " كنت متشرداً بعد نكبة ١٩٤٨ ، ومطارداً فى كل بلد على وجه الأرض. وكانت البلاد العربية كلها تحت سلطان العروش الرجعية ونفوذها. تلك العروش التى

هزها مصرع الإمام يحيى . وكانت كل حركات الشعوب تعانى نكسة عامة ، ولم نكن نعرف لنا ملاذاً يومئذ غير باكستان الدولة الإسلامية الفتية.." (٢٩)

هذه المحطات الثلاث الرئيسة : صنعاء ، وعدن ، والقاهرة ، والثقافة التقليدية والعصرية، تداخلت فى تكوينه الثقافى والسياسى : تراث الفقه الزيدى والمحصلة العامة لفقه السنة . لكن الاستمرارية والتواصل الثقافى بين فقه المذاهب الأربعة ، ومطارحات فقهاء وأدباء النهضة العربية الحديثة بتياراتها الثلاثة : الجامعة الإسلامية ، وحلقة المنار ، والإخوان المسلمين ، كانت أيضاً من نتاج خضوع اليمن لرياح التغيير ، رغم ما ضرب حوله من عزله سياسية . (٣٠) وكانت مرحلة الاتحاد اليمنى قد جاءت تباشيرها فى أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو من عام ١٩٥٢ ، عندما أصبح المد القومى فى طريقه يكتسح كل مخلفات الماضى الاستبدادى العثمانى ، والاستعمارى الاستيطانى ؛ وكان صوت الرئيس جمال عبد الناصر يبشر بقرب موعد تحرير الأمة العربية من المحيط إلى الخليج من النفوذ والاحتلال الأجنبى ، وتحقيق النصر على الرجعية العربية وأذناب الغرب الاستعمارى المهيمن على مقاليد الأمة وخيراتها.

إن هذه الأحداث المهمة تركت بصماتها فى حياة الزبيرى الأدبية ومواقفه السياسية ، حيث يصف مدى الخيبة السياسية التى عكست نفسها على تكوينه الثقافى ، وهو فى هذا المقال يتحدث عن مذهبه فى الحياة فقال: " بدأت حياتى طالب علم ينحو منحى الصوفية فى العزوف والروحانية ، وتعشقت هذا اللون من الحياة رغم اليتم والشظف والقلة، ونعمت به كما لم انعم بشئ آخر بعد ذلك ، ولم يستطع أن ينتزعنى من هذه الأجواء غير نشدان الشعر والأدب . وتعشقت الحياة الأدبية ، وهمت بها هياما ، ولم يستطع أن يصرفنى عنها ويصدنى عن التفرغ لها إلا المعارك النضالية السياسية التى تمخضت عن الحياة الأدبية ، فروحانيتى جنى عليها الأدب أو أدبى عوقب بالسياسة ، فزجت به فى المعارك المريرة الطويلة المدى .. " (٣١)

فى هذه السطور يطرح الزبيرى نفسه شاعرا متصوفا فى بداية حياته الأدبية ، يقتحم ميدان السياسة رغم انفه. وإذا أخذنا الزمن المشار إليه على وجه التقريب ، استطعنا أن نقول إن الزبيرى الأديب قد واجه أول مشاكله مع السلطة . لكن الزبيرى السياسى ، قبل شروعه فى البحث عن ذاته الفردية الأساس الذى أقام عليه بناء شعره البديع ، فانه بهذا قبل اعظم تحدٍّ شعرى فى عصره . ففى العام الذى ولد فيه كان اليمن قد أعلن استقلاله السياسى عن الدولة العثمانية . وكان البحث عن – الذات اليمنية – قد بدأ قبل قرون عدة ، وربما مع

أول صوت يطلقه شعراء اليمن الأفذاذ أمثال أبو الحسن الهمداني ونشوان بن سعيد الحميري . مضيفاً بذلك إلى مقولته بعداً ذاتياً أو نفسياً . (٣٢)

إنهـــا قناعة لم تملها التحليلات الموضوعية وحسب – وقد أشار الزبيري الأديب إشارات مباشـــرة لذلك – بل والعناء الشخصي والمخاطرة بالنفس التي عاشها الزبيري شخصيا دون ريـــب ، في صنعاء وتعز، وفي سن مبكـــرة جدا، حيث كان قد تخلى عن الاشتغال بالقضاء والتجارة، ليكرس حياته بدلاً من ذلك للاشتغال بالعمل السياسي . وقد سجل تجربته القصيرة في العمـــل بالجهاز الحكومي ، حيث تخلى عن الوظيفة القضائية فجأة بسبب ما شاهد من ظلم يحاق بالفلاحين في أنحاء الريف اليمني في عهد الاستقلال ، وردة الفعل لديه : " أول نبضة من نبضـــات الوطـــنية أحسستها جياشة في قلبي، فوارة في دمي في قضاء القماعرة، حيث رأيت مشـــاهد من الظلم والاضطهاد والسلب والنهب يشمئز لها نفس الحر الكريم .. لقد كان ما رأيـــته مفاجـــأة لم أكـــن أتصـــورها فأخذت لأول مرة أكتب عما شاهدت من فظائع وأندد بالأوضاع القائمة .. " (٣٣)

نســـوق هنا ملاحظات عامة تساعدنا على اكتشاف مفتاح شخصية الزبيري ومذهبه في الإصلاح ، من خلال تعرضنا لسيرته الذاتية انطلاقاً من بيئته الصغرى وأثرها في مجرى حياته . وأول هـــذه الملاحظـــات حول شخصية القاضي محمد ، تبرز لنا التعارض الواضح في مواقفه السياســـية كصفة ظلت ملازمة له طوال حياته . فالحادثة الأولى تبدأ عندما قرر الانتقال من مديـــنة صنعاء مسقط رأسه إلى مدينة تعز محطة أمله ورجاءه ؛ حيث دون لنا في أعماله النثرية والشعرية تلك الملاحظات السياسية الناقدة لكافة مظاهر " الظلم والاضطهاد والسلب والنهب التي يشمئز لها نفس الحر الكريم " ، كما شاهدها في المقام الشريف بمدنية تعز ، أو عايشها في قضـــاء القماعـــرة . (٣٤) ويكمن ذلك التناقض في سيرته، أنه عندما قرر الالتحاق بوظيفة حكوميـــة كان يعلم علم اليقين كأسلافه أن الوظيفة القضائية ، بقدر ما تضفي على صاحبها مكانـــة اجتماعية مرموقة، تجلب على صاحبها سخط الناس (الرعية) الذين يدفعون أموالهم للحكام والجنود ليدرؤا عنهم الأذى (٣٥)

إن جملة الإحباطات التي أحاطت به منذ مطلع شبابه ، وهو يرتاد مجالس الوزراء والأعيان في المقام الشريف بتعز ، تعود في الأساس إلى حاجته الملحة لوظيفة تدر عليه المال الكافي ليعول أســـرته ، لا ســـيما بعد وفاة والده . لهذا السبب لم يكمل دراسته العليا (الغاية) بالمدرسة

العلمية، ولم تكن عملية الحصول على وظيفة قضائية مسألة سهله ، فأضطر السفر إلى مدينة تعز من أجل حياة أفضل ، حيث ألتحق هناك بمجلس الفريد على الوزير الذى كانت تربطه بوالده علاقة قديمة . وكان الزبيرى يطمح فى الحصول على وظيفة قضائية مرموقة تليق بمركز أسرته التى توارثت أباً عن جد وظيفة قاضى ، لكنه لم يكن يمتلك الشهادة التى تؤهله لشغل مثل تلك الوظيفة ، فأضطر إلى قبول وظيفة إدارية لا تتناسب مع طموحه . ولعملية التحاقه بمجلس السيد الوزير نقله كبيرة بالنسبة له ، حيث أنتقل من مراعى الطفولة وتربية الحمام فى حى بستان السلطان ، فجأة إلى مجالس الحكام والوزراء فى المقام الشريف بتعز ، حيث تركت تلك التجربة بصماتها حانية فى مجريات حياته . (٣٦)

إن الخوض فى تجارب القاضى محمد الزبيرى وأدبه ، قد تساعدنا على اكتشاف جوانب أخرى غامضة من فصول حياته ، لا سيما تلك النقلة المفاجأة من حياته المتقلة بنزعة صوفية ، تكتنفها حياة اليتم والشظف والقلة إلى عالم السياسة ومقالبها ؛ فكان له مع أمراء وأئمة عصره خطوب وأحداث . (٣٧) وكان الزبيرى الشاب فى هذا الاتجاه ، يرى أن من حقه توجيه النقد للأئمة الحكام والظهور بمظهر المدافع عن حقوق الشعب والضعفاء ؛ فكان التناقض الثانى يكمن فى مواقفه المتمردة ليس على أقرانه من القضاة (القحطانيين) فحسب، بل على أقرانه من السادة (العلويين)، الذين يشعر أنهم ليسوا أفضل منه علماً أو حسباً . لذلك نجد معظم أعماله الشعرية أو النثرية توجه سهام نقدها اللاذعة تجاه الحكام، علماً بأن جزء من قصائده (الوثنيات) تمدحهم فى بعض المناسبات. (٣٨) هكذا تتكشف لنا بصورة أكثر وضوحاً عمق تلك التناقضات السياسية والثقافية التى عاشها الزبيري، ومرحلة المعاناة والضياع فى محطات أخرى سواء فى باكستان أو القاهرة ؛ كما تعكس ذلك خطبه السياسية وقصائده الشعرية القادحة ، لا سيما قصيدة (القانون والفرس والميدان) ، آخر سهم نارى قذف به خصومه من الحكام العسكريين فى العهد الجمهورى .

عالج الزبيرى فى أدبه – شعره ونثره – كثيراً من موضوعات عصره ، عرض لما كان يشغل الناس من قضايا اجتماعية واقتصادية ، فأدلى فيها بدلوه ، ووقف منها الموقف الذى أملاه عليه ضميره ورغبته العميقة فى تغيير الأوضاع السياسية المتردية فى العهدين – الملكى والجمهورى . وكتاب (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) حافل بالمواضيع المتعددة التى دعا فيها إلى إعادة بناء المجتمع ، على أسس سليمة ، ونقد بها الحكام الذين يتخذون من الدين سلاحاً يرهبون به الأصوات المعارضة من علماء اليمن الأحرار . فالكراس مع ذلك يعد نموذجاً

لـلمقالة السياسـية الـتى يطمح صاحبها إلى تغيير الواقع الحافل بشتى أنواع القهر السياسى والتباين الاجتماعى المناقض لروح التكافل فى الإسلام .

هاجم الزبيرى الأئمة هجوماً عنيفاً وخصهم بمقالات كثيرة أشهرها تلك الرواية السياسية الـتى اسماها (مأساة واق الواق) ، شكـل محكمة صورية يترأسها أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ؛ وفيها يدلى بقوله : " إن المتمرد الحقيقى هو الذى يحمل السلاح لقهر إرادة الشـعب ، والخـروج على سلطـة الأمة ، ويقول لها أنا الحاكم المتسلط ، إن هذا هو الباغى على سلطة الأمة .. وهذه هى عقيدتى ، التى قاتلت مؤمناً بها وآثرت الحروب الطويلة لإقرارها ، وكذلك فعل ابنى الحسين وأبنائى الآخرون .. إن الحاكم الذى يحكم بالوراثة كما فعـل يـزيد وهشام وغيرهم ، ثم ينتسب إلينا آل البيت إنما يطعن فى رسالتنا من أساسها .. إن الحجـة الوحيدة التى حاربنا على أساس منها هى أن الخليفة يجب أن يكون جامعاً لشروط الخلافـة، وأن يـبايعه أهل الحل والعقد بمحض الرضى، وأن يلتزم السيرة التى سرنا عليها ، فـإذا خـالف ذلـك وجـب عـلى الناس عصـيانه والخروج عليه ، والتضحية بحياتهم فى مقاومته .. " (٣٩)

وكـان الـزبيرى يربط بين الإمامة والسياسة من جهة ، وبين الدين والثورة من جهة أخرى ، فنقد علماء المؤسسة الإمامية محذراً إياهم من التمادى فى ممالئة السلطان ، فها هو أحد العلماء يخاطب المؤلف : " وا أسفاه إنك أنت وصحبك الأحرار أردتم أن تحررونا من العبودية فـلم نـتحرر ، آثرنـا أن نبقى عبيداً للطاغية وآلـة فى أيديهم لتعذيب الشعب ، وقد كنا نـتظاهر بـالدين ونلـبس العمائم والأحزمة والخناجر ونضطهد الكادحين والمزارعين ونأخذ الرشـوة، ونضـلل الجنود والقبائل ونذلهم ونسلطهم على إخوانهم الأبرياء الأسخياء الذين لا يحمـلون السلاح ، ثم نسلط بعض الجنود على بعض ونضرب القبائل بعضها ببعض فأصبح حالنا كما ترى . " (٤٠)

فى هـذا الحـوار بين المؤلف (الزبيرى) وواحد من شخصيات روايته يعمل الزبيرى عمـل مشـرط الجراح فى التاريخ ، ويعرى طبقته الذين يطلق عليهم عبارة (خونة المعممين والقضـاة) ، (٤١) الذيـن ساهموا فى تعميق الهوة بين طبقات الشعب الكادحة من المزارعين والقـبائل . وأضاف الزبيرى قوله : " .. إنهم جواسيس الطغيان كانوا يرتزقون بإرسال الشفر البرقية إليه [الإمام] يدسون بالأبرياء ويكـشفون أسـرار الأحرار ويكـذبون ويزورون ،

ويطعنون أفراد المجتمع ويسيئون إلى الحياة العامة إساءة بالغة ، فكان جزاؤهم أن يسمروا فى حيطان الظلام ، كما كانوا يعيشون فى الظلام ، وأن ترتد إلى صدورهم أكاذيبهم ودسائسهم نيراناً مسمومة تمزق أحشاءهم .. " (٤٢)

وقد ضرب الزبيرى على أوتار حساسة عند مواطنيه جسدها رواية مأساة واق الواق خير تجسيد . وبلا شك فإن تصويره لعالم مثالى عكس تطلعاته الخاصة لمدينة فاضلة خالية من الفقر والجوع والمرض ، وكما أوضح كاتبو سيرته فقد أراد يمناً جديداً زاخراً بالأمل والرخاء والحب والسلام بدلاً من السقم والمرض والحقارة واليأس . ويشرح المؤلف هذا الواقع المرير فيقول على لسان الشهيد المسموم حسن الدعيس: " ما دامت الصراحة تبدو جميلة ورائعة على هذا النحو ، فإننى مضطر أن افترض وجود مشكلة كانت ذات أثر فى أوائل العهد الأسود الذى عشت فيه ومت فيه .. وقد نشأ عن هذا النظام المذهبى تمييز بين المواطنين فى نوع المعاملات الحكومية ، وفى فرص العمل والتوظيف ، وفى التشريعات القضائية المنشقة من نظام الإمامة . " (٤٣) .

وفى الواقع لم تكن رواية مأساة واق الواق عملاً أدبياً بالدرجة الأولى ، بل كانت عملاً فنياً ؛ لم تكن دراسة موضوعية لكيان اجتماعى يتميز بالتناقضات السياسية والفكرية ، بل كانت تصويراً لنمط اجتماعى ، تصويراً يتغلغل إلى أعماق الشعور من خلال بنائه السياسى الطائفى الذى أقيم بخبث ودهاء . فالزبيرى كناقد سياسى لمجتمعه ألقى بكل ثقله الأدبى فى سبيل تعريته من الأقنعة الزائفة . وكانت اعتراضات المؤلف التهكمية المتكررة فى فصول الرواية قد أكدت هذه المؤثرات . إن أسلوب الإطناب المتأمل الذى يجمع بين التهكم والروح الملحمية ، والذى يسيطر على الكتاب كله – هذا الأسلوب يدعو القارئ إلى مشاركة المؤلف فى احتقاره الشديد لمقدسات طبقة " أبناء الناس " ، التى تتقنع بها الحقائق العارية للقوة المادية والامتياز على الغير .

وفى تجربته القصيرة ضمن الجهاز الإدارى الحاكم فى مطلع حياته ، تأكد لدى الزبيرى أن السادة العلويين والقضاة القحطانيين ، هم الذين ساهموا فى خلق النظام الاجتماعى القائم والمحافظة عليه . فتطابق الدرس التاريخى مع دروس الحياة والمعايشة ، يعكس عمق الفجوة بين الحكام والرعية . وما أراد تدوينه فى بيئته الصغرى هو التناقض الأولى الذى لمسه فى مدينة

صنعاء ومحيطها القبلي، ووجده جاهزاً فى مدن المنفى (كراتشي والقاهرة)، على شكل دروس كان من أهمها درس تجربة الحكومة الدستورية وسقوطها ، أى مصرع الابتسامة . (٤٤)

عاش الزبيرى فى عصر يعد بداية الانهيار الفعلى لحضارة العرب الجنوبية – اليمن السعيد. فالصورة التى يمكن تقديمها للعالم العربى والإسلامى عن اليمن فى القرن الرابع عشر من الهجرة (القـــرن العشـــرين) تـــتميز بالتناقضات السياسية والانقسامات الدينية والفكرية ، وحتى بالانحطاط الاجتماعى والاقتصادى . وعندما نلتفت إلى العلاقة بين الأدب والسياسة فإن معالجة الزبيرى لها تبدو رهين زمنها بالقدر نفسه . فعندما دون انطباعاته فى شعره السياسى منذ نهاية عقد الثلاثينيات حتى بداية عقد الستينيات من هذا القرن ، كان بروز الطبقة الحاكمة – الإمام يحيى وحاشيته – من الدلائل التى لا تقبل الشك على رغبتهم فى تبنى سياسة استبدادية تعزل اليمن عن حضارة العصر. (٤٥) وبعد بحث مضنى فى الذات والآخر دام نحو ثلاثين عاماً ، كتب عـــدة مقـــالات سياسية وقصائد شعرية ، أدان فيها ممارسات الطبقة الحاكمـــة التى سحقت الشعب وطمست هويته ، والزبيرى بهذا الخصوص ، يقول :

" انســـحقت شخصية اليمنيين فى ظل الإمامة ، وحـــرمت عليهم قيادة بلدهم ، وصار التفكير فيها جريمة دينية وسياسية فى وقت واحـــد ، وشوه التاريخ اليمنى ، فأصبحنا –لا نقرأ فيـــه إلا أسماء القديسين الآلهة من الأئمة وأذنابهم وأشياعهم . أما شخصية الشعب فما يكاد يـــرفع رأســـه للعزة والكرامة بطل من أبطالها حتى يسرع به الأئمة الأطهار ويبعثوا به مشيعاً بلعـــناتهم إلى قبره، ثم لا يذكرونه فى التاريخ إلا على انه الباغى عدو الله الفاسق الملحد الكافر الـــتأويل إلى آخـــر هذه الألقاب . وهكذا استمرت عملية السحق لعروبة اليمن وشخصياتها الشعبية وثوراتها النضالية أكثر من ألف عام . " (٤٦)

هـــل يمكن القـــول بأن وعى الزبيرى بالفساد والظلم والطغيان قد بدأ فى هـــذا الوقت المـــبكر ، وهـــو فى أول عهـــد الشباب ؟ وهل تكون التجربة الذاتية – التاريخية – مفجـــراً لهذا الوعى أو الصراع ؟

إذا كـــانت تجربة محمد الزبيرى فى الاحتكاك المباشر مع الإمام وحاشيته قد طورت عنده الوعى لمزيد من الفهم لواقـــع اليمن الذى لم يعد يربطه بحـــضارة الماضى الغابرة ولا حضارة العصر الحديث أية رابطة ، فإنها تبقى بالواقع تجربة ذاتية وموضوعية تستحق البحث والدراسة. ولعـــل مدة إقامته بمصر العربية طالباً محصلاً للعلوم الدينية فى دار العلوم ، واحتكاكه المباشر

هـــناك بتيارات عصر النهضة العربية الحديثة – الأدبية والفكرية – ، ساهمت فى تعميق وعيه السياسى بالأوضاع المتردية داخل اليمن. فالأدب – على حد قوله : " أدبى عوقب بالسياسة الـــتى تمخضـــت عنها الحياة الأدبية " (٤٧) أو أننا يجب أن نأخذ عرضه المجمل لظاهرة الطغيان الإمـــامى عـــلى مـــا عداها من باب تسمية الكل باسم الجـــزء ، أو من قبيل التعميم الأدبى ليـــس إلا ، يقول الزبيرى : " مهما يكن من أمره فإن الشعر هو الذى أخرجنى من القمقم ، وقادنى إلى غمار الحياة الواسعة الزاخرة بالمفارقات والمتناقضات . وقد يكون الشعر كما أتصور يعـــنى الصـــدق الموضـــوعى والذات منها الأعماق ومنها السطح .. كما كان يشعرنى بقوة الاستغناء عن كل ما فى الحياة ، وبنـــزوع إلى لاستعلاء على كل الاهتمامات العادية والإيمان بقدرة لا أملك فى يدى شيئاً منها .. " (٤٨)

ومع كل ذلك لم يعرف الزبيرى السياسة ومقالبها بعد . وكانت مدة إقامته بالقاهرة من عام ١٩٣٨م حتى عام ١٩٤١م ، حافلة بالنشاط الأدبى ، فنراه ينظم جملة قصائد شعرية ألقاها فى عـــدة مناسبات دينية ووطنية، ونراه يتصل بالطلبة اليمنيين والعرب الملتحقين بدار العلوم والأزهر الشريف ، الذين كانوا يلتقون بصورة شبه منتظمة فى مكتب الإرشاد التابع لتنظيم – الإخـــوان المسلمين. وقيل إن الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ، كان يسعى لاستقطاب عناصر شابه من كافة أنحاء العالم العربى والإسلامى إلى تنظيمه، ليشكلوا بعد عودتهـــم إلى بـــلدانهم نـــواة لحركة سياسية منظمة. (٤٩) فصديق القاضى الزبيرى فى معترك السياســـة ، الشيخ أحمد محـــمد نعمان مؤسس تنظيم (الكتيبة الأولى) بمصر ، كـــان يروى عـــنه أنـــه وضـــع برنامجا سياسياً لهذه الغاية عندما كان طالباً فى دار العلوم . (٥٠) وقد برر الزبيرى هذا المشروع الإصلاحى بقوله إن هناك جماعة من العلماء فى اليمن يشكلون عقبة فى طريق الإصلاح .

مرحلة شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١٩٤١ ـ ١٩٤٢) :

لقـــد مكث الزبيرى فى مصر نحو أربع سنوات ، كانت حافلة بالفكر والعمل ، اختلط خلالهـــا بأدبائها ومفكريها وقادتها ، وكانت المبادئ القومية والإسلامية ، والدعوة إلى وحدة الأمة العربية والإسلامية فى مواجهة الرجعية العربية والاستعمار الغربى محور الأدب، ومادة أكثر الشـــعر والنثر فى تلك الحقبة. ويبدو أن فترة دراسة الزبيرى فى دار العلوم فى مصر ، أحدثت أثراً كبيراً فى تكويـــن فكره السياسى ، فبعد أن كان كغيره من أدباء جيله ، يمنى النـــزعة ،

تشــغله أحـــداث وطنه ، ويؤرقه النضال من أجل حرية بلاده من نير الاحتلال الاستعمارى البريطاني، أصبح بعد عودته من مصر أرحب أفقاً، فكـــان فى مقدمة أحرار اليمن الذين ناضلوا ضد النظام الإمامي، ومهدوا الطريق إلى الجمهورية. (٥١) والأرجح أنها كانت بين عام ١٩٣٨ و١٩٤١ ، وهى فترة غليان سياسى شهدتها أقطار المشرق العربى ، خصوصاً مصر العربية .

لقد خالط الزبيرى أثناء إقامته الطويلة فى مصر الأولى عدداً كبيراً من الساسة العرب ، وفى مقدمـــتهم المرشد العام لجمـــاعة الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا ، والمجاهد الجزائرى الفضيل الورتلانى ، والدكتور عبد الوهاب عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية ، فأكبر فيهم نزعتهم القومية والدينية الإصلاحية ، وحبهم الجـــم لأبناء العروبة ، فحمل الزبيرى عنهم هذه الروح ، وعاد يبشر بها فى ربوع اليمن . (٥٢) كان الزبيرى يرغب المشاركة فى الحياة السياسية، ولكن دون تقديم تنازلات وانقياد لمنطق تبرير الفرقة المذهبية ، والإمعان فى ظلم الرعية . كما عرف عنه استجابته للتحولات الداخلية والخارجية، وما تحفل به الساحتين العربية والدولية من إرهاصات وأفكاز ومذاهب .

ولما عاد الزبيرى إلى اليمن حاملاً معه مئات النسخ المطبوعة من البرنامج الأول من برامج شـــباب الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما أحدثه ذلك البرنامج الإصلاحى من صدمة أحدثـــت استجابات متعارضة على مستويات النخبة العلوية الحاكمة ، وعلى مستويات أقرانه العـــلماء ، الذيـــن رأوا فى هذا المشروع خطراً يهدد مصالحهم السياسية ، ويحد من مكانتهم الاجـــتماعية فى أعـــين الـــناس . لذلك كان محور اهتمام المعارضين للجمعية العلمية والقائم بالأعمـــال مســـألة شرعية نشاطها داخل حدود المملكة المتوكلية اليمانية. (٥٣) ولعل استجابة الـــناس للـــبرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف ، وإقبالهم على قراءة محتوياته التى ترددت صداها فى أروقة مساجد العاصمة صنعاء ، بعد أن اختفت معظم نسخه من السوق ؛ الأمـــر الـــذى لفت أنظار الحكام فعمدوا على إسكات صاحبه . فكان على الزبيرى ورفاقه الناشـــطين أن يثبـــتوا أن دعوة الجمعية لم تتعارض والشريعة ، بل وأن الشريعة توجـــب مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

هكذا ، كانت استجابة الناس الإيجابية للبرنامج تقابل باستجابة مضادة عدائية ، تمثلت فى تضـــييق الخـــناق عـــلى القائم بالأعمال ومساعديه ، الذين دعوا الناس إلى مطالبة السلطات الإمامية لإقرار مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتطبيقه ، كونه أصلاً من أصول الدين .

والمتتبع لمطالب شباب الأمر بالمعروف فى الفترة الممتدة بين عامى ١٩٤١م و١٩٤٢م ، يجد نـزعة إصلاحية – سلفية فى صيغ هذه المطالب ومصطلحاتها الدينية السياسية ، التى أعادت طرح الأصول الخمسة عند معتزلة اليمن على بساط البحث والمناقشة ، وهذا أمر يتعلق بمسألة شرعية السلطة الحاكمة ، وكانت هذه المسألة نقطة الانطلاق فى حياة الزبيرى السياسية .(٥٤)

وكان من أهم الأهداف التى تضمنتها أهداف الجمعية العلمية فى البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذى وصفه القائم بالإعمال القاضى محمد الزبيرى فى عام ١٩٤١م / ١٣٦٠هـ ، ما يلى :

– يريد شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن ينشئ جيلاً جديداً ليبعث فيه روح الأمة الإسلامية الصحيحة ويوقظه من الغفلة التى رانت على النفوس ، بأعراضها عن التدبر لكتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الأئمة الراشدين .

– دلتنا التجارب أنه لا يمكن فهم القرآن والوقوف على أسراره ومراميه وتذوقه إلا بأحياء الأدب العربى وممارسته حتى يتكون فى الشباب ذوق عربى سليم فيتأثرون به ، ويطربون لتلاوته كما كان عليه العرب الأوائل .

– نريد أن نبث الدعوة الإصلاحية لتوجيه الأمة بوساطة العلماء المتعلمين وتعليم الفقراء لئلا يحرموا من النور الإسلامى الذى أرسله الله لينـزل إلى كل قلب وينير كل ضمير ، وذلك بإنشاء المدارس وإلقاء المحاضرات الدينية والاجتماعية .

– نسعى إلى إيجاد التعاون بين التجار بواسطة الشركات الوطنية والمشروعات الاقتصادية المختلفة .. والمحافظة على ثروة الفرد من تجارية وزراعية، والعمل على تعبيد الطرقات لكى تتصل الأمة ببعضها .

– من مبادئنا الأولية البعد عن الخوض فى الشئون السياسية التى سلمها الله إلى يد إمامنا الأعظم مولانا أمير المؤمنين الإمام يحى بن محمد حميد الدين ، فهو القائد لزمام أمورنا المسير لنا إلى شاطئ النجاة ويسعدنا دنيا وآخرة . وشباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سيكونون فى طليعة من يؤمن بالواجب عليهم إزاء إمامهم وماله من حقوق مقدسة عليهم. وهم أيضا يفهمون مغزى قوله تعالى ((أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم)).

–يناشد شباب الأمر بالمعروف حكومته المتوكلية ،وعلى رأسها مولانا أمير المؤمنين ، أن توثق العلاقات الأخوية بين الأمة اليمنية والأمم الإسلامية ، أليس من المؤلم أن تعقد المعاهدات التجارية وغيرها مع سائر الدول الغربية ، ولا توجد معاهدات أخوية بيننا وبين الأمم الإسلامية الناشئة التى تربطنا بها وشائج الدين والأمانى والأهداف ؟ متى يفكر الشعب اليمنى فى مركزه الممتاز الذى يحتله جغرافيا فى الكرة الأرضية ، ثم مكانه السامى فى قلوب الأمم حتى يعود إلى ماضيه المجيد الحافل ويسترد أيامه المشرقة ؟ (٥٥)

تنطوى هذه الجمل رغم قصرها مناهج البحث فى أسباب انحطاط الأمة اليمنية وتخلف اليمن السعيد عن سائر الشعوب العربية والإسلامية فى العصر الحديث ، والمقترحات أو المبادئ التى قدمت للنهوض باليمن وإخراجه من عزلته السياسية والثقافية . فالأفكار المبثوثة فى صفحات البرنامج (٣٢ صفحة من الحجم المتوسط) من المسلمات البدهية لدى معظم منتسبى الجمعية ، غير أن قراءة تجربة الزبيرى فى إطار الجمعية ، عبر اقتباس جزءاً من برامجها تنوه إلى خطورة مهمته وما تنطوى عليها من مشاكل قد لا يكون حلها مستحيلاً، وإنما هى بحاجة إلى المعالجة على الأقل – من قبل (مولانا أمير المؤمنين). إذن كيف يمكن التوفيق مثلا بين دعوة شباب الأمر بالمعروف وبين ما يدعيه الإمام يحى حميد الدين بأن المملكة المتوكلية اليمانية هى البلد العربى الإسلامى الوحيد الذى نجح فى الحفاظ على استقلاله السياسى وسيادته الوطنية من الوقوع فى فخ الاستعمار الغربى والسيطرة الأجنبية ! (٥٦)

شهدت صنعاء مجدداً إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان المنهج الذى لجأ إليه الزبيرى يرتكز على الإثارة والتحريض والخطب والقصائد والمنشورات المناهضة للحكومة . وهو فى هذا كان يحث الناس على التزام خط الأمر بالمعروف بمستوياته الثلاثة ، بدلاً من الاستكانة والتوكل والرضى . وفى حين أن مقالته – البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف – حققت حداً من الشهرة ربما تكون مثار دهشته هو شخصياً ، فقد ظل هذا الكراس رهين الفترة التى كتب فيها بعباراته وجمله ذات الزخارف اللفظية من سجع وجناس وإنشاء وهى الصيغة المفضلة فى ذلك الوقت . فقد ساعده هذا المنهج على أن يجعل تعليقاته على الحكومة الإمامية تجمع بين العمومية والخصوصية فى الوقت نفسه . وبلا شك أن كل صفحة فى ذلك الكراس يوحى بمديونية المؤلف للمرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا .

وإذا كــانت جمعية شباب الأمر بالمعروف قد أخذت على عاتقها مهمة التبشير بالأفكار الواعيــة ، وبقــيم الدين الإسلامى الحنيف ، وبالدعــوة إلى الوحدة الإسلامية ، وارتضت لنفسها أن تكون شعلة متوهجة فى ظلام اليمن الإمامى ، فإن الحكومة حينئذ لم تسترح لمنهجها الإصــلاحى ، فأخذت تضيق على عناصرها الخناق . غير أن الزبيرى ، اختار لمنظومته طريق الجهاد ، ولم يحد عن هذا الطريق على الرغم مما كان فيه من عنت مادى ، ومضايقة متصلة .

لقد تسنم رفاق الزبيرى وأنداده وظائف حكومية رفيعة ، دفعت بهم إلى الشهرة والثراء الفــاحش ، واقتــنع الزبيرى بحياة الزهد وشظف العيش . (٥٧) وكانت منظومة شباب الأمر بالمعروف تبشر بظهور بوادر حركة معارضة سياسية تسير وفق منهج مرسوم ، ويمكــن إجمال هذا المنهج بما يأتى :

١- إشاعة ثقافة دينية سلفية متجددة تقوم على وصل الثقافة العربية والإسلامية بعصر النهضة العربية الحديثة .

٢- بث الأفكــار الإصلاحية المطالبة بمبادئ الوحدة الإسلامية التى بشر بها السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده .

٣- محاربــة الاســتبداد الإمــامى والنــزعات المذهبية والجهوية التى يغذيها الحكــام والدعوة إلى الوحدة الوطنية ، والتكافل الاجتماعى بين أبناء الأمة .

هكــذا أصبح كتاب البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف فى مجال الإصلاح السياسى والدينى ، وواحداً من أهم أعمال الزبيرى النثرية ، الذى وضع فيه اللبنة الأولى لحركة الأحــرار اليمنيين ، التى تمحورت أطروحاتها السياسية حول حكم الشورى والدستور . (٥٨) وهــذا العمل المتواضع الذى صاغه الزبيرى على هيئة نصائح موجهة لحكومة صاحب الجلالة الإمــام يحــيى بن محمد المنصور يحثه فيها على كسر حاجز العزلة السياسية والثقافية لليمن ، والاهــتمام بنشــر الثقافة العربية الإسلامية بين الناس؛ والهدف من وراء هذا البرنامج بالطبع سياســى محلى وفورى . وكان منطلقه الأول أن العقيدة الإسلامية تستوجب من الجميع نشر مــبدأ الأمــر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو المصدر الأكبر للتعاليم الإسلامية ، وهو الســلاح المــرهف لحمايــة الأخلاق والآداب ؛ وهو الآلة الوحيدة المسيرة لرسالات الرسل ونبوات الأنبياء . وفى قوله هذا توبيخ صريح لعلماء السلطة الإمامية الذين تخلوا عن واجبهم المقدس بقوله: " فقد اكتفى علماؤنا بنجوى الصحائف والأوراق وترديد الألفاظ والحروف

فـيما بـين أنفسـهم تارة ، وبينهم وبين تلاميذهم الاقلين تارة أخرى . افيطمحون بهذا أن يكـونوا من ورثة الأنبياء الذين وقفوا حياتهم فى سبيل الدعوة والإرشاد ؟ " (٥٩)

ولا بـد لنا من الوقوف عند إشارة القاضى الزبيرى إلى الحديث الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) (٦٠) ، فهو ههنا يعترف بميزة اختص بها علماء المؤسسة الإماميـة ، الذين اعـتبروا مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – من أصول الدين . (٦١) فهـل يسـمح الإمـام يحى لأعضاء هذه الجمعية للقيام بهذا الدور فى حدود مملكته المتوكلية اليمانية ؟

إن الإجابـة عـن هذا السؤال على أهميتها ربما تساعدنا فى التعرف بصورة افضل على طبيعة نشاط جماعة شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذين اشترطوا على أنفسهم فى الـبرنامج الأول " البعد عن الخوض فى الشئون السياسية التى سلمها الله إلى يد إمامنا الأعظم مولانا أمير المؤمنين يحى بن محمد حميد الدين .." وكثيرا ما نجد البرنامج الأول يشـير لشخص الإمام يحى ويصفه بالنعوت التالية : (الإمام المعظم ، صاحب الجلالة) و(مولانا أمير المؤمنين) . ومـن هـذه العبارات والجمل الواردة فى نص البرنامج قوله : " وشباب الأمر بالمعروف والـنهى عـن المنكر سيكونون فى طليعة من يؤمن بالواجب عليهم إزاء إمامهم ومالـه من واجـبات مقدسة عليهم " . وقوله " : وهـم أيضا يفهمون مغزى قوله تعالى ((وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم)) . " (٦٢)

ولعلنا نستطيع من خلال إعادة قراءة مواد البرنامج الأول مادةً مادة ، أن نفهم بوضوح محدوديـة نشـاط هـذه الجماعة الإصلاحية من جهة ، ومدى التزامها بمبدأ الأمر بالمعروف والنهـى عن المنكر بمستوياته الثلاثة عملا بالحديث الشريف : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيـده فـإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الإيمان)) (٦٣) من جهة ثانيـة. لكن علماء السلطة نجحوا بإثارة الرأى الشعبى وحفيظة إمام اليمن ضد القائم بأعمال الجمعية ، حيث ذهب بعضهم إلى القول : " إن مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر معمول به ، فما هو الهدف من وراء هذه الدعوة ؟ " (٦٤)

مـا خـلفية هذا التوجه الإصلاحي؟ ومن كان يقف وراءه ؟ إن شهادة القاضى محمد الخالدى – وهو أحد العناصر النشطة فى صفوف جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على هذا التوجه تلقى ضوءا على التوجه السياسى لعناصر هذه الجمعية . يحدثنا الخالدى فى إحدى

شهاداته التاريخية التى أدلى بها فى وقت لاحق قائلا : " فى سنة ١٣٦٠هـ الموافق (١٩٤١ م) كان الناس كلهم كارهين حكم بيت حميد الدين ولكنهم لا يجرؤون أن يتحدثوا عن مشاعرهم إلا فى المجالس (المتاكى) الخاصة لمضغ القات . وعندما قام آل حميد الدين باعتقال الأحرار بدأ الناس يتهامسون ، ويجهرون شيئا فشيئا عن مشاعرهم المكبوتة . وقد قمت أنا والأخ إسماعيل الجرافى بكتابة عدد من الرسائل (حوالى تسع) وأرسلناها إلى الإمام يحى بالبريد . وآخر الرسائل التى بعثناها بتوقيع (عبدالله بن محمد اليمنى) . وحين وصلت إلى الإمام أثارت رد فعل شديد لديه . واخذ يتساءل عمن فعل ذلك ؟ " [٦٥]

أما فحوى هذه المنشورات ، فهو على حد قول الخالدى ، التحذير المباشر للسلطة الإمامية الحاكمة بتدهور الأوضاع فى أنحاء اليمن ، حيث يقول : " وكانت هذه الرسائل تقدم بعض الكلمات القصيرة ، وتذكر الإمام بالحديث الشريف((من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)) .[٦٦] وقد حاولنا فى بعضها استغلال ما حدث لشاه إيران الذى أبعده الإنجليز عن حكمه ،واستولوا على كل ثرواته المكنوزة ، ثم ذكرناه ، بأن مصير الظالمين إلى التلاشى وعددنا له مصير العديد من الظالمين . " [٦٧]

لم تكن دعوة شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر معزولة عن مجمل حركة المعارضة الحضرية والقبلية ، فمن خلال الدعوة إلى إحياء هذا المبدأ ، انتقل القاضى من التلميح إلى التصريح فى نقد الظواهر السلبية فى البلاد . وجاء رد الإمام يحى عنيفا إزاء الحملة التشهيرية التى قام بها الزبيرى ورفاقه من منابر المساجد، وعملية توزيع المنشورات المنددة بحكمه ، والتى كانت تعد دعوة صريحة إلى الخروج عليه . وقال الإمام يحى "هؤلاء يستحلون دمى !" [٦٨] ، ولم يكن الزبيرى فى وضع يسمح له بإغاظة الإمام ، فأخفقت مهمته عندما اتخذ رفيقه محمد قاسم أبو طالب من خطبة الجمعة منبراً للمطالبة بالإصلاح . وفى صلاة الجمعة ، خطب خطبته المشهورة (يا سيدى يا رسول الله) ، فنزل باللائمة على الإمام يحى وحاشيته لتغاضيه عن المنكرات، وتكديس حاصلات بيت المال من القمح والشعير فى كهوف الجبال والمخازن المعروفة بالمدافن الموجودة فى عمق الأرض ، والناس فى ريف اليمن وحضره يتضورون جوعاً ويموتون على قارعة الطريق ، مما أثار فى نفس الإمام الغضب والحقد عليه . [٦٩]

وقد علق الزبيرى على هذه الأزمة بقوله : عندما حلت المجاعة الإمامية الرهيبة باليمن ومات اكثر أهلها بعد أن أكلوا الكلاب والقطط ، وكانت خزائن الحكومة ملأى بالحبوب

وراح الناس يسألون الإمام يحى النجدة ، فصعر خده لهم وقال لهم كلمته المشهورة :" من مات فهو شهيد ومن عاش فهو عتيق . " (٧٠)

ويروى السيد أحمد بن محمد الوزير عملية اعتقال (القائم بالأعمال الزبيرى) وخطيب الجامع الكبير - أبو طالب ، فيقول : " وفى الجمعة التالية قام بعد صلاة الجمعة الأستاذ الزبيرى فخطب خطبة أثارت المشاعر وفى آخرها قال : إن هذه أنَّةُ من أنات الناس وزفرة من زفرات الناس،فغضب الإمام لذلك ولم يتحدث وقتها بشيء، لكنه ما لبث أن أمر بـ(محمد قاسم أبو طالب) و(محمد محمود الزبيرى) إلى سجن القلعة الجمعة التالية . وفى نفس اليوم أرسل جنودا إلى (بيت الزبيرى) و(الأمير عنبر) و(حمود الريمى) حاجبه الخاص لتفتيش المنزل واخذ جميع أوراقه ؛ فوجدوا مشروع (جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ورسالة الأمير [على بن عبد الله الوزير] السابقة إليه ؛ فقرأها الإمام بأجمعها وعلق على بعض الكلمات التى جاءت فى امتداح الإمام بقوله (السم فى الدسم) ! " (٧١)

واضح من خلال هذه الشهادة التاريخية أن المؤسسة الإمامية فى عهد بيت حميد الدين ، كانت ترفض دعوة الإصلاح - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - قولاً وعملاً. ولعل محاكمة الزبيرى الصورية تقدم لنا صورة أوضح عن موقف علماء السلطة وعلماء المعارضة من هذا الصراع داخل مدينة صنعاء . وتبرهن هذه الوقائع على أن القاضى الزبيرى لجأ إلى هذا النهج من العمل السياسى ، كوسيلة ضغط نفسية ، لا كشكل عمل ثقافى مؤطر كما نلمس ذلك فى تلك المقالات التى دبجت بها صفحات مجلة الحكمة اليمانية (١٩٣٨- ١٩٤١) . (٧٢)

إن عمليةٌ اعتقال القائم بالأعمال ونفيه إلى منطقة الاهنوم ، فرضت على معظم أعضاء الجمعية النشطين أن يلوذوا بالصمت ، وكاد نشاطها أن يتعطل ، بعد أن أشيع خبر مفاده أن عيون الإمام قد تسللت إلى خلاياها . وكان السجن بالنسبة للزبيرى صومعة للاستذكار والمراجعة ، ومناسبة للإجابة عن بعض الأسئلة المهمة والمحيرة لاتخاذ قرارات جديدة بشأن الدعوة الإصلاحية ومستقبلها فى اليمن. وكان السؤال الأهم، الذى يشغل باله طيلة فترة اعتقاله : ماذا بعد السجن ؟

إن ذكرى الأيام والليالى الرهيبة التى قضاها الزبيرى فى سجن الاهنوم لم تفارق مخيلته إطلاقاً . وقد جاء الجواب قاطعاً ومناسباً مع تجربة شباب الأمر بالمعروف وحجم التضحية

انـه الالتزام بمـبدأ المطالبة بالإصلاح ، ولو استدعى الأمر مهادنة السلطة لبعض الوقت كى تلـتقط الجماعة أنفاسها . وانتقل نشاط أعضاء الجمعية من صـنعاء إلى تعز، حيث يقيم ولى العهد الأمير احمد ، الذى اصبح مناط أمل علماء اليمن الأحـرار الذين قطعوا صلتهم بالإمام يحى الذى اظهر لهم الجفاء وأصبحت حياهم عرضة للخطر. (٧٣) كانت هذه السياسة القمعية تسـير وفـق خـطة ترمى إلى تضييق الخناق على رموز حركة المعارضة الحضرية من علماء اليمن الأحرار ، تحت سـتار حماية الدين والأمة من الفتن والبدع المخالفة للشريعة المطهرة . كل هذا من شأنه تحقيق الهدف الأساسى للأسرة الحاكمة (بيت حميد الدين) ، بعد أن دخلت فى صـراعات مريرة مع منافسيها من الأسر العلوية الطامحة لمركز الإمامة ، وكـان لابد من استقطاب جماعة العلماء للاستفادة من خبرهم فى هذا الاتجاه .

وهكذا يكـون القاضى الزبيرى قد أمضى قسطاً مهماً من حياته فى التنقل والترحال من بلاط إلى بلاط ، وعقد صداقات كثيرة مع أئمة وأمـراء اليمن . (٧٤) وقـد حاول هو ورفاقه (الشيخ أحمد محمد نعمان ، السيد أحمد الشامى والسيد زيد الموشكى) فى ١٩٤٢م و١٩٤٤ م اسـترجاع بعض نفوذهم المفقود بوضع جمعية شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تحت الإشـراف المباشر لولى العهد أحمد ، بقصد تحويل هذه الجمعية إلى أداة فاعلة لتحريك عجلة الإصلاح بعد توقفها عن السير ردحاً من الزمن . وكان قد مر فى أثناء رحـلته هذه إلى تعز ، حيـث توقف قليلاً بمدينة ذمار ونزل ضيفاً على رئيس المحكمة الاستئنافية السيد زيد بن على الديلمى ، واجتمع عنده الناس للمناظرة والحديث عن الإصلاح المرجو فى البلاد ، وعن الآمال الكبيرة المناطة بشخـص ولى العهد . (٧٥)

وتوجه الزبيرى بعد ذلك إلى تعز ، وأقام عند ولى العهد أحمد ، وعمل عنده مربياً لولده الأمير محمد البدر. وتحدثنا أدبيات حركة الأحرار اليمنيين عن مرحلة المصالحة ، وعن النشاط الأدبي (الشعرى) الذى صاحب هذه المرحلة ، وشارك فيه العلماء فى أجواء اجتماعية وثقافية حددها مواقفهـم الجديـدة . وعلى هذا الأساس ، كتب السيد أحمد بن محمد الشامى فى مذكراته مفصحاً عن موقـف المعارضة خـلال هذه الفترة ، التى كانت ترى " بأن الوسـيلة الأمـثل لإخـراج الـيمن مـن غبش الجهـالة وتخليصه من آفات الفقر والمرض والتخلف الاجـتماعى ، وهـى الدعوة إلى الإصلاح داخل اليمن بالموعظة الحسنة والحكمة " . وكان الـزبيرى فى طليعة العناصر المؤيدة لهذا الاتجاه . " وخرج الشاعر محمد بن محمود الزبيرى من السـجن بعـد أن اكتسب عطف الإمام يحى وإشفاقه ، بضراعاته الشعرية الرائعة، وبعد أن

اشـــترك فى الشفاعة له سيف الإسلام أحمد (ولى العهد)، وانضم الزبيرى إلى مقام (السيف أحمـــد) وكونـــا جوقة شعرية .. وكان لتلك (الجوقة) بما أبدعته من ألحان آثارها فى مسيرة مواكب الأدب اليمنى حينذاك . " (٧٦)

غير أن سفرته إلى (المقام الشريف) بمدينة تعز لم تستغرق وقتاً طويلاً . فاليمن لم يشهد تحـــركاً مهمـــاً معادياً ضد الحكـــومة ،سوى الندوات الشعرية والخطابية ، التى أقامها الأدباء هناك تودداً لولى العهد الذى مناهم الآمال بالإصلاح .فمن جهة كانوا مطمئنين إلى أنهم يعملون لنهضة اليمن عن طريق نصح الحكام بتأييدهم لولى العهد – ولكنهم مع مرور الوقت – قلقوا على مستقبل حركتهم الإصلاحية وإمكانية تحقيق مطالبهم بقرارات فوقية . ويلخص الزبيرى التجـــربة العامة لجماعة الإصلاح فى مقدمة ديوانه (ثورة الشعر) من وحى المعاناة الشخصية : " فى هـــذا الجو بالذات ، انتقلت بعد خيبة الأمل (السجن) من صنعاء الإمام يحيى إلى تعز ابنه أحمـــد ولى العهـــد البطل المرموق . ولقد وجدنا فى هذا الرجل العجيب فعلاً ما يخدع ويغش وما يذهل ، وتعاظمت فى أنظارنا ظواهر تصرفاته ، ومطامح شخصيته وألغاز تصريحاته الرمزية، التى توحى بالتذمر من رجعية أبية وفساد حكمه . " (٧٧)

وأما الدوافع التى جعلت المثقفين يرمون ثقلهم فى صالح الأمير أحمد ، فيؤكدها الزبيرى بمرارة بالغة بقولـــه : " وعلى هذا الأساس قدمت إليه عصارة غالبية شعرى ، أنفخ فيه روح الطموح والبطولة ، وامنحه حمـــاس الثقة ، وأحركه بأحلام الشعر وأشواق المجد ، بل وأحكم بأنـــه قـــد أصبح بطلاً فى دنيا فنى وعالم خيالى . ولم يكن ذلك لأنى أطلب منصباً ، أو مغنماً شخصـــياً ، فلم أتقلد منصباً ، ولم أتقـــبل وظيفة ، ولم اكسب منه مالا ، وإنما أتلمس لبلادى منطلقاً لمجد وسبيلاً لتطور وإصلاح . " (٧٨)

كـــانت مـــثل هذه الأطروحات السياسية ، كافية لإثارة سخط علماء المؤسسة الإمامية الذيـــن حاولوا الإيقاع به لدى الإمام مما اضطره إلى مغادرة تعز مع رفيق دربه (الشيخ أحمد محمد نعمان) إلى عـــدن فى ظروف استثـــنائية . وحول فرار الزبيرى إلى عدن ، ذكر الشاعر أحمـــد الشـــامى أنه ذات مرة " كنا نقرأ أحد المسائل فى علم الأصول التى تتحدث عما فوق الفـــوق وهـــل للفضاء نهاية – أن قال الزميل الشاعر إبراهيم الحضرانى : إذا طار جسم إلى السمـــاء وارتقى بقدرة الله السماوات السبع فهل سيصل إلى سقف ليس وراءه شيء ، وإذا كـــان فى يده عصا هل يستطيع أن يدق بها ذلك السقف ؟ وكان أسلوب تساؤله مضحكاً ..

فـلم نسـتطع إلا أن نضـحك ..! ويضيف قائلاً : " وتحدثنا – مرة ثالثه – عن قوله تعالى ((وسـارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضـها السموات والأرض)) (٧٩) فسأله الأستاذ، وأين هذه الجنة ؟ وهل قد خلقت ؟ وأين ستكون وعرضها كعرض السموات والأرض ؟ لابد ألا تكون فيهما !ويجب عقلاً أن تكون فى عالم آخر .. وضحك بعض الحاضرين .. " (٨٠)

وعـلى الـرغم من أن هذه المباحث الكلامية كانت أشبه ما يكون بالتفـريغ عن هموم ومعاناة الزبيرى ورفـاقه فى القفص الذهبى لولى العهد ، فقد أخذتها السلطات الإمامية محمل الجد ، فهددت بمعاقبتهم . ويستطرد الشامى فى شرح هذه الرواية بالقول : " وفى اليوم التالى وكنا فى شهر جمادى الأولى والآخرة سنة ١٣٦٣هـ / مايو ١٩٤٤م خرج الأمير ولى العهد أحمـد للمقابـلة العامـة فى باب قصره بالعرضى (وتسمى المواجهة) وهو غاضب مزمجر ، ويتأسـف على الدين والإسـلام وتراث السلف ، ويقول : ما كنت أدرى أننا نربى الملحدين وفى يده السيف يهزه وهو يصرخ : لن أسمح لهذه الأفكار العصرية بالانتشار فى اليمن، وسألقى الله وقـد خضـبت سـيفى بدمائهم ..وظن الزبيرى .. ونعمان .. أنهما المقصودان ، أو من المقصـودين فدبـرا فـرارهما إلى عدن ذلك الأسبوع ، وربما أنهما كانا ينويان الفرار فزادهما ما سمعاه عزماً وتصميماً " (٨١) ومن الثابت أن ولى العهد كان قد ضاق ذرعاً بمطالب الأحرار الملحة بالإصلاح ، فجاءت هذه المناسبة، لتنهى تلك العلاقة الشائبة . ففى كلام الشامى تأكيد على أن الزبيرى ورفاقه كانوا قد ملوا الإقامة فى تعز ؛ وفيه أيضاً تأكيد دور علماء السلطة فى توسيع شقة الخلاف بين الطرفين إلى حد القطيعة والمفارقة .

إن قرار علماء اليمن الأحرار بنفض أيديهم عن ولى العهد كان قراراً تاريخياً حاسماً بلورته تجربتهم المريرة ، ووعيهم السياسى المتنامى – اليقين الثورى – عن أسلوب النضال السياسى . والتعاطى مع فكرة إحداث الانقلاب الثورى فى اليمن الإمامى بهدف إصلاح المؤسسة الإمامية يجعلـنا نتوقع تحولاً مهماً فى فكر الزبيرى ، منذ مرحلة البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف فى بداية عقد الأربعينيات ، ومروراً ببرنامج الجمعية اليمانية الكبرى والميثاق الوطنى المقدس للحكومة الدستورية ، وظهور تنظيم الاتحاد اليمنى وبرنامج مطالب الشعب فى منتصف عقـد الخمسـينيات . وهذا الترابط بين العمل السياسى والفعل الاجتماعى يكمن فى أمرين مـترابطين وهما : العمل السياسى المنظم ، وتعبئة الجماهير فى معارضة سياسية مؤطرة ، يجرى البحث من خلالها عن اليقين الثورى فى إطار البحث عن حل للمشكلة اليمنية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً .

وننـــتقل الآن إلى عـــرض وتحليل أهم الأعمال الأدبية والسياسية التى تركها القاضى الزبيرى ، ونبين المنهج المتطور فى العمل السياسى فى الفترة الممتدة من عـــام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٦٢، وهى الفترة العصيبة، التى شهد فيها اليمن مولد حركة الأحرار اليمنيين . ففى هذه المرحلة ، قدم الزبيرى النموذج المثالى للزعيم السياسى المحرض على الثورة ضد الأسرة الحاكمة - بيت حميد الدين . ومما يروى عن الزبيرى - فى هذه المرحلة - أنه عانى وزميله النعمان ، من نفاذ المصاريف ، فقررا ربط الأحزمة على البطون ، والاعتماد على القدر اليسير من الإعانات المالية التى حصلا عليها من التجار والعمالة اليمنية المقيمة بمستعمرة عدن آنذاك ، لكى يتمكنا من مواصلة نشاطهما السياسى الدؤوب فى سبيل نصرة قضية الأحرار اليمنيين فى المحافل العربية والدولية .

هوامش الفصل الأول

(١) العمراني : الزبيرى أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره ، ١٣٩ .

(٢) المعلمي : الزعيمان الـــزبيرى والنعمان ، سبق ذكره ، ص ١٤ .

(٣) يـــتحدث حسـين بـــن عبد الله العمرى عن الدور الذى لعبه الفقهاء القحطانيين (القاضى يحى الإريانى والقاضى يحى الردمي) فى سحق حركة الفقيه الصوفى سعيد بن ياسين الهتار صاحب الدنوة ضد إمام صنعاء الهادى غالب بن المتوكل محمد . ويؤكد هذا القول المؤرخ محمد زبارة على أن القاضى أحمد لطف البارى الزبيرى ، ساهم بدوره بالحملة الإعلامية ضد حركة الفقيه الهتار فى قصيدة شعرية مدح بها الإمام الهادى قائلاً :

هـــذا هو الشـــرف العظيـــم – – – و الفخر و الحسب الصميم الأفخم

ثم يمضى فيقول :

وهدمت ما عمر الشقي بسحره – – – و نقضت ما عقده البغاة و أبرموا

انظـــر العمرى : مائة عام من تـــاريخ اليمن الحديث ، ص٢٩٤–٢٩٥ ، ومحمد زبارة : نيل الوطر ، ج ٢ ، ص ١٧٥ – ١٧٧ .

(٤) العمراني : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤٠ .

(٥) كـــان نظام التعليم فى اليمن الشمالى حتى عهد قريب يغلب عليه الطابع الدينى الذى يأخذ بعين الاعتبار تقديـــس مذهـــب آل الـــبيت ، فهو من جهة يشكل انتقاص لما دونه من أتباع المذاهب الفقهية الأخرى الســـائدة فى الـــيمن منذ صدر الإسلام ؛ وهذا التوجه المذهبى كانت تمليه النخبة العلوية الحاكمة خدمة لمصـــالحها . وهذا القول تؤكده المصادر التالية : إسماعيل بن على الأكوع : المدارس الإسلامية فى اليمن ، ص ٩ ، وسيد سالم : البريد الأدبي ، سبق ذكره ، ص ١٧٢ وما بعدها ، وحسين محمد المقبلى : مذكرات المقبلى ، ص ٤٤ – ٤٥ ، ونزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٦) العمراني : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤١ .

(٧) الأكوع : المدارس الإسلامية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٩٠ .

(٨) كان الزبيرى بطبيعة الحال زيدى النشأة والثقافة ، حاول ما فى وسعه فى مرحلة الاتحاد اليمنى التحرر من هذه المؤثرات الثقافية ، كما جسد ذلك فى واحد من أعماله النثرية (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) ، إلا أنـــه فى مرحـــلة الجمهورية العربية اليمنية لم يستطع التحرر كلية من هذه الرواسب الكامنة فى عقله ووجدانـــه ، فعبر عنها بصورة منافية للواقع فى العهد الجديد . انظر وجهة نظر العمراني : الزبيرى أديب

اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤١ ، ومحمد عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة فى اليمن الشمالى ، ص ١٠٠

(٩) انظر

Harold Ingrams, The Yemen Imams Rulers & Revolutions, p.72.

(١٠) للأئمة الحكام تصور خاص لحدود اليمن التاريخية بمعزل عن حدود اليمن السياسية، وهذا المزج يمكن أن نطلق عليه مجازاً مصطلح " اليمن الطبيعى " ، كما ورد فى كتاب سيد سالم : تكوين اليمن الحديث (ص ٢٨٣) . حيث يقول . " ينظر اليمنيون إلى حدود اليمن نظرة خاصة واسعة ، فهم يعتبرون كل ماهو ((يمين)) الكعبة يدخل فى ((حدود اليمن)) ؛ وترسبت هذه النظرة الإسلامية التقليدية عندهم طوال التاريخ الإسلامى ، وتبلورت هذه الفكرة عبر الزمان ، تغذيها الطبيعة الواحدة التى تجمع أجزاء المنطقة ، ويتناقلها الحكام فى ((صعدة)) وفى ((صنعاء)) .

(١١) سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ، سبق ذكره ، ص ٢٤٤ .

(١٢) مروان بحيرى وآخرون : الحياة الفكرية فى المشرق العربى ، سبق ذكره ، ص ١٩٧.

(١٣) على عكس زيدية اليمن الهادوية المغالين فى تشيعهم ، يذهب بعض علماء الزيدية السلفيين وفى مقدمتهم محمد بن إبراهيم الوزير ومحمد بن على الشوكانى للقول إن التكفير والتفسيق لسائر المسلمين ، سواء كان بالتأويل أو باللازم باطل وغير ثابت كما صرح الإمام يحيى بن حمزة على إبطال التكفير بالتأويل واللازم انظر كلٌ من محمد بن على الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، سبق ذكره ، ج٢ ، ص ٢٣٢ ، ومحمد محمد الحاج الكمالى : الإمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى وأثره فى الفكر الإسلامى ، سبق ذكره ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(١٤) الأكوع . حياة عالم وأمير ، سبق ذكره ، ص ٣٨٥

(١٥) محمد بن على الأكوع : حياة عالم وأمير يحيى بن محمد الإريانى وإسماعيل بن محمد باسلامة الكندى وصفحة مجهولة من تاريخ اليمن المعاصر ، ص ٣٨٤ .

(١٦) يذكر السيد أحمد بن محمد الوزير أن الإمام يحيى أتخذ ثلاث خطوات رئيسة فى طريق إبعاد قطبى أسرة الوزير (عبد الله وعلي) من السلطة: أولهما إرسال ولى العهد أحمد إلى مدينة تعز ، وثانيهما إرسال ابنه الأمير الحسن إلى مدينة إب ، وثالثهما ، إثارة المحتسبين على الأسرة بصورة تعسفية . انظر الوزير : حياة الأمير على بن عبد الله الوزير ، سبق ذكره ، ص ٣١٧ . ومحمد على الشهارى : نظرة فى بعض قضايا الثورة اليمنية ، ص ٣٦ ، وراجع أيضاً :

- Ingram. Yemen , p. 74-75. and Nello Lombardi," Divisioni administrative del Yemen; con natizie economichee demografiche ", Orient Moderno, Vol XXVIII, no. 7 - 9 (July - September, 1944), p. 155.

(١٧) انظر :

B.R. Bridham. ed., Contemporary Yemen: Politics And Historical Background, p. 40.

(١٨) حـــول الاستمرارية والانقطاع في الفترة القاسمية التي تعتبر جزءً لا يتجزأ من تاريخ اليمن المعاصـــر ، انظـــر دراســـتنا الموسومة : القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية (١٩٠٥ – ١٩٤٨) ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(١٩) سالم : تكوين اليمن الحديث ، سبق ذكره ، ص ٢٠٢ وما تليها .

(٢٠) تنقسم محميات عدن التسع إلى قسمين : شرقية وهي (العوالق العليا والعوالق السفلى وسلطنة العواذل وإمـــارة بـــيحان) ؛ وغـــربية (الضالع والحواشب ويافع العليا ويافع السفلى وسلطنة الفضلى) . انظر السقاف : أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية ، سبق ذكره ، ص ١١٢ .

(٢١) محمد سعيد العطار : التخلف الاقتصادى والاجتماعي في اليمن ، ص ٣٥ .

(٢٢) انظـــر كـــل من محمد أنعم غالب: عوائق التنمية في اليمن ، ص ٧٦ ، وقائد نعمان الشرجبي : القرية والدولة في المجتمع اليمني ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

(٢٣) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، سبق ذكره ، ص ١٤٦.

(٢٤) حميد أحمد شحرة : مصرع الابتسامة سقوط مشروع الدولة الإسلامية في اليمن (١٩٣٨ – ١٩٤٨) ، ص ٧٧-٧٨ .

(٢٥) عبد الله السلال وآخرون : ثورة اليمن الدستورية ، ص ١٣٤.

(٢٦) يعـــلق أحـــد الباحثين المهتمين بشعر الزبيرى على أن تجربة السجن ، شكلت محطة فاصلة غيرت مجرى حياته ، انظر الحلوجي : الزبيرى شاعر اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧ وما بعدها .

(٢٧) كـــان أمين الريحاني – اللبناني الأصل الأمريكي الجنسية – من القوميين العرب المتحمسين لقيام وحدة عـــربية يشكل إقليم شبه الجزيرة العربية نواتها الأولى ، لكن الأوضاع المتردية في يمن الإمام يحيى صدمته ، فكتب معلقاً فور مغادرته صنعاء هذه العبارات : " أى صنعاء عاصمة الزيود والجمود ، إننا نغار عليك من الاثـــنين ، ونـــود أن يعـــود إليك مجد الأجداد محمولاً على أكف العلوم الحديث التي من شأنها أن تصلح أحـــوال الإنسان ، فترقيه في جسمه وعقله وروحه ، وفي بيته ومدينته وبلاده ، وما سواها من العلوم لا نـــبغي لك ولا لسواك من مدن الشرق والغرب . أى صنعاء عاصمة الأذواء ، إننا في حبنا أبنائك ، وهم مثلـــنا من الناس ونحن وإياهم من سليلة واحدة ، نفادى حتى بشيء من معالم الوطنية من أجلهم ، فتصبح أجسامهم إذا اتقوا الأمراض ، وتنجلي عقولهم إذا فتحوا المدارس ، وتصفو روحيتهم إذا أدركوا من الدين حقيقته الأولى وسره الأعلى . " ملوك العرب ، ص٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٢٨) العمراني : أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٢٩) الزبيرى : صلاة فى الجحيم ، ص ١٣٣ .

(٣٠) سيد مصطفى سالم : البريد الأدبي حلقة مفقودة من حركة التنوير فى اليمن ، ص ١٧١ – ١٧٢ .

(٣١) راجع مقدمة ديوان الشاعر محمد محمود الزبيرى : ثورة الشعر ، ص١٠ .

(٣٢) انظر كلّ من أحمد الشامى : تاريخ اليمن الفكرى فى العصر العباسى ، ج٢ ، ص ٢٤٥ ، وأحمد عبد الله عارف : مقدمة فى دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية فى اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجرى ، ص ١٧٤ وما بعدها .

(٣٣) الزبيرى : دعوة الأحرار ووحدة الشعب ، ص٢٩ .

(٣٤) القماعرة : بلاد واسعة مركزها ماوية فى الجنوب الغربى من صنعاء على مسيرة سبع مراحل، وهى على مقربة من مدينة تعز فى بلاد اليمن الأسفل . انظر محمد أحمد الحجري: مجمع بلدان اليمن وقبائلها ، ج٢ ، ص ٦٥٧ .

(٣٥) عبد الرحمن المعلمى : " الشريعة المتوكلية أو القضاء فى اليمن " ، الإكليل صنعاء ، العدد ٥ ، سبتمبر ١٩٨١ / ذو القعدة ١٤٠١هـ ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٣٦) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره ، ص ١٤١ .

(٣٧) عبد الستار الحلوجى : الزبيرى شاعر اليمن ، ص ٨ – ٩ .

(٣٨) زيد بن على الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، ص ١٩٦ .

(٣٩) الزبيرى : مأساة واق الواق ، ص٢٦٤–٢٦٥ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص٩٥ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص٩٤ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص١٠١ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص٢٨٠ .

(٤٤) فى هذه القصيدة الموسومة بـ " نكسة الثورة " أو " مصرع الابتسامة " يسجل الزبيرى بأسى بالغ الأسباب الموضوعية والذاتية التى أودت بتجربة ١٧ شباط ١٩٤٨ ، ويلخصها فى أن محاولة أحرار اليمن الانتقال بالشعب من طور الإمامة الاستبدادية إلى طور الإمامة الدستورية ، كان العامل المؤثر فى إجهاض الثورة وتصفية رموزها . انظر البردونى : من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، سبق ذكره ، ص ١٤٢ .

(٤٥) تطرق لمناقشة سياسية أو ظاهرة العزلة عدد من الدارسين والمراقبين السياسيين . انظر سالم : تكوين اليمن الحديث ، سبق ذكره ، ص ٤٣٦ – ٤٣٧ ، وغالب : عوائق التنمية فى اليمن ، ص ٦٣ ، وانظر أيضاً وجهتى نظر المراقبين الغربيين للمنطقة فى عهد ما قبل الثورة :

Ingrams. Op. cit. p.73 . and Stookey. Op. cit. p. 207.

(٤٦) الـزبيرى : الإمامــة وخطــرها على وحدة اليمن سبق ذكره ، ص١٠ . ومحسن أحمد العينى : معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن ، ص ١٤٨ .

(٤٧) الزبيرى : ثوزة الشعر ، ص ١٠ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٨ .

(٤٩) حميـد شحرة : " رائد الحركة الإصلاحية اليمنية الشهيد الزبيرى والعمل الحزبي " ، مجلة نوافذ ، العدد التاسع (إبريل – مايو ١٩٩٨) ، ص٤٢ .

(٥٠) انظر مقالة :

Leigh Douglas, " The Free Yemeni Movement: 1935-1962," in B. R. Pridham, ed. Contemporary Yemen: Politics And Historical Background, p. 36.

(٥١) أحمــد إبراهيم السيد : " الزبيرى فى تجربيه الشعرى " ، اليمن الجديد – صنعاء ، العدد ١١ . (ربيع أول ١٤٠٨هـ / نوفمبر ١٩٨٧) ، ص ١٠٢–١٠٣ .

(٥٢) شحرة : مصرع الابتسامة ، سبق ذكره ، ص ١٠٩ – ١١٠ .

(٥٣) ناقش هذه المسألة جيرالد أوبر ماير : " جريدة الإيمان والإمام يحيى · العقيدة والدولة فى اليمن (١٩٠٠ – ١٩٤٨) ، ص ١٩٧ – ٢١١ ، فى كـتاب مروان بحيرى وآخرون : الحياة الفكرية فى المشرق العربى ١٨٩٠ – ١٩٣٩.

(٥٤) مركز الدراسات والبحوث اليمنى : ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات ، ص ٢٨٢.

(٥٥) أنظر المواد : (١، ٢، ٦، ١٠، ٢٠، ١٢) فى كتاب الزبيرى : البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مطبعة الحرية ، القاهرة ، ١٩٤١ .

(٥٦) ثمة ريبورتاجات صحفية أجراها عدد لا بأس به من المثقفين والساسة العرب الذين زاروا اليمن فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، وقد ضمنوا ملاحظات نقدية حول نظام الحكم فى اليمن الإمامى ، بهذا الخصوص نحيـل القارئ إلى كتاب الريحانى : ملوك العرب ، سبق ذكره ، ص ١٣٤ – ١٣٥ ، والعظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة ، سبق ذكره ، ص ١٦١ وما تليها .

(٥٧) كـثيراً مـا يتحدث الشاعر الزبيرى عن حياة الزهد وشظف العيش فى طفولته وشبابه فى مقدمة ديوان ثورة الشعر ، ص١٠ .

(٥٨) أحمد قايد الصائدى : حركة المعارضة اليمنية فى عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ، ص ١٧٩ .

(٥٩) الزبيرى : البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف ، سبق ذكره ، ص ٤ .

(٦٠) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وغيرهم عن أبى الدرداء .

(٦١) ثمـة تغيير طفيف حصل فى عهد الإمامين زيد بن على (ت٧٣٩ مـ/١٢٢هـ) والإمام الهادى يحيى بن الحسين (ت ٩١١ م / ٢٩٨ هـ) . فقد جعل الإمام الهادى الأصل الرابع (الأمر بالمعروف والنهى عـن المـنكر) يحل محل الأصل السابق (المنـزلة بين المنـزلتين) فضلاً عن ذلك أحل الأصل الخامس الجديـد (الإمامـة فى آل البيت) محل الأصل الرابع أيضا (الكتاب والسنة) الذى كان قد أقره الإمام القاسـم بـن إبراهيم . كما يذهب إلى ذلك على محمد زيد فى كتابه: معتزلة اليمن دولة الهادى وفكره ، ص ٢٢-٣٧، وعـارف : الصـلة بين الزيدية والمعتزلة ، سبق ذكره ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ . ويتمسك الزبيرى فى برنامجه بأصلين من أصول الزيدية والمعتزلة، هما الكتاب والسنة .

(٦٢) الزبيري: البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف ، سبق ذكره ، ص ١٥.

(٦٣) رواه البخارى والترمذى .

(٦٤) من إجابات القاضى عبد الرحمن بن يحيى الإريانى ، حررت فى دمشق ، ٢٩ أكتوبر ١٩٨٥ .

(٦٥) راجع الشهادة التاريخية التى أدلى بها القاضى محمد الخالدى فى مطارحات ندوة ١٩٤٨ الدستورية ، التى أشـرف على نشـرها مركز الدراسـات والبحوث اليمنى : ثورة ١٩٤٨الميلاد والمسيرة والمؤثرات ، ص ٣٤٨ -٣٤٩ .

(٦٦) رواه مسلم .

(٦٧) مركز الدراسات والبحوث اليمنى : ثورة ١٩٤٨ ، سبق ذكره ، ص٣٤٩ .

(٦٨) المصدر نفسه .

(٦٩) الشامى : رياح التغيير فى اليمن ، سبق ذكره ، ص٧٩ .

(٧٠) الزبيرى : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٠ .

(٧١) الوزير : حياة الأمير على الوزير ، سبق ذكره ، ص٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٧٢) انظر سيد مصطفى سالم : مجلة الحكمة اليمانية وحركة الإصلاح فى اليمن ، ص ٥١ .

(٧٣) انظر مقالة لى دوجلاس تحت عنوان :

"The Free Yemeni Movement: 1935 - 62" cited. in B. R. Pridham . Contemporary Yemen : Politics And Historical Background. London: University of Oxford Press , 1984.

(٧٤) انظر مقالة محمد سعيد جرادة : " محمد محمود الزبيرى - حياته ، نضاله ، شعره "، مجلة الحكمة ، العدد (٢٠) ، إبريل ١٩٧٣ ، ص٧٩ .

(٧٥) البردونى : من أول قصيدة إلى أخر طلقة ، سبق ذكره ، ص٣٦ .

(٧٦) الشامى : رياح التغيير ، سبق ذكره ، ص٨٥ .

(٧٧) الزبيرى : ثورة الشعر ، سبق ذكره ، ص٢٥-٢٦ .

(٧٨) المصدر نفسه ، ص٢٦-٢٧ .

(٧٩) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية ١٣٣.

(٨٠) الشامى : رياح التغيير ، سبق ذكره ، ص١١٤ .

(٨١) المصدر نفسه ، ص١١٥.

الفصل الثانى

المنطلقات النظرية فى فكر الزبيري

مفهوم اليقين الثورى :

كـــانت فـــترة الاستقلال عن الحكم التركى ما بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٣٤ ، كافية لإظهـــار أوجـــه القصـــور فى تجربة المملكة المتوكلية اليمانية بالنسبة لحركة المعارضة القبلية والحضرية ، التى كانت ردود فعلها متباينة ومستاءة للغاية من الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية فى أنحاء البلاد . وإذا كانت حرب ١٩٣٤ ، هى التى ساهمت فى بعث حركة المعارضة الحضـــرية مـــن تحت الرماد ، فإن المقاومة القبلية المسلحة خلال هذه الحقبة التاريخية أخذت تتلاشـــى بشـــكل مـــلحوظ لصالح الأولى . والعلاقات الشائكة بين المعارضة الدينية والقبلية والحكومة الإمامية، كانت فى منتصف عقد الثلاثينات، أكثر التباساً وتعقيداً من ذى قبل– فترة العشـــرينيات ، عندما شهد الريف اليمنى سلسلة من الانتفاضات القبلية الموجهة ضد السلطة المركزية فى صنعاء . (١)

امتحـــنت أحداث عام ١٩٣٤ موقف قلة قليلة من شريحة العلماء (السادة والقضاة)، الذين أظهروا رغبة قوية للعمل بمبدأ الخروج (الثورة) ، طبقاً للعقيدة الزيدية الهادوية . كانت المعارضة بتنوع تجاربها وتحالفاتها ، مدرسة تربى فى قلبها القاضى محمد الزبيرى ، وتمثل دروسها الإيجابيـــة والســـلبية ، التى صقلت خبراته الأولى فى القاهرة وصنعاء . ولم تكن قوى المعارضة منغلقة على نفسها فى شمال الوطن ؛ إذ تقاطعت مع مجمل الأحداث الجارية فى تعز وعدن ، وما رافـــق ذلـــك من صراع محتدم بين الأسر الهاشمية الطامحة فى الوصول إلى مركز الإمامة . وقد راهنت أسرة الوزير على تحالفاتها مع رموز حزب الأحرار اليمنى ، الذى أتخذ منذ نهاية الحرب الكونية الثانية من عدن قاعدة لنشاطه السياسى المناوئ لحكم بيت حميد الدين .

اتصل الأحرار اليمنيون بالسيد عبد الوزير لأول مرة عام ١٩٤٧ ، عندما ذهب الفضيل الورتـــلانى إلى صنعاء ، متخذاً من مشروع تأسيس شركة نقل برية تربط المدن اليمنية ستاراً .

ونقل الورتلاني شروط آل الوزير بالانضمام إلى صفوف المعارضة ، التي تضمنت موافقتهم المبدئية على فكرة تشكيل حكومة تمثيلية يرأسها إمام دستوري منتخب للبلاد . هكذا نسجت الخيوط الأولى لإمكانية قيام جبهة عمل سياسي موحد داخل اليمن وخارجه ، ترمي إلى تصحيح مسار المؤسسة الإمامية من الإنحراف . [٢] وتحت هذه النزعة الإصلاحية تندرج حركة الأحرار اليمنيين ؛ حيث يقدم لنا القاضي الزبيري رؤية جديدة عن موقفه من مسألة الإمامة أي الرئاسة. وبين مساجلاته الأدبية والسياسية ، يندرج بحث (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) ، الذي تعكس مباحثه عن موقف معارض لكافة مظاهر الحياة السياسية في فترة المملكة المتوكلية اليمانية .

انطلق تفكير الزبيري من قضية الإصلاح السياسي للمؤسسة الإمامية والحاجة الملحة إلى إيجاد نهضة دينية وعلمية في اليمن ؛ وكان يشعر كغيره من علماء اليمن بتخلف الشعب اليمني عن مواكبة حضارة العصر الحديث. فكيف السبيل إلى بعث حضارة اليمن القديمة، وبأي طريقة يمكن إحداث مثل هذه النهضة الحديثة في ظل حكم الأئمة ؟ هنا يستعيد الزبيري موضوع حكم الشورى والدستور . لكن البحث في هذه المسألة قد تحول من الجدل في مدى شرعية الأئمة الحكام والتزامهم بأصول الدين ، والخلل الذي أصاب المؤسسة الإمامية وقادها إلى استخدام الدين كوسيلة لممارسة الظلم والاستبداد . ثم أن طرح مسألة الإصلاح من هذا الباب – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – لها دلالتها السياسية في أواخر عهد الدولة القاسمية ، فسلطة إمام صنعاء كانت في طريقها إلى الانحدار نحو الهاوية .

إن مؤلفات الزبيري الأدبية والسياسية ، على الرغم من شهرتها وأثرها في عقيدة حركة الأحرار اليمنيين لم تحظ باهتمام الدارسين والباحثين المهتمين بسيرته وفكره . ونظرا للعلاقة الوثيقة بين أعماله الأدبية (الشعرية) والنثرية (السياسية) ، كان لا بد من إعادة التعريف بها وتحليل مضمونها تحليلاً علمياً موضوعياً . ونقدم في هذا الفصل عرضاً تحليلياً لاهم مؤلفاته السياسية ، ألا وهو مقدمة ديونه (ثورة الشعر) ، ومقالته (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) ، بهدف الإحاطة بالمنهج الفكري الذي اتبعه الزبيري في دعوته إلى الإصلاح في مجمل القضايا السياسية والاجتماعية في اليمن المعاصر .

يقع كتاب (ثورة الشعر) في (١٣٦ صفحة من الحجم المتوسط) ، وهو يحوي مقدمة نثرية ، شملت العناوين الجانبية التالية : قصتي مع الشعر (٥ – ١١) ، مصدر اليقين

الثورى (١٣ – ٢٧) ، دور الشعر فى خلق اليقين الثورى (٢٩ – ٣٠) ، صور من المحاولة (٣١ – ٣٦) ، نهاية التجربة (٣٧ – ٣٨) ، لخص فيها تجربته السياسية فى عهد الإمامين يحيى وأحمد ، مبيناً الأسباب الموضوعية والذاتية التى قادته إلى تبنى مفهوم اليقين الثورى . وفى هذه المرحلة (١٩٣٤ – ١٩٤٤) ، كان الزبيرى ورفاقه من أحرار اليمن قد نفضوا أيديهم عن ولى العهد أحمد ، الذى تظاهر لهم برغبته فى إصلاح الأوضاع المتردية فى البلاد .

أما بحث الإمامة وخطرها على وحدة اليمن فيقع فى (٣٠ صفحة من الحجم الصغير)، تطـرق فيها المؤلف لمواضيع شتى وثيقة الصلة بنظام الحكم فى اليمن المعاصر . وسبب اختيارنا لهذا المؤلف الأهمية النظرية لمباحثه ، عندما أعاد الزبيرى النظر فى بعض منطلقاته النظرية وثيقة الصلة باليقين الثورى . ففى التقديم ، يقول قاسم غالب أحمد ، وهو من أعضاء الحزب الناشطين : " فهذا الكتيب الذى يقدمه للقراء .. كان قد أصدره الاتحاد اليمنى فى احلك ظروف اليمن واشدها قسوة على الشعب ، حرره القاضى محمد بن محمود الزبيرى فى هذه الفترة بعيدا عن كافة المؤثرات الفرعية متمثلاً لقضية الشعب الذى احبه وآمن به ، راسما فى هذه الصفحات القليلة الطريق إلى الحرية والوحدة الصادقة لشعب اليمن العظيم . " [٣]

وهكذا ، بعد موت الإمام يحيى بن حميد الدين ، اشتغل الناس بقضية البيعة ، وهى طريقة يبدو أنها دخيلة على المذهب الزيدى ، الذى يقر مبدأ الخروج على الظلمة ، ويرفض مبدأ توارث الإمامة – أى الرئاسة من الأباء إلى الأبناء . [٤] واشتعلت المعركة حول مسألة البيعة ، ودخل فيها من دخل من العالمين ببواطن الأمور ، وكلهم فى مواقفهم بطبيعة الحال ينتمون إلى حركة المعارضة : السيد أحمد بن محمد الشامى ، ومن قبله السيد على بن حمود شرف الدين ، والقاضى الحجة عبد الرحمن بن يحيى الإريانى ، والشيخ أحمد محمد نعمان ؛ فكلهم من رافعى علمها والمدافعين عنها حتى يوم قيام ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢ .[٥] أما القاضى محمد بن محمود الزبيري، فقد اكتفى بمبايعته لإمارة الشعر، كما يرد ذلك فى مقدمة ديوانه (ثورة الشعر) ، ويؤكد هذا القول السيد الشامى فى مذكراته (رياح التغيير فى اليمن) أن اتصالاته وقصائده المادحة لولى العهد ، كان الهدف من وراء نظمها رفعة الوطن وعزة الشعب . [٦]

كان الزبيرى رجل معارك ومواجهات ، وربما كان فى أصل اختياره – الولوج إلى السياسة من باب الأدب والفقه ، تعكس رغبته الصادقة فى إحداث الإصلاح السياسى المنشود . فالموضوع الذى يعالجه فى معظم كتاباته هو موضوع سياسى فقهى بالدرجة الاولى ،

أو هكـــذا يجب أن يكون . فالزبيرى الأديب الشاعر ، حاول جاهداً البحث فى الكيفية التى حمــلت الأئمة إلى الانفراد بالسلطة والحكم ، وممارسة الظلم والطغيان فى عــهود مختلفة من حكمهــم لبلاد اليمن نحو عشرة قرون من الزمن . فالخلل الذى أصاب المؤسسة الإمامية على حــد تعــبيره ليس خللا دينياً ، بل هو خلل سياسى ؛ وبالتالى ما يجب إصلاحه ليس إلا تلك الممارســة الخاطــئة التى تلبست بالدين وقادت اليمن إلى الانحطاط . فالمعارضة السياسية التى تبناها العلماء على اختلاف مشاربهم السياسية والثقافية ، استلهمها الزبيرى فى مواجهة النظام الامامى ، وطريقة معالجتها لإشكالية الســلطة والمعارضة فى اليمن الحديث ، لا تقل أهمية عن الــتطور السياســى ، أو التسلســل التاريخى الذى حصل فى منطلقاته الفكرية ، منذ صدور البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عام ١٩٤١ ، حتى صدور الميثاق الوطنى المقدس عام ١٩٤٨.

أشار الزبيرى فى مقدمة ديوان ثورة الشعر لمفهوم " اليقين الثورى " ، الذى تكون لدى المعارضــة من واقع التجربة ، التى ولدها الأوضاع المزرية فى فترة المملكة المتوكلية اليمانية . وكــان الشعر حافزاً من جملة حوافز دفعته للتعبير عن مكنون النفس والخروج ، أى الثورة . وقناعة الزبيرى هذه حملته على الخوض فى المحظور ، عالج على أساسها مجمل القضايا السياسية والاجــتماعية والاقتصــادية التى عاشها اليمن خلال هذه الحقبة . لكن ما يهمنا هنا فى هذا العنوان الجانبى هو أن نعالج أهم منطلقات الزبيرى الفكرية ، فيما يتعلق باليقين الثورى ، الذى ظــل ملازمــاً له بدرجات متفاوتة ، حتى بعد سقوط النظام الملكى وقيام النظام الجمهورى . ومصادر بحثنا عن هذا اليقين وتحديد مفهومه – هى الأنات بل الصرخات المبثوثة عبر صفحات ديوانــه ثورة الشعر ، الذى حرص فيه على توضيح رأيه حول هذا الموضوع نثراً وشعراً على نحــو مــلفت، حاول فيه الدفاع عن مواقفه السياسية المترددة فى لحظة من لحظات الانكسار البشرى والشعور بالضياع . (٧)

تظاهر الإمام أحمد بالرغبة فى الإصلاح ، لكنه على أثر تنصيبه للعرش ، مارس المزيد من القمــع السياســى ضد عناصر المعارضة أكثر من والده الإمام يحيى ، الذى لقى حتفه على يد جماعــة مــن الأحرار عام ١٩٤٨ . وفجأة انقلب الإمام أحمد على الأحرار الذين التفوا من حوــله، فضــرب حظراً على نشاطهم السياسى فى كل من صنعاء وذمار وإب وتعز ، ومنع إرسال البعثات العلمية إلى الخارج . (٨) ومثلما برهن ولى العهد على مقدرته الفائقة فى خداع زعمــاء المعارضة ، برهنت الأحداث أن استجابة الزبيرى والنعمان لدعوة المصالحة مع القصر

ضرورة سياسية اقتضتها الحاجة . لكنهم سرعان ما نفضوا أيديهم عن السيف أحمد الذى كان يخطط لإجهاض نشاط المعارضة .

كان الزبيرى فى مقدمة أحرار اليمن الذين طالبوا الأئمة الحكام الاستجابة لمطالب الإصلاح، والكشف عن الأخطاء والأضاليل التى تنشرها الحكومة ، بهدف إلهاء رجال الإصلاح عن قضايا الشعب. ومما قاله من مديح فى ولى العهد أحمد ، وهو يحثه على تنفيذ ما سبق أن وعد به من إجراء إصلاحات عامة فى البلاد :

يا حامل الشعب الكبير بقلبه　　　الشعب فى طيّات قلبك يخفق [٩]

وبسبب هذه القصيدة وغيرها من القصائد المادحة ، التى أطلق عليها الزبيرى فى وقت لاحق مصطلح " الوثنيات " ، عندما أحس أنه أحسن الظن بولى العهد السيف أحمد ، الذى استضافه فى المقام الشريف بمدينة تعز ، حيث عاش هناك مرفهاً وبويع بإمارة الشعر . [١٠] فهل استمر الزبيرى فى محاربة جور الإمام وعبثه وأطماعه ، أم سكت سكوت الشيطان ؟ بإمكاننا استخراج الجواب على هذا السؤال من أهم أعماله الشعرية والنثرية ، التى نظمها منذ فترة خروجه من السجن ، حتى فترة خروجه عن حوزة ولى العهد والمقام الشريف بتعز وهروبه إلى عدن عام ١٩٤٤م . [١١] ولدى الرجوع إلى أعماله الشعرية ، ومراجعة القصائد التى نظمها خلال هذه الفترة ، ظهر لنا أن القصائد المدحية التى سماها الوثنيات لا تتجاوز العشر قصائد ، لم يتطرق فيها إلى التنديد بالأئمة الحكام ، بل راح يخاطب ولى العهد مستنهضاً إياه ببذل الهمة والرقى بالبلاد ، ويكشف عن تبرمه بالحياة وضجره من البقاء فى مدينة تعز ؛ وما إلى ذلك من الموضوعات التى لم تمس السلطة مساً لطيفاً . [١٢] وفكر الزبيرى يتجه هنا نحو ما تحقق – برأيه – فى فترة المصالحة مع الأئمة الحكام، نموذج من نماذج السلوك السياسى الخاطئ، يجب على أحرار اليمن تجاوزه ، لكى لا يقعوا فى نفس الخطأ مرة ثانية .

صحيح أنه لا يمكن ملاحقة تأثير هذه الفترة – فترة المصالحة – ملاحقة وصفية وبشكل محدد تماماً ، فعمرها لم يربو على بضع سنوات . ولكنها بما حملته من أوجه نشاط فكرى وأدبى جديد ، وما تجلى عنها من إنشاء جوقة شعرية ، ومناظرات كلامية ، كل ذلك أدى إلى نمو وعى جديد ؛ كان لا بد أن يتنامى مع تأسيس الجمعية اليمانية الكبرى عام ١٩٤٤ ، وحزب الأحرار اليمنى عام ١٩٤٥ . والقضية ، أى قضية المعارضة والإصلاح ، كما يقول الزبيرى " ولدت هناك فى تعز فى صور قصائد طنانة ، كنا نلقيها على الجماهير فى محافل الأعياد الضخمة

لولى العهد . لقد كان عملنا يعتبر تقدمية ونهضة، وجرأة على تطوير الأساليب القديمة فى الشعر .. " . [١٣] ويضيف قائلاً : "وانتهت تجربتنا مع السيف أحمد إلى النهاية التى انتهت إليها تجربتنا مـع أبيـه الإمام يحيى . وبذلك تمت عناصر (اليقين الثورى) ، الذى يفرض علينا أن ننفض أيدينا من كل عناصر الأمل فى الوصول إلى تغيير سلمى بأيدى الحكام . فإما أن نرضخ وندفن رؤوسـنا فى المقـبرة الوحشية التى دفن فيها الشعب ، وندخل فيما دخل فيه الكثيرون فنأكل الجيـف ، ونمـتص الدماء ، ونعيش كما تعيش الدود فى القبور .. أو نثور .. وآثرنا الأشق وتمردنا وأنشدنا ." [١٤]

فما هو مصدر اليقين الثورى وعناصره فى فكر الزبيرى ؟

كان الزبيرى يرى الأمور من واقع تجربته الأدبية والسياسية ، فهو بصفته واحد من طليعة الأحرار اليمنيين ، الذين أخذوا يقتحمون بأفكارهم الشابة المنفتحة عالماً ضخماً معقداً جديداً عليهم، مليئاً بالانتصارات والانكسارات، أخذ يوماً بعد يوم يكتشف مصدر اليقين فى الثورة ، الذى حدد احتمال نجاحه فى أمور ثلاثة :

– الأول : أن ينضـج [الجيل المخضرم] فهمه، وانتماؤه لروح شعبه، وروح العصر القديم الذى ينتمى إليه شعبه نضجاً تاماً .

– الثانى : أن يتغلغل فهمه إلى روح الحضارة الحديثة لا أن يعيش على السطح منها .

– الـثالث : أن تكون عنده نزعة روحية ترتفع به فوق مستوى أهوائه الذاتية ، منافعه المادية ، لكى لا تكون هذه النـزعة بالنسبة إليه كمحطة للفضاء التى يراد لها أن تكون مرحلة بـين الأرض والقمر .. فرغم أنها تنتمى إلى الأرض ونواميسها عموماً ، وتضحى فى سبيلها ، فإنها تتسامى إلى فوق مستويات حياتها الروتينية الجامدة، كما هى لا تنحدر إلى جاذبية القمر ، وإن كانت تدنو منها ، وتراها كما لا يراها أهل الأرض ؛ وبغير مثل هذا التسامى لا يستطيع الجيـل المخضـرم أن يقاوم عوامل الضغط الهائلة بين عالمين اثنين : عالم شعبه المغرق فى القدم الذى تسوده نواميس الموت والتحجر ؛ وعوامل الشعوب العصرية الحديثة التى تلوح له بسحر حياة لا يستطيع أن يحياها بطريقة طبيعية كما هى .. " [١٥]

من هذا الموقف المعارض للأوضاع العامة فى البلاد ، انطلق الزبيرى بثورية جياشة ، دفعته إلى انـتقاد نظـام الحكم فى اليمن ، موضحاً أن الأئمة الحكام كانوا يحيطون أنفسهم بالتعظيم

والقداسة تمويلاً على الرعية ؛ وأن لا سبيل إلى إحداث إصلاح جذرى غير الثورة على ذلك الواقـع المـرفوض . وكـون هـذه الدعوة الإصلاحية ضرورية بل وحتمية ، فهى مشتركة ومطروحة عند الجيل المخضرم ، الذى قرر تجشم عبء هذه المهمة الخطيرة. يقول الزبيرى : " وإذا كانت مرحلة التجربة مع الإمام يحيى قد أعطتنا اليقين الثورى بالنسبة إليه ، وتأكدنا بأن القوة هى الوسيلة الوحيدة للخلاص من حكمه ، فقد بقى ابنه، وإن كان رأس الدولة ، فهو قد كان الرأس اليانع للموت بحكم سنه ؛ وهو مع ذلك شطر الدولة ، أما الشطر الثانى فهو ابنه أحمد وهو الأهم ، الأخطر .. والشيء الوحيد الذى يعجزنا جميعاً ، هو الإتيان بالجديد المجهول فى هذا الشأن . " (١٦)

فهـا هـنا يؤكد القاضى الزبيرى على ضرورة امتلاك " اليقين الثورى " ، عندما تنشد جماعة من الناس إحداث التغيير فى المجتمع . واليقين الثورى ، كما نفهمه من عباراته ، نوع من أنواع الوعى السياسى بمشكلة ما فى زمان ومكان ما ، سابق على الاعـتقاد بضرورة الانتقال إلى مرحلة الإعداد لجيل الثورة . إذ يرى أن الشعر عامل حافز فى خلق اليقين الثورى فى مقابل المدح أو السكوت . ويوضح فى مقطع آخر هذه العلاقة الشائكة بين الشعر والشاعر ، وعملية خلق اليقين الثورى من العدم . وهذا الوعى بالمشكلة اليمنية قد تم اكتشافه عبر رحلته المضنية مـن الشك إلى اليقين ، فهو يقول : " إن اليقين الثورى هو الأساس للثورة العميقة الصادقة ، وهو العامل الأول لصمودها واستمرارها . ولن يكون اليقين يقيناً ، إلا بعد جهد يبذل لدراسة الموقف وسبر أغوار الدولة ، وقواها ورجالها، وتجربة كل الوسائل غير الثورية ، علها تنجح فى إحداث التطور المطلوب . " (١٧)

إن اقتـنـاع الـزبيرى بضـرورة امتلاك اليقين الثورى ، كمعيار للأديب أو الشاعر أو السـياسـى الملتزم فى تحديد انتمائه إما للشعب أو للحاكم ، دفعه إلى تناول هذه المسألة – الفساد والإصلاح – فى أكثر من موضع من ديوان ثورة الشعر. ولكن ماهو اليقين الثورى؟ وكيف يمكن تحقيقه على أرض الواقع؟ جاء جواب الزبيرى واضحاً فى الخيار الثورى فى اليمن، عـند قوله : " والثورة لا تكون حقاً ، ولا عدلاً ، ولا وطنية ، كما لا تكون ناجحة، إلا يوم تكـون ضرورة محتومة ، لا مفر منها . إن الثورة عنف ، وقتال ومذابح . والمؤمنون بالتطور والإصـلاح ، لا يقرون العنف والقتال ، إلا بمبررات عادلة تبلغ حد اليقين ، وإلا كانوا مجرد سـفاكين مـتهورين . " (١٨) ومثل هذا الطرح السياسى سوف يحسب له وعليه خلال تجربته الثورية ، سواء فى العهد الملكى أو العهد الجمهورى .

وهكـــذا ، فـــإن تعدد العبارات والمصطلحات اليقينية فى نثر الزبيرى ، يرجع إلى تعدد المواقـــف السياســـية المتباينة له فى عهد الإمامة (الملكية) ، وفى عهد الثورة (الجمهورية) . وتعـــريفات القاضـــى الـــزبيرى لمفهوم اليقين الثورى ، وهو تعريف منهجى محصور يحتاج إلى توضـــيح معـــناه ، كمـــا هو الحال بالنسبة للمصطلحات الأخرى الواردة فى أعماله النثرية ، وبخاصة معنى "التطور" و"التقدمية" و"الرجعية" و"الخروج" و"الثورة" .[١٩] فالإصلاح فى نظر الزبيرى وغيره من جيل (١٩٤٨) ، قد يصبح موالاة للإمام كعملية إقدام القاضى عبد الرحمن الإريـــانى والشـــيخ أحمد نعمان فى إعداد بيعة ناجزه لولى العهد ؛ والخروج قد يعنى الثورة فى تراث معتزلة اليمن ، أو الانقلاب فى فكر الأحرار اليمنيين وعقيدهم الإصلاحية؛ إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تجربة الحركة الدستورية، وميثاقها الوطنى المقدس . فالحديث عن النتائج المرجوة مـــن دعـــوة الإصلاح من القمة ، يتطلب منا تقديم تحليلاً دقيقاً واضحاً لمفهوم اليقين الثورى والمراد به .

لم يكن الزبيرى فى وضع يسمح له بالسكوت عما يدور فى اليمن من مجازر رهيبة فى حق أحـــرار اليمن ، الذين سيقوا زرافات إلى ساحات الإعدام فى أعقاب فشل حركة ١٧ شباط ١٩٤٨ ، وانقـــلاب مارس ١٩٥٥، وانتفاضة قبيلة خولان ١٩٦١ .[٢٠] فالقاضى فى هذه المرحـــلة الحـــرجة من تاريخ اليمن المعاصر ، كان يتلمس طريقه فى العمل الثورى الجاد، وهو قـــريب العهد من تجربة الوحدة المصرية – السورية (الجمهورية العربية المتحدة). وهذا يعطى الكـــتابين – ثـــورة الشعر ، والإمامة وخطرها على وحدة اليمن – قيمة خاصة ، بحيث تمثل أطـــروحاهما قمـــة النضـــج الفكرى المؤدى بصاحبه إلى اليقين الثورى . وللعنوانين دلالتهما السياســـية والـــثقافية ، كـــون صاحبهما – على ما يبدو – كان وحدوياً فى فكره وممارسته السياسية .

ولـــد الـــزبيرى فى نفس العام ١٩١٨م / ١٣٣٦هـــ ، الذى تم فيه الإعلان عن قيام الممـــلكة المتوكـــلية الـــيمانية ، ولهذا الحدث التاريخى اكثر من دلالة سياسية وثقافية فى نفس وضـــمير الـــزبيري. فقـــد رأى تحـــول الإمامة إلى ملك عضوض ، وشاهد بأم عينيه مصرع الابتسامة ، عندما سيقت تلك النخبة الشابة المثقفة من علماء اليمن الأحرار إلى ساحة الإعدام فى أعقاب سقوط الحكومة الدستورية ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـــ .[٢١] وكانت رحلته المضنية عن الـــذات المقهورة سبباً من جملة أسباب دفعته إلى تأليف الكتاب الذى شن فيه هجوماً كاسحاً

ضـــد الأسرة الحاكمة (بيت حميد الدين) ، التى اعتبرها حليفة الاستعمار البريطانى فى تقسيم اليمن إلى قسمين شمالى وجنوبى ، بل زيدى وشافعى . [٢٢]

كان جيل ١٩٤٨، جيلاً مأساوياً بما تحمل الكلمة من معنى ، ليس فى الوطن العربى الذى شـــهد مأساة ضياع فلسطين من أيدى العرب فحسب ، بل كذلك الأمر بالنسبة لجيل محمد الزبيرى وأحمد نعمان فى اليمن المنقسم على نفسه إلى شطرين –شمالى وجنوبي– يقبعا تحت حكم الإمامـــة (صـــنعاء) ، والاســتعمار البريطانى (عدن) . هذا الجيل المخضرم رأى بوضوح الممارســـات القمعيـــة للمؤسسة الإمامية فى حق الشعب اليمنى ، وسيبقى العلماء المستنيرون والمـــثقفون العصريون حتى أزمة ١٩٣٤، وقيام حركة ١٩٤٨ الدستورية، يعتبرون أنفسهم دعـــاة الإصلاح والتجديد فى اليمن . وهكذا سيقدم خيرة شباب هذا الجيل ، أعناقهم لسيف الطاغية الإمام أحمد ، ثمناً للحرية والخلاص من حكم الإمامة والاستعمار . [٢٣]

وبســـبب سقوط الحكومة الدستورية فى صنعاء ، ومساومة الأنظمة العربية وتخلى جامعة الدول العربية عن الاعتراف بالنظام الثورى الجديد فى اليمن ، شنت القبائل المحيطة بالعاصمة هجومـــاً واســـع النطاق فى مارس ١٩٤٨، على أسوار المدينة ، وانتصرت عليه . وقد حسم الصــــراع لصــــالح ولاية العهد عندما منعت الحكومة السعودية وفد جامعة الدول العربية من الســـفر إلى الـــيمن لتقصى تطورات الأحداث هناك . حينها كان الزبيرى فى زيارة للرياض بتكليف من الإمام الدستورى عبد الله الوزير ، لشرح موقف أحرار اليمن للعاهل السعودى ، الـــذى طـــلب منهم مغادرة البلاد، قائلاً : " يجب أن تسارعوا بالسفر .. فالحكومات العربية اعـــترفت بإمامـــة أحمـــد ، وإذا بقيتم هنا واعترفت حكومتنا بأحمد سنسلمكم إليه ، فعجلوا بسفركم . " [٢٤]

وفى تجربة التحالفات خارج مناطق الثورة ، اعتمدت الحكومة الدستورية على دعم ابن ســـعود وجامعة الدول العربية . وعقد حزب الأحرار اليمنى على تحالف مماثل مع زعيم جماعة الإخـــوان المسلمين الشيخ حسن البنا ، الذى وفر دعماً سياسى لصالح الحكومة الدستورية . لكن الأنظمة العربية وجامعتها بادرت لإسقاط النظام الجديد فى صنعاء الذى اتهم قادته بالسعى " لهـــدم العـــروش وقتل الملوك.. " [٢٥] وهكذا سقطت التجربة الدستورية، وكانت النـــزعة الانـــتقامية للإمـــام أحمد ، قد أصابت حركة الأحرار اليمنيين فى مقتل ، نتيجة لصدور حكم الإعدام فى حق الطليعة الثورية التى قادت الحركة .

وهـــناك مرحلة مهمة فى حياة الزبيرى قفز فوقها التاريخ المكتوب عنه ، بسبب دمجها فى مجال الدراسات والأبحاث الأدبية . وهى فترة الاتحاد اليمنى (١٩٥٦-١٩٦٢) ، حيث تولى القاضى جمع شتات المعارضة فى الداخل والخارج بالتعاون الوثيق مع الشيخ عبد الله الحكيمى صـــاحب الطريقة العلوية بمدينة كارديف ببريطانيا ، والشيخ أحمد نعمان رئيس حزب الأحرار الـــيمنى المنحل ، الذى لحق به فى منتصف عقد الخمسينات إلى القاهرة . وعلى قصرها ، فقد كـــانت هـــذه المرحلة الأرض الجسر التى ربطت الزبيرى بالجيل الجديد ، وأتاحت له فرصة الـــتعرف عـــلى أشكال اللعبة السياسية العربية فى القاهرة ورموزها المدنية والعسكرية . هذا الاندفاع ، كان فى مقدوره استناداً إلى الأشكال التى اتخذها أن يؤسس البدائل المناسبة للتجربة الدســـتورية ، التى مهدت الطريق لقيام الثورة وإعلان الجمهورية فى إقليم جنوب شبه الجزيرة العربية .

كانت الثورات الثلاث : الأم (٤٨)، وانقلاب (٥٥)، وانتفاضة خولان (٦١) ، قد حافظت على توجهها السياسى المناهض للأسرة الحاكمة ، ثم ما أخذت قياداتها الناجية تتبادل الخـــبرة والـــتعاون فى مجال الفعل الاجتماعى . ولكن دون أن تصل إلى مستوى تشكيل قيادة مشتركة حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢. حيث بقيت فى إطارها العام محلية الطابع ذات تكـــون عشـــائرى وأسرى ، رغم أن عدد المنخرطين من الشباب المثقف ثقافة عصرية تضـــاعف بشـــكل ملحوظ فى مرحلة الاتحاد اليمنى . وفى تجربة التحالفات العربية ، اعتمدت قيادة الاتحاد اليمنى وتنظيم الضباط الأحرار اعتماداً كلياً على القاهرة ، بعد أن تعهد الرئيس جمال عبد الناصر تقديم العون المادى والمعنوى اللازم لأى حركة ثورية فى اليمن . وكان دعم القاهرة الفعلى قد ابتداء منذ منتصف عام ١٩٥٥ ، عندما وصلت أول بعثة مصرية عسكرية وثقافية إلى اليمن . وبعد انفصام عرى تجربة الجمهورية العربية المتحدة ، عين عبد الناصر أحد رجاله (محمد عبد الواحد) سفيراً مقيماً فى صنعاء ، ليشكل همزة الوصل بين القاهرة وتنظيم الضباط الأحرار فى اليمن الذى كان يعد العدة لقيام الثورة . [٢٦]

مرحلة الاتحاد اليمنى (١٩٥٢-١٩٦٢) :

بعد أن ذكرنا الأسباب الموضوعية التى دفعت الزبيرى ورفاقه الخروج على حكم الإمامين (يحيى وأحمد حميد الدين) ، يتعين علينا تحديد الخصائص العامة للعمل السياسى خارج حدود المملكة المتوكلية اليمانية . فتجربة الاتحاد اليمنى – من وجهة نظرنا – تشكل حلقة متصلة من

حـلقات حـركة التنوير فى اليمن المعاصر لها خصائصها ومميزاتها ، كونها أفسحت المجال أمام قطاعـات واسـعة مـن الشـعب المشاركة فى الحياة السياسية . وبالتالى كشفت الغطاء عن الممارسـات الخاطـئة التى أرتكبها الأئمة الحكام فى حق الشعب ؛ وهى بالتالى تجربة سياسية تتشـابك فى بعض نواحيها مع الحركة الناصرية ، ومع عقيدة القومية العربية . ومن هنا يبرز التعقيد الهائل الذى يكتنف تياراتها الفكرية المتصارعة . ولذلك حاولنا تقديم عرض عام لمجمل نشـاطاتها ، بهـدف الكشف عن البنية الفكرية لائتلاف الاتحاد اليمنى ، كل بحسب منطلقاته النظرية وخصوصياته المذهبية واتجاهاته السياسية .

إن استعادة جو عقد الخمسينيات فى الوطن العربى بوجه عام ، واليمن بوجه خاص تعطى صورة عن حالة الجيشان الفكرى والغليان السياسى ، الذى اجتاح الأقطار العربية بأسرها من المحيط إلى الخليج . فاليمن كان مثخناً بجراحه من جراء المجازر الوحشية التى أقيمت للأحرار فى أعقاب فشل حركة ١٩٤٨م ، وانقلاب ١٩٥٥م .[٢٧] إذ كانت قطاعات واسعة من الشعب العربى فى اليمن مشدودة للأحداث والمساهمة بصورة فعالة فى نشاط حركة المعارضة السياسية للنظام الإمامي، والحركة الوطنية المناهضة للاحتلال البريطانى . وعن طريق الإذاعة المصرية (صـوت العـرب) ، وصحف المعارضة (صوت اليمن) و(الفضول) و(السلام) و(فتاة الجزيرة) ، أخذت قيادة الاتحاد اليمنى بزعامة القاضى محمد الزبيرى ، والشيخ أحمد نعمان ، تنـدد بالأوضاع الفاسدة داخل اليمن.[٢٨]

وفى ذلـك العصـر – الحقبة الناصرية – الذى يثار فيه التساؤل عن كل شيء – أعد الـزبيرى عمله (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) ، ندد فيه بالنظام الإمامى ، وهو كتاب مشـحون بالخطـاب السياسى الدينى استهله بهذه العبارات النارية : " إن الإمامة من أساسها فكـرة مذهبية طائفية يعتنقها من القديم شـطر من الشعب وهم الزيـدية أى الهادوية سكان اليمن الأعلى فقط . أما غالبية الشعب فى اليمن بما فى ذلك الجنوب المحتل فإنهم جميعاً لا يدينون بهذه الإمامة ، ولا يرون لها الحق فى السيطرة عليهم ، بل إنهم يرون فيها سلطة مفروضة عليهم سياسـياً وديـنياً. وهذه الإمامة لا تقف عند حدود سلطانها السياسي، بل تفرض على شطر الشعب معتقدات وطقوساً وأحكاماً مذهبية لا يتفق مع مذهبه . وهذا التـحكم من شأنه أن يخـلق شعوراً مريراً لدى أكثر الشعب يجعل الانقسام ظلاً قاتماً رهيباً يخيم على البلاد ويهدد مصيرها على الدوام .. " [٢٩]

لم تكن الكتابة عبثاً جديداً تماماً على الزبيرى الذى كرس حياته لهذه المهمة الصعبة، فإن وصفه للنظام الإمامى بالغى والفساد ، كان من ضمن واجباته الدينية عملاً بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فالسكوت عن الظلم - بالنسبة له - يعد ضرباً من الخيانة وتدليساً للحق ، ويرى ألا سبيل للشعب اليمنى أن يتخلص مما هو فيه من التخلف ، إلا إذا كثر الداعون إلى الحرية حكم الشورى والدستور . كما كان عليه أن يدافع بحرارة متناهية عن تجربة الاتحاد اليمنى ، التى تعرضت قياداتها لسلسلة من الهجمات المتنوعة التى تشنها ضدها السلطات الإمامية . لقد علمته التجربة الدستورية ضرورة الاستمرار فى الكتابة ، لأن الفشل فى هذه المهمة لم يكن يعنى سوى الخسارة الفادحة لقضية الأحرار . كان الزبيرى مناضلاً مؤمناً بأن مهمته الأدبية لا تنحصر فى نظم الشعر فحسب ، وإنما فى خوض سجالات سياسية ضد علماء المؤسسة الإمامية الجامدين ، وكأنه كان يدرك أن روح الثورة الدستورية لم تمت ؛ وأن دلالاتها التاريخية الضخمة - مصرع الابتسامة -فى حاجة إلى الذيوع والانتشار . وباختصار فإنه قد آلى على نفسه بوعى كامل أن يسجل الحدث التاريخى العظيم لحركة ١٩٤٨ الدستورية ، لا أن يقوم بمجرد الوقوف على التجربة ، بل إعادة تقييمها سلباً وإيجاباً .

كانت الوجهة الغالبة عند معظم أقطاب المعارضة ، هى وجهة الدفاع عن التجربة الدستورية والميثاق الوطنى المقدس ، الذى عمد بدماء الأحرار الشهداء فى أعقاب سقوط الحكومة الدستورية عام ١٩٤٨ . فعبر إذاعة صوت العرب من القاهرة ، دافع الزبيرى بحرارة متناهية وبخطاب دينى ووطنى عن حكم الشورى والدستور ، وتطلعات الشعب اليمنى فى الداخل والخارج ، عن إمكانية استعادة زخم التجربة الثورية ولو بعد حين . وفى ذلك يقول " اليمن جزء صغير من الوطن العربى الكبير ولكن الاستعمار بمواطأة الرجعية قسمه إلى قسمين . والاستبداد فى عهود الظلام والجهل أبى إلا أن يبث الفرقة السخيفة بين أبناء القسم المستقل فيغذى بتصرفاته الغاشمة الفرقة المذهبية والإقليمية ، ويفرق فى معاملاته بين ما يسمى قسماً شافعياً، ثم يفرق بين الأقسام الإقليمية والقبلية، وبين القرى والمدن ، وينمى روح التمجيد بالعرق والسلالة . فعل هذا الاستبداد الإمامى كى يتسنى للقاعدة الشيطانية (فرق تسد) أن تمزق وحدة الشعب وتمنعه من التكتل ضد الأوضاع القائمة .. "[٣٠] وهذه السياسة أدت إلى تباين فى الآراء والمشاعر، ثم فى المصالح والأهداف .

كان هدف الزبيرى فى جميع أعماله وكتاباته سد الثغرة القائمة فى المجتمع اليمني، بغية تقوية جذور الوحدة الوطنية . ولبلوغ هذا الهدف، رسم طريقاً واحدة، هى رفض المخططات

الاستعمارية الرجعية والتصدى لها بقوة . وكانت الوسيلة لإنجاز هذه الغاية هى الوحدة الوطنية "وعدا ذلك فإن الاستياء المشترك الذى شمل كل الطبقات فى اليمن المستقلة الإمامية، وانتشر فى كل منطقة وكل قبيلة ومدينة وقرية ، كان ولا يزال أقوى من كل أحابيل التمزيق والتفريق، بـــل لقد شكل التمزق رباطاً من الألم قدسياً ووحد أهداف الشعب ومشاعره ونضاله، لاسيما بعـــد أن تـــولى الأحرار مهمة الدعوة إلى الوحدة الشعبية، ونبهـــوا أبناء الشعب إلى الكيد الشيطاني الذى يريده الطغيان والاستعمار ضد كيانهم الوطني والقومى . " (٣١)

وأخـــيراً عندما لم يجد المؤلف إجابة مقنعة فإنه حدد المشكلة المستمرة والرئيسية فى الحياة السياسية فى اليمن بأنها محاولة رأب الصدع ، أو سد الفجوة إلى حد ما بين الماضى والحاضر . وخـــلق وعـــى تاريخى للمطلق مستمر وقائم . إن الربط ما بين الدين والدولة، ما بين الشك واليقـــين – واضح إلى حد كبير فى صفحات كتابه المشحونة بالعناوين الرئيسة والفرعية ذات الدلالـــة السياسية . إذ يمكن القول بأنه كان أكثر زعماء حركة المعارضة وعياً بمسألة الوحدة الوطـــنية ، عـــندما قام بكتابه بحثه الإمامة وخطرها على وحدة اليمن . وخير دليل على وعيه السياسى بهذه المسألة قوله : " فالوحدة المحلية اليمنية إنما نقصد بها أن تتمكن وتتعمق فى القسم المستقل ، وأن تتحقق فى أجزاء القسم الآخر، ليقوم نظام مشترك بين أبناء الشعب فى القسمين تمهيـــداً للوحدة السياسية الكاملة بين الجزئين الرئيسيين ، على ألا تتم الوحدة بينهما إلا بعد التحرر من الاستعمار والاستعباد . " (٣٢)

إن الزبيرى يرفض الاعتراف بواقع التشطير السياسى لليمن فى عهد الإمامة والاستعمار، فتحول كلامه على الوحدة الوطنية إلى مناقشة توضح مخاطر التقسيم والتجزئة . لكن الحديث فى هذا الشأن لم ينته بعد ، حيث حاول أن يثبت من خلال كلامه أن اليمن جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . والمسلك الذى يتبعه لإظهار دور اليمن فى التاريخ ، يتســـم بالتعمـــيم ، وبالنظر إلى إقليم شبه الجزيرة العربية من وجهة الخصوصية اليمنية . فبعد اعتناق أهل اليمن العقيدة الإسلامية ، كان يجب على السلالات الحبشية والفارسية أن تنصهر فى المجـــتمع ، لكنها كانت تأبى الاندماج ، " .. فأثارت حفيظة الشعب وحملته على التعصب ضـــدها ، وعلى النفور منها ، وقد بقى الحمقى من أبناء هذه السلالات يفاخرون العرب فى بلادهـــم اليمانية ، ويباهون عليهم حتى عزلوا أنفسهم أخيراً عن الشعب ، وشعروا بالوحشة والانفراد والاختناق . " (٣٣)

هـــل صحيح أن النخبة العلوية الحاكمة كانت تتعالى على الشعب اليمنى ، بل وترفض الاندماج فيه ؟ وإذا كانت الانعزالية السياسية إحدى سماقا ، فلماذا اختارت البقاء فى اليمن ؟ يجيب الزبيرى على ذلك بالقول : " إن فى مصر وسائر أقطار العروبة والإسلام سلالات هاشمية تحتفظ بأنساها الكريمة وتعتز بها ، ولكنها لا تتخذ من هذه الأنساب وسائل للحكم والتميز ، فاســـتطاعت بســـبب ذلك أن تندمج فى الشعب ، وتصبح عنصراً أصيلاً من أكرم عناصره ، وتـــنجب أيضـــاً مـــن بنيها يرتفعون إلى أعلى مراتب المجتمع بكفاءاقم الشخصية لا أنساهم ولا أحســـاهم ، وبذلك لا يجـــد هؤلاء الأفذاذ من يطعن فى مكانتهم ، أو يحاول زحزحتهم عـــنها . " (٣٤) والوجهـــة التى يتبناها المؤلف ، تحمله على التفاؤل بإمكانية التعايش رغم كل مظاهر الانقسامات المذهبية والطائفية : " ونحن لا نستبعد إذا ما تحقق مبدأ الحكم للشعب أن يـــأتى اليوم الذى يصبح فيه أى نابغة من هذه العناصر المندمجة فى الشعب على رأس الحكومة الشعبية ، تطبيقاً لمبدأ تكافؤا الفرص.. " (٣٥)

هذا التمييز الواضح بين الحكام والشعب ، يسهل على المؤلف إلقاء مسئولية الانقسامات المذهبية والنـــزعات القبلية كظاهرتين سياسيتين متجسدتين فى الحياة السياسية اليمنية المعاصرة، عـــلى شريحة محددة من المجتمع اليمنى . وقد احتاج مثل هذا الأمر إلى تزكية رمزين من رموز المعارضـــة ، هما الشيخ النعمان ، والقاضى الإريانى ، لكى يعلنا موافقتهما المبدئية على فكرة إلغـــاء منصب الإمامة كمنصب سياسى . " تلك هى النتيجة المحتومة المنتظرة لمضاعفات خطر الإمامة واحتفاظ السلالات الهاشمية بالتميز على الشعب . أما لو أن العائلات الهاشمية الكريمة فطـــنت إلى هذه الحقائق ، وتنبهت لدرء هذا الخطر ، وتزعم أحرارها مقاومة الفكرة الإمامية والمناداة بالجمهورية ، وإتاحة الفرصة المتساوية لكل أبناء الشعب كى يشتركوا فى حق الحكم ، فإنها بذلك تنقذ وحدة الوطن ، وتوفر على البلاد كثيراً من الويلات . " (٣٦)

أصبحت " المشكلة اليمنية " إذن خلال عقد الخمسينيات وبداية عقد الستينيات ، تدور حـــول كيفية الخلاص من النظام الامامى فى شمال اليمن ، باعتباره حجرة عثرة فى طريق تحرير الـــبلاد من نير الاحتلال البريطانى فى شطره الجنوبى ، والحيلولة دون قيام وحدته السياسية . وسنتوسع فى شرح إشكالية حركة المعارضة الوطنية ضد النظام الامامى من خلال التطرق إلى بعـــض كتابات الزبيرى المتأخرة ، التى ناقش فيها الدروس المستفادة من أخطاء تجربة الحكومة الدستورية، مع تضمين ملاحظاته النقدية حول أسلوب العمل السياسى ونظم الحكم فى اليمن الامـــامى ؛ وأثـــره على البناء السياسى والاجتماعى والقاعدة الثورية فى العهد الجمهورى .

ولا يستبعد أن يكون الزبيرى قد استلهم بعض هذه الأفكار الإصلاحية من تجربة جمهورية باكستان الإسلامية ، وتجربة جماعة الأخوان المسلمين فى مصر العربية قبل وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، وبلورتها فى الساحة اليمنية وفق تصوره الخاص بالقضية اليمنية .[٣٧]

لاحظنا كيف أن الأزمات السياسية وتعدد مصادرها فى البلاد خلال الثلث الثانى من القرن العشرين - ١٩٣٤-١٩٦٢- حول مسألة تحقيق مشروع اليمن الطبيعى ، وحول مسألة ولاية العهد ، ومطالبة المعارضة بنظام تمثيلى نيابى . ونستطيع أن نميز بين توجهين فكريين رئيسيين فى الفكر السياسى اليمنى المعاصر : الاتجاه الأول ، المنضوى تحت مظلة الاتحاد اليمني، ويمثله القاضى محمد الزبيرى والشيخ أحمد نعمان ، والشيخ عبد الله الحكيمي.[٣٨] وهذا اصطلاح سياسى جديد ادخله الأحرار اليمنيون ليميزوا بين عالم الحاضر " اليمن الجديد " وعالم الماضى " اليمن القديم " . ونجد أن الدعوة لتأسيس الاتحاد اليمني، لقيت فى بادئ الأمر استجابة واسعة لدى الجماهير اليمنية التى انخرطت فى صفوفه، وأعلنت قيادة الاتحاد بدورها مناشدات عديدة ملموسة للمثقفين والتجار والطلبة والعمال المغتربين خارج حدود المملكة المتوكلية اليمانية ؛ وكان الهدف من وراء ذلك الاستمرار فى حشد صفوف المعارضة ، والالتفاف حول قيادتها الوطنية المطالبة بإقامة حكم دستورى - شوروى -، وحكومة مسئولة أمام نواب الشعب وليس الملك (إمام اليمن) .[٣٩]

ولكن الخلاف ما لبث أن دب بين قيادة الاتحاد وأغلبية قواعده ، وفى مقدمتهم جناح بيت الوزير ، الذى كان يمثل التيار الزيدى المتمسك حرفياً بشعار الإمامة الدستورية . لكن زعامة الاتحاد اليمنى (الزبيرى والنعمان) ، حاولت المحافظة على نشاطاتها فى حدود الشرعية والعمل السياسى المؤطر والمرتبط ارتباطا كليا بالقاعدة العريضة من العمالة اليمنية المهاجرة . ومن اجل ذلك ألجم التيار الزيدى المحافظ ، الذى عارض بقوة فكرة التقارب السياسى بين الاتحاد اليمنى والقيادة المصرية وحصره فى إطارات محدودة ، واغلب الظن أن ارتباط فرع القاهرة بالقيادة العسكرية المصرية قد جرده للمبادرة والمرونة السياسية الضروريتين،كما أن الطابع الفردى الغالب على قيادة الاتحاد اليمنى ، قد يكون عاملا آخر فى ضعف نفوذه بين صفوف الطلبة المتأثرين بالأفكار القومية - بعثيين وناصريين وماركسيين .[٤٠]

أما الاتجاه الثانى ، ويتزعمه أقطاب أسرة الوزير (الاخوة عباس وزيد وإبراهيم) ، فهو اقل تأثيرا وشعبية فى الجماهير اليمنية ، إلا انه كان يمتلك رؤية سياسية واضحة المعالم؛ وبترجيح

اكبر كان تنظيمه السياسى حزب الشورى ، يدعو إلى التشكيك فى البرنامج السياسى للاتحاد اليمنى وقيادته التى اتهمت بالانحراف عن خط ومبادئ الحركة الدستورية، والارتماء فى أحضان القيادة المصرية ومخابراتها العسكرية . (٤١) وتأسيسا على ذلك ، قرر جناح آل الوزير الانسلاخ كـــليا عن تنظيم الاتحاد اليمنى ، ليعلن عن تأصيل الحركة الدستورية فى تنظيم سياسى عرف باسم حزب الشورى ، الذى كان ينتقل خطوة فى كل مكان على رمال متحركة . وكان معظم المنضـــوين تحت جمعيته اتحاد القوى الشعبية ، يشعرون أن دين الآباء ومعتقدات الأجداد يجب إعـــادة صياغتها وفق صيغ التعبير عن المشاعر النبيلة والمثل العليا لتراث معتزلة اليمن ، كما جســـدت فى نصـــوص الميثاق الوطنى المقدس لحركة ١٩٤٨ الدستورية بقيادة الإمام الهادى عبد الله الوزير . (٤٢)

كـــانت الســـلطات الإمامية قد لجأت إلى ترويج الإشاعة المضادة ، والتشكيك بزعامة الاتحاد اليمنى ومصداقيته ، فالزبيرى وجهت إليه تهمة الارتماء فى أحضان المخابرات المصرية ، وبالمـــثل وجهـــت لرفيقه النعمان تهمة العمالة لأمريكا . كما طالبت الحكومة اليمنية القيادة المصرية إيقاف الحملة الإعلانية الموجهة ضد الأسرة المالكة ، والحد من نشاط الاتحاد اليمنى فى القاهرة . (٤٣) وإزاء ذلك رفض الزبيرى والنعمان الانصياع لرغبة إمام اليمن ، وغادر بصورة مفاجأة القاهرة إلى عدن ، التى رفضت حكومتها ممثلة بالمندوب السامى البريطانى السماح لهما بالإقامة ، فاضطرا مجدداً العودة إلى القاهرة بعد تنصل الإمام أحمد عن معاهدة الوحدة مع مصر وسورية ، عندما قام بنظم قصيدة شعرية هاجم فيها تجربة الجمهورية العربية المتحدة . (٤٤)

ومهمـــا قيـــل عـــن الأخطـــاء الفادحة التى وقعت فيها زعامة الاتحاد اليمنى وتداعياتها السياســـية ، وبغض النظر عما يبدو عليه المجتمع اليمنى فى منتصف عقد الخمسينيات من تحول سياســـى واجتماعى عميق نحو الثورة والجمهورية ، فثمة وعى فى اللاشعور لدى اتباع حزب الشورى ، وأنصار مشروع دولة اليمن الإسلامية فى اليمن الجمهورى بالقيمة التاريخية للفكر الزيدى ، عملاً بقول الإمام الناصر أحمد :

ماذا يريدونها لا در درهم إن الخلافة لا يطوى لها علم (٤٥)

كانت هذه محطة مهمة فى حياة كثير من أحرار اليمن، المنضوين تحت مظلة الاتحاد اليمني، وعلى رأسهم القاضى الزبيري، الذين تفتحت أعينهم على حقائق جديدة مذهلة: الإمام أحمد بـــن يحـــى حميد الدين ينتهك مبادئ الكتاب والسنة ، وينصب نفسه ملكا على اليمن ، وابنه

محمد البدر ولياً للعهد دون العودة للمرجعية الدينية (أهل الحل العقد) ، إلا فى حالات استثنائية . وهذا القرار السياسى الخطير – إعداد البيعة الناجزة لولى العهد – ، ساهم فى تمريره عدد من أحرار اليمن (الشيخ احمد نعمان والقاضي عبد الرحمن الإرياني)، بهدف تعميق الهوة السياسية بين أعضاء الطبقة الحاكمة ، واجه فى نفس الوقت معارضة قوية من أعضاء الأسرة المالكة ، لا سيما الأمير الحسن الذى كان يتطلع بدوره لمركز الإمامة . (٤٦)

وفى تلك الفترة الحرجة من تاريخ اليمن المعاصر ، انطلقت أفواج الأحرار من سجن حجة إلى مدينة صنعاء وغيرها من المدن اليمنية والعربية (تعز وعدن وبور سودان والقاهرة)، لإعادة توحيد صفوف المعارضة الاتحاد اليمنى ، وحشد أقصى الإمكانيات من اجل التأييد والدعم اللازمين للقضية اليمنية ، لا سيما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو المصرية عام ١٩٥٢. (٤٧) وعبر مذياع صوت العرب من القاهرة ، وصحف المعارضة اليمنية الناشطة فى مستعمرة عدن ، وعلى وجه الخصوص صوت اليمن ، والفضول ، والسلام ، وفتاة الجزيرة ، أخذت قيادة الاتحاد اليمني، تندد بالأوضاع الفاسدة داخل اليمن ، وأخذت القضية اليمنية منذ ذلك الحين تحتل الصدارة فى الصحافة العربية . فى الوقت الذى كان صوت الزبيرى من إذاعة القاهرة يتضمن الدعوة لنهاية حكم بيت حميد الدين، والانتقال باليمن للحكم الشعبى ، الذى يتطلب إقامة حكم جمهورى عادل . (٤٨)

وكان الزبيرى أثناء إقامته الطويلة بالقاهرة ، يشارك كتاب مصر وأدباءها فى عواطفهم وآمالهم ، لا نجد فرقا بينه وبين أى كاتب مصرى ، يشاركهم فى أمانيهم الوطنية والسياسية والاجتماعية ، ويحسن التعبير عن رغبات الجماهير من أبناء الأمة العربية والإسلامية . لم يز وسيلة لتحقيق أغراضه الإصلاحية ومحاربة الفساد والمفسدين وحفز الأمة اليمنية إلى اليقظة والتنبه ، ارشد سبيلا ، من العمل السياسى المنظم ، حيث كتب فى جملة من الجرائد المصرية الأدبية والسياسية (الصداقة) (الأخبار) (الجمهورية) و(روز اليوسف) ، فكانت شهرته فى الآفاق ، باعتباره ضمير اليمن الثقافى . (٤٩) وهكذا فإن التعريف بالقضية اليمنية ، كان يجرى فى صحف المعارضة فى الداخل وفى الصحافة العربية، كان النقاش قائماً حول الكيفية التى يمكن بها إخراج اليمن من عزلته السياسية التى فرضها الأئمة الحكام ، ومن ثم ربطه بحضارة العصر الحديث .

كـانت المعارضـة تطالب بإنهاء النظام الملكي واقتلاعه من الجذور ، معتمدة على دعم القيـادة المصرية لها ، وعلى سياسة كشف فضائح الأسرة المالكة بالوثائق والمستندات . (٥٠) فاكتسبت زعامتها شعبية واسعة فى أوساط الجماهير اليمنية . وكان اليمن فى الوقت الذى بدأ فيـه الزبيرى ينظر للمعارضة السياسية الملتفة حول تنظيمه الجديد الاتحاد اليمنى ، قد نفخ فى الناس روح التمرد على الأوضاع القائمة فى البلاد . كما راح أحرار اليمن يتحدثون عن أفكار ومصطلحات جديدة لا عهد لهم بها ، نستشف ذلك مما كتبه الشيخ أحمد محمد نعمان فى إحدى إصداراته المعنونة (انهيار الرجعية فى اليمن) . كتب ما يلى : " لما كان الأحرار الدستوريون فى الـيمن لا يؤمـنون إلا بسيادة الشعب، وبالوحدة الوطنية، ولا يقرون فرقة مذهبية، أو قبلية أو سلالية ، ولا يعترفون بامتياز لأحد من أبناء الشعب على أحد. ويرون أن اليمن ومصلحتها فـوق كـل مذهب وسلالة ، فلا زيدية ولا شافعية ، ولا هاشمية، ولا قحطانية ، ولا شمال ، ولا جنوب . فقد أطلقوا شعارهم الدستورى الاتحادى المجيد : الله اكبر والوطن فوق الجميع ولا حكم إلا للشعب . " (٥١)

ومن هنا، فإن أية مقارنة لإنتاج القاضى الزبيرى مع غيره من الأعمال الأدبية والسياسية، لا سـيما روايته التاريخية (مأساة واق الواق) ، يجب ألا تخرج عن إطار الكشف عن التطوير الـنظرى الـذى أحدثه فى معالجته لنظام الحكم فى اليمن . إن اللبس الموجود فى الدين كما جسدته المؤسسة الإمامية الزيدية ، أنه فى آن نتاج التاريخ ووعى للمطلق مستمر وحاضره فى الحياة السياسية والثقافية فى اليمن الإسلامى والحديث . لكن هذه التجربة بسلبياتها وإيجابياتها كـانت فى حاجـة إلى مـراجعة عامـة أعطاها المؤلف جل اهتمامه. ولكى نقترب اكثر من أطروحات بحثه الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، لا بد لنا من الرجوع إلى نصوصه . ومن خـلال هـذه النصـوص نكشف عن غايته من تأليفه ، وذلك بهدف التعرف على الجديد فى مباحث الكتاب .

يقـول الزبيرى فى ديباجة (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) ، أن الدافع من وراء تأليفه " تحرير العقول من العبودية الاجتماعية الكامنة فى بعض التقاليد الرجعية والفوارق التى تميـز بين طبقات الشعب وفئاته تمييزا لا يقوم على أساس من المنطق أو الحق . " (٥٢) ونستدل من عباراته العامة انه أراد أن يجمع فى كتابه حصيلة ما وجده أثناء الدراسة لتراث معتزلة اليمن فى المذهب الزيدى . والكتاب يناقش نحو (٤٠ مسألة) مهمة تتعلق بصورة مباشرة بنظام الحكم فى اليمن الإسلامى والحديث ، بهدف كشف الممارسات الخاطئة للائمة الحكام ومدى انحرافهم

عـــن مذهـــب الإمـــام زيد بن على زين العابدين(ت٧٣٩ م / ١٢٢هـــ) كرم الله وجهه . ويكشف المؤلف عن ميله إلى الإفصاح المباشر لكل مسألة مبتعدا قدر الإمكـــان عن التطويل والإطناب ، إذ أن عدد صفحات كتيبه لا تتعدى (٣٠ صفحة) .

والمـــنهج الـــذى يعتمده فى التأليف يقوم على ربط كل مسألة بالأخرى ، ثم إردافها إما بالأحكام وإما بالنقض ، وذكر الاعتراضات – على شكل عناوين جانبية.وحرصه على كشف مـــثالب أئمة بيت حميد الدين ، لم يمنعه من التحامل على كافة أئمة المذهب الزيدى الهادوى ، ونقض أقوال الأئمة المجتهدين أمثال الإمام الهادى إلى الحق يحى بن الحسين الرسى (ت ٩١١م / ٢٩٨هـــ) . (٥٣) والجدير بالذكر هنا أن الزبيرى قد تناول المذهب الزيدى باعتباره مذهب دخيل على فقه المذاهب الأربعة ؛ وهذا القول يفتقر إلى عمق التحليل العلمى مادة ومنهجاً .

فى هذا الصدد ، لعله من المفيد إثبات رأى القاضى الزبيرى أن الأئمة العلويين الوافدين إلى اليمن من شمال الجزيرة العربية لاسترداد حق آل البيت فى الخلافة ، سلكوا طريق المعارضة، ظـــناً منهم بمقدورهم تحطيم تلك " .. القوالب الحديدية التى صب فيها الأئمة الأربعة قواعد الفقـــه والتشريع والأصول الإسلامية ، وأغلقوا بعدها باب الاجتهاد . فمن هنا قامت النظرية الثورية الإمامية ، وهى فتح باب الاجتهاد لتدخل منه أول مذهب خامس ، وهو مذهب الهادى المسمى بالزيدى ، وليتسنى له إن يقحم على أصول الدين – نظرية سياسية لا يعترف بها الأئمة الآخرون . وهى أن الخلافة لا يجوز أن تكون إلا فى العلويين من أبناء فاطمة ، كما يأتى بنظرية سياسية دينية أخطر وهى وجوب الخروج على الظلمة ، وذلك ليتأتى له أن يثور على الخلفاء ويؤسس دونهم دولة وخلافة للعلويين من آل البيت . " (٥٤)

فى هـــذا الـــنص ، يصل المؤلف إلى تحديد الأسباب الموضوعية التى جعلت أئمة المذهب الزيدى يتجاوزوا الأطر الفقهية المتعارف عليها ، خارج نطاق المنظومة الفقهية الشيعية . ولكن بعـــد أن تبين له أن الفريقين – السنة والشيعة – ليسا على المنهج القويم ، عندما اقدم فقهاء المذاهب الأربعة بقفل باب الاجتهاد تحت ضغوط سطوة السلطة السياسية (العباسية والأموية) القاهرة ، اضطرت المعارضة العلوية مجدداً إلى إعادة فتح باب الاجتهاد . ويحدد الزبيرى معنى الاجتهاد والتقليد فى باب (الإمامة والاجتهاد) ، ويربطه بعنوان وثيق الصلة (الهدف المقصود مـــن حرية الاجتهاد)، أو (الاجتهاد الذى استفادت منه الإمامة سياسياً). عندما تمكن الإمام الهـــادى يحـــيى بن الحسين الرسى ، تأسيس أول دولة زيدية فى اليمن ، يقول الزبيرى إن " ..

الهـــدف الرئيسى للمضطهدين الطامحين من العلويين هو استرداد حق العلويين فى الخلافة.هذا الهـــدف هـــو الـــذى فتح باب الاجتهاد أولاً ، وخلق نظرية الخروج على الظلمة ، ثم نظرية الهـــدف نفسه – وهى اختصاص العلويين بحق الخلافة . " (٥٥)

من الواضح أن المذهب الزيدى ، يشكل المنطلق والأساس فى بحث الزبيرى حول الإمامة وخطرها على وحدة اليمن . فهو ينطلق أساساً من وحى كتابات وأفكار التيار الزيدى المتفتح على أهل السنة والجماعة مسقطاً ما لم يجده مناسباً ، ومضيفاً ما يخدم فكرة بحثه . ففى كلامه تأكيدٌ على عقلانية الدعوة الزيدية ونظرية الإمامة ، وعلى دورها الثورى النظرى فى إعادة فتح باب الاجتهاد . لكنه يعترض بقوة على إقحام الإمام الهادى يحيى بن الحسين نظريـــة " تثبيت الإمامة فى آل البيت " ، بدلاً من النظرية السابقة " الأئمة من قريش " المتعارف عليها بين فقهاء الجمهـــور. (٥٦) فقد بدأ القاضى فى اكتشاف ما أصبح على الفور النغمة الأدبية والفقهية – الأســـاس فى الـــيمن المعاصر، إنها نغمة تحليل الذات.(٥٧) فالتوسع فى التعليق والنقد للنظرية الإمامية – الزيدية الهادوية – توصل المؤلف إلى هدفه .

لم يكتف الزبيرى بكشف تهـــافت فكر الزيدية فى اليمن ، ونعته بـــ (المذهب الخامس) ، بل اعتبر أئمتهم المؤسسين والمخرجين أنهم "دعاة الفكرة الإمامية يعملون فى أوساط القبائل فى اتجـــاه عكســـىْ ينشـــرون عقيدة التقديس والتأليه لمنصب الإمام ، كل ما يحيط بهذه العقيدة الأساسية من نظريات تابعة لها تخدم كلها عرش الأئمة ، وتصنع لهم من عناصر القبائل قاعدة شعبية متعصبة جاهلة تلغى كل قيمة لحرية الاجتهاد وتخمد أنفاس العلماء الأحرار " (٥٨) هكذا يعتبر الزبيرى المذهب الزيدى أو الهادوى – مذهباً سياسياً يتوشح بعباءة الدين من أجل مطامح دنيويـــة ، بحســـب مقتضـــيات الظـــروف وتقلبات الأوضاع السياسية فى اليمن الإسلامى والحديث .

لقد شغلت الإمامة والسياسة القسم الأكبر من مباحثه ، حتى جاء الكتيب أشبه بمنشور سياســـى مـــن منشورات تنظيم الاتحاد اليمنى ، يحرض الناس بالخروج على حكم بيت حميد الدين . وهذا أمر كان علماء اليمن المجتهدون أمثال محمد بن إبراهيم الوزير (ت ١٤٣٦م / ٨٤٠هـــ) ، والحسن بن أحمد الجلال (١٦٧٣ م / ١٠٨٤ هـــ) ، وصالح بن مهدى المقبلى (ت ١٦٩٦م / ١١٠٨هـــ) ، ومحمد بن إسماعيل الأمير (ت ١٧٦٨م / ١١٨٢هـــ) ، قد أشاروا إليه فى عدد من مؤلفاتهم العلمية القيمة ، وعددوا أسباب وجوب الثورة والخروج ،

خصوصاً الحسن الجلال الذى حدد موقفه فى فتواه المعارضة (براءة الذمة فى نصيحة الأئمة)، الــتى عارض فيها واحد من أعتى أئمة آل القاسم ، الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بــن محمد . كانت هذه الرسائل الفقهية تمثل منتهى الآراء المتطرفة بين منتسبى التيار الزيدى المتفتح على أهل السنة والجماعة، الذى أخذ معتنقوه يطالبوا بإعادة فتح باب الاجتهاد، ونبذ الجمود والتقليد.(٥٩)

ولعل الجديد البارز فى عمل الزبيرى ، ما يورد فى مقدمة بحثه فى الأمور المتعلقة بالوحدة الوطــنية ، ونبذ الفرقة المذهبية ؛ وكل النــزعات المريضة – الطائفية ، والقبلية والمناطقية ، وتقصيه لمثل هذه الظواهر من خلال مجمل ما كتب عنها علماء اليمن المجتهدون ، وعلى رأسهم شــيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى (ت ١٨٣٤م / ١٢٥٠هـ) . ويبقى هذا الموضوع " الوحدة الوطنية " ، هو الأهم فى المؤلف ، وفيه يتوصل الزبيرى من خلال مناقشته لحصيلة ما قدمه –التيار الزيدى المتفتح على أهل السنة، أو بتعبير أدق رواد حركة الإصلاح والتجديد فى الــيمن الحديــث – إلى صوغ مفاهيم جديدة لحكم الشورى والدستور ؛ والبحث عن هذه الأصــول فى الكتاب والسنة . فالخطوط الفكرية التى طغت على نثره السياسى ، فى كلٍ من بحــثى الإمامة ومأساة واق الواق، تشكل التطورات المنطقية لأطروحاته الإصلاحية الكامنة فى الإعلان عن حتمية قيام الحكم الشعبى – الجمهورى – فى اليمن .

تأكيداً لهذه الحقائق ، نسوق ما يقوله الزبيرى حول ميل بعض أهل صنعاء فى اقتناء كتب السنة ، وعملية حظر تداول مثل هذه المؤلفات فى وسط عهد الدولة القاسمية ، وهو يستشهد فى قــوله بشــهادة شيخ الإسلام الشوكانى : " استشهد الشوكانى بفتنة محزنة من هذا النوع نشبت فيها معركة دامية بين بعض القبائل وبين سكان صنعاء ،لأن دعاة الفتنه يدفعون القبائل إلى الــتحرش بــأهل صنعاء وإلى إرهابهم حتى لا يجرؤ أحد منهم على مخالفة آل البيت . هذه عيــنات مــن تــاريخ اليمن ، وهى ذات دلاله بالغة تدعم الرأى الذى نراه ، وهى أن حرية الاجــتهاد إنما كانت صورة موجهة أو محصورة فى نطاق ضيق ، وأن أهداف الإمامة السياسية أهداف مصونة لا تجرؤ على المساس بها حرية الاجتهاد المزعومة . " (٦٠)

بغــض الــنظر عن صحة الحكم السابق – قفل باب الاجتهاد – اعنى به حكم القاضى الزبيرى ، المبنى برأينا على تعميم أكيد ، فإننا نميل إلى الاعتقاد بأنه لم يطرح هذه المسألة على بســاط البحث كموضوع قائم بذاته . بمعنى أن المؤلف لم يعالج هذه المسألة معالجة مستقلة فى

بحــثه الإمامـــة وخطـــرها على وحدة اليمن . وعلى ما يبدو أن المؤلف كان يصف فى كتابه الأوضاع المتردية فى مرحلة المملكة المتوكلية اليمانية ، عندما تحولت المؤسسة الإمامية إلى ملك عضـــوض . فالانســـجام بين الدعوة الزيدية والدولة الهادوية ، سواء فى مرحلة الدعوة أو فى مرحـــلة الخروج ، كانا يجسدا عمق التجربة فى صدر الإسلام ، وتداعياتها السياسية فى العصر الحديـــث ، عندما تحولت الإمامة بالفعل إلى ملك عضوض . (٦١) ولكن القاضى لا يسترجع الفترة الزمنية بحد ذاتها (دولة الهادى وفكره) ، بقدر ما يسترجع البنية السياسية والاجتماعية التى تولدت منها تلك التجربة على ماضى اليمن وحاضره ومستقبله . (٦٢)

إن الـــزبيرى بـــتأكيده وإصـــراره على هذه الإشكالية – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – ، لا يدعو إلى قيام فئة من الناس لتحل محل النخبة العلوية الحاكمة صراحة ، وإن كان هذا التأكيد فى جانب كبير منه مبنياً على التذكير بضرورة تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخلاصته حكم الشورى . بل إننا نقول إن الأمر ليس تذكير وحسب ، بقدر ما هو إحلال مقولة سياسية " الأئمة من قريش " محل " تثبيت الإمامة فى آل البيت". بدون ذلك يـــرى المؤلـــف أن المشكلة اليمنية ستظل قائمة : " تلك هى مشكلة المستقبل الكبرى ستدور عـــليها معـــارك المستقبل وأحداثه ، وستنبعث منها مشاكل كثيرة أخرى ، وستستغلها القوى العربية والدولية شئنا ذلك أم لم نشأ ، وستتعرض اليمن بسببها لأخطار لا نهاية لها . " (٦٣)

إن الفهـــم الكـــامل لأسلوب حياة الزبيرى فى الأربعين سنة من عمرة ، وهى مضمون سيرته الأدبية والسياسية تجعل أحداث الفترة الأخيرة من عمره (١٩٦٢–١٩٦٥) أكثر فى الإثارة مما تبدو عليه. وعندما أصبحت الحياة التى عاشها فى القاهرة (١٩٥٢–١٩٦٢) حقيقة سياســـية وثقافيـــة واقعة ليست بالنسبة له فقط، بل بالنسبة للعشرات من زعماء المعارضة فى الوطـــن العـــربي، الذيـــن كـــانوا يتطلعون إلى بناء المجتمع العربى الحديث ضد امتياز الفضل والشـــرف . هكذا كانت تمتزج ملامح عالم الدين المتنور بملامح رجل الثورة ، وهما معاً على تضاد دائم مع القوى الرجعية العربية ، وفى مقدمتها إمام اليمن .

شـــهد اليمن خلال عقد الخمسينيات ، حملة التجديد التى قادها ولى العهد الأمير محمد البدر، الذى حاول الاقتراب كثيراً من القاهرة . وبالرغم من كراهية القيادة المصرية لشخص الإمام أحمد ، فقد حرصت على تقديم المعونة الفنية لحكومته ، حيث أخذت تتقاطر إلى البلاد بعـــثات مدنيـــة وعسكرية ساهمت فى تحديث مؤسسات الدولة ، حرصاً منها على تهيئة المناخ

الملائم للإعداد للثورة وتنفيذها . واقترح السفير المصرى فى صنعاء (أحمد شكرى)، أن تمد مصـــر يدها لدعم تنظيم الضباط الأحرار، حتى تستطيع جذب عناصره لجانبها، وإبعادها عن القيادات المدنية ذات الماضى المرتبط بالمؤسسة الإمامية ، وكانت القيادة المصرية تخشى تكرار ما حدث فى اليمن عام ١٩٥٥. [٦٤] وعلى قاعدة – مصر الدولة ومصر الثورة – رفضت القاهــرة مـــد يد العون إلى القيادات التاريخية لحركة ١٩٤٨ ، مالم تتخل كلية عن مخططاتها القديمة – تحديداً نظرية " حطم صنماً وأنصب صنماً " ، أى إبدال إمام بإمام آخر .

لقـــد كـــــان للاتحـــاد اليمنى دوره الفاعل فى بعث حركة المعارضة من تحت الرماد ، فى الداخل والخارج. ورغم كل محاولات السلطة الحاكمة فى احتواء قيادته ، أو الوقيعة بينها، إلا أنهـــا لم تفلح . تلك المحاولات أدت إلى مزيد من اللحمة والتماسك ، فكان أحد العوامل المؤديـــة إلى تقوية معسكر الثورة ، وزلزلة النظام الإمامى . أما الطبقة الحاكمة فقد انتابها حالة من التشرذم والانقسام ، وانعدام الثقة بين أعضائها الذين باتوا يشعرون بقرب موعد الثورة .

تلك كانت أولى الخطوات الواعية فى طريق الثورة اليمنية؛ خطوات سيطرت على فكر الـــزبيرى تدريجياً ، عندما بدأ فى اكتشاف الزيف والإدعاء وضيق الأفق المسيطر على الطبقة الإماميـــة الحاكمة . وأخيراً أعلن فى عام ١٩٦١من القاهرة . " وأن من الخطأ الكبير والمنطق المقلوب أن يظن بالذين ينادون بالحكم الشعبى أنهم يثيرون عصبية عنصرية – فالواقع أنهم على العكـــس من ذلك ينادون بوحدة الشعب الوحدة الصحيحة السليمة التى تستند إلى ضمانات بقائها فى المستقبل دون عواصف. " [٦٥]

كـــان هذا الخطاب السياسى وغيره قد جعل الدكتور عبد الرحمن البيضانى ، يعلن عبر مذياع صوت العرب من القاهرة بنبرة عاطفية معلقاً أن اليمن ماضٍ فى طريقه إلى الجمهورية ، وأن الثورة العربية سكنت فى قلوب الناس وعقولهم – بدأت منذ أن أفرغ الملازمان محمد عبد الله العـــلفى وعـــبد الله الـــلقية رصاص مسدسيهما فى جسد الإمام احمد ، فى مارس من عام ١٩٦١. [٦٦] ومن الثابت لدينا أن فكرة العنف السياسى لم تكن واردة فى برنامج المعارضة ، كما يتضح ذلك فى أدبياتها السياسية ولا سيما الميثاق الوطنى المقدس لحركة ١٩٤٨ ، وبرنامج مطالب الشعب (١٩٥٦) ؛ فكليهما طرح تصور خاص لمفهوم الحكم التمثيلى الذى تطور فى مرحلة الاتحاد اليمنى إلى مفهوم الحكم الشعبى . وقيل إن الشيخ حميد بن حسين الأحمر كان قـــد رفـــع شـــعار الجمهوريـــة ، عندما أعلنت قبيلة حاشد تمردها ضد حكم الإمام أحمد ،

ودفــع الشـــيخ الشـــاب ووالـــده الشيخ حسين الأحمر ثمن ذلك رأسيهما فى سبيل القضية الجمهورية . (٦٧) وبعد هذه الحادثة – تمرد حاشد – وغيرها – تمرد خولان –، جاءت محاولة سعيد حسن فارع الملقب بـــ (إبليس) لاغتيال الإمام أحمد فى منتزه السخنة بالقرب من مدينة الحديـــدة عـــام ١٩٦٠ ؛ ومن ثم تعالت الأصوات المنادية بقيام الجمهورية قبل أن يعلن عن مولدها بعامين أو ثلاثة . (٦٨)

وهكذا كان بحث الإمامة للزبيرى ، أقرب ما يكون لدراسة سياسية مقعرة لمذهب الإمام الهادى فى عهد بيت حميد الدين ، قد تلقفته الأيدى داخل اليمن وخارجها، وفى سطور صفحاته تحـــامل المؤلـــف بقوة على النظام الإمامى – الملكى .كانت اهتماماته فى الأساس منصبة على تجريد حكومة الإمام أحمد من مقوماتها السياسية والثقافية وامتيازاتها الاجتماعية والدينية القائمة عـــلى مـــبدأ الفضل والشرف . وهى نفس الاتجاهات الثانوية التى نلمسها فى تراث الدعوة الشـــوكانية المعروفة بميلها الشديد لمذهب السلف . وينبغى ملاحظة أن القاضى الزبيرى يحمل بالقيـــاس إلى شـــيخ الإســـلام الشـــوكانى مؤثـــرات سياسية مكتسبة – من أفكار الجامعة الإســـلامية وجماعة الإخوان المسلمين –، لم تكن قد مارست تأثيراً ثقافياً فى وسط عهد الدولة القاسمية . (٦٩) فالزيدية الهادوية كدعوة دينية – سياسية ، كانت قد بسطت نفوذها السياسى والـــثقافى فى مرحـــلة – المملكة المتوكلية اليمانية، وهذا أمر غير مقبول بالنسبة للتيار الزيدى المتفتح على أهل السنة والجماعة، الذى يتزعمه الزبيرى بصفته عضواً فعالاً فى حركة الأحرار اليمنيين . (٧٠)

لقـــد أراد الزبيرى هو وأقرانه من علماء المعارضة المشاركة فى السلطة والثروة ، لكنهم لم يرغبوا فى التخلى عن قيمهم وتقاليدهم المكتسبة ، ربما كانت المعضلة الكبرى فى مجال تحقيق الـــذات . وقد توصل الكثير من أقطاب المعارضة إلى الاستنتاج بأن الدين يستغل بما فى ذلك لأهداف سياسية ، لكن النبض المذهبى كان عميقاً جداً ، بحيث أنه لم يكن سهلاً لأى منهم أن يتخـــلى عن معتقده السياسى ، كما هو الحال مع القاضى الزبيرى – الذى كتب يقول: " قد يقال أو يتـــبادر إلى الأذهـــان لأول وهلة أن إلغاء الإمـــامة المذهبية إنما يكون على حساب الهـــاشميين وضد مصلحتهم ، ولكن هذا رأى خاطئ ، فما من خطر يهدد الهاشميين فى الحاضر والمســـتقبل كخطـــر الإمامة . فكل إمام ينهض فى عائلة هاشمية واحدة ويلوح له أن خصومه ومنافسيه إنما هم الرجال البارزون فى العائلات الهاشمية الأخرى فيتجه أول ما يتجه إلى التخلص مـــنهم قبل غيرهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الشعب كله يشعر أن العائلات الهاشمية

كلها طبقة متعالية متميزة عن الشعب منفصلة عنه كأنها ليست من الشعب فى شيء .. وباعثاً على نفور الشـــعب منها وتعصبه ضدها ووصمه إياها بالرجعية . " (٧١)

تحت تأثير المؤرخ أبي الحسن الهمدانى (ت ٣٤٤هـــ / ٩٥٧م) ، والألسنى نشوان بن ســعيد الحميرى (ت ٥٧٣هـــ / ١١٧٢م) ، وغيرهما من فقهاء القرن التاسع عشر، ركز الزبيرى وأقرانه من الفقهاء القحطانيين المنخرطين فى حركة المعارضة المناهضة لحكم بيت حميد الدين ، على تشكيل ملامح الهوية السياسية – الذات اليمنية – . (٧٢) لم يكن هذا الإحساس بـــالواقع المريـــر غريـــباً عنه، كما أوضح ذلك فى خاتمة بحثه تحت عنوان (ثورة مصر ليست عنصـــرية) ، وهو يقارن ذلك الحدث التاريخي – بثورة الإمام الهادى على الخلافة العباسية فى بغـــداد قبل عشرة قرون من الزمن. وفى الصفحة الأخيرة يصف حادثة قيام ثورة (٢٣) يوليو عـــام ١٩٥٢ ، وإعـــلان قيام الجمهورية معلقاً عليها بالقول : " إن ثورة مصر ليست ثورة عنصرية لأن شعب مصر أبعد الشعوب قاطبة عن عصبية العرق ، ومع ذلك فإنها أنكرت أول ما أنكرت أن توجد فى مصر طبقة مميزة على الشعب كالباشوات والإقطاعيين . وحينما نفذت برامجها لم تلغ وجود الباشاوات كمصريين وإنما ألغت الفوارق والامتيازات التى كانت ترفعهم فوق مستوى الشعب. وفى ظن كل عربى أن الثورة أحسنت إلى مستقبل هؤلاء وجنبتهم أحقاد الشعب . " (٧٣)

ونختم مع هذا النص فصلاً يصلح أن يكون فى الأساس مدخلاً للدراسة بمجملها . وننتقل الآن بالقارئ إلى عرض وتحليل منهج الزبيرى فى الإصلاح السياسى فى العهد الجمهورى ، من أجل بلوغ الغاية التى سعى إلى تحقيقها ألا وهى اليقين الثورى ، وذلك على ضوء تجربة برنامج حزب الله فى العهد الثورى الجديد ، أى فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية .

هوامش الفصل الثانى

(١) انظـر العـرض العام للثورات القبلية فى الفصل الثانى من دراستنا : القوى الاجتماعية والسياسية لحركة المعارضة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٢٦ وما بعدها

(٢) تمثل هذا الانحراف عن العقيدة الزيدية الهادوية فى تلك المحاولة البائسة التى أقدم عليها الإمام يحيى ، عندما لوح بإعداد بيعة ناجزه لولده السيف أحمد الذى لقب رسمياً بولى العهد وهذا الإجراء - البيعة - ، لقى معارضة شديدة من قبل العلماء ، وفى مقدمتهم آل شرف الدين وآل الوزير ، مما دفع بهم إلى اتهام الإمام يحيى بتحويل وظيفة الإمام إلى منصب وراثى . حول ملابسات هذا الحدث التاريخى ، انظر الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٧١ ، وتعليق أحد المراقبين السياسيين البريطانيين:

Ingrams. The Yemen Imams, p. 71.

(٣) قيـل إن هذا العمل المخطوط قام بنشره كل من أحمد محمد نعمان وقاسم غالب أحمد دون موافقة مسبقة منه ، وقد أصيب الزبيرى بحالة من الدهشة عندما تسلم أول نسخة منه مطبوعة، فأردف قائلاً مخاطباً رفيق عمره الشيخ أحمد نعمان كيف تجرؤ على طباعته يا أخى دون موافقتى ؟ فأجاب النعمان : سبق السيف العـذل .. لقـد وجدناه تحت فراشك مكتوباً بخط يدك، فاستحسنا طباعته للفائدة العامة . من إجابات الشيخ أحمد محمد نعمان ، سبق ذكره ، وراجع أيضاً الزبيرى الإمامة وخطرها ، سبق ذكره ، ص ٣ .

(٤) بهـذا الخصوص انظر محمد أبو زهرة : الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، ص ١٩٠ - ١٩١ ، وأحمد شرف الدين . تاريخ الفكر الإسلامى فى اليمن ، ص ١٦٣ ، وأحمد محمود صبحى : فى علم الكلام الزيدية ، سبق ذكره ، ج٣ ، ص ١٤٦ ، وعارف تامر : الإمامة فى الإسلام ، ص ٩١.

(٥) من إجابات على ناصر العنسى ، سبق ذكره .

(٦) الزبيرى : ثورة الشعر ، سبق ذكره ، ص ٢٦ .

(٧) مقالـة عـبد الودود سيف: "الأنة الأولى وبذور المعارضة اليمنية ". اليمن الجديد -صنعاء، العدد (٧)، السنة الرابعة عشر، أكتوبر ١٩٨٥، ص ٣٣.

(٨) انظـر كلٌ من نجيب أبو عز الدين : عشرون عاماً فى خدمة اليمن ، ص ٨٢ ، وسالم : البريد الأدبى حلقة مفقودة من حركة التنوير فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٧٢

(٩) رياض القرشى : شعر الزبيرى بين النقد الأدبى وأوهام التكريم ، ص ١٢١.

(١٠) انظـر كـلٌ من إسماعيل الأكوع : هجر العلم ومعاقله فى اليمن ، ج٢ ، ص ٨٣٢ ، والشامى : رياح التغيير ، سبق ذكره ، ص١٢١ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .

(١٢) يشير القرشي إلى أن كثير من الدارسين والباحثين اليمنيين ، قد تفادوا الإشارة لقصائد الزبيرى الشعرية المادحـــة لولى العهد . اعتقاداً منهم أن ذكر مثل هذه القصائد فى أبحاثهم ودراساتهم قد تنتقص من شأنه ، والحقيقـــة ان الشـــاعر نفسه قد اعتبرها وثائق أدبية سياسية تدين النظام الإمامى انظر القرشى : شعر الزبيرى . سبق ذكره . ص ٥٥

(١٣) الزبيرى ثورة الشعر . سبق ذكره . ص٣٣

(١٤) المصدر نفسه . ص٣٧

(١٥) المصدر نفسه ، ص١٣-١٤

(١٦) المصدر نفسه ، ص٢٤

(١٧) المصدر نفسه ، ص٢٩

(١٨) المصدر نفسه

(١٩) يجـــب الإشـــارة هـــنا إلى المضمون السياسى لقصـيدة الزبيرى ((خرجنا من السجن شم الأنوف)) ، والتحليل العام لهذا القصيدة كما يورده الشاعر عبد العزيز المقالح قائلاً . "لم يكن خروج الزبيرى الذى ســجله فى هده القصيدة خروجاً مكانياً فحسب ، لم يكن خروجاً زمانياً فحسب ، بل كان ذلك خروجاً مكانياً وزمانيا ونفسيا . وخروجا من دائرة الواقع الأليم الذى يعيش شعب اليمن فى ظله مستسلماً لمشيئة الذات المتوكلية " المقالح . الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، سبق ذكره ، ص٦٩ والخروج من وجهة نظر الـزبيرى لم يكـــن خروجاً مكانياً وزمانياً ونفسياً ، وإنما خروجاً عقائدياً ، أى ثورة على الثورة ؛ أو كما يؤكد المقالح تلك الفكرة العقلية التى نشأت وترعرعت فى الفكر الزيدى فأعطته طابعاً ثورياً – " فهى تعنى فى الأســـاس الخروج على الحاكم الجائر والخروج حتى على المذهب نفسه " المقالح : قراءة فى فكر الزيدية والمعتزلة . ص٣٠-٣١

(٢٠) محسن أحمد العينى معارك ومؤمرات ضد قضية اليمن . ص ٥٨ – ٥٩

(٢١) أنظر

Majid Khadduri. " Coup and Counter- coup in the Yemen - 1948" International Affairs. Vol. XXVIII (March 1952): p. 64

(٢٢) الزبيرى . الإمامة . سبق ذكره ، ص ٦

(٢٣) انظـــر قائمة الشهداء الذين تم إعدامهم بحد السيف فى أعقاب سقوط الحكومة الدستورية فى منتصف مـــارس عـــام ١٩٤٨ ، وقائمة شهداء انقلاب ١٩٥٥ الفاشل فى كتاب السلال وآخرون : ثورة اليمن الدستورية ، سبق ذكره ، ص ١٤٣ وما تليها .

(٢٤) مركز الدراسات والبحوث اليمني : ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات ، ص ٤٨٦.

(٢٥) شحرة : مصرع الابتسامة ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦.

(٢٦) أحمد الرحومي وآخرون : أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، ص ١٠٤ ، وعبد الله جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، ص ١٣٢

(٢٧) العيني : معارك مؤامرات ضد اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٤

(٢٨) على محمد عبده : مسار الحركة الوطنية اليمنية ، ص ٧١

(٢٩) الزبيرى : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، سبق ذكره ، ص ٧ – ٨ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص٦ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص٦–٧ .

(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧ – ٢٨

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦ – ٢٧

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦

(٣٧) عبده : مسار الحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٧١

(٣٨) عبد الله على الحكيمي : دعوة الأحرار ، ص ٣١ .

(٣٩) الشماحي : اليمن الإنسان والحضارة ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦

(٤٠) عبد الرحمن طيب بعكر : النعمان ثمانون عاماً من حياة النعمان ، ص ١٣٤ .

(٤١) شحرة : " الشهيد الزبيرى والعمل الحزبى " ، سبق ذكره ، ص٤٤

(٤٢) هذا التحول السياسى المفاجئ فى عقيدة الأحرار اليمنيين يتضمن نقداً كاملاً للعمل السياسى خلال عقدى الأربعينيات والخمسينيات وعندما يضع زيد الوزير تحليلاً نظرياً لهذا التحول يقول . " فالاتحاد لم يشمل فرقيقين سياسيين فقط ، وإنما ضم مجموعات عقائدية من الصعب أن تؤلف بينهم مواقف سياسية محددة .. فقد تحطم الاتحاد اليمنى كتنظيم وتحطمت معه بعض الزعامات ، وظل الزبيرى واقفاً بشخصيته التى صاغها ربع قرن من النضال.وكانت تجربة فاشلة جعلت الزبيرى عندما أنشأ حزباً جديداً لا يفكر مطلقاً بإحياء ((الاتحاد اليمنى)) بل استعاض عنه ((بحزب الله)) . انظر الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٦.

(٤٣) من إجابات للشيخ أحمد محمد نعمان ، حررت فى جدة فى يوليو ١٩٨٤ .

(٤٤) المقالح : عبد الناصر واليمن فصول من تاريخ الثورة اليمنية ، ص ٣٣ .

(٤٥) شهد اليمن حالة من الجيشان الفكرى والغليان السياسى بفعل حركة الاتحاد اليمنى المحرضة للثورة ضد حكم بيت حميد الدين ، والدعوة إلى قيام النظام الجمهورى على أنقاض النظام الملكى (الإمامى) . وقد شهدت مدينة تعز موجة تذمر عام ، عندما كان الإمام أحمد فى رحلة علاجية إلى روما فى صيف عام ١٩٥٩ . وعلى إثر ذلك عاد إلى اليمن وألقى خطبة شهيرة ، اختتمها بهذا البيت من القصيدة ، التى دافع فيها عن المؤسسة الإمامية ، أى الخلافة الإسلامية . انظر الأكوع : هجر العلم ومعاقله ، سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٨٥٣ .

(٤٦) هناك اتجاهان فى تفسير نصرة بعض الأحرار اليمنيين للإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ضد أخيه سيف الإسلام الحسن ، فهل كانت عملية إعداد البيعة لولى العهد (الأمير محمد البدر) على يد القاضى عبد الرحمن الإريانى والشيخ أحمد محمد نعمان من باب دعوة تثبيت الإمامة فى آل البيت ، أم كانت وراءها عوامل ذاتية وموضوعية ، فتكون حينئذ تعبيراً عن الرأى الأخر الذى يذهب إلى القول بأن الهدف من وراء هذه الخطوة السياسية تفكيك عرى عصبية الطبقة الإمامية الحاكمة . بهذا الخصوص راجع كلٍّ من الشماحى : اليمن الإنسان والحضارة ، سبق ذكره ، ص٢٧٩ ، والشامى : رياح التغيير فى اليمن ، سبق ذكره ، ص٤٦٨ ، بالإضافة إلى وجهة نظر أحد المراقبين السياسيين حول الدور المزدوج لبعض أقطاب المعارضة فى كتاب :

Stookey. Op. cit. p.216.

(٤٧) المقالح : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٥ .

(٤٨) العينى : معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤٩) من إجابات القاضى عبد الرحمن الإريانى ، سبق ذكره .

(٥٠) العينى : معارك ومؤمرات ، سبق ذكره ، ص ١٦٢

(٥١) أحمد محمد نعمان : الهيار الرجعية فى اليمن ، ٤١

(٥٢) الزبيرى الإمامة ، سبق ذكره ، ص ٥٠ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ١٥

(٥٤) المصدر نفسه

(٥٥) المصدر نفسه ، ص ١٦

(٥٦) المصدر نفسه ، ص١٧ .

(٥٧) إسماعيل الأكوع : الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٥٨) الزبيرى : الأمامة ، سبق ذكره ، ص ١٧ .

(٥٩) يجــدر الإشــارة هـنا إلى أن أول الدارسين المهتمين بالفكر الزيدى أحمد محمود صبحى ، الذى أطلق المصطلح على نخبة من علماء اليمن المجتهدين ، لكنه أغفل ذكر رواد هذا الفكر ، لا سيما الحسن بن أحمد الجــلال صــاحب ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار ، وصالح بن المهدى المقبلى صاحب العلم الشــامخ فى تفضــيل الحق على الآباء والمشايخ . انظر كتاب صبحى فى علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية، فى أصول الدين (الزيدية ج ٣)، ص ٣٤٥ وما بعدها

(٦٠) الزبيرى : الإمامة . سبق ذكره ، ص ١٩

(٦١) قارن بين ما يقوله حسين بن أحمد العرشى فى كتاب بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، ص ٦٨ ، ومقالة المقالح · قراءة فى فكر الزيدية ، سبق ذكره حول هذه المسألة – الزيدية والسلطة ، ص ٣٢ – ٣٣ .

(٦٢) حسن خضيرى أحمد : قيام الدولة الزيدية فى اليمن ، ص ١٤١ .

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٦٤) انظــر كــلٌ من عبد الله جزيلان التاريخ السرى للثورة اليمنية ، ص ١٤١ – ١٤٢، وناجى على الأشــول : الجيش والحركة الوطنية فى اليمن ، ص ٢٠٢ وعبد الغنى مطهر يوم ولد اليمن مجده ، ص ١١٦ وما بعدها

(٦٥) الزبيرى : الإمامة وخطرها . سبق ذكره . ص ٢٨

(٦٦) نحيل القارئ إلى مذكرات تنظيم الضباط الأحرار المروية فى الدراسات التالية : أحمد الرحومى وآخرون: أســرار ووثائق الثورة اليمنية ، ص٤٧ ، وعبد الله جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، ص١٢٨ – ١٢٩ ، والأشــول الجيــش والحــركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص٢٠٣ ؛ فضلاً عن مذكرات الساسة اليمــنيين وثيقى الصلة بالتنظيم العسكرى كما وردت فى كتاب عبد الغنى مطهر · يوم ولد اليمن مجده ، ص١١١–١١٢ ، والبيضانى مصر وثورة اليمن ، سبق ذكره ص ٩٤

(٦٧) عبده : مسار الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٦

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ١٠٧

(٦٩) على المحافظة . الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨ –١٩١٤ ، ص٤٤ وما بعدها

(٧٠) أشواق أحمد غليس : التجديد فى فكر الإمامة عند الزيدية فى اليمن، ص ١٤١–١٤٢

(٧١) جــرت مناقشــة هذا الموضوع فى مقالة الزبيرى : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٥–٢٦ ، وفى سطور كتاب العينى : معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤٩ ، وتعقيب يحيى جغمان على قول المؤلف فى رسالته المحررة من دمشق تحت عنوان : العصابة التى تحكم اليمن، ص ١٧٢ وما بعدها – المصدر نفسه .

(٧٢) راجـــع ديوان الزبيرى (ص ٣٠٠) وبالذات قصيدته الميمية (صرخة إلى النائمين)، التى تصور هول الكارثـــة والـــرزية التى حلت باليمن أرضاً وشعباً ، وهو من هذا المنطلق ينعى الشعب أو الأمة على هذا النحو

أبناء قحطان عبيد بعـــدما ---- عبدهم الزعمـــاء والحكام

كانت سـيوفهم تؤدب كل ---- جبار بغير السيف ليس يقام

. كانوا الأباة وكانت الدنيا لهم ---- و الملك والرايات و الأعلام

(٧٣) الزبيرى الإمامة . سبق ذكره ، ص ٢٩ – ٣٠

الفصل الثالث

مولد حزب الله ونشأته

الخلفية التاريخية :

كـــان من الطبيعي لأمة ولدت بعد سلسلة حركات ثورية فاشلة وناجحة أن تحتفي أولاً بمبادئها وأهدافها ، ثم تقوم بمحاولة الكشف عن بواطن الصواب والأخطاء فى ضوء التجربة . وثمـــة مـــلمح مشـــترك بـــين عقيدة حركة الأحرار اليمنيين وجبهة المعارضة الوطنية ، وهو مناهضـــتهما الدائـــمة لامتيازات الطبـــقة الإمامية الحاكـــمة ، وبهذا كانتا تسيرا على طريق الثورة السياسية . ولم تكن معارضتهما للمؤسسة الإمامية ، ممثلة بحكم بيت حميد الدين ، ناتجة عـــن عدم اعتقادهما بنظرية الإمامة الزيدية ، وإنما كان الطرفان– العلماء السلفيون والمثقفون العصـــريون – يعتبران أن أفضل المثل العليا فى الإسلام هو حكم الشورى ، الذى يجسد مبدأ العدالة الاجتماعية والتكافل .[1] فى تلك المرحلة أقتحم نفر من العلماء ميدان العمل السياسى مـــن باب القضاء والفتيا والأدب والتدريس . ونظراً لقوة الحكومة الإمامية وسيطرتها المركزية عـــلى الشرائح الاجتماعية فى الريف والحضر ، أعدت المعارضة نفسها لمواجهة طويلة عندما قررت زعامتها النـــزوح من مدينة تعز إلى مدينة عدن ، التى أصبحت قاعدة للعمل السياسى المناهض لحكم بيت حميد الدين [2] وكانت مدة إقامتهم هناك قد أتاحت لهم فرصة اكتساب قيم عصرية جديدة تتعارض مع مصالح الطبقة الإمامية الحاكمة

وبالنسبة لهم ، فإن النظام الإمامى ، رغم كل السقطات التى سجلوها عليه – ، يعد أحد مخـــلفات العصور الوسطى . فقد شرعيته بل ومبررات وجوده استخدم الفقهاء القحطانيون المـــنخرطون فى صفوف المعارضة الجمهورية مكانتهم الأدبية فى المجتمع ونفوذهم السياسى فى الدولـــة كوســـيلة للصعود على حساب أقرانهم من السادة العلويين ، و" الصراع فى جوهره ينطـــلق مـــن مصلحة الأسرة. لهذا فقد كانت المعارضة موقفاً ينطلق من الدفاع الطبيعي عن المصـــالح." [3] ولن نعيد هنا استرجاع الفترة التى أوجدت فيها الإمامة منصباً دينياً وسياسياً ،

وما رافق ذلك من نقاش فكرى وصراع سياسى حول استحقاق آل البيت فى الخلافة ؛ فهذه أمــور خارج نطاق بحثنا . ولكننا فى سياق الدراسة سنحاول توضيح بعض العبارات السياسية الشــائعة فى اليمن المعاصر، كالدستور ، والشورى ، والثورة ، والجمهورية[٤] ، بصرف النظر عــن الظروف السياسية التى تولدت عنها تلك المصطلحات ، والقوى الاجتماعية التى ألتفت حولها ، تعبيراً عن التقاء تاريخى . فالحديث عن الحكم الشعبى ، أى الجمهورية ، كان يختص به زعامة الاتحاد اليمنى ، أو الزعامات القبلية ، التى أخذت تردد هذا المصطلح فى مناسبات عدة ، مــنذ أن قمعــت السلطات الإمامية تمرد قبيلة حاشد عام ١٩٥٩ ، وتمرد قبيلة خولان عام ١٩٦٠ . [٥]

اقتصر العمل السياسى فى بدايته الأولى على نشاطات سياسية محدودة فى إطار نواد ثقافية وجمعيات خيرية ، أخذ نشاطها الاجتماعى تدريجياً يصطبغ بصبغة سياسية.[٦] وعلى إثر إعلان تأســيس حزب الأحرار اليمنى فى مايو ١٩٤٥ ، كانت معظم قياداته (الشيخ أحمد نعمان ، والقاضى محمد الزبيرى ، والسيد زيد الموشكى ، والسيد أحمد الشامى) ، رغم إجماعهم على مناهضــة الحكومــة الإماميــة ، كــانوا يشكلون جماعة سياسية متباينة فى توجهاتها الفكرية والاجتماعية . ومثلما لعب النعمان والزبيرى دوراً حيوياً فى صياغة الأهداف السياسية للحركة ، ساهم الشامى مع الورتلانى فى صياغة الميثاق الوطنى المقدس لحكومة ١٩٤٨ الدستورية . [٧] وهكــذا تولــت حــركة الأحرار اليمنيين نشر أفكارها الإصلاحية عبر صفحات جريدة فتاة الجزيــرة ، وصــوت الــيمن، والفضول، فى مرحلتها الأولى، وعبر نشرات الاتحاد اليمنى فى مرحلتها الأخيرة ، حيث أصدروا سلسلة من المنشورات السياسية التى صيغت بأسلوب مبسط يفهمــه الــناس ، من مثل تلك الرسالة التى صاغها الزبيرى والنعمان تحت عنوان (مطالب الشعب) عام ١٩٥٦ . [٨]

كــان الزبيرى أول من استخدم عبارة جمهورية فى خطاباته السياسية ، وفى منشورات الاتحاد اليمنى خلال النصف الثانى من عقد الخمسينيات ، بما تعنيه هذه العبارة من رفض مطلق للــنظام الإمامى – الملكى . حيث كان القاضى يتحدث عن الحكم الشعبى وعن دولة اليمن الإســلامية ، بخطاب دينى ذو صبغة سياسية أساء فهمه الكثير من الباحثين ، كما أساء فهمه العديــد مــن رجال الثورة فى فترة الجمهورية العربية اليمنية . ومثلما ألتف حوله العديد من شــيوخ القبائل وكبار ضباط الجيش والعلماء ، فقد ألتف حول المشير عبد الله السلال التجار والمــثقفين وصغار الضباط وقادة العمل النقابى ، الذين كانوا يرفضوا الاعتراف بسلطة القوى

التقليدية ، التى أخذت زعامتها تتطلع للعب دور فاعل فى الحياة السياسية والثقافية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . [٩]

تعـد حركة الأحرار اليمنيين وجمعيتها اليمانية الكبرى من أقدم التنظيمات السياسية فى اليمن ، وكان دورها بارزاً فى أحداث ١٧ شباط من عام ١٩٤٨ الدستورية ، حيث أخذت زعامتها (عبد الله الوزير) تنادى بالتخلص من الأسرة المالكة (بيت حميد الدين)، كما نادت بإقامـة حكم دستورى نيابى . فضلاً عن مناداتها بإصلاح الخلل الكامن فى المؤسسة الإمامية ، وانتخاب إماما علوياً يقبل بفكرة تطبيق مبدأ الشورى ، باعتباره تراثاً فكرياً يستمد جذوره من تـراث معتزلة اليمن . ولم يرددوا الشعارات القومية أو الليبرالية مطلقاً فى أدبياتهم السياسية، لاعتقادهم بأنها ستزيد من مكاسب الأحزاب والتنظيمات الجديدة ، على حساب العلماء الذين أخـذوا يفسـروا السلطة والحكم وفق تصورهم الخاص لماهية الخلافة فى الإسلام . وتعرضت حركة الأحرار اليمنيين لمزيد من الانقسام والتفكك، كنتيجة مباشرة لمحاولتها السياسية الفاشلة فى إطاحـة النظام الإمامى ، حتى موعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢ ، حيث أبدت معظم قياداتها التأييد للحركة الثورية التى قادها تنظيم الضباط الأحرار [١٠]

بعد التحول الثورى الكبير فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، عاد معظم الأحرار المشردين إلى العاصـمة صـنعاء ، وعلى رأسهم القاضى الزبيرى ، يحدوهم الأمل بأن الثورة اليمنية ، بقضـائها على الحكم الملكي، وإعلانها قيام النظام الجمهورى ، قد ألغت الماضى الإمامى بكل سـلبياته . وقـد واجهت الجمهورية العربية اليمنية تحديات داخلية وخارجية كبيرة ، وكان طابعها الثورى العسكرى يبدو ناشزاً فى إقليم شبه الجزيرة العربية ، حيث هيمنت على مقاليد السـلطة والحكـم سلالات عشائرية وأنظمة ملكية محافظة ، كانت ترفض الاعتراف بالنظام الوليـد ، فـيما لـو استثنينا من ذلك دولة الكويت التى كانت فى مقدمة الدول العربية التى اعترفت بالنظام الجمهورى. [١١] غير أن حركة الأحرار اليمنيين، تحديداً قيادة الاتحاد اليمنى ، كـانت تـبدو فى عهـد الجمهورية قد تجاوزتها الأحداث . فأطروحاتها السياسية فى أوساط الأحزاب القومية واليسارية (البعث ، الناصريين، وحركة القوميين العرب) ، لم تعد مستساغة ولا مقبولة لدى جـيل الثورة . وهكذا ، لم يكن من السهل على زعامة الاتحاد اليمنى التكيف بـين ليـلة وضحاها مع الوضع الجديد ، والاضطلاع بالأدوار النضالية التى تتطلبها الظروف المستجدة فى اليمن فى ظل الدور المصرى الداعم للنظام الجمهورى وتجربته الثورية .

ضـــمن هذا السياق ، كان لابد لشخصية الزبيرى من مواجهة الواقع الثورى فى اليمن الجديـــد عـــام ١٩٦٢ ، بعد تلك المدة الطويلة نسبياً التى قضاها بعيداً عن أرض الوطن فى القاهرة ، حيث وجد نفسه فى صنعاء فى محيط سياسى جديد عليه وعلى رفاقه من قيادة الاتحاد الـــيمنى . فالمـــثال الـــثورى الذى كان قد أعطاه قبل خمسة عشر عاماً أصبح جزءاً من كيانه السياسى والثقافى ، كذلك فإن فراره من اليمن إلى باكستان، ثم مصر فى أعقاب فشل حركة ١٧ شباط من عام ١٩٤٨، اتخذ أهمية معنوية بقدر ما اتخذ أهمية سياسية . وتحت وطأة الحرب الأهلية فى البلاد، ركز الزبيرى انتباهـــه الجاد فى إعادة صياغة مفاهيم الثورة اليمنية وأهدافها مـــن خلال الدعوة إلى انعقاد سلسلة من المؤتمرات الشعبية (القبلية)، التى وضعت فى مقدمة بـــرامجها مشروع السلام والمصالحة الوطنية بين الأطراف المتحاربة – جمهورية وملكية . (١٢) وأهميـــة هـــذه المرحـــلة كـــانت واضحة بالدرجة نفسها للسلطة، إذ أن هذه التحركات فى أوساط القبائل المتمردة – بدت كما لو كانت مؤامرة تحاك ضد الثورة والنظام الجمهورى من الداخل. (١٣)

إن الـــثورة اليمنية شأن الكثير من الثورات السياسية التى تغرق فى بحر من الدماء ، من جـــراء الصراع الذى غالباً ما يدور بين مخططيها ومنفذيها ، بل والمتربصين بها من كل حدب وصـــوب . فالجمهورية التى أعلنت عن أهدافها الستة من إذاعة صنعاء نهاية الحكم الملكى ، تعهـــدت بإزالة الفوارق والامتيازات بين طبقات المجتمع ، وألغت معه نظام الرهائن والرق ، كـــانت فى مجمـــلها شعارات براقة ، بل وجاذبة للتأييد الشعبى . (١٤) لقد كان رجال الثورة صادقون فى محاولتهم رفع المعاناة عن الشعب ، لكن الإمكانيات المادية كانت تعوزهم لتحقيق تـــلك الأهـــداف والغايات . لقد نجحت الطليعة الثورية من تنظيم الضباط الأحرار الإطاحة بالـــنظام الملكى (الإمامى) ، لكنها لم تتمكن من كنس رموزه ، غير تلك المحاكمات الميدانية الـــتى عـــرفت باســـم محكمة الثورة أو الشعب ، التى تبنى القائمون عليها حملة دموية انتهت بافتراس أبناءها أكثر مما افترست أعدائها . (١٥)

بالرغم من نجاح رجال الثورة اقتحام دار البشائر بمدرعاتهم ليلة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ ، إلا أن نجاة الإمام محمد البدر من القصف بمعجزة وهروبه تحت جنح الظلام نحو الحدود الشمالية ، كشف النقاب عن ضعف حكومة السلال ، التى أخذت تعتمد بشكل رئيســـى على القوات المصرية فى مواجهة حركة التمرد والعصيان من جانب القبائل اليمنية ، الـــتى انضـــمت معظمها إلى صف الإمام المخلوع ، كما حدث تماماً فى عام ١٩٤٨، عندما

انضـمت عشـائر حاشد وبكيل إلى صف ولى العهد أحمد .[١٦] وعندما احتدم الصراع بين المعسـكرين الجمهورى والملكى حول فرض السيطرة على حدود البلاد، باتت الكلمة العليا للمشـائخ الذيـن ساهموا مع قبائلهم فى المعارك ، واضطرت السلطات الجمهورية الاستجابة لبعض مطالبهم ، لدرجة أنهم طالبوا الحكومة بتشكيل وزارة خاصة بهم ، أصبحت تعرف باسم وزارة شـئون القبائل ، وذهب بعضهم (الشيخ ناجى بن على الغادر) إلى حد المطالبة بتنحية رئيـس الجمهورية ليحل محله ضابطاً عسكرياً ينتمى إلى قبيلة بكيل .[١٧] وبالمثل طالب شيخ مشائخ حاشد (عبد الله بن حسين الأحمر) الحكومة بتشكيل لجنة مركزية لشئون القبائل ، التى ترأسـها أحد أقاربه الشيخ غالب بن ناصر الأحمر .[١٨] كما دأبت بعض القبائل على فرض رجالها وفى مقدمتهم القاضيين الزبيرى والإريانى على صناع القرار فى العاصمة ، وذهب بعض المشاركون فى المؤتمرات الشعبية إلى مطالبة الحكومة "بتكوين جيش شعبى قوامه ثمانية وعشرون ألف مقاتل.."[١٩]

غير أن موجة العنف بدأت دورتها تهدأ تدريجياً نظراً للتحديات الخارجية التى جاءت عبر حـدود الـيمن الشمالية المحاذية للحدود السعودية ، حيث أعد الإمام المخلوع البدر وعمه الحسـن حملة عسكرية مضادة استهدفت إسقاط النظام الجمهورى فى صنعاء . ونظراً لتدخل سـلطات الاحتلال البريطانى السافر فى مجريات الحرب الأهلية ، عبر الحدود الشرقية فى اتجاه مدينة حريب ومأرب ، اتسعت جبهات القتال ، وتفرق رجال الثورة فى تلك الجبهات ، حيث سقط العديد منهم صرعى فى ميدان المعركة دفاعاً عن النظام الجمهورى الوليد . وبالمثل زادت حدة الموقف السياسى فى الداخل تأزماً ، عندما أعلنت حكومة السلال إفلاس خزانة الدولة ، فأخذت تبحث عن مصادر مالية تغطى نفقات الجيش النظامى ؛ فضلاً عن الميزانيات الضخمة التى أنفقها المسئولون بسخاء على شيوخ القبائل بهدف كسب ولاءهم ، " لكنهم على ما يبدو كـانوا يعانون من جوع تاريخى طال أمده ، فعمدوا إلى نهب الخزانة العامة فى بعض المناسبات بـالقوة دون الحصول على أوامر صرف من السلطات العليا للدولة ، الأمر الذى دفع وزير الخـزانة عـبد الغـنى عـلى أن يوصد باب مكتبه خوفاً من الاعتداء عليه بالضرب ، كما حصـل لنائبة صالح محسن شرف الدين، الذى أوسعوه ضرباً عندما أمتنع التوقيع على صفحة بيضاء .. "[٢٠]

لقـد كانت جميع الشواهد تؤكد أن القيادتين اليمنية والمصرية كانتا على علم بمثل هذه التجاوزات ، ولكنهما لم تستطيعا أن تمنعا ظهور طبقة من أمراء الحرب ، الذين أخذوا يعززوا

مكانـــتهم الاجـــتماعية ونفوذهم السياسى على حساب مجلس قيادة الثورة . وتفادياً لحدوث مزيداً من الانقسامات فى الصف الجمهورى ، استجابت القيادة المصرية للدعوة الملحة " بإقالة عـــبد الرحمن البيضانى من جميع مناصبه ، وتم سحب جنسيته ، وطلب منه مغادرة البلاد " فى ظـــروف اســـتثنائية دون محاكمـــه . [٢١] وكان قرار تنحية البيضانى من منصب نائب رئيس الجمهوريـــة ، قد ترك فراغاً سياسياً يصعب تعويضه ، تحسباً منها للمعارضة الجمهورية بشقيها الديـــنى والقبلى التى أخذت زعامتها تطالب بالحد من النفوذ المصرى فى البلاد ، وتحجيم دور الخـــبراء المصـــريين العسكريين والمستشارين السياسيين ، الذين أخذوا يتدخلوا فى كل صغيرة وكـــبيرة فى البلاد . وعليه بدأت أصوات المعارضة تزداد حدة ، إلى حد أن أقطابها (الزبيرى والـــنعمان والإريـــانى) مـــالوا لإعداد خطة مدروسة لمقاومة الوجود المصرى فى البلاد بقوة السلاح ، باعتباره احتلالاً عسكرياً. [٢٢]

لقد انعكس الصراع على السلطة سلباً بين العسكريين فى مجلس قيادة الثورة والساسة المدنيـــين الممثلين فى الحكومة ، حيث كانت المقاومة الملكية المسلحة تشدد الخناق على النظام الجمهـــورى فى أكـــثر من جبهة قتال مفتوحة هنا وهناك فى أنحاء متفرقة من الهضبة الشمالية المحاذيـــة للحدود اليمنية السعودية . وبدا للزبيرى أن منطق تبدل الحال فى اليمن الجمهورى يوائمـــه فى بحثه الشاق عن اليقين الثورى – الحكم الشعبى – الذى أفنى عمره فى سبيل حل لغـــزه ، وهـــو يعـــلم يقيـــناً أن تجربة الجمهورية محفوفة بالمخاطر ، إذ يثير الحكم العسكرى إشكاليات عصية فى طريقة فهمه لماهية نظام الحكم فى اليمن . أولئك الذين حضروا لحظة نزوله فى مطار صنعاء برفقه عدد من أحرار اليمن ، وفى تلك اللحظة التى خر فيها ساجداً يلثم تراب الـــيمن ، كـــانوا يدركون أن دوره السياسى قد بدأ مجدداً ، لكن القاضى رغم احترازه بعد عودته من المنفى ، بموافقة القيادة المصرية الداعمة للنظام الجمهورى ، كان يدرك تماماً أن أى خطوة متعجلة لاسترجاع حريته، قد لا تكلفه المجازفة بمستقبلة السياسى فحسب ، بل ورصيده الحـــافل بالنضـــال السياسى ضد النظام الملكى . وحسب قول العديد من الشهود ، بما فيهم خصمه اللدود عبد الرحمن البيضانى ، فإن عودته لليمن ، حقق قفزه هائلة لدعم الحركة الثورية فى الـــيمن . وبـــدأ الائـــتلاف السياسى وليد اللحظة يتفكك تدريجياً ، من حيث اتساع هوة الخلاف بين جيل ثورة (١٩٦٢) ، وجيل ثورة (١٩٤٨) . [٢٣]

وإذا كان الزبيرى قد وصل إلى منصب وزارة المعارف عام ١٩٦٢ بسهولة ويسر ذلك المنصب الأثير على قلبه الذى تولاه عشية الإعلان عن قيام الحكومة الدستورية عام ١٩٤٨،

فإنـــه واجه صعوبة بالغة فى الوصول إلى مجلس الرئاسة فى أبريل عام ١٩٦٣ . [٢٤] ولم تفلح محاولاته المتكررة هو وأنصاره فى إلغاء مجلس قيادة الثورة ، الأمر ولد انقساماً سياسياً حاداً فى الصـــف الجمهـــورى بين الساسة المدنيين (الزبيري، الإرياني والنعمان)، والقادة العسكريين (الســـلال، جـــزيلان والعمـــرى) . فهم جميعاً يتحدثون بلغة مشتركة عن التمسك بالنظام الجمهورى والثوابت الوطنية ، لكن المعارضة المستجدة فى الصف الجمهورى ، أخذت زعامتها تـــتحدث بـــنغمة جديدة مفادها " اللقاء بالملكيين طالما أن الهدف هو وقف الصراع واستفتاء القـــبائل والشعب اليمنى كله ، وأن اليمنيين لا يحاربون اليوم من أجل الملكية أو الجمهورية ، وإنما هم يحاربون.فى سبيل تطهير أرض اليمن من الجنود المصريين . " [٢٥]

وبعـــد مرور عام من قيام الثورة ، أعرب عدد من القيادات الجمهورية المنشقة عن نظام الســـلال، عن رغبتها فى تكوين حزب معارضة غير معلن رسمياً ، عرف فى وقت لاحق باسم حزب الله . [٢٦] وكان الهدف من وراء تأسيس الحزب الضغط على حكومة السلال والقيادة المصـــرية للاســـتجابة لمطالـــبها ، التى تمحورت فى الظاهر حول السلام والمصالحة الوطنية ، وفى الخفاء الدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية ، انطلاقاً من قناعة زعامته التى عقدت العزم على " تطهير الفساد واختيار نوع الحكام الذين يحكمونه حكماً جمهورياً ، تطبق فيه شريعة الله تطـــبيقاً علمياً ، يرسم الخط العقائدى للثورة للسير بها فى طريق الحق والخير والعدل .. " [٢٧] فحزب الله لم يكن له جذور حقيقية فى المجتمع اليمني، وإنما جمع بين جوانبه جماعة من العناصر الدينية والقبلية المتذمرة ، التى فقدت جزء من نفوذها السياسى والاقتصادى فى العهد الجديد . ونتوصل من خلال الرؤى السياسية التى أطلقتها زعامة حزب الله إلى طرح السؤال التالى : هل ارتفع الزبيرى بالاتحاد اليمنى ، من مرتبة الجدل السياسى والدفاع عن تجربة ١٧ شباط من عام ١٩٤٨ الدســـتورية ، إلى مرتـــبة الدعوة الصريحة إلى قيام الثورة والجمهورية وبلوغ اليقين الثورى ، كما جسدته تجربة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢ ؟

كان الأحرار اليمنيون العائدون إلى صنعاء وفى مقدمتهم الزبيرى والنعمان ، قد وجدوا أنفسهم بين ليلة وضحاها قد تحولوا إلى رموز ثابتة لا تقوى على الحراك ، تنقصهم المعلومات عـــن مجـــلس قيادة الثورة ، وعن القرارات السياسية التى يجب اتخاذها بمساعدة هيئة الخبراء العـــرب - المستشارين المصريين - ، الذين رافقوا الحملة العسكرية المساندة للثورة اليمنية . وكانت المعضلة الأساسية تكمن فى أن القيادة المصرية التى استأنست بآراء الفقهاء القحطانيين المنخرطين فى خدمة النظام الجمهورى أقل تأثراً بالجاذبية المعنوية للقاضى محمد الزبيرى . غير أن

الخبراء المدنيين والقادة العسكريين كانوا أكثر ميلاً لشخصية المشير عبد الله السلال والدكتور عـــبد الرحمن البيضاني ، اللذين أصبحا يجسدان العمل السياسي الموازى للحقبة الناصرية. هذا وعلى الرغم من تصريحاتهما الرسمية المؤيدة لسياسة الجمهورية العربية المتحدة ، كانا يجهلان – خاصة البيضاني – حقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية وتعقيداتها فى المجتمع اليمنى . (٢٨)

ســـوف يسمح التحليل النظرى للمجتمع اليمنى ، وهو واحد من منطلقات الزبيرى الـــنظرية بإبـــراز المواقف المتضاربة للمعارضة الدينية والقبلية ، كما جسدتها تجربة حزب الله وكتـــلة خمر فى وقت لاحق . فالإصـــلاح السياسي الذى فهمه القاضى ، كان قد فهمه سواه مـــن أحرار اليمن بنفس الشكل تقريباً ، الدعوة لاصلاح الأحوال العامة بين الحاكم والرعية، أى إنهاء الحرب بين عساكر الإمام والرعية. (٢٩) ولعل النظرة إلى الإصلاح فى العهد الجمهورى ظـــلت نظـــرة فوقية ، وربما كانت محاولته من هـــذا القبيل أيضا ، من حيث قبوله شخصيا المشـــاركة فى المســـئولية ، أملاً منه بتحقيق إصلاح سياسى ممكن فى مرحلة الجمهورية العربية اليمـــنية. وقد نهض بهذا الدور وفق تصوره الخاص للكيفية التى يمكن للجمهورية – الحكومة الشعبية – أن تولد منتصرة من عمق أحوال المجتمع اليمنى المتزايدة فى التدهور. فمن الواضـــح أنه كان يهدف إلى اعتناق مبادئ الثورة والجمهورية، بل أنه كان يميل إلى الانتقاص من التجربة الإمامية لبعدها عن الينابيع التاريخية الإسلامية وحضارة اليمن القديم . وأعز أمنياته أن يرى بأم عيـــنيه مولـــد الحكومة الشعبية التى أصبحت مدرجة ضمن جدول المعارضة منذ بدء انطلاقة الاتحاد اليمنى . (٣٠)

لا تعتـــبر هـــذه الـــنظرة إلى الإصلاح السياسى نظرة جديدة ، بل هى امتداد لمفاهيم ونظـــريات قديمـــة ، نلتمسها فى تلك العلاقة الشائكة بين الفقيه والسلطان ، سواء فى العهد المـــلكى ، أو فى العهد الجمهورى . وإذا كان الخليفة فى العهود الغابرة يتقبل النصيحة ، فإن الإمـــام يفترض العصمة فى نفسه ، بصفته الوريث الشرعى للنبى محمد صلى الله علية وسلم. أمـــا الرئيس فى العهد الجمهورى ، فيفترض منه تقبل النصيحة وتطبيق حكم الشورى ، وفى ذلـــك ممـــا يساعده على تجاوز أخطاء الماضى الإمامى . وبدلاً من إصلاح الأوضاع الفاسدة بأســـلوب ثـــورى يتخلص من تركة الماضى ، فإن المنافسة على كراسى السلطة اشتعلت مثل الحرب الأهلية بين رجال الثورة . ومن ثم نتجت القوة السياسية عن القوة الاقتصادية ، حيث تمكـــن عدد من التجار المنخرطين فى العمل السياسى الاستئثار بنصيب الأسد فى أول حكومة جمهورية ترأسها المشير السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية . (٣١)

هذه القوة الفكرية تولدها وتؤيدها الأوضاع المستجدة فى العهد الجمهورى ، الذى أمعن فيه النظر ، والقاضى الزبيرى يحاول تفهم جذور المشكلة اليمنية ، وأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية . فالسلطة المركزية للجمهورية العربية اليمنية ، كانت قد نظمت إدارياً على غرار ما كانت عليه الإدارة المحلية فى العهدين التركى العثمانى والملكى الإمامي، دون إحداث تغيير عميق فى البنية القبلية للمجتمع اليمني، الذى ظل متماسكاً، إذ لم تكن سلطة شيوخ القبائل قد تعززت فى العهد الجديد. لقد سمحت حكومة الجمهورية العربية اليمنية بتشكيل أول وزارة لشئون القبائل فى أكتوبر من عام ١٩٦٢ ، وبالمثل تم الإعلان عن تشكيل مجلس أعلى للقبائل فى أبريل من عام ١٩٦٣. (٣٢) كما ألغى مجلس قيادة الثورة نظام الرق والرهائن الذى كان مصدر تذمر القبائل اليمنية فى العهد البائد . وقد جرى تحرير أبناء مشايخ القبائل من السجون ، وتم إرسالهم للدراسة فى الكليات العسكرية فى مصر والعراق كوسيلة للصعود الاجتماعى .

أما الشيخ عبد الله الأحمر ، الذى أطلقت سراحه الثورة من المعتقل ، فلم يكن أقل اهتماماً بكسب حظوة الضباط ، بعد عودته من سجن الأهنوم إلى صنعاء . وكان واضحاً بالنسبة له تقريباً أن الرئيس السلال الواقع تحت تأثير القيادة المصرية ، يحمل تجاهه وتجاه من حوله من الضباط العسكريين نفوراً شخصياً . لكن العقيد عبد الله جزيلان عضو مجلس قيادة الثورة ، الذى كانت تربطه علاقة دم بقبيلة بكيل ، كان يعلم أكثر من غيره من ضباط الثورة بيد من توجد خيوط اللعبة ؛ لهذا السبب كلف الشيخ الأحمر بتعبئة قبيلة حاشد إلى صف الثورة والجمهورية. وحسب تعبير جزيلان نال الشيخ الأحمر حريته، وهو يعلق على ذلك اللقاء العابر فى القصر الجمهورى بصنعاء ثالث يوم الثورة ، قائلاً : " وعندما كنا مشغولين فى القيادة بمطاردة البدر والاستعداد لأى تدخل خارجى ، وصل الشيخ عبد الله الأحمر ومعه الشيخ الشنبرى إلى صنعاء قادمين من أحد سجون الإمام المظلمة . وعند باب القيادة لم يتعرف عليهما أحد سوى النقيب على بن أحمد الشعبى ، إذ كان صحة الشيخ عبد الله الأحمر متدهورة نتيجة لعذاب السجن ، ثياب رثة ، وجفل بدون جنبية (مكان الخنجر) ، واستقبلتهما والزعيم عبد الله السلال بترحاب شديد ، وقلت :

– يا أخ عبد الله لقد قمنا بواجبنا نحو بلادنا، وأعدنا لقبيلة حاشد كرامتها وسمعتها الطيبة، التى كانوا يقولون عنها أن لا قيمة لها بعد مقتل أخيك [الشيخ حميد] وأبيك [الشيخ حسين الأحمر] .. " (٣٣)

وبالـــرغم من أن جميع الظروف الداخلية والعربية قد هيأت المناخ المناسب لقبيلة حاشد المساهمة فى الحياة السياسية ، إلا أن زعامتها فضلت التحالف مع زعامة حزب الله ، باعتبارها زعامة دينية قادرة على ملئ الفراغ السياسى الناجم عن انسحاب السادة العلويين من مسرح الأحـــداث عقـــب قيـــام الـــثورة والإطاحة بالنظام الملكى .[٣٤] وإذا صح مثل هذا القول أو الشـــهادة الـــتاريخية التى استقيناها هنا من أحد ضباط الثورة (العقيد عبد الله جزيلان) ، الـــذى أصـــبح عضواً فاعلاً فى مجلس قيادة الثورة ، فثمة أسباب أخرى تدعونا إلى استعراض بعض الدراسات التى تناولت أبعاد الصراع على السلطة فى العهد الجمهورى من خلال تناولها لســـيرة الزبيرى بشكل إجمالى . وسوف نكتفى فى هذا الفصل بالمقـــدار الذى يساعدنا على تسليط الضوء على المشكلة المحـــورية ، التى عالجها الزبيرى فى برنامج الحزب ، وطريقته المثلى فى بسط المشكلة اليمنية ، والأسلوب الذى انتهجه فى الإصلاح .

كـــان الزبيرى فى مقدمة المنتقدين للقيادة القديمة لحركة الأحرار اليمنيين حول أسلوب العمـــل السياســـى وحصره فى أطر معينة. ففى فترة المملكة المتوكلية اليمانية ظهرت حركة المقاومـــة القبـــلية المسلحة الموجهة ضد السياسة المركزية التى تبنتها السلطات الإمامية ، ممثلة بشـــخص الإمام يحيى وابنه السيف أحمد. كانت المعارضة الحضرية والقبلية ، من حيث نوعية الاستقطاب السياسى كما تمثلتها حركة الأحرار اليمنيين ، تتكون غالبيتها من المشايخ (أحمد محمـــد نعمان ومطيع دماج) النازحين من المناطق الزراعية الخصبة (لوائى إب وتعز) ، حيث تشـــتد قبضة الدولة المركزية لجمع عـــائدات الزكاة بصورة عنيفة وغير أخلاقية – تناقـــض قانون الشرع .[٣٥] وقادة هذه الحركة إذا أضفنا إليهم العلماء المنشقين عن الحكومة الإمامية (القاضى محمد الزبيرى ، والسيد زيد الموشكى) ، ميالون إلى المواقف الإصلاحية دون اللجوء إلى العنف السياسى ، إلا عند الضرورة ، عندما يستدعى الأمر الخروج عن السلطة الجائرة .

وقد أثبتت التجـــارب السياسية التى مرت بها الحركة فى العهدين الملكى والجمهورى ، الأحرار اليمنيين أن دعوتها الإصلاحية لدى مختلف الحكومات المتعاقبة ، لم يكن لها صدى يذكر عـــلى مســـتوى القرارات السياسية المتعلقة بالتنمية الاجتـــماعية والاقتصادية ، وإقرار مبدأ الحكم التمثيلى النيابى ، أى صيغة حكم الشورى والدستور . لهذا حاول الزبيرى ورفاقه إعادة الـــنظر فى برامج المعارضة ومجال نشاطها الحيوى ، فوقع اختيارهم على مدن الهضبة الشمالية تحديـــداً عمـــران وخمـــر وبرط ، وتمنى هؤلاء أن ينخرط مشايخ القبائل فى العمل السياسي، كخطـــوة تمهيدية لإحلال السلام والمصالحة الوطنية فى البلاد.[٣٦] لهذا السبب اعتمدت زعامة

حزب الله بشكل أساسى على عشائر حاشد وبكيل المؤيدة والمتمردة فى آن واحد على النظام الجمهورى ؛ وكان القاضيان الزبيرى والإريانى فى مقدمة العلماء الداعين لتشكيل جيش شعبى من أبناء العشائر اليمنية الموالية للنظام الملكى ، بهدف استقطاب زعامتها إلى الصف الجمهورى. وهـــذه السياسة كانت ترمى أساساً إلى خلق قوة عسكرية مناهضة لنظام السلال ، لتحل محل الجيش اليمنى الحديث الذى تم تسليحه وتدريبه على يد الخبراء السوفيت والمصريين .

وفى الواقـــع ، يمكن كتابة بحث مستقل بذاته عن تاريخ الوعى التاريخى بالمشكلة اليمنية لدى زعامة المعارضة ، التى وظفت النظام الجمهورى لصالح القبيلة ، باعتبار القبيلة الأم همدان الـــتى تـــتفرع عـــنها حاشد وبكيل ، هى الممثلة الوحيدة للشعب اليمنى برمته ، كون هاتين القبيلتين بعينها ذات تاريخ حافل ومتميز بالنضال ضد الغزاة الطامعين فى خيرات البلاد . وقد اعتـــبر الـــزبيرى تحـــول السلطة من أيدى الزعامات القبلية اليمنية إلى أيدى الأئمة العلويين القـــادمين من شمال الجزيرة العربية إلى جنوبها بمثابة نكسة سياسية لحقت باليمن أرضاً وشعباً ، مـــنذ قـــدوم الإمام الهادى يحيى بن الحسين الرسى إلى إقليم صعدة ، حيث أسس هناك الدولة الـــزيدية الأولى .[٣٧] وهـــذا الجانب فى نظره هو جانب مهم ، تنبع أهميته أساساً من موقف المعارضـــة تجاه الوجود المصرى ومن يقف وراءه من سكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية الذين ناصروه . فالوجود المصرى أخل إخلالاً عميقاً بالبناء السياسى القديم المتعارف عليه فى العهـــد الملكى ، وبالتالى أخل بالتركيبة السكانية فى البلاد لصالح اليمن الأسفل على حساب الـــيمن الأعـــلى . فقد أصبحت صنعاء وغيرها من مدن الهضبة الشمالية مدناً تقطنها غالبية ســـكانية وافدة ، قدمت بأعداد هائلة إليها بعد قيام الثورة وإعلان الجمهورية ، حيث شكل هؤلاء الوافدون الجدد جماعة مزاحمة للسكان الأصليين فى مناصب الدولة العليا ، وهذا أمر غير مقبول من وجهة المعارضة .[٣٨]

لقـــد شـــكل النظام الاجتماعى فى اليمن المعاصر المقدمة النظرية لتحول حزب الله إلى تشكيل خلايا سرية ناشطه داخل مدينة صنعاء وخارجها ، حيث لقيت دعوته استجابة قوية فى أوســـاط القـــبائل اليمـــنية المتضـــررة من الحرب . وبالرغم من أن زعامته أبدت معارضتها واســـتنكارها الشـــديد تجاه المسئولين الذين يؤججون الـــنزعات الطائفية من أمثال البيضانى وغـــيره ، فهى رغم تحيزها لقطاع من سكان الهضبة الشمالية ، أخذت تنفى عن نفسها صفة الطائفيـــة الـــتى أخذت تؤججها بشكل خاص بين سكان مدينة صنعاء ، عندما أخذت قوافل القـــرويين تـــتقاطر تباعاً إلى أحياء العاصمة ، وهم يرددون ذلك البيت المأثور للإمام الشافعى

(لا بد من صنعاء وإن طال السفر) . [٣٩] هكذا كانت المشاركة السياسية فى أحداث الثورة اليمنية ، قد فتحت آفاقاً جديدة لسكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية المشاركة فى السلطة والثروة بشكل أفضل من الفترة السابقة ، الأمر الذى حدا بالوجهاء والأعيان (السادة والقضاة) ، الذين فقدوا جزءاً من سلطاتهم المادية والمعنوية الشروع فى معارضة النظام الجمهورى ، تحديداً الدور المصرى الذى أخل بميزان القوى لصالح قطاع من السكان .

كان لدى زعامة المعارضة دواعى حقيقية لاتهام القيادتين اليمنية والمصرية بمحاولة تهميشهم سياسياً . والطيب أحد القيادات المحسوبة على هذا التيار الإسلامى المعارض للوجود المصرى ، يدين ممارسات الحكومة دون أن تكون لديه الحاجة إلى التحقق من صحتها فى مرحلة الجمهورية اليمنية . لقد أصبحت النزعات الطائفية والمناطقية مسلمات ، بل ثوابت تستخدم على نطاق واسع لتحديد هوية عناصر المعارضة ، حيث يجرى التفريق بين ماهو جمهورى وملكى ، وشمالى وجنوبى ، وزيدى وشافعى عن طريق الجماعات الأخرى المتواجدة فى قمة السلطة . [٤٠]

لقد أدى الدور المصرى مهمته فى تغيير البناء السياسى لنظام الحكم فى اليمن ، الأمر الذى ساهم فى قيام أحزاب وتنظيمات سياسية مناهضة له فى إقليم الهضبة الشمالية ، من مثل : حزب الشورى ، ومنظمة سبأ ، وجمعية العلماء ، إلا أن زعامتها لم تكتسب قاعدة شعبية ونفوذاً سياسياً قوياً مماثلاً لزعامة حزب الله . وللقاضى الزبيرى دوراً لا يستهان به فى تأليب نشاط المعارضة الدينية والقبلية تحت مظلة حزبه . والطيب بصفته أحد المؤسسين يبنى تفسيره لظاهرة حزب الله وزعامته ، وفق هذا التصور الخاص : " وفى الطريق، وقبل أن نلتقى بالنقيب أمين أبو رأس ، قال الزبيرى : سنفجر لهم قنبلة عظيمة ستكون شديدة الوقع عليهم ، سنعلن إنشاء حزب نسميه " حزب الله " ، وهم سيقولون ونحن من حزب الله ؟ ." [٤١]

إن نموذج حزب الله فى اليمن كان يختلف تماماً فى برامجه السياسية ، عن سائر الأحزاب والتنظيمات السياسية ، التى حظرت السلطات العسكرية نشاطها . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن للتدخل المصرى فى اليمن أثره الفاعل فى معاداته للعمل الحزبى بكافة مظاهره وأشكاله . [٤٢] وحول نشاطات الحزب السرية يضيف الطيب قائلاً : " وبدأنا فى ظل حزب الله نعمل ؛ كتبنا المنشورات وأرسلناها وراسلنا القبائل وخاصة زعماءها، ونزل التعريف بحزب الله ، وتم التخطيط لعقد مؤتمر صغير فى حرف سفيان .. وعرفنا بكنوز الأخلاق اليمنية ، وتولى

النقيب أمين الدعوة وإرسال الرسائل من أجل هذه الوفقة [قاعدة احتكام قبلية] بين سفيان وذو محمد ، وحاشد ومرهبة ، وآل سالم ، وكان الغرض منها :

١- توثيق الصلة والتعاون بين ذو محمد والقبائل المجاورة ، وبين القبائل المذكورة وحاشد .

٢- مظاهرة وطنية ، وترتيب لقاء غير مباشر مع القيادة المصرية فى الحرف ، وهى من أهم القيادات فى المناطق الشمالية . " (٤٣)

كان التشابه بين تصورات زعامة حزب الله فى مرحلة تأسيسه متقاربة مع تصورات زعامة اتحاد القوى الشعبية ، فكلتيهما أعلنتا تنصلهما عن النظامين الملكى والجمهورى ، من خلال رفعهما لشعار دولة اليمن الإسلامية . فزعامة حزب الله اتخذت من المناطق الشمالية - حدود حاشد وبكيل - مجالاً لنشاطها ، فى حين اتخذت زعامة اتحاد القوى الشعبية من المناطق الشرقية - حدود مذحج - مجالاً حيوياً لنشاطها فى أوساط قبائل يمنية معروفة بانتمائها للمذهب الشافعى ، وجرت محاولات جادة هناك لتحويلها إلى المذهب الزيدى ، مثلما حصل تماماً مع قبيلة الحدا قبل قرنين من الزمان . (٤٤) وفى مقابلة أجراها المؤلف مع جملة من مشايخ المنطقة الشرقية ، يقر الشيخ محمد قاسم بجيبح أحد مشائخ قبيلة الجوبة البارزين ، أن ثمة صلة حميمة بين قبيلة الجوبة وزعامة اتحاد القوى الشعبية ، التى حاولت استقطاب مشايخ القبيلة لهذا الحزب أو ذاك فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . (٤٥)

بالرغم من تلك المحاولات الجادة من قبل المعارضة الملكية (عائلة الوزير) المنشقة عن مجلس الإمامة، إغراء عشائر مذحج بالمال والسلاح ، كانت القبيلة حريصة على الاحتفاظ باستقلاليتها عن أى نفوذ خارجى . وكانت قبيلة الجوبة هى القبيلة المستهدفة من قبل زعامة اتحاد القوى الشعبية ، فى مساعيها الرامية تحويلها إلى المذهب الزيدى ، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ؛ وهكذا اضطر الأخوة إبراهيم وعباس وزيد الوزير تحويل نشاطهم فى اتجاه قبائل أخرى ، بعد أن تبين لهم صعوبة مهمتهم فى المنطقة الشرقية ، خصوصاً فى عبيدة التى أصبحت مرتعاً خصباً للدعاة الوهابيين ، الذين حققوا موطئ قدم لهم حوالى مدينة مأرب على يد الشيخ عبد المحسن البقمة . وكان ذلك هو السبب فى اضطرارهم إلى مغادرة المنطقة فى اتجاه خولان، وقد استقبلهم هناك بحفاوة الشيخ ناجى بن على الغادر وغيره من مشايخ بكيل . (٤٦)

وإذا كانت زعامة حزب الله لم تنهج نفس النهج ، فإنها قد أظهرت رغبة جامحة في استقطاب شيوخ المؤسسة القبلية ، خصوصاً بكيل ، إلى صف المعارضة الجمهورية، وهي كانت تطمح من وراء ذلك إلى التأثير فى الفعل السياسى المناهض للدور المصرى طبقاً لمعايير دينية وقبلية . ذلك على عكس التنظيمات والأحزاب السياسية القومية (القوميين العرب ، البعث ، الناصريين) ، الذين كانوا يشترطون فى العضو الملتحق إخلاصه الصادق للوطن اليمنى والنظام الجمهورى . ومن هنا كانت فعالية حزب الله فى عمق الهضبة الشمالية المغرقة فى تخلفها الاجتماعي والاقتصادى ، مهمة شاقة وعسيرة لا تخلو من التحديات الكبرى ، التى أودت بزعامتها إلى الدخول فى مواجهة مكشوفة مع الأصدقاء من الأخوان العرب المصريين ، والأعداء من الملكيين ، الذين أبدو تحفظهم الشديد تجاه خروج القاضى الزبيرى من صنعاء إلى برط ودعوى حزبه ، كانت تؤرق أولئك السادة الهاشميين المتواجدون فى أوساط القبائل اليمنية . فالزبيرى فى دعوته القبائل الانضمام إلى حزبه، كان – على ما يبدو – يعتقد أن من حقه الخروج والدعوة لقيام جمهورية إسلامية يمنية ، يتربع قمتها فقيه قحطانى مجتهد ينبع من بين صفوف الشعب ، وليس من خارجه أو هامشه.

هكذا تحول القاضى الزبيرى فى بداية عهد الجمهورية من زعيم جماهيرى لحزب الاتحاد اليمنى الجاذب إلى صفوفه قطاعات واسعة من جماهير الشعب اليمنى عمال ومثقفين وطلبه وتجار فى منتصف عقد الخمسينيات ، إلى زعيم محلى لتنظيم سياسى دينى مفرط فى تحمسه لكل ما هو قبلى فى بداية عقد الستينيات. وهذا التحول بالنسبة لليقين الثورى عند القاضي، يوضحه الطيب من منظور عقائدى وثيق الصلة بتنظيم جماعة الإخوان المسلمين، بقوله : " المثقفون فى اليمن لا يشكلون فى الأصل- ولو جمعت بينهم وحدة فيها كل التماسك والشمول – قوة قادرة على فرض نفسها بحسم من فوق كل التناقضات المحتدمة فى المجتمع اليمنى ، فكيف حال المثقفين اليمنيين عندما يدركهم التفتت ، وتصادم بينهم السبل فى أحزاب وتيارات فكرية ليس بينها وبين الواقع اليمنى صلات قربى ، أو بسبب أن الظاهرة التى عاشها المثقفون اليمنيون جعلتهم أشبه (بجالية أجنبية) ، تمزقها خلافات فكرية وسياسية حول قضايا لا بد أن يقضى المجتمع اليمنى مئات السنين قبل أن يصل بتطوره إليها .. منها هذه الانقسامات التى فتكت بالقطاع المتنور من المعسكر الجمهورى فى اليمن الضباط والسياسيين والمثقفين، نصبت حاجزاً كبيراً حال بين اليمن وبين معالجة أوضاعه القبلية العشائرية أو ضبطها، بل أن المسألة القبلية والعشائرية استدرجت كل (المتنورين) وابتلعتهم فى دهاليزها . " (٤٧)

هذا النص يوحى لنا كم كانت الهوة واسعة بين جيل الثورة " المثقفين " ، ورجال القبائل اليمـنية الذين انضم غالبيتهم إلى صف المعسكر الملكى . فى حين كان الفقهاء المنخرطون فى خدمة النظام الجمهورى ، وفى مقدمتهم الزبيرى والإريانى ، على علم بعمق التحول السياسى والاجـتماعى فى الـيمن بفعـل الـدور المصرى ، الذى أصبح مصدر خطر يهدد مكانتهما الاجـتماعية والسياسـية . وبما أن الشخصيات السياسية المعارضة لسياسة الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن ، كانت متفقة على ضرورة خلاص الشعب من النظام الملكى وعدم السماح بعودة الأسرة الحاكمة (بيت حميد الدين) ، ومختلفة على الوسائل التى يمكن اعتمادها لتحقيق السـلام والمصالحة فى العهد الجمهورى . وبما أن الثورة اليمنية انتصرت بفضل الدعم المصرى الغـير محـدود للسـلطة الثورية فى صنعاء ، فإن هذا الانتصار فى نظرهم قد تحول إلى نكسة سياسية ، فى ظل التدخل المصرى المتزايد فى شئون اليمن الداخلية . والغريب أن عبد الإله بن عـبد الله رغم اعترافه بأهمية الدور المصرى فى تثبيت أركان النظام الجمهورى ، فإنه يعتقد أن مفتاح المشكلة اليمنية فى يد " الجمهورية العربية المتحدة لو رجعت إلى الشعب اليمنى ورغباته لأمكنها أن تحل قضية اليمن . " (٤٨)

إن تراجع زعامة المعارضة عن دعم الوجود المصرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، رسم نهايـة صفحة طويلة من النضال المشترك ضد الرجعية العربية ، كما دفع الصراع المحتدم على السـلطة بـزعامة حزب الله إلى إعادة النظر كلية فى ذلك التحالف الاستراتيجى بين الثورتين اليمنية والمصرية . وكان رأى القيادتين اليمنية والمصرية ، لا سيما أجهزة المخابرات التى تابعت باهـتمام متزايد نشاط حزب الله فى أوساط القبائل المتمردة ، وعليه حمّلت زعامته مسئولية " استغلال المسيرات الشعبية المؤيدة للنظام الجمهورى لأغراض شخصية ، تخدم مصالحها الخاصة ومصـالح أعـداء الـثورة المضـادة مـن بقايا فلول المرتزقة البيض وأمراء بيت حميد الدين وأنصـارهم المتواجدين داخل صنعاء وخارجها ، خصوصاً الإمام على المروني المتخفى فى جبل ضوران أنس .. " (٤٩)

لقد كانت الأغلبية السكانية فى إقليم الهضبة الشمالية (حاشد وبكيل) والمنطقة الشرقية (مذحج) أسبابها المختلفة لرفض النظام الجمهورى ، ومقاومة الوجود المصرى . ويلاحظ أن تشـكل المعارضة الملكية المسلحة لم تكن على أسس مذهبية كما يحلو لبعض الكتاب الأجانب تعميم ذلك وإسقاطه على الحرب الأهلية فى اليمن من وجهة نظر استشراقية . فالتنافس على مراكـز السلطة لم يأخذ صراعاً حاداً على أساس مذهبى ، إذا ما أدركنا أن الشيخ أحمد نعمان

أبــرز قــادة المعارضة الجمهورية ، شافعى النشأة والثقافة ، كان فى مقدمة المناهضين للوجود المصــرى ونظــام السلال . لكن المعارضة لجأت إلى استخدام ورقة الطائفية عندما سنحت لها الفرصة المناسبة – حالة البيضانى – ، لكنها لم تجر على طرحها بشكل واضح فى مجالات صراع القيم إلا فى حالات نادرة . وقد حاول بعض الكتاب الغربيين تقديم بيانات مفصلة عن تنظيم حــزب الله وكــوادره فى مرحــلة الجمهورية العربية اليمنية ، ومجال نشاطه الحيوى فى مدن الهضــبة الشــمالية (صــنعاء وعمران وخمر وريدة) ، لكنهم لم يقدموا تحليلاً كافياً لبرامجه السياســية ، مكتفين بالقول إن زعامته كانت تقف فى منتصف الطريق بين النظامين الجمهورى والمــلكى . (٥٠) وخــارج ذلك المفهوم – الشورى – كانت ورقة " دولة اليمن الإسلامية "، هــى الورقــة الرابحة التى أخذت تلوح بها المعارضة ، بعد أن أوصلتها السلطة إلى حد اليأس من إمكانية إصلاح الأوضاع المتردية فى البلاد من داخل السلطة .

ولعل ميل المعارضة إلى التحالفات السياسية مع الزعامات الدينية والقبلية فى البلاد كأداة فى المواجهــة السياســية ضــد نظام السلال ، كانت محاولتها ترمى إلى تقليص نفوذ المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء تمهيداً للانقلاب عليها عندما تحين الفرصة المناسبة . حيث ثابرت قياداتها بعزيمة وإصرار على التسوية السياسية ، والمطالبة بإلغاء كافة مظاهر الأحكام العرفية فى الــبلاد ، والدعــوة إلى تشــكيل حكومة مدنية مسئولة أمام ممثلى الشعب، وسرعة التعجيل بسحب القوات المصرية من اليمن . وكانت مسألة السلام والمصالحة الوطنية ، جنباً إلى جنب مــع صــيغة المجلس الجمهورى ذات أهمية حيوية بالنسبة للساسة المدنيين المخضرمين من جيل ١٩٤٨ ، الذين شكلوا شبكة علاقات قرابة اجتماعية كثيفة، سمحت لهم التقارب سياسياً أكثر فأكــثر من شيوخ المؤسسة القبلية . وهكذا قاد ذلك التقارب إلى نوع من الائتلاف ليس بين علماء الدين وشيوخ القبائل فحسب، بل بين حزب الله وتنظيم اتحاد القوى الشعبية ، ليشكلوا معاً جبهة القوى الثالثة . (٥١)

كانت زعامة المعارضة على دراية تامة بأن الغالبية العظمى من الشعب اليمنى يؤيد النظام الجمهــورى العســكرى ، وهذا التأييد تجلى فى التفاف معظم السكان حول السلطة الثورية القائمــة آنذاك فى صنعاء . فما هى الأسباب التى دفعت الزبيرى إلى أن يكون من أحد دعاة المصالحة مع المعارضة الملكية، ومن المتحمسين أيضاً لدعوة قيام دولة اليمن الإسلامية؟ ولنا أن نتســاءل : مــا هــى الخدمة التى قدمها القاضى للمشكلة اليمنية من وراء معارضته للوجود المصرى ؟

والإجابة عن هذا التساؤل تدفعنا إلى القول إن الزبيرى ورفاقه (الإريانى والنعمان)، كانوا على علم أن النظام الجمهورى لا يتنافى مع الإسلام عقيدة وشريعة ، والدعوة مثلاً إلى قيام دولة اليمن الإسلامية ، كانت بحد ذاتها تمثل موقفاً سياسياً يرمى إلى تقليص دور العسكريين فى الحياة السياسية ، تمهيداً للتخلص من الوصايا المصرية على الثورة اليمنية . وقد اكتفى الزبيرى بتأييد النظام الجمهورى بهدف تأمين موقع متقدم له ولأنصاره فى السلطة . ويتحذر هذا الموقف السياسى الفقهى فى ثقافته الدينية ، التى تقتضى منه التشكيك فى شرعية السلطة العسكرية الحاكمة ، تحديداً مجلس قيادة الثورة ، فهو يعتقد أن هذا المجلس العسكرى اغتصب السلطة ، دون حصول القائم عليه (رئيس الجمهورية السلال) على بيعة ناجزه من أهل الحل والعقد . (٥٢)

ومن المؤشرات المهمة للسلطة الأدبية التى أصبحت زعامة حزب الله تتمتع بها فى صنعاء مثلاً ، تردد بعض مشايخ القبائل اليمنية على القاضى الزبيرى طلباً للمساعدة فى حل مشاكلهم المختلفة مع حكومة صنعاء . وقد شكا الكثير منهم أن سلاح الطيران المصرى غالباً ما أخطأ فى قصفه مدن وقرى جمهورية . (٥٣) وتكمن أسباب هذه الأخطاء فى غياب التنسيق السياسى والعسكرى بين القيادة اليمنية والقيادة المصرية ، وعدم تمتعهما بسلطة روحية لم تتمكن جموع القبائل المتمردة من العودة إليها والتفاهم معها بيسر وسهولة . وبقدر ما تنال هذه الظاهرة من نظام السلال ، تنال أيضاً من هيبة ومكانة القيادة المصرية .

ولما كان شيوخ العشائر اليمنية قد وزعوا ولائهم بين المعسكرين المتصارعين الجمهورى والملكى ، فإنهم أخذوا يكتبون إلى الزبيرى ويرسلون إليه رسلهم لطلب الدعم والوساطة بينهم وبين الحكومة . وقد حرصت الحكومة على الحد من نفوذ العلماء من المشاركة فى صنع القرارات السياسية ، لكن زعامة حزب الله مارست ضغوط كبيرة جداً لمنع العسكريين من التفرد بالسلطة والحكم . هذا الدور الدينى – القبلى المزدوج يحدد بعض مظاهره محمد محسن الظاهرى ، الذى يشير إلى سلسلة من الأخطاء المرتكبة من قبل القادة العسكريين تجاه الزعامات القبلية ، ومحاولة نظام السلال إبعاد شيوخ القبائل اليمنية المشاركة فى السلطة ؛ كانت سبباً من جملة أسباب " دفعتهم إلى مناوئة الحكم الجمهورى وممثليه . " (٥٤)

إن هذا التماثل الذى يقيمه الظاهرى للدولة والقبيلة فى العهد الجمهورى ، يبدو غير دقيقاً من وجهة نظرنا . لكن محاولة التخصيص والتعميم فى مجال البحث العلمى تفسح المجال

لظهـور أفكـار متعارضـة فى غالب الأحيان . يشير فضل أبو غانم إلى الأدوار المساندة التى فرضـتها أحداث ووقائع الثورة اليمنية والتداعيات السياسية لمجريات الحرب الأهلية بقوله :

" .. كانت سياسة بعض القيادات العسكرية المصرية تلجأ فى معالجة الحرب التى واجهتها الثورة اليمنية بالاستعانة ببعض مشائخ القبائل الذين منحتهم تأييداً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً كبيراً، وذلـك مـن خـلال تكليفهم بالقيام بالمهام الأمنية والإدارية فى مناطقهم القبلية ، وبقيادة الحمـلات العسكرية أثناء الحرب ، ومنحهم الرتب العسكرية والمناصب الوظيفية الكبيرة فى الدولـة ، وكذلـك منحهم المقررات والاعتمادات المالية الكبيرة ، والتى كانت تعرف باسم ((الميزانيات)) . (٥٥)

بفضل هذه الامتيازات السياسية التى حصلت عليها المعارضة ، استطاع شيوخ القبائل أن يحصلوا على المال والسلاح من الحكومة المركزية فى صنعاء على شكل هبات ومرتبات ؛ أو من المعسكر الملكى على شكل مساعدات مخصصة ، بل وغنائم من العدو . وكان باستطاعتهم أن يكدسوا عتاداً عسكرياً يفوق فى بعض الأحيان مخزون الدولة ، التى اضطرت فى بعض الأحيان إلى شـراء بعض المدافع والرشاشات الثقيلة والذخائر منهم بأسعار باهظة . (٥٦) ما يهمنا هنا الإشارة إلى أن فعالية المعارضة القبلية تزايدت إلى حد أن زعامتها لم تهدد نظام السلال بعرض القضـية اليمنية على المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية فحسب ، بل هددت بتدويلها فى حال رفض القيادة المصرية الاستجابة لمطالبها المتعلقة بالمشاركة فى السلطة . (٥٧)

ظهـرت بـوادر معارضة سياسية قوية من داخل السلطة لأول مرة عندما أحتج الرعيل الأول مـن أعضـاء الاتحاد اليمنى علناً على تصرفات نائب رئيس الجمهورية البيضانى ، التى فسـرت بأنها تثير النـزعة الطائفية ، متهمين كبار المسئولين فى الحكومة بتمزيق وحدة الصف الوطنى . وقد جاءت الفرصة المناسبة التى استغلها الرئيس السلال بذكاء ضد خصمه اللدود ، فأصـدر قراراً يقضى بتنحيته من مناصبه السياسية؛ كما جرد من جنسيته اليمنية. لكن تنحية البيضـانى لم تحل المشكلة حسبما كان يتوقع الجميع . فقد أخذت المعارضة ترفع شعار السلام والمصالحة ، وكان لعناصر حزب الله ، وهم من ناشطى تنظيم الإخوان المسلمين – فرع اليمن – دورهم فى إثارة مشاعر القبائل المتمردة على النظام الجمهورى ، باعتبار القائمين عليه حكاماً مغتصبين للسلطة، يفتقرون للشرعية، بل ويعطلوا العمل بقانون الشرع . (٥٨)

هذا التحرك المضاد للحكومة والنشاط الدعائى ضد الدور المصرى فى نطاق مدينة صنعاء وحدود تحالف حاشد وبكيل ، كان له الدور فى اتساع قاعدة المعارضة الدينية القبلية ، حيث ظهـر تجمع سياسى عرف باسم (كتلة خمر) فى نهاية عام ١٩٦٣ . هذا الائتلاف السياسى شـكل رديفـاً سياسياً لجماعة حزب الله ، مما أعطى دفعه لزعيمه القاضى الزبيرى، ليصل إلى عضـوية المكـتب السياسـى ومجلس الرئاسة . ولم يعد نشاط الحزب مقصوراً على المساجد ومكـاتب الدولة فحسب ، بل أخذت قيادته توطد علاقاتها بالمعارضة الملكية ، بحجة المساعى الحميـدة لإقـرار الأمن والسلام فى ربوع اليمن . [٥٩] وقيل أن أحد أقطاب المعارضة الملكية (السـيد أحمد الشامى) عندما التقى بالقاضى الزبيرى والوفد المرافق له بمدينة أركويت فى السـودان فى أكتوبر عام ١٩٦٤ ، ردد هذه العبارة : " احكموا أنتم القضاة والعلماء وأبناء الـناس ، وسـأكون معكم . أما ما دام المصريون وأولاد سوق الملح يحكمون فإننا نرفض أن نكون معكم .. " [٦٠]

أسـهم قادة المعارضة الجمهوريـة فى خضم الحرب الأهلية فى إثارة الشعور الوطنى - الخصوصـية اليمنية - ضد الوجود المصرى ، ووضع برنامج عمل لتحديد مستقبل الحكم فى الـيمن بعـد إكمال عملية انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة من جنوب شبه الجزيرة العربية . لأسباب موضوعية ترتبط بالوجود المصرى فى اليمن ، لم يتمكن حزب الله من توسيع نشـاطه فى اتجـاه الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية ، حيث أظهر سكان هذه المناطق تعاطفاً ملموساً مع نظام السلال . ومن تلك الأسباب أيضاً أن البرنامج السياسى للحزب لم يكن مقنعاً لقطاعـات واسـعة من الشعب اليمنى ، التى رفضت مشروع دولة اليمن الإسلامية، باعتباره مشروعاً يتعارض مع مشروعية النظام الجمهوري. فهذا الشعار كان واحداً من جملة الشعارات السياسـية الـتى رفعتها المعارضة الملكية ، بعد أن فشلت كل مساعيها السياسية والعسكرية بالعودة باليمن الجديد إلى العهد القديم .

ونظـراً لجاذبية القاضى محمد الزبيرى ، الذى عرف بالعلم والتقوى ، ومواقفه الوطنية المناهضـة لحكم بيت حميد الدين ، فقد أنضم عدد لا بأس به من موظفى الدولة وكبار ضباط الجيـش والشـرطة المتذمرين من الدور المصرى إلى صفوف المعارضة . ونتيجة لتزايد تدخل القيادة المصرية فى دقائق الحياة السياسية ، والدور الدعائى للمعارضة الملكية فى أوساط القبائل اليمـنية المتمردة على السلطات الجمهورية ، أصبح نظام السلال معزولاً عن العلماء وشيوخ القـبائل ، الذيـن اكتشـفوا تدريجياً أن الحرب الأهلية بقدر ما تساهم فى ثرائهم ونفوذهم

السياسي فى البلاد ، تقلص دورهم على المدى الطويل ، عندما أتيحت الفرصة للوافدين الجدد إلى صنعاء من سكان اليمن الأسفل الالتحاق بسلك الجندية ووظائف الدولة العليا ، التى ظلت حكــراً لســكان اليمن الأعلى لقرون طويلة من الزمن . وكان لكسر هذا الاحتكار لوظائف الدولــة أثــره فى اختلال موازين السلطة بفعل الدور المصري، وكان دعوة البيضانى المطالبة بتقاســم السلطة والثروة على نحو عادل بين السكان، قد أثارت حفيظة كل القوى الجمهورية الــتى تصدت له بقوة ؛ كما تصدت القوى التقليدية لكل من يطالب بتطبيق الهدف الأول من أهداف الثورة : " التحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما ، وإقامة حكم جمهورى عادل ، وإزالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات . " (٦١)

مظاهر الصراع على السلطة وحالة البيضانى :

أخــذ الصراع على السلطة بين القادة الجمهوريين مظاهر سياسية واجتماعية خطيرة زاد مــن حدتها تلك النــزعات القبلية والمناطقية المتعارضة ، التى أصبحت ظواهر ملازمة للحياة السياســية اليمــنية المعاصرة . (٦٢) فالمعارك المحتدمة على جبهات القتال عكست نفسها على سلوك النخبة الحاكمة فى مجمل اهتماماتها الجذرية ، حيث ظهرت على مسرح الأحداث ثلاثة اتجاهــات سياسية متعارضة فى برامجها وأهدافها . الاتجاه الأول ، ترأس نشاطه المشير السلال الــذى فرض نفسه على الجميع قائداً للثورة ورئيساً للجمهورية ، اعتمد بدرجة أساسية على خــليط غــير مــتجانس مــن الضباط والتجار والمثقفين الموالين له، الذين نعتهم خصومهم بـــ (السلاليين)، وجميعهم شكلوا تجمعاً سياسياً مناصر للوجود المصرى فى اليمن . لكن هذا الــتجمع ســرعان ما أنقسم على نفسه إلى جناحين عندما احتدم الخلاف بين السلال ونائبه البيضانى ، بإثارتهما التناقضات الموروثة داخل المجتمع اليمنى .

وقد مثل الاتجاه الثانى ، الدكتور البيضانى رمز الوجود المصرى فى اليمن ، الذى لم يكن زعــيمه مستعد لمسايرة حلفاء السلال من العسكريين والمدنيين الذين ضاقوا ذرعاً من التدخل الســافر لأجهزة المخابرات المصرية فى شئون البلاد الداخلية . وقد فضل البيضانى الدخول فى مواجهــة مكشــوفة ضد جناح الصقور من خلال اعتماده المطلق على دعم ومساندة القيادة المصــرية ، وعلاقــة القربى التى كانت تربطه شخصياً برئيس مجلس الشعب أنور السادات ، المكلف رسمياً من قبل الرئيس عبد الناصر بمتابعة ملف اليمن فى السياسة المصرية . وقد حاول البيضــانى اســتغلال موقع السادات لتحقيق طموحه الشخصى الغير محدود بالتسلق إلى قمة

السلطة على جثث الجميع وهامتهم ، بما فى ذلك السلال ، الذى قبل فى وقت سابق مشاركته لـه فى اقتسام غنائم السلطة . وكان البيضانى فى حدود آفاقه الضيقة يفتقر إلى الخبرة العملية بالتركيبة الاجتماعية المعقدة للمجتمع اليمنى ، ينحاز إلى تأييد القبائل الشرقية، وعلى وجه الخصوص قبيلة قيفة ، التى ينتسب لها برابطة الدم ، الأمر الذى أثار ضده كل القوى السياسية المتواجدة على الساحة اليمنية ، بما فى ذلك حلفاءه المصريين الذين تخلوا عنه جميعاً . (٦٣)

يعلق أحمد يوسف أحمد على هذا التغيير السياسى المفاجئ فى صفوف النخبة الجمهورية بالقول : " ومن المهم أن يتأمل المرء الطريقة التى خرج بها البيضانى من السلطة ، فقد كانت المبادرة فى ذلك يمنية ، ولكن تصديق القاهرة كان ضرورياً ، ويعنى هذا تسليم القيادات اليمنية، بأن أى تغيير فى المواقع الحساسة داخل بنية السلطة لا يمكن أن يتم بعملية ذاتية محضة ، وإنما يجب أن يحظى بتصديق القاهرة . ولعل هذا يؤكد خطأ تفسير العملية السياسية فى اليمن فى هذه الفترة بعوامل داخلية يمنية محضة ، أو خارجية مصرية محضة . " (٦٤) وبناءً على ذلك ، يمكن القول إن البيضانى جرد من كافة مناصبه السياسية كنائب لرئيس الجمهورية ، ونائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية ، وأجبر على مغادرة البلاد فى ظروف استثنائية . (٦٥) وبهذا تكون المعارضة قد أزاحت من طريقها شبح البيضانى ، الذى ظل كابوساً يجثم على صدورهم ردحاً من الزمن منذ أيام الاتحاد اليمنى . وهكذا بقى منصب نائب رئيس الجمهورية شاغراً نحو عامين إلى أن وافقت القيادة المصرية على ترشيح الزبيرى لهذا المنصب ، فى خامس حكومة تشكل بعد قيام الثورة. (٦٦)

بالرغم من أن النموذج الأساسى لنظام الحكم فى اليمن الجمهورى اصطبغ منذ البداية بالصبغة العسكرية ، إلا أن قاعدة الحكم أخذت تتوسع تدريجياً لصالح الساسة المدنيين ، الذين أفسح لهم العسكريون المجال للمشاركة فى مناصب تنفيذية ووزارية وتشريعية قضائية لاعتبارات سياسية واجتماعية ، بل وفنية إدارية . وقد أقتضى الأمر من القيادتين اليمنية والمصرية توسيع عضوية مجلس قيادة الثورة والمكتب السياسى والحكومة ضعفين من حيث عدد الأعضاء المدنيين المدمجين فى هذه المؤسسات التنفيذية الثلاث . [انظر الجداول ١، ٢، ٤ فى الملحق ٤] وضعت المؤسسة العسكرية الحاكمة فى اعتبارها تمثيل علماء الدين وشيوخ القبائل فى السلطة من خلال السماح لعدد محدود منهم ، تمثيل قطاعات واسعة من سكان اليمن الأعلى ، الذين كانوا يوزعون ولاءهم بين المعسكرين الجمهورى والملكى . (٦٧) فقد كانت القيادة المصرية تعلم تماماً أن بنية الجيش اليمنى هشه ، وأن وحداته النظامية حديثة العهد بالأسلحة السوفيتية

والـتدريب ، عاجزة عن الدفاع عن النظام الجمهورى دون الاعتماد على الجيش المصري، بل ومساندة الجيش الشعبي (القبلي) فى جبهات القتال ، ربما يؤدى إلى انهيار الدولة الفتية . هكذا اقتضـت الضرورة العسكرية من الحكومة الإذعان لمطالب المعارضة الدينية والقبلية لمزيد من اللحمة والتماسك للشرعية السياسية للنظام الجمهورى الوليد .

وكـان لسياسـة الـتوازنات بـين القوى المتنافسة على السلطة دوره فى سرعة تغيير الحكومـات بشـكل ملحوظ خلال سنوات الثورة الأولى ، تحديداً منذ سبتمبر ١٩٦٢ حتى ديسـمبر ١٩٦٧ ، شكلت نحو (١٣ حكومة) ، ترأس غالبيتها ضباطاً عسكريين، [انظر الجدول ٦ فى الملحق ٤] فيما عدا حكومتين ترأسها مدنيين ، هما أحمد نعمان ومحسن العينى ، كلاهما ينحدرا من أصول قبلية . فلم يكن بمقدورهما أن يمنعا تسلط جهة أو قبيلة على مقاليد السـلطة والحكم فى البلاد ، التى أصبحت الآن تقع تحت قبضة القيادة المصرية وحلفاءها من جماعـة تجـار مديـنة تعز كجماعة سياسية ضاغطة ، كانت تساهم بشكل أو آخر فى صنع القـرارات السياسية . (٦٨) وفى هذا النهج المعارض لنظام السلال ، اقمت المعارضة مسئولين كـبار فى الدولـة وعلى رأسهم البيضانى بالتحيز لجهات وقبائل دون الأخرى ، ومال بعض الساسة الجمهوريين إلى اتهام القيادة المصرية بتهميش مشايخ قبائل حاشد وبكيل من المشاركة فى الحياة السياسية ، فكان الخيار لمقاومة تلك الأوضاع الغير طبيعية الدعوة إلى انعقاد مؤتمرات شعبية ، التى أصبحت بمرور الوقت مرتعاً خصباً للعناصر الملكية فى محاولاتها الرامية إلى إفراغ النظام الجمهورى من محتواه العقائدى وتوظيفه لصالحها.

لهذا السبب ، كان الاتجاه الثالث المعارض للسلطة من واقع السلطة ، يتحرك بوعى نحو الالتقاء مع المعارضة الملكية (اتحاد القوى الشعبية) ، كى يحث القوى الخارجية المعادية للنظام الجمهورى على التدخل لمنع الجمهورية العربية المتحدة من فرض سياساتها على القضية اليمنية . وكـان المـتحدث الـرسمي باسم هذه المعارضة فى الداخل (صنعاء) كل من القاضيين محمد الزبيرى وعبد الرحمن الإريانى ، وفى الخارج كل من محمد أحمد نعمان (الابن) ومحمد عبد الله الفسيل . كما لا يمكن إغفال الدور السعودى الذى رسم أهدافه السياسية بحذق ومهارة تجاه الـتدخل المصـرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، حيث وفرت الأسرة المالكة الدعم المادى والعسـكرى للمـلكيين ، الذين خاضوا غمار حرب عصابات ناجحة ضد الجيش المصرى فى مرتفعات اليمن الشمالية . (٦٩)

وهناك ما كان يطلق عليه جناح المعارضة الملكية المنشقة عن مجلس الإمامة ، الذى أصبح اتـــباعه يعرفون باسم (القوى الثالثة) بزعامة أسرة الوزير ، الذين تبنوا مشروع دولة اليمن الإسلامية(٧٠) ، وبدورهم يتلقون دعماً سياسياً من النظام السعودى . ولزعامة هـــذا التنظيم وجهة نظرها الخاصة فيما يتعلق بشروط المصالحة : "عرفنا أن الجمهورية – وكذلك الملكية – ليســتا ســوى أسمــاء وإطــارات لمحتويات متعددة صالحة وفاســدة. ومع ذلك فإن النظام الجمهورى قد يكون أنجح الوسائل فى تحقيق حكم أفضل – من حيث أنه تجسيدٌ أشمل لتمثيل الأمــة فى الحكـــم – عن سائر الأنظمة القائمة ، وهو كذلك إذا طبق تطبيقاً جيداً .. والذين يــرون أن الجمهوريـــة أو الملكية الدستورية نظام متكامل وثابت إنما يقعون فى الخطأ؛ فليست الجمهوريـــة أو الملكية فى حد ذاتها إلا شكلاً لمحتوى كما قلنا، ولم يتخذ الشكلان سمات معينة تقتصـــران فيها على منهج واحد وإيديولوجية واحدة " . (٧١) هذا الطرح فى شأنه ينسجم إلى حد كبير مع أطروحات الجناح الجمهورى المنشق عن نظام السلال – تحديداً حزب الله وتجمع كتلة خمر . (٧٢)

نســـتخلص ممـــا سبق أن هذه الإنشقاقات السياسية داخل الصف الجمهورى وخارجه، كانت تعكس طبيعة الصراع الدائر فى اليمن وتعقيداته الداخلية والخارجية. ولا أدل على ذلك مـــن وجود أربعة تيارات سياسية متباينة الأهداف والمقاصد ، داخل المعسكرين – الجمهورى والملكى . كما أن تجربة حزب الله فى حد ذاتها أثبتت نجاح الزبيرى المحدود فى اختراق صفوف المعســكرين مـــن خـــلال أنصاره ومريديه ، الذين تحمسوا لمشروع دولة اليمن الإسلامية . وقد جاء هذا التحرك نتيجة لغياب زعامة سياسية مزاحمة له ، لا سيما بعد أن التزم أمراء بيت حميد الدين خط السياسة السعودية المناهض للنظام الجمهورى من جهة ، والوجود المصرى من جهـــة أخـــرى . وكان غضب الجماهير اليمنية على الأسرة المالكة (بيت حميد الدين) ، قد أنســـحب بـــدوره عـــلى كل رموزها السياسية من السادة العلويين الذين تواروا عن مسرح الأحداث فى صنعاء ، فى ظل الوجود العسكرى المصرى .

مـــن جهـــة أخرى ، كانت الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد غالباً ما تضم عناصر عســـكرية – يمـــنية ومصـــرية – بملابـــس مدنية ، جميعهم يخضعون لتعاليهم رئيس الدولة ، أو يتـــلقون تعليمات خاصة من القيادة العربية بصنعاء . علماً بأن السلطات المحلية بقيت على حالـــتها الأولى كمـــا كانت فى مرحلة المملكة المتوكلية اليمانية ، حيث منح مشائخ القبائل صلاحيات واسعة وامتيازات مشابهة للسلطة المركزية – فى نطاق عشائرهم ، دون أى تدخل

يذكر من الحكومة ، حيث أصبحوا يشكلوا دولة داخل الدولة . (٧٣) كما أتيحت لهم الفرصة المشاركة فى الحياة السياسية بصورة فاعلة فى مجلس الوزراء ، حيث خصصت لهم حقيبة وزارة الداخلية وحقيبة شئون القبائل ؛ فضلاً عن تشكيل اللجنة المركزية لشئون القبائل فى شهر أبريل من عام ١٩٦٣ . (٧٤) ولم تطالبهم الحكومة بتسليم الزكاة المستحقة لها ، ولا الأسلحة الثقيلة التى غنموها فى الحرب ، بل أنها منحتهم كل ما يريدون من المال والسلاح والوظائف . (٧٥) لكن هذه الامتيازات والصلاحيات الواسعة للمؤسسة القبلية لم تكن كافية لكسب ولاء زعامتها ، التى أخذت تتطلع للعب دوراً أكبر فى الحياة السياسية.

حاول رموز المعارضة الذين سيطروا على مراكز مهمة فى الحكومة (وزارات العدل والداخلية والاقتصاد والإدارة المحلية)، وقيادة الجيشين النظامى والشعبى (القبلى)، التخلص من نفوذ السلال بتسريح بعض أبرز أنصاره (البيضانى) فى ربيع عام ١٩٦٣ ، إلا أنه رد بإجراءات عنيفة مماثلة ، مما دفع بأعضاء الحكومة (الإريانى والزبيرى والنعمان) تقديم استقالة جماعية . (٧٦) وفى سبتمبر عام ١٩٦٣ ، انعقد مؤتمر عمران، فى ظروف استثنائية ، حيث اتخذت قيادة المعارضة قرارات وتوصيات مهمة، كما أفصحت عن تصورها الخاص لفحوى النظام الجمهورى . وقدم القاضيان (الزبيرى والإريانى) مذكرة تفصيلية وضحا فيها مطالب المعارضة بتشكيل مجلس شورى وحكومة مدنية. وأشار البيان الصادر عن المؤتمر ، بأسلوب يتصف بالنقد الضمنى الموجه للحكومة ، جاء فيه : " إن الممارسات الخاطئة التى يرتكبها غير الثوريين ممن تسللوا إلى الصف الجمهورى ، هى التى أدت وستؤدى إلى تقسيم أبناء الشعب اليمنى إلى فئات متناحرة .. " (٧٧)

وبحلول نهاية عام ١٩٦٣ ، كان هناك اعتقاد متصاعد فى صفوف المعارضة الجمهورية بأن حكومة السلال والقيادة المصرية الحاميان الفعليان للنظام الجمهوري، وأن سياسة التصعيد العسكرى إنما تمثل رغبة الجمهورية العربية المتحدة فى البقاء فى اليمن وفرض سيطرتها على مقاليد الأمور ، وفق مخطط تآمرى رسمه جهاز المخابرات المصرية . وكان الزبيرى وأنصاره فى المؤسستين الدينية والقبلية قد رفضوا على الدوام أن يلزموا أنفسهم بأى إطار قد يفسر خارج إطار قرارات وتوصيات مؤتمر عمران، ولكنهم رفضوا إعلان خروجهم بصورة نهائية عن النظام الجمهورى ، " لأن الجمهورية هى النظام الذى جاء به الإسلام ، ولأن الملكية مرفوضة فى كتاب الله وشريعته . " (٧٨)

وبالرغم من أن الزبيرى كان ضمن أعضاء المكتب السياسى هو وبعض رفاقه (النعمان والإريـــانى وصبره) ، فإن غالبية أعضاء مجلس قيادة الثورة والحكومة ، كانوا من العسكريين والـــتجار المؤيدين للدور المصرى . ولم تمض شهور قليلة بعد تعيينه فى المكتب السياسى ، حتى جهـــر بالشكوى من تسلط العسكريين على المجلس والحكومة ، وكان يرى أن أكبر خطر لحق بالـــثورة هـــو شـــخص البيضانى ، وهو لم يخف تحفظه عنه قبل قيام الثورة، كتب رسالة يحذر فيهـــا رفاقـــه بهـــذه العبارات : " إن البيضانى أغراكم بفكرة القحطانية ، وأنتم لا تتصورون ما وراءها ، إن الأحرار سيدفعون ثمناً غالياً ، فإن البيضانى لا يقصد بها إلا تمزيق القوة الوطنية فى اليمن . " (٧٩)

كانت المعارضة المنشقة عن النظام الجمهورى قد أعلنت عن نفسها بطريقة فاعلة ، أدت بانـــتقاداتها المتكررة للمؤسسة العسكرية الحاكمة إلى استجابة زعماء العشائر اليمنية وعلماء الديـــن ، الـــذى التفوا حول برنامج حزب الله الذى يتمحور حول دعوة السلام والمصالحة الوطنية كمخرج للأزمة اليمنية . فأزمة السلطة الجمهورية هذه ترتكز على ثلاث معطيات منذ سبتمبر ١٩٦٣ : أولها ، تزايد حجم القوات المصرية المتواجدة فى أرض اليمن ، وما رافق ذلك مـــن تصعيد عسكرى فى جبهات القتال فى الهضبة الشمالية والشمالية الشرقية والغربية خلال عامى ١٩٦٣ و١٩٦٤ . ثانياً ، تزايد نفوذ الدور المصرى فى الحياة السياسية ، حيث أصبحت القيـــادة العربية فى صنعاء هى السلطة الفعلية المحركة للأحداث . ثالثاً ، نظام السلال المدعوم بقـــوة مـــن قبل القيادة المصرية ، وكلاهما يفتقد للشرعية – من وجهة نظر المعارضة . هذه الأسباب مجتمعه ، ساهمت فى خلق معارضة قوية فى أوساط سكان الهضبة الشمالية ، خصوصاً عشائر حاشد التى تحولت معظمها من أنصار للقضية الجمهورية إلى خصوم ومعارضين للوجود المصـــرى . لكـــن زعامة حزب الله التى نصبت نفسها رقيباً محاسباً لحكومة السلال وتجاوزات القيـــادة العـــربية، لم تقـــدم حلول مناسبة لهيكلية الدولة والثورة ، غير المقترحات السياسية الـــتى غالباً ما تمحورت حول السلام والمصالحة الوطنية، والمطالبة بسحب القوات المصرية من اليمن. (٨٠)

فى هـــذه الفـــترة الحـــرجة من تاريخ اليمن المعاصر ، حصلت أزمة السلطة والمعارضة الجمهوريـــة فى آن واحـــد – تجاه ذلك النظام الجمهورى المتولد عن مفهوم اليقين الثورى ، والـــتدخل المصـــرى ، الذى تم استحضاره وإدانته فى وقائع جلسات مؤتمر عمران وغيره من المؤتمـــرات والـــلقاءات الشـــعبية. وكان القاضى الزبيرى ، يستعيد بدوره أحداث التجارب

الـتاريخية الـتى مر بها اليمن مستلهماً عقدة ذى يزن ، ذلك الفارس الذى دفعته الضرورة فى لحظة من لحظات اليأس والانكسار ، الاعتماد على العنصر الفارسى فى مساندته والوقوف إلى جانـبه ضد الغزو والاحتلال الحبشي . لكن هذا الحضور العربى – الدور المصرى – ، عشية انعقـاد مؤتمر عمران ، كان قد تحول إلى كابوس ضاق به صدر " الزبيرى ، ثم نفوره من هذه العقدة ، لا يعنى التقليل من شأن الاعتماد على الموقف القومى ، وإنما يعبر عن الخوف من أن يتحول هذا الاعتماد إلى شعور بالتواكل وانتظار المخلص الخارجى . " (٨١)

ومن خلال هذه الخلفية التاريخية ، تتقمص زعامة حزب الله شخصية الفارس اليمنى سيف بـن ذى يـزن ، والقاضـى الزبيرى بتواجده داخل السلطة كان يستند فى معارضته لحكومة السـلال والقيـادة المصرية ، على مجمل التناقضات السياسية والاجتماعية المتولدة عن تجربة الجمهوريـة العربية اليمنية . والرمز التاريخى للتدخل الخارجى – الفارسى – فى تاريخ اليمن القديم، يسقطه الزبيرى وأشياعه إسقاطاً على الدور القومى العربى –المصري– بهذه الطريقة ، لأداء مهمـة تسهل للمعارضة تخطى مجلس قيادة الثورة ، بالوصول إلى قمة السلطة ، كتفسير مسـبق لمفهوم اليقين الثورى أو الحكم الشعبى ، بمعزل عن ذلك النموذج التاريخى – الحكم الجمهورى – المستعار من تجارب تاريخية غربية وعربية معاصرة .

وإذا كـان الحديث عن الجمهورية والحرية يخص أكثر القوى الجديدة المؤمنة بهذا النظام قـدراً ومصـيراً ، أو سـكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية ، أو المجتمع الحضرى الذى استجاب لدعوة الجمهورية ، فإن الجزية الفادحة ، كان بطبيعة الحال يدفعها من يرفض الخروج من كهف الأسرة والقبيلة إلى الفضاء الفسيح لنظام الجمهورية العربية اليمنية ، حيث يتساوى الجميـع فى الحقـوق والواجـبات ، دون الحاجة إلى قلب الرؤيا التاريخية لعقدة ذى يزن ، أو الاسـتلاب المستمر لمفهوم جمهورية ، سواء عربية يمنية ، أو يمنية . تقويم هذه المصطلحات والمفاهيم ، كان من المفروض تصحيحها عندما تحرك تنظيم الضباط الأحرار عشية يوم الثورة ، لخوض معركة قصر البشائر ، التى دكت تحت أنقاضه أعتى الأنظمة الرجعية تخلفاً فى الساحتين العـربية والإسـلامية . إلا أنهم لم يتمكنوا من رصد وقائع الأحداث بعد نجاح الثورة ومجيء القـوات المصـرية إلى اليمن ، فترك معظمهم تصريف مجلس قيادة الثورة والحكومة للساسة المدنيـين والمستشارين والخبراء المصريين . وقد عبر أحد ضباط الثورة (العميد يحيى المتوكل) عـن هـذه الحقيقة بقوله : " الجميع كان مدركاً لأهمية الدور المصرى للثورة اليمنية ومرحباً بوجـود قوات مصرية فى اليمن ، وبدور مصرى على سياساتها ، ولكن هيمنة المصريين على

القرار خلفت معارضين ، وكان أولهم الشهيد محمد محمود الزبيرى ، وكان أول تحرك له يتمثل فى الدعــوة لعقــد مؤتمــر عمران ومناداته بتكوين حزب الله وخروجه عن العاصمة صنعاء إلى المــناطق القبــلية .. كل هذه التحركات التى قام بها الزبيرى وغيره من السياسيين هدفت إلى التعبير عن الاحتجاج بطريقة أو بأخرى على استمرار اتخاذ القرارات من قبل المصريين فى ظل غياب جيش يمنى جمهورى مؤهل وإدارة سياسية جمهورية مستقلة . " (٨٢)

يســتفاد مــن هذه الشهادة التاريخية أن القيادة اليمنية ، كانت مسلوبة الإرادة فى ظل الوجــود المصــرى الــذى تفردت قياداته باتخاذ القرارات السياسية الحاسمة المتعلقة بالسلم والحــرب . فالســؤال الــذى كان ولا يزال يطرح نفسه : ما هى الأسباب التى حالت دون الســماح لمجلس قيادة الثورة ومجلس الثورة والمكتب السياسى الذى يتكون معظم أعضاؤه من تنظيم الضباط الأحرار ، من المشاركة فى صياغة القرارات السياسية الحاسمة ؟

كــان المجــالس الثلاثة يتزعمها رئيس الجمهورية ، الذى أصبح يجمع بين يديه سلطات تــنفيذية وتشــريعية غير محدودة ، نظراً للحالة الاستثنائية التى كانت تمر بها البلاد فى ظروف الحــرب الأهــلية المستعره ؛ فضلاً عن صلاحيات واسعة فى تعيين الوزراء وعزلهم ، علماً بأن الدستور الدائم للجمهورية العربية اليمنية حدد سلفاً صلاحيات رئيس الجمهورية . (٨٣) وبعد مضــى أيــام معدودة على رئاسته ، عقدت القيادة المصرية معه اتفاقاً ينص على إحالة الأمور السياســية والاقتصادية فى البلاد إلى المستشارين والخبراء المصريين (هيئة الخبراء العرب) ، وبذلــك نســتطيع القــول إن نظام الجمهورية العربية اليمنية أصبح يقع تحت هيمنة ونفوذ القاهرة . وبصفة إجمالية خلقت حالة الحرب نوعاً من الازدواجية بين القيادتين اليمنية والمصرية فى اتخاذ القرارات السياسية بصورة متناغمة . وكنتيجة للتصعيد العسكرى فى جبهات القتال ، هيمنت القيادة المصرية على مقاليد الحكم فى البلاد .

وبهــذا الــتحديد لمظاهر الانقسام فى الصف الجمهورى ، يمكن أن ترد هذه المسألة إلى جــذور المشكلة اليمنية ، أى الصراع على السلطة ، حيث صبت المعارضة جام غضبها على شــخص نائب رئيس الجمهورية ، فالبيضانى – من وجهة نظرها – عنصر دخيل على الثورة اليمنية ، يمثل مصالح الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن . ويحدد أحد الدارسين المهتمين بحركة المعارضة الوطنية –طبيعة الصراع القائم حينذاك من خلال استعراضه لحالة واحدة من عشرات الحــالات الشــاذة فى مرحــلة الجمهورية العربية اليمنية : " كــان أمراً طبيعياً أن يتصدى

لــه الأحرار اليمــنيون قبل الثورة وبعدها .. وفى ١٩٦٢/٩/٣٠ حدث ما توقعه الأحرار ، حــين أغار على الثورة وقام بإعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة ، واستلم عملياً رئاسة الوزراء، والقيــادة العســكرية العامــة؛ ثم استصــدر بنفسه فى ١٩٦٢/١٠/٢ قراراً يمنحه " كافة الصــلاحيات الــتى يتمتع بها رئيس الوزراء والقائد العام). وفى ١٩٦٢/١١/١ أصبح نائباً لرئيس الجمهورية وبصلاحيات رئيس الجمهورية دفعة واحدة . كل ذلك تم تحت المظلة المصرية التى مثلها يومئذ صديقه غير المأسوف عليه (السادات) . " (٨٤)

زعم بعض المتتبعين لمسار حركة المعارضة الوطنية فى اليمن المعاصر ، أن العامل الرئيسى لحدوث الانقسام الحاد فى الصف الجمهورى ، يعود أساساً لشخص البيضانى ، باعتباره عنصراً دخيل ليس على الثورة والجمهورية فحسب ، بل وعلى الشعب اليمنى ؛ وهذا قول مبالغ فيه . فالبيضــانى - شــئنا أم أبيــنا - هو إفراز مباشر لمرحلة المملكة المتوكلية اليمانية ، وسلسلة الأخطــاء الفادحة التى وقعت فيها زعامة الاتحاد اليمنى ، من خلال علاقتها المتشعبة والشائكة معه ومع غيره ، ممن انخرطوا فى صفوف المعارضة لأسباب ذاتية وموضوعية هدفت إلى تفتيت الاتحاد وتمزيقه . فالسلال ، الخصم اللدود للبيضانى ، الذى قبل التعاون معه فى تشكيل مجلس قيادة الثورة ، كان فى مقدمة منتقديه حيث شكاه فى رسالة طويلة وجهها للزعيم العربى جمال عــبد الناصــر ، نورد هنا مقاطع منها قد تساعدنا فى فهم أسباب الخلافات الشخصية ، التى تحولت فيما بعد إزاحة البيضانى إلى معارضة علنية للنظام الجمهورى ، كان مصدرها الطموح والتــنافس عــلى السلطة ليس إلا . ها هو المشير السلال يعدد لعبد الناصر بعض الممارسات الخاطئة للبيضانى ، على النحو التالى :

١- حاول الرجل منذ الأيام الأولى للثورة أن يعمل على تركيز شخصيته بتكتيل جماعات وقــوى مــن حوله ، وإعطائها الكثير من فرص الظهور والمناصب مما أدى إلى زعزعة الوحدة الوطنية ، وتخلخل الصفوف ، وارتباك حركة السير الثورى ..

٢- عندما ظهرت بعض المشاكل مع القبائل ، حاول أن يستغل الصلاحيات التى أعطيت له ، باتخاذ إجراءات وتصرفات أدت إلى توسع هذه المشاكل وتعقيدها ، مما كلف الدولة أبهظ الخسائر مادياً ومعنوياً لمواجهة إيقافها كمشكلة خولان ..

٣- عمــل الــرجل على العبث فى صفوف القبائل، وذلك باستمالة بعض المشايخ من مــناطق مختــلفة وأغدق عليهم الكثير من النفقات والسلاح والصرفيات من ميزانية الدولة ،

الأمر الذى دفع المشايخ الآخرين إلى النقمة والحقد على الثورة وعلى رجالها ، ومن ثم معاداتها ومعاداة النظام الجمهورى ..

٤- رغبة فى تركيز شخصيته عمد دون تقدير للمسئولية إلى إعلان رفع مستوى المعاشات لعموم موظفى الدولة والقوات المسلحة ، إلى درجة لم تكن متوقعة من قبل الموظفين أنفسهم ، فى حين أثار استغراب المواطنين الذى يعرفون أن ميزانية الدولة لا تتحمل مثل هذه المسئوليات ، الأمر الذى جعلهم يشعرون أن الثورة وحكومتها تعمل بدون فهم ولا تقدير للمسئوليات ، مما أوجد لديهم نوعاً من اليأس فى عدم نجاحها .. ثم بالتالى عندما أدرك الرجل استنزاف ما تبقى فى خزينة الدولة ، عمد إلى تغطية هذا الوضع بفرض ضرائب كبيرة على المستهلكين مما أثار سخط واستياء الرأى العام ، .. " (٨٥)

نستنتج من رسالة السلال مدى تدهور الموقف السياسى فى البلاد ، حيث حمل البيضانى أوزاره وأوزار غيره . وفى اعتقادنا ، أن الطموح الشخصى كان من أهم أسباب الصراع المحتدم على السلطة بين السلال والبيضانى من جهة ، وحكومة السلال وجماعة حزب الله من جهة أخرى. فقد كان البيضانى أول شخصية سياسية شافعية تتولى هذا المنصب الرفيع منذ سقوط الدولة الطاهرية فى بداية القرن السادس العشر الميلادى ، وقد تزايد دور قطاع واسع من الساسة المدنيين والقادة العسكريين ، الذين ينحدرون من أصول اجتماعية متواضعة فى مراكز الدولة العليا بفضل الدور المصرى . ولم يكن السبب الرئيسى لإقصاء البيضانى هو اعتماده العلنى على الروابط الطائفية ، وإن كان ذلك ذريعة قدمها هو لخصومه ليستخدموها ضده . (٨٦) ولم يخف الساسة المدنيون استياءهم الشديد من القيادة المصرية ومخابراتها العسكرية ، التى ساهمت فى تعميق الانقسامات الجانبية فى الصف الجمهورى بإقدامها على تنصيب البيضانى أعلى المناصب السياسية فى الدولة ، بل اتهمه كبار ضباط الجيش بما فيهم رئيس الجمهورية السلال بإثارة النعرات الطائفية والفرقة المذهبية بين أبناء اليمن الواحد(٨٧) وفى وقت لاحق وجهت نفس التهمة للشيخ أحمد نعمان ، عضو المجلس الجمهورى ورئيس الوزراء، وفى ظروف استثنائية جرد النعمان مثل البيضانى من كافة المناصب الرسمية، بل ومن جنسيته اليمنية . (٨٨)

بدأت الخلافات العميقة بين السلطة ممثلة بشخص رئيس الجمهورية وبين المعارضة ممثلة بزعامة حزب الله ، منذ يناير عام ١٩٦٣ ، وتمحورت فى ثلاث نقاط رئيسة :

١- إعلان نهاية حالة الطوارئ والأحكام العرفية فى البلاد ، والدعوة إلى الحوار والسلام كخطوة إيجابية تساهم فى خلق المناخ المناسب للمصالحة الوطنية بين الأطراف المتحاربة .

٢- الدعــوة إلى تشــكيل حكومة مدينة تمثيلية ومجلس شورى منتخب يمثل جميع فئات الشعب ، ليحل محل مجلس قيادة الثورة والمكتب السياسى .

٣- البـحث عن حلول عملية ناجعة لوقف تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية فى البلاد .[٨٩]

وتجلى الصراع على السلطة بين رئيس الجمهورية والمعارضة بصورة فاعلة ، عندما شدد الزبيرى ورفاقه بإنهاء كل مظاهر الفساد المالى والإدارى ، بل والقضاء على المحسوبية والفئوية الـتى أصـبحت تشـكل ظاهرة خطيرة على الوحدة الوطنية . وكان السلال يدرك تماماً أن السماح للمعارضة ممارسة نشاطها المعادى للنظام من واقع مشاركتها فى السلطة ، يشكل خطراً أكبر على الدولة من خطر المعارضة الملكية ، التى يمكن مواجهتها وإخمادها بواسطة القوة . أما السماح لعناصر حزب الله القيام بدور المعارضة من داخل النظام نفسه حتماً سيؤدى ذلك إلى القضـاء علـى الثورة والجمهورية ؛ ولم يخف ميله الشديد لمحاربة المفسدين فى الأرض الذى يتخفون تحت عباءة الإسلام ، كما عبر عن ذلك فى أحد مقابلاته الشخصية مع المؤلف .[٩٠] لكن عناصر حزب الله المدعومة بقوة من قبل تجمع كتلة خمر ، أخذت تندد بالحكم العسكرى ونواياه الـرامية لاحتكار السلطة ، لصالح فئة من العسكريين والساسة الانتهازيين ، الذين استغلوا فرصة انشغال رجال الثورة فى ساحات القتال ليتفردوا بالسلطة والحكم .[٩١]

كـان أقطـاب المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال ، يتطلعون إلى لعب دور الطليعة الثورية التى ستعطى النظام الجمهورى طابعاً إسلامياً ، يساهم فى إعادة بناء الشخصية العـربية الإسلامية للشعب اليمني، بهدف المحافظة على كينونة الذات " الخصوصية اليمنية " ، الـتى شـوهت بعـض معالمها فى ظل الدور المصرى الفاعل فى جنوب الجزيرة . فالمنهج العام للمعارضة أقتصر على التحريض السياسى ضد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، والدعوة العلـنية إلى الخـروج عـن نظام السلال ؛ ومن ثم الإعلان عن قيام دولة اليمن الإسلامية ، باعتبارها رديف سياسى للحكم الشعبى الذى أحتل حيزاً مهماً فى أدبيات الاتحاد اليمنى .

وإذا كـان الزبيرى قد أتخذ من الأدب والفقه مدخلاً نظرياً فى خطابه السياسى ، الذى لا يخلو من مؤثرات الفقه الزيدى - الحسبة - ، كما يبدو ذلك واضحاً فى بيانات حزب الله

التى اتسمت بالحدة تجاه نظام السلال ، باعتباره حكماً عسكرياً مرفوضاً . فالسلال من وجهة نظـــر القاضـــى ، لا يختلف منهجه فى الحكم وإدارة شئون البلاد فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، كثيراً عن النظام الإمامى فى عهد بيت حميد الدين ، كما أفصح عن ذلك الزبيرى فى قصيدته المشهورة (القانون والفرس والميدان) ، التى خصصنا الفصل السابع من هذه الدراسة لمناقشتها .

وقد كان مؤتمر عمران (سبتمبر ١٩٦٣) يجسد بشكل أو آخر ، ظهور حركة معارضة سياسية قوية داخل نظام الجمهورية العربية اليمنية ، والثورة اليمنية لم تطفئ بعد شمعتها الاولى . كما تبين للمعارضة أن الحكومة العسكرية بزعامة السلال ، كانت تتخذ من الأزمة السياسية فرصة لتصـــعيد العمل العسكرى ضد المتمردين (الملكيين) التابعين للمعسكر الامامى ، لان المسألة الجوهرية حينها كانت محصورة فى دعم النظام الجمهورى فى صنعاء وترسيخ قواعده ، بغـــض الـــنظر عـــن الأخطاء المرتكبة أثناء الممارسة والتطبيق لاهداف الثورة ومبادئها الستة المعلنة . [٩٢]

ونلاحظ فى هذا السياق التاريخى أن ظاهرة الزبيرى الخطابية بمعزل عن الشعرية ، المجسدة فى تجربة حزب الله ، وانتشار مبادئها فى الفترة المذكورة كانت مقصورة علي سكان المرتفعات الشـــمالية – تحديـــداً من مدينة صنعاء جنوباً حتى عمران وريدة إلى مدينة حوث وصعدة فى أقصـــى الهضبة الشمالية . [٩٣] وسكان هذه الجهات حتى عشية انعقاد مؤتمر عمران فى سبتمبر ١٩٦٣، كانوا لم يحددوا بعد بصورة حاسمة موقفهم من أطراف الصراع الجمهورى – الملكي؛ " فكـــانت (الجمهرة) و(الميلكة) اسخى مواسم المحاربين لأن لكل جبهة ثروة دولة، وتحت هذا الزمان الهادر سعى الزبيرى إلى الإصلاح بين المتحاربين . " [٩٤] ويوافق محمد الظاهرى رأى عـــبد الله الـــبردونى فى أن القبائل اليمنية ، كان يغلب عليها النـــزعة الانتهازية فى استغلال الصراع الدائر فى اليمن لصالحها. ومثل هذا التفسير لهذه الظاهرة القبلية يبدو صحيحاً ومنطقياً فـــيما لو تذكرنا تلك الأدوار المزدوجة لشيوخ عشائر حاشد وبكيل ، الذين ساهموا فى قيام وسقوط الحكومة الدستورية عام ١٩٤٨ . [٩٥]

من هذه الزاوية ، تسقط تجربة الاتحاد اليمنى (١٩٥٢ – ١٩٦٢) ، وتجربة حزب الله (١٩٦٣ – ١٩٦٥) ، مـــن مرحلة الصراع ضد المؤسسة الإمامية إلى مرحلة الصراع ضد المؤســـسة العسكرية . وهذه المرحلة الأخيرة ، تصبح بذلك متميزة تعبيراً عن المقاومة القبلية

المسلحة ليس ضد الوجود المصرى فحسب ، بل ضد النظام الجمهورى . من هذا المنطلق، تتسع مطالب المعارضة بالسلام والمصالحة بين الأطراف المعنية فى اليمن . وتنقلب فى المقابل الرؤيا العقائدية لدى المعارضة المنشقة عن نظام السلال رأساً على عقب ، إذا ما فهمنا مغزى مفهوم الحكم الشعبى ، ومفهوم دولة اليمن الإسلامية ، كتعبير مجمل عن ردود الفعل المحلية المتولدة عن ضغوط خارجية، مصدرها قوى إقليمية عربية – المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة . (٩٦)

ومن المؤكد أن الزبيرى كان يعلم أن مشروع الدولة الإسلامية أو الحكم الشعبى توجه سياسى ، لن تقبل به القيادتين اليمنية والمصرية . وكان هدفه التغلب على انقسام المجتمع اليمنى إلى قسمين جمهورى وملكى ، أو بتعبير أكثر دقة شافعى وزيدى ؛ فهو يرفض الاعتراف بهذا الواقع السياسى الموروث عن العصر الملكي؛ وجاءت أحداث الحرب الأهلية تجسده على أرض الواقع . ولو أردنا أن نتتبع سلسلة الأحداث والوقائع التاريخية التى بنى عليها الزبيرى نظرته الخاصة للمشكلة اليمنية ، لوصلنا إلى الاستنتاج أو التعميم نفسه الذى وصل إليه محمد عبد السلام بقوله : " ماذا عن الجمهورية ؟ إن التقسيم للوظائف العامة فى المجتمع والدولة مناسب لبنية مجتمع الإمامة، التى كانت تقوم على نظام أفقى ورأسى لا يستطيع البقاء خارجه. والاحتفاظ بنفس الشروط مع الحديث عن إلغاء الإمامة تناقض واضح، وشاهد على أن الشكل الجمهورى استمرار لها بمعنى من المعاني. فالجمهورية كما تتصورها – فئة القضاة [المفرد قاضٍ] استبدلت بإمامة حكمهم، داخل البنية القديمة للدولة ، ودون كسر إطارها حتى لا يخرج الجديد إلى الحياة. وهذا يعنى أن الجمهورية ، لا تستطيع القضاء على أهم أركان الإمامة : المؤسسة القبلية التى كانت ترتكز عليها . " (٩٧)

وهذا القول صحيح فيما لو أدركنا أن الجمهورية ألغت احتكار السلطة السياسية التى كانت محصورة في الماضى على النخبة العلوية، أى فئة السادة [المفرد سيد] . وكان القاضى الزبيرى فى طليعة أحرار اليمن الذين أيدوا الحركة الثورية فى اليمن (ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢)، لكنه لم يكن راضياً كل الرضا بتعيين السلال رئيساً للجمهورية . كان لهذا الحدث، تعيين الزعيم السلال رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للقوات المسلحة ، والدكتور البيضانى نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً للخارجية ، صدى كبير ليس فى أوساط القبائل اليمنية فحسب ، بل فى أوساط الشريحة المتوسطة فى المدن اليمنية . أما الوجهاء والأعيان فلم يظهروا إلا تخوفهم وتحفظهم الشديد تجاه هاتين الشخصيتين السياسيتين اللتين لمع نجمها فى سماء اليمن . (٩٨)

لقد كانت الحركة الثورية فى اليمن ذات دلالة سياسية واجتماعية ، حيث كان نموها يتم بصـــورة مضطردة على حساب القوى التقليدية ، وكانت الحرب الأهلية قد أدت إلى انقسام الـــيمن إلى معسكرين ؛ جمهورى جديد يقف فى مواجهة الملكى القديم . وكان اختلاف القادة الجمهوريون بطبيعة الحال يدور حول إشكاليتين : مسئولية واختصاص رئيس الجمهورية ، وحق القيادة المصرية فى تعيين وإقالة أعضاء الحكومة . وكان الساسة المدنيون وعلى رأسهم الزبيرى والإريـــانى والـــنعمان يتمنون على اقل تقدير أن يستشاروا عند اختيار الوزراء ، وفى احسن الأحوال أن يكون هناك رئيس وزراء يمتلك صلاحية تعيين الحكومة والمراقبة الفعلية على تنفيذ السياسة الحكومية . (٩٩)

عاش الزبيرى معظم حياته بالخارج ، وفى القاهرة على الخصوص ، ولم يعد إلا نجماً خافتاً عـــند قيـــام الثورة . وبالرغم من انه عـــاد إلى اليمن للمشاركة فى الحركة الثورية الجديدة ، إلا أنه لم يكن مقتنعاً بمنصب وزير المعارف الذى سبق وأن اسند إليه عند قيام حركة (١٩٤٨) الدستورية ، وبالطبع لم يجرؤ على المطالبة بمنصب رئاسة الجمهورية ، كونه لم يشارك فى أحداث ووقائع الثورة السبتمبرية ، إلا إن أمر تطلعه لرئاسة الدولة هو أو غيره من القضاة القحطانيين ، أصبح أمرا واردا حينها . (١٠٠) غير أن تنظيم الضباط الأحرار وقع اختياره على الزعيم حمود الجـــائفى ، ليـــتزعم الحركة الثورية ، باعتباره أكبر رتبة عسكرية فى الجيش ويحـــظى بثقة واحترام الجميع ، لكنه أبى . ولما تلكـــأ الزعيم الجائفى فى قبول هذا المنصب الفخرى لرئاسة مجلس قيادة الثورة، اضطر الضباط الصغار إلى اللجوء إلى الزعيم السلال رئيس الحرس الملكي، فقبل العرض على الفور . (١٠١) غير انه ليس هناك ما يدل على أن السلال كان ثورياً محترفاً ، بقدر ما كان مغامراً عسكرياً لا أكثر .

لـــا جـــاءت الظروف المواتية لتفجير الموقف فى صنعاء بعد موت الإمام أحمد يوم ١٩ ســـبتمبر عام ١٩٦٢ بمدينة تعز ، بايع علماء اليمن وفى مقدمتهم القاضى الإريانى الأمير محمد البدر إماماً للبلاد ، وكان الزعيم السلال حينها قائداً للحرس الملكى أقرب ما يكون إلى صف الـــثورة ، حيـــث أبدى استعداده للانضمام إلى رجال الحركة وخوض المعركة . وبهذا الموقف المـــالى لضباط الثورة، سهل للجميع مهمة اقتحام قصر البشائر (مقر الإمام)، وقصر السلاح (مركـــز تســـليح الجيش) ، مما ساعد فى إضعاف معنويات القوات الموالية للإمام البدر التى أظهرت بادئ الأمر مقاومة مستميتة . (١٠٢)

وحول هذه الحادثة وملابساتها الدقيقة ، نورد هنا شهادة أحد ضباط الثورة (الملازم أحمد الرحومي)، الذى يروى لنا تفاصيلها الحرجة. يقول الرحومي: "وفى الساعة السابعة من صباح اليوم الخالد يوم السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ بدأ الإرسال الإذاعى على الموجة المعتادة بنشـيد(الله أكبر يا بلادى كبرى) ليعلن على الشعب اليمنى وعلى العالم بأسره ميلاد عهد يمنى جديد ، هو عهد الثورة والإنعتاق من براثن التخلف والعزلة، والتحرر من الحكم الامامى الكهنوتى المستبد .. فى بداية التحرك وبعده مباشرة اتصل القاضى عبد السلام صبره بالزعيم عبد الله السلال وقال له: "الآن حصحص الحق" والإخوان جميعاً قد صمموا على اقتحام العقبة فى سبيل الخلاص من كابوس الإمامة المضني، وهم الآن يقفون وجهاً لوجه أمام السلطة الحاكمة لزعـزعة أركانها وتقويض وجودها والقضاء عليها، والقضية أصبحت مسألة حياة أو موت ، والجميـع الآن مركزون عليك، بما فيهم المشايخ وأصحابهم القبائل المشاركون، والأمل يا أخ عبدالله هو إسراعك بالمبادرة لقبض زمام الموقف واستلام قيادة الثورة بشجاعة مبنية على تقدير المسئولية تجاه الواجب الوطني .. فرد السلال بأنه سيبقى منتظراً فى البيت إلى أن يأتى الوقت المناسـب الـذى يكون فيه قادرا على المساهمة بأى عمل ممكن فى سبيل نجاح الثوار وانتصار الـثورة .. وكلّف من الجميع بأن يرأس مجلس القيادة ، وكان أول عمل له هو إصدار أوامره بفتح قصر السلاح ، وقد وقع الأمر بتوقيع أمير الحرس . " [١٠٣]

تطور الصراع وخيار المعارضة :

تشـير المصادر إلى أن الزعيم السلال نجح بمساعدة بعض القوى الداخلية والخارجية، فى قيـادة الثورة ضد النظام الملكى (الإمامى) فى اليمن ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ . فى حين كان من المفترض أن يتزعم هذه الحركة الزعيم الجائفى ، كونه الشخصية العسكرية التى تتمتع بثقة الجميـع فى وسـط تنظيم الضباط الأحرار ، لكنه أعتذر عن ذلك بحجة عدم توفر الشروط الموضوعية للثورة اليمنية . [١٠٤] وبعد رفض الجائفى لقيادة الحركة ، تطلع الضباط الصغار إلى السلال باعتباره الشخصية العسكرية الثانية المؤهلة للقيام بالدور نفسه ، نظراً لمركزه الحساس كقـائد لـلحرس المـلكى ، ونزعته الشخصية المغامرة فوقع الاختيار عليه . وللسلال دوراً لا ينسى فى مشاركته فى حركة ١٩٤٨ الدستورية ، حيث تعرض الرجل للاعتقال مع أعضاء الحكومـة ، وله وجهة نظر ثاقبة أن أية محاولة ثورية فى اليمن سوف تصاب بفشل ذريع ، مالم

تستند إلى دعم خارجى ، كما أفصح عن ذلك فى مطارحاته النظرية التى أدلى بها من وراء القضبان حول مستقبل الثورة اليمنية . (١٠٥)

مثلما أثار صعود السلال المفاجئ إلى قمة السلطة (رئاسة الجمهورية) ، قلق الساسة المدنيين ونفورهم من الضباط العسكريين ، أثار صعود البيضانى السريع سلم السلطة (نيابة رئاسة الجمهورية) مخاوف الجيران ، خصوصاً حكومة المملكة العربية السعودية ، من خطورة احتمال تصدير الثورة من جنوب الجزيرة إلى شمالها . وكان لتواتر الأحداث السياسية والعسكرية فى جنوب شبه الجزيرة العربية أثرها البالغ عندما أعلن الضباط الأحرار عبر مذياع صنعاء قيام الجمهورية وسقوط الملكية ، ثبت لدى معظم المراقبين السياسيين المهتمين بشئون المنطقة أن زمام الأمور فى البلاد التى امتلك ناصيتها السلال خلال الأيام الثلاث الأولى من قيام الثورة ، أصبحت بعد وصول أول فوج من القوات المصرية إلى اليمن تقع تحت سيطرة قوى عربية ، تخضع بدورها لتأثيرات الحرب الباردة بين القطبين العالميين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . وكان السؤال على كل شفه داخل اليمن وخارجه : من يسند نظام السلال ويدعمه ؟

ولد السلال فى عام ١٩٢٠ بمدينة صنعاء ، وهو ينحدر من أسرة متواضعة ، كان والده يشتغل بسوق الحدادة القديم بالمدينة . تلقى تعليمه الأولى بمدرسة الأيتام ، (١٠٦) ثم ألتحق بالمدرسة الثانوية بمدينة الحديدة ، حيث تم ترشيحه ضمن البعثة العسكرية اليمنية إلى المملكة الهاشمية العراقية ، وقد التحق هناك بالكلية الحربية عام ١٩٣٨ ليتخرج منها برتبة ملازم عام ١٩٤٠ . بعد عودته عُين ضابطاً فى صفوف الجيش النظامى ، لكنه كان ساخطاً عن الأوضاع العامة فى البلاد ، وشارك فى توزيع المنشورات المناهضة للحكم الملكى فى البلاد ؛ كما شارك أيضاً فى حركة ١٩٤٨ الدستورية ، فتعرض للسجن مع بعض الضباط الذين تولوا وحدات رمزية من طلبة الكلية الحربية المؤيدة للحركة الثورية فى البلاد . وبسقوط الحكومة ألقى القبض عليه مع رجال الحركة ، الذين تم اعتقالهم وأودعوا جميعاً سجن نافع الرهيب بمدينة حجة . (١٠٧) وبعد خروجه من السجن عين مديراً لميناء الحديدة ، ثم مديراً لكلية الطيران (مدرسة المظلات) . وكان أخر منصب يتولاه فى العهد الملكى قائداً للحرس الخاص للإمام محمد البدر ، لكنه احتفظ بصلات جيدة بعناصر المعارضة الوطنية حتى موعد قيام ثورة ١٩٦٢ . (١٠٨)

كان السلال بالرغم من ثقافته العسكرية يتمتع بثقافة سياسية ووعى وطنى ، اكتسبها بحكم التجربة والخبرة ، ولرفيق نضاله (على ناصر العنسى) دور فى صقل موهبته السياسية . وكان آخر رتبة يحملها على كتفه هى رتبة العقيد فى الحرس الملكى ، وبعد تنصيب محمد البدر إماماً لليمن رقى إلى رتبة الزعيم . وبمناورة ذكية ضد خصومه ضباط الثورة من الرتب الصغيرة ، وفى مقدمتهم (الملازم على عبد المغنى – الذراع العسكرى للثورة) ، منح نفسه رتبة المشير بموافقة غالبية أعضاء مجلس قيادة الثورة ، الذين تخلص منهم الواحد تلو الأخر ، بإرسالهم إلى ساحات القتال فى حملات عسكرية ارتجالية . (١٠٩) ومن خلال اتخاذه هذه السلسلة من الإجراءات ، استطاع السلال التخلص من رموز الحركة الثورية الواحد تلو الآخر ، حيث بذل كل ما فى وسعه لمضاعفة عدد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ليحل محل ضباط الثورة البارزين وغالبيتهم من الضباط الصغار من ذوى النزعة الثورية المثالية ، عناصر مدنية وعسكرية تنزع للاعتدال والانتهازية فى مواقفها السياسية المبدئية .

إن من أهم أسباب دعم القيادة المصرية لشخصية السلال ، يعود لمواقفه السياسية التى تتسم بالتهور ، وموقفه المؤيد للتدخل المصرى فى اليمن قبيل قيام الثورة بأعوام عديدة من جهة ، وكراهيته المفرطة للساسة المدنيين ، وعلى وجه الخصوص العلماء المعممين من السادة الهاشميين والقضاة القحطانيين ، الذين تعرف عليهم عن كثب فى المقام الشريف ، وفى سجن نافع بمدينة حجة . فهو بحكم معايشته لهم أدرك مدى تعاليهم لمن دونهم من سائر الناس ؛ وخصوصاً أولئك الشباب الذين التحقوا بسلك الجندية ، كانوا موضع احتقار أبناء الأسر المتنفذة الذين كانوا ينفرون من الالتحاق بسلك الجندية . فالمدرسة العلمية كانت مركز استقطاب أبناء الأسر الميسورة " أبناء الناس " ، الذين يتم تعينهم بعد التخرج فى وظائف قضائية وتشريعية عليا فى الجهاز الحكومة خلال العهد الملكى . (١١٠) فالدولة – المملكة المتوكلية اليمانية – التى أسسها الإمام يحيى حميد الدين ، أخذت على عاتقها منذ صلح دعان عام ١٩١١ ، تجنيد وتدريب أبناء النخبة ، ليشكلوا معاً العمود الفقرى للمؤسسة الإمامية الحاكمة .

أما فى عهد الثورة وقيام نظام الجمهورية العربية اليمنية ، فقد توفرت مجموعة من العوامل التى ساعدت على صعود نجم الزعيم السلال فى سماء اليمن ، على حساب نجوم أخرى كانت فى طريقها إلى الخفوت والتلاشى ، كان أبرزهم الزبيرى والإريانى ، اللذان تصدا له منذ الشهور الأولى لتوليه منصب رئاسة الجمهورية . لكن السلال كان لهم بالمرصاد ، فعمد إلى

إحــراقهما سياسياً ، متهماً إياهم بالتمرد على الشرعية السياسية ، ومناهضتهم للدور المصرى الداعم للنظام الجمهورى . كما لم يكن خافياً على السلال معاداته للأنظمة الملكية والعشائرية القائمـــة فى إقلـــيم شبه الجزيرة العربية ، لهذا أخذ يتقرب للعديد من كبار تجار مدينة تعز ، والخـــبراء المصـــريين وعلى رأسهم قادة القوات العربية اللواء أنور القاضى ، واللواء طلعت حســـن ، والفـــريق عـــبد المحســـن كامل مرتجى ، والعميد على عبده الخبير . وبالمثل حاول التودد للرئيس جمال عبد الناصر، الذى كان يلقبه بحامى حمى العروبة والإسلام ورائد القومية العربية . (١١١)

فى ظـــل الصراع بين السلطة والمعارضة ، أشرف السلال على تشكيل الحكومات تباعاً، الأمر الذى أثار حفيظة الساسة المدنيون ، الذين اتهموه باحتكار السلطة ، ومصادرة الحريات السياسية وحكم البلاد بالحديد والنار . (١١٢) ومثلما ظهرت الخلافات على السطح بين القادة العســكريين والساســة المدنيـــين ، أحتدم الخلاف بالمثل بين العسكريين أنفسهم – السلال والجائفى ، والسلال وجزيلان . وقد أحسوا جميعاً أن السلال بعد إزاحة البيضانى ، أخذ يسعى للانفـــراد بالسلطة والتخلص من القاضى الزبيرى ، الذى قبل التعاون معه تحت ظروف قهرية أملتها الأوضاع المستجدة فى اليمن فى ظل الوجود المصرى . وهكذا بينما كان الناس يتوقعون ظهـــور الـــزبيرى فى الواجهة ، كانت القيادة المصرية غير راضية عنه ، " .. كما أن السلال لم يكـــن هـــو الأخر على وفاق مع الزبيرى ، ولهذا قبل السلال بالبيضانى نـــزولاً عند إرادة المصريين والاعتبارات داخلية أخرى." (١١٣)

وكـــان لســـقوط العديد من ضباط الثورة (الملازم عبد الرحمن المحبشى فى بوابة قصر البشائر ، والملازم على عبد المغنى فى وادى صرواح ، والنقيب محمد مطهر زيد فى قفل حرض، والـــنقيب محمد الحمزى فى قلعة سنوان) أثره على مجريات الصراع . وبسقوطهم صرعى فى ســـاحات القـــتال دفاعاً عن النظام الجمهورى ، فتح الباب على مصراعيه أمام عناصر مدنية وعســـكرية للتسلق إلى مراكز السلطة ، علماً بأن هذه العناصر لا يربطها رابط قوى بتنظيم الضباط الأحرار ، غير تلك المساعدات المالية التى قدمها تجار مدينة تعز لخلايا الضباط قبل قيام الـــثورة . (١١٤) وكـــان الســـباق على مراكز الدولة العليا يجرى على قدم وساق ، وفق آلية الصـــراع بين المعسكرين الجمهورى والملكى . وقد استطاع السلال أن يجعل من مجلس قيادة الثورة والحكومة أداة تنفيذية طيعة لتحقيق زعامته على البلاد ، وبالتالى أن يملى شروطه على الساسة المدنيين .

لهذا السبب ذاته وغيره، وجه نفر غير قليل من الوجهاء والأعيان، جملة من الملاحظات النقدية اللاذعة لنظام السلال ، الذى أخل بالتوازنات القديمة المتعارف عليها فى فترة المملكة المتوكلية اليمانية . ويذكر الطيب تحت اسم مستعار (عبد الإله بن عبد الله) فى كتاب نكسة الثورة فى اليمن ، إن المأزق السياسي والفكرى لا يكمن فى الثورة والجمهورية فحسب ، بل فى شخصين هما البيضانى والسلال : " ولقد شارك السيد رئيس الجمهورية فى إلهاب الجو ضد البيضانى وكان يضعه فى كل مناسبة وأمام الجميع على أنه المسئول عن كل الأخطاء، فتظافرت الجهود ضده وعاد إلى القاهرة ، وخلا الجو للسيد الزعيم عبد الله السلال رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس الدولة ليتحول تدريجيا إلى ديكتاتور ، واستغل حالة الحرب ليضرب بها من يشاء وليبعد الوطنيين ورجال الثورة من العاصمة ومن أجهزة الحكم الحساسة . " (١١٥)

إن الطيب واحدٌ من الأعضاء النشطين فى تنظيم جماعة الإخوان المسلمين – فرع اليمن – المنخرطين فى صفوف حزب الله ، يوجه سهام النقد لتجربة الجمهورية العربية اليمنية والمؤسسة العسكرية الحاكمة ، انطلاقا من مقولة الحاكمية لله . وعلى المستوى السياسى ، أعاد الجمهوريون المنشقون تفسير مصطلح الشورى ، والدستور ، تأكيدا منهم بأن الظلم والاستبداد الامامى قد ولى دون رجعة ، أو بتعبير اكثر دقة أعادوا تفسير أهداف ومبادئ الثورة الستة طبقاً لتصورهم الخاص للمشكلة اليمنية . فالحديث الشريف مثلاً : ((الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا)) (١١٦) له دلالات سياسية وثقافية ومراتب وامتيازات اجتماعية واقتصادية، تأخذ بعين الاعتبار صيغة التوازن القبلى والمناطقي؛ ويدخل فى إطار هذا التوازن المذهبى فى اليمن الجمهورى بصورة اقل حدة مما كان عليه فى العهد الملكى . (١١٧)

مع إدراكنا الكامل أن محوز ملاحظات الطيب حول – منهج الزبيرى لاصلاح الحكم – لا يتعلق بأهداف ومبادئ ثورة (٢٦) سبتمبر ١٩٦٢ ، بل كان بحثاً فى السيرورة التاريخية للخصوصية اليمنية فى مواجهة تيار الحركة القومية العربية الكاسح فى جنوب شبه الجزيرة العربية . والمراد بذلك – اعنى الحد من الدور المصرى – الناصرى فى اليمن، ورفض " الأفكار المستوردة "، باعتبار تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، تجربة دخيلة لا تتقبلها التربة اليمنية . لكنها فى الوقت نفسه ، تقدم فكراً مزدوجاً مفسراً للسلطة والحكم ، فهى فى أطروحاتها

السياسية والثقافية تتكيء اتكائاً شديداً على مفاهيم عقيدة جماعة الإخوان المسلمين – المعادية للنظام الناصرى وحلفائه فى الساحة العربية بوجه عام ، والساحة اليمنية بوجه خاص .

وعلى الرغم من أن الزبيرى قضى خمسة عشر عاماً أو أكثر من حياته فى المنفى من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٢ ، حتى أدرك بعد قيام الثورة وإعلان الجمهورية ، أن اليقين الشورى يصعب تطبيقه على أرض الواقع فى ظل الحرب الأهلية ، وفى ظل الدعم المصرى الغير محدود لنظام السلال . جاول المضى قدماً فى تحقيق الحلم الثورى الذى جاء تجسيده فى مشروع حزب الله ، وما يتضمنه من مقولات سياسية إصلاحية تتعلق بالسياسة والدولة والمجتمع فى اليمن المعاصر . (١١٨) توصل الطيب فى دراسته لجماعة حزب الله إلى نفس النتيجة التى توصل إليها عدد من الباحثين اليمنيين ، أن الزبيرى كان جمهورياً متصلباً فى مواقفه ، وقد انعكس ذلك فى مجمل خطاباته السياسية الموجهة للقبائل اليمنية فى المناسبات الدينية والوطنية . يقول الزبيرى :

" إن الجمهورية ، الجمهورية يا رجال اليمن هى أنتم ، لا تصدقوا من يقول لكم هناك جمهورية وملكية ، ويريدون بهذا أن يقارنوا بين فئة وأخرى ، أبدا لا تصدقوا هذا الكلام، هذا كون من التضليل والتزييف والتغرير بعقولكم . لقد اخترتم فعلاً لأنفسكم يا أبناء اليمن، اخترتم أن تكونوا أحراراً اخترتم أن تدبروا مصائركم وأموركم بأنفسكم بالتشاور فيمنا بينكم، وبتزعم وترييس من تختارونه من أبطالكم الأحرار،فهذا هو الذى تم، وهو الذى حدث وما يكاد أحد يوجد منكم إلا وقد ضحى بالكثير .. ضحى بوقته وضحى بجهوده وضحى بجسده وعرض نفسه للموت وعرض روحه للضياع. انتم قدمتم هذا كله فى سبيل أنفسكم ، وفى سبيل مستقبلكم (تصفيق) .. ولكن من أنتم ؟ من أنتم ؟ يا رجال اليمن وأبطالها وأحرارها ؟ هل أنتم التسابق إلى المناصب والألقاب والكراسى ؟ أبدا إنما انتم شى اعظم من هذا كله ، أنتم ، أنتم يجب أن تكونوا مثالاً للخلق الإسلامى ، مثالاً للثورة الإسلامية ؛ وإن يكون مثلكم الأعلى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .." (١١٩)

ثمة تأكيد فى هذا المقطع من خطاب الزبيرى الذى ألقاه فى جمع غفير من القبائل اليمنية المحتشدة فى عمران ، يحثهم فيه على إسلامية النظام الجمهورى والدور الذى سيضطلعون القيام به لتثبيت هذا النظام فى أرض الجزيرة العربية مهد الإسلام ، وفيه أيضا تأكيد دور القاضى فى عملية التوحيد بين مقولة الحكم الشعبى (دولة اليمن الإسلامية) ،

ومقولة الحاكمية لله (حزب الله) . يقول الزبيري: "إن العهد البائد وفلوله ، والحشرات التى بقيت تحيم فى أطراف حدودنا،هؤلاء يقولون إن الجمهورية سوف تأتى بأمور لاتتفق مع الإسلام! وهذا نوع من التضليل والخداع . كلكم تعرفون ماذا صنعوه معكم خلال سبعين عاما أو تزيد ، لقد فعلوا الأفاعيل بكم ، وقد خرجوا على شريعة الله ، وحاربوا دين الله باسم الله وباسم شريعة الله .." (١٢٠)

وإذا ما وجد شعور كهذا معاد للنظام الملكى ، ممثلاً ببيت حميد الدين ، حتى بدون وجود القاضى الزبيرى على رأس قائمة حزب الله ، فإن مثل هذه المعارضة الدينية والقبلية المتنامية ضد النظام الجمهورى ، كانت تصب فى نفس الاتجاه – الدعوة إلى إعلان قيام دولة اليمن الإسلامية . وفى هذا الصدد لابد من إيضاح نقطتين ، تمحورت حولها برامج المعارضة . النقطة الأولى ، كانت تكمن فى الدعوة إلى " السلام " بين الأطراف المتصارعة فى اليمن الجمهورى (الأسفل) من جهة ، واليمن الإمامى (الأعلى) من جهة أخرى . ففى بداية الحرب الأهلية بين المعسكرين الجمهورى والملكى ، كانت بعض عشائر حاشد ومذحج قد وقفت فى صف الثورة والجمهورية ؛ لكن هذا الدعم المحدود للنظام الجديد من قبل القبائل اليمنية المتحاربة ، كانت تمليه المصالح المشتركة لزعماء العشائر من أطراف الصراع الإقليمية – السعودية ومصر فى إقليم شبه الجزيرة العربية. (١٢١)

أما النقطة الثانية ، " المصالحة الوطنية " تطرح مسألة تاريخية أكثر أهمية . فخلال سنوات الثورة الأولى (١٩٦٢ – ١٩٦٧) ، شكلت العشائر المتمردة العمود الفقرى لتحالف حاشد وبكيل القبلى الضارب ، الذى تدين قواه السياسية والاجتماعية بالولاء المذهبى للمؤسسة الإمامية . (١٢٢) وقد كانت لهذه الحرب القبلية المعلنة ضد النظام الجمهورى الذى يتربع على قمته العسكريون ، صلات مع العداء المستفحل بين الريف والمدينة ، تماماً كما حدث فى تجربة ١٧ شباط من عام ١٩٤٨ . وسواء تعلق الأمر بالدفاع عن الذات أو الخصوصية اليمنية المسلوبة فى ظل الدور المصرى الداعم للثورة اليمنية ، أو بالمعارضة الضمنية لنظام السلال المدعوم بحراب الجيش المصري، أو التصدى للغزو الخارجى ، فإن كل هذه الأشكال من المعارضة كانت تصب فى خانة المعارضة الضمنية للنظام الجمهورى . (١٢٣)

وعلى أية حال فإن الجدل الثورى السائد سرعان ما فرض نفسه عليه فى عزلته السياسية ، "فالزبيرى لم يطق البقاء فى العاصمة صنعاء ، فشد الرحال إلى (أرحب)

و(خـــولان) ، ثم استقربه المقام فى جبل (برط) ، حيث صحب معه المناضل محمد عبد الله الفســيل .. ثم انضم إليهما على ما أتذكر – عبد الملك الطيب ، وعبد المجيد الزندانى ، وراح يصــدر صـــحيفة تحـــت اسم (حزب الله) . " [١٢٤] وعلى الـــرغم من أن الزبيرى كانت له تحفظات على المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء الذين وصفهم " بأنهم يصرخون باسم الثورة والجمهورية دون أن يعرفوا ما هي!" ، فإنه اختار صف المعارضة، مما أشعل ضده النار عداء الجمهوريين والملكيين على حد سواء ، بمجرد إعلان برنامج حزب الله على الملأ. " [١٢٥] وهكـــذا ، لم يجد الزبيرى بغيته المنشودة فى الجمهورية التى تعشم فيها التحقيق العملى لليقين الثورى المثالي، الذى خطط له فى مرحلة الاتحاد اليمنى .

لقـــد مثلت مرحلة الجمهورية العربية اليمنية بزعامة السلال تجربة فاشلة لمفهوم الحكم الشـــعبى ، الذى كان الزبيرى يتطلع لتشييده والسهر عليه . لكن (الجمهورية) و(الثورة) الـــتى كـــان يطمح لها ، على حد تعبير القاضى الإريانى ، ليس استبدال إمام بإمام ، بل تغيير جوهـــرى فى نمـــط الحكم . [١٢٦] لكن الزبيرى المشارك فى السلطة ، لم يقبل التسليم بالأمر الواقع، فقرر الخروج من صنعاء واعتصامه فى جبل برط .

إن مـــا نـــريد الكشف عنه فى سياق الدراسة هو أن المعارضة الدينية والقبلية فى العهد الجمهورى كانت مستعدة مواجهة ضغوط السلطة من خلال دعوتها إلى عقد مؤتمرات شعبية ، التى أصبحت أحد مظاهر الحياة السياسية اليمنية المعاصرة . وفى كل مرة كان يتعرض ناشطى حزب الله لمضايقات القيادتين اليمنية والمصرية ، كان يستتبع ذلك عقد مؤتمر شعبى للتعبير عن سخط المعارضة القبلية، التى أخذت تقترب يوماً بعد يوم من المعارضة الدينية بزعامة الزبيرى . فمـــا هى القرارات السياسية والتوصيات الحزبية التى تم اتخاذها فى مؤتمر عمران؟ وهل جاءت متطابقة مع أهداف ومبادئ ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢ ؟

أدبيات مؤتمر عمران :

انعقـــد مؤتمـــر عمران فى (١٤ ربيع الثانى ١٣٨٣هـــ / الموافق ٢ سبتمبر ١٩٦٣م)، بمـــبادرة سياسية من زعامة حزب الله التى بذلت جهود مكثفة لإنهاء الحرب الأهلية فى اليمن وإحلال السلام ، تمهيداً لإجراء مصالحة وطنية بين الجمهوريين والملكيين ؛ بالإضافة إلى مناقشة مســـتقبل الحكم فى اليمن . [١٢٧] وقد تطرقت القرارات والتوصيات المعدة إعداداً جيداً لكل نواحى الحياة السياسية فى عهد السلال ، بدءاً من نظام الحكم العسكرى الفردى الدكتاتورى

والمعارضة الغير معلنة من داخل السلطة، والانتهاكات الصارخة للدستور المؤقت من قبل القيادتين اليمنية والمصرية . كما تعرض المؤتمرون إلى مظاهر الفساد المالى والإدارى فى البلاد، والمحسوبية التى أصبحت ظاهرة خطيرة ساهمت فى خلق نزعات فئوية ، أصبحت تهدد الوحدة الوطنية ، بل وساهمت فى خلق أعداء جدد للنظام الجمهورى . وقد سجل المشاركون فى المؤتمر أن الأهداف التى كافحوا من أجلها ، أصبحت موضع تجاهل وإهمال المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء .(١٢٨)

كان صاحب فكرة المؤتمر الشعبى بمدينة عمران هو القاضى الزبيرى ورفاقه ، الذين تطرقوا لمظاهر الحكم العسكرى فى صنعاء وسقطاته فى عهد السلال . وقد ضمن عبد الله بن عبد الإله فى كتابه (نكسة الثورة اليمنية) ملاحظات عامة بين فيها موقف المعارضة القبلية والدينية من السلطة ، فى مجمل تعليقه على الشائعات والشكوك المثارة حول الموقع الجغرافى لانعقاد المؤتمر : " ولقد قال الدساسون والمتآمرون على قضية اليمن والانتهازيون والمنتفعون أن المؤتمر ، إنما هو فى منطقة من مناطق الزيور [الزيود] ، ولا يمثل إلا فئة معينة ، وهو محصور الهدف ضيقة . وأنا أسأل الانتهازيون وذوى الأغراض من تحطيم مؤتمر عمران ، ما هى القيمة التى ستكون للمؤتمر ، لو أنه عقد فى تعز –المدينة– المناضلة التى تعيش بأحجارها وأطفالها وترابها مع الثورة والنظام الجمهورى ، وهى منطقة هادئة لا حرب فيها ولا انتفاضات .. وإذا كان قد مثل لواء تعز وإب مناطقها عدد من الرجال ، فهل كان من المحتمل أن يصل المشايخ الذين حضروا مؤتمر عمران من القبائل المنشقة ؟ هل كان محتملاً أن يصلوا إلى تعز أو إلى إب ؟ " (١٢٩)

كان الموقع الجغرافى المحدد لمكان وزمان المؤتمر بالنسبة للزبيرى كمثال حى على مركز الثقل السياسى لقبيلة حاشد فى تاريخ اليمن القديم والحديث . فهذا الاختيار لمدينة عمران – من وجهة نظرنا – كان موفقاً لأن المدينة تمثل معقل المعارضة الجمهورية التى كانت زعامتها تسعى حثيثاً لاستقطاب القبائل المغرر بها إلى حظيرة الثورة والجمهورية . فقد ساد شعور لدى زعامة المعارضة أن القيادتين المصرية واليمنية لن تعترف بحق تحالف حاشد وبكيل ، إلا من خلال تعبئة تلك القوة الاجتماعية لهذا التحالف القبلى الضارب فى عمل جماهيرى منظم . وقدم الزبيرى بدوره تصوره العام لإمكانية خلق معارضة سياسية وعسكرية منظمة ضد الوجود المصرى ، عندما خرج حزب الله من السرية إلى العلن ، وعقد مؤتمره الأول بكامل أعضاءه بمدينة عمران .

شكلت الصرخة التى أطلقها الزبيرى فى مؤتمر عمران منبهاً فيها إلى خطر الانزلاق بالنظام الجمهورى الوليد فى صنعاء من حكم الشورى إلى الحكم الفردى دون شك ، بداية الوعى السياسى بأزمة الشرعية السياسية والفراغ الدستورى فى البلاد . وكان انشغال داعية السلام منصباً على تقرير المصير للشعب اليمنى ، وخلق مناخ سياسى مناسب للمصالحة الوطنية بين أطراف الصراع الجمهورى - الملكى . لهذا الغرض دعا شخصياً إلى عقد سلسلة من المؤتمرات الشعبية (القبلية)، بهدف مناقشة أبعاد المشكلة اليمنية والبحث عن مخرج للأزمة . كان هذا الاتجاه للحوار والمصالحة من وجهة نظره ورفاقه ، يمثل صمام الأمان للنظام الجديد (الجمهورية العربية اليمنية) لمزيد من اللحمة والتماسك والقوة . (١٣٠)

إن القيمة التاريخية لمؤتمر عمران وأهدافه المعلنة ، تظهر لنا بجلاء مدى اهتمام المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال بقيمة القبائل اليمنية وثقلها السياسى فى ترجيح كفة الصراع بين المعسكرين الجمهورى والملكى وحسمه سلمياً . وكان للزمان والمكان قيمة سياسية ، كون مدينة عمران لا تبعد عن صنعاء كثيراً ، وتوقيت انعقاده له دلالته، فالثورة اليمنية لم يمضى على قيامها سوى عام واحد ، حيث لم يدخر كل طرف من أطراف النزاع إلا ووظف كل قواه خدمة لقضيته . وقد انحصرت أهداف مؤتمر عمران فيما يلى :

١- إيقاف الحرب وإيجاد سلام يسود البلاد .

٢- توحيد الشعب اليمنى عن طريق الإقناع والتفاهم للوقوف أمام خطر التدخل الخارجي .

٣- وضع الحلول التى ترضى جميع طبقات الشعب بالنسبة للأحوال الداخلية عن طريق الإقناع والتفاهم .

٤- للاتفاق على نبذ الحرب كوسيلة للتعبير عن الاستياء من تصرف الحاكمين ، وحل المشاكل بطريق التفاهم .

٥- إشعار المواطنين سيما فى المناطق المنشقة بأهمية أنفسهم كجزء من الشعب له الحق أن يعبر بالكلام والمطالبة عما يريد ، وإعطائه ثقة بنفسه على قدرته لإشراكه فى التفكير فى مشاكل البلاد عامة ، وفى مشاكل منطقته ومشاكل محيطة ، ومشاكل قبيلته ، ومشاكله الخاصة

والعامة . وهذا كان أحسن علاج نفسى لإخراجه من حال الكبت الذى هو أهم الأسباب للانفجارات .. " (١٣١)

هكـذا عقـد مؤتمر عمران فى جو غير طبيعى ، كانت فيه غيوم الحرب تلبد على سماء اليمن ، وكانت جلساته تجرى وسط أحداث عسكرية – سياسية متشابكة . وقد لوحظ خلال جلسـات المؤتمـر قيام القيادتين اليمنية والمصرية بتصعيد العمل العسكرى ضد المتمردين فى المعسكر الملكى ، الأمر الذى أسفر عن انسحاب بعض ممثليه من المؤتمر . ويعلق عبد الإله على أسـباب هذا الانسحاب بقوله أن " .. نصف الحاضرين وأكثرهم من القبائل المنتفضة، ومنهم مشايخ جبل عيال يزيد ، ولحق بهم عدد من المشايخ من عيال يريح [سريح] ، ومن حاشد ليستفسروا عن سبب انسحابهم ، فأجابوا بصراحة تامة : ما ندخل فى كلام إلا بعد ما نعرف لـلمه -بمعـنى لماذا- جاءت القوات المصرية إلى اليمن؟ هل من أجل الشعب ، أم من أجل أشـخاص ، ونطلب وفد اثنين من حاشد واثنين من بكيل يسيروا إلى مصر يسألوا جمال عبد الناصـر . والحق لله أن فى مقدمة المحرجين محمد محمود الزبيرى ، وأمين أبو رأس، وعبد الله الأحمـر، وكـان بودهـم أن يتحدث الناس عن أى شيء كان إلا هذا.."(١٣٢) وقد تساءل المؤتمـرون فى حيرة : متى تكف القيادة المصرية عن التدخل فى شئون اليمن الداخلية ، فتعود الأمور إلى نصابها ؟

كشفت أحداث خريف ١٩٦٣ النقاب عن أن الوجهاء والأعيان (العلماء والمشايخ) فى كلا المعسكرين (الجمهورى والملكى) ، كانوا بحاجة إلى إعادة ترسيخ مكانتهم المهزوزة فى البلاد ؛ وكان لا بد بالتالى من إظهار تضامنهم السياسى على نطاق واسع . لهذا الغرض ذاته ، عقـد مؤتمر عمران فى ظل الرئاسة التقليدية لأبى الأحرار القاضى محمد الزبيرى – المتحدث الـرسمي باسم المعارضة الجمهورية وزعيم حزب الله . (١٣٣) وحضر هذا المؤتمر عدد لا بأس به مـن شيوخ المعارضة القبلية على سبيل المثال لا الحصر الشيخ ناجى بن على الغادر ، كما تم الاتصـال ببعض الرموز الملكية من أمثال السيد أحمد الشامى والقاضى أحمد السياغى ، (١٣٤) وغيرهم ممن أبدو رغبتهم الدخول فى مصالحة ، عندما يتم التخلص من الوجود المصرى ونظام السلال . (١٣٥)

لقـد سـاهم الوجود العسكرى المصرى فى تعزيز مخاوف القوى التقليدية فى اليمن من خطـورة انتشـار مد الحركة القومية العربية ، فاستعانوا بالحكومة السعودية كى تكون عوناً

وســـنداً لهم فى مواجهة هذا الخطر الخارجى . ولهذه الاستجابة السعودية للتحدى المصرى ما يـــبرره ، فأمـــراء الأسرة السعودية المالكة كانوا يخشون على عروشهم حتى لا تتكرر مأساة الدرعية ، فذكراها المريرة ما زالت عالقة فى أذهانهم ، عندما اكتسحت قوات إبراهيم بن محمد عـــلى باشـــا والى مصر عام ١٨١٨ عاصمتهم الدرعية ، كان سبباً مباشراً فى سقوط الدولة السعودية الأولى . (١٣٦) كما أن الحملة الإعلامية المكثفة التى تبناها تنظيم اتحاد شعب الجزيرة العربية بزعامة ناصر السعيد ، الذى أشرف شخصياً على بث برنامج (أولياء الشيطان) عبر إذاعة صنعاء ، لها أثرها المباشر فى تأجيج الصراع وحدته . وبالمثل كانت تصريحات وخطابات البيضـــانى المهددة والمتوعدة بغزو السعودية ، ذات أثر بالغ فى إلهاب مشاعر الحماس والثورة، حيث توعدت الحكومة اليمنية بإسقاط النظام الملكى السعودي. (١٣٧) تلك المرحلة التى امتدت ســـبعة أعوام (١٩٦٢ - ١٩٧٠) لم تنجح الثورة اليمنية من خلالها تصدير تجربتها للأقطار المجـــاورة ، باســـتثناء ذلك النجاح المحدود فى إطار محميات عدن الشرقية والغربية . أما على الـــتخوم فى سلطنة عمان والسعودية وإمارات الخليج العربى ، فقد تبنت الأسر الحاكمة هناك بـــرامج تـــنموية - اقتصـــادية واجتماعية-حصنها من خطر الإصابة بعدوى صداع الثورة الجمهورية فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

والمتتبع للظروف التاريخية المحيطة بصدور قرارات وتوصيات مؤتمر عمران ، سوف يدرك بوضـــوح موقف القيادتين اليمنية والمصرية المشوب بالحذر ، فقد ساد شعور لدى الحكومة أن المؤتمـــر يعـــبر عن الاستياء العام فى أوساط القبائل الشمالية تجاه الوجود المصري. وقد حضرَ المؤتمـــر عـــدد كبير من علماء اليمن ومشايخ القبائل ، الذين طالبوا الحكومة اليمنية والقيادة المصـــرية بالالـــتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية كمصدر أساسى لنظام الحكم فى اليمن . وتبنى المؤتمر (٢٧) قراراً ، أهمها إعلان تمسكه بالنظام الجمهورى ، وإحلال السلام محل الحرب ، والدخـــول فى حوار مفتوح مع قيادات المعارضة الملكية، باستثناء أعضاء الأسرة المالكة (بيت حميد الدين) (١٣٨) وأشار البيان على نحو يتصف بشيء من الحذر ، إلى أن الحكومة غير شرعية، لأنها تمارس سلطة التشريع دون مجلس تمثيلى .

وفى مجـــال السياسة العامة ، أولى المؤتمرون عنايتهم الخاصة بالسلام والمصالحة الوطنية ؛ كخطـــوة تمهيديـــة لرفض أى حل عسكرى تمليه القيادة المصرية على الحكومة اليمنية . لقد وجدت مثل هذه الصيغ - الخصوصية اليمنية ويمننة الصراع - فكرة تحريك المعارضة بأكملها حول أهداف واضحة ، والبدء بحشد وتجميع وسائل المواجهة الأولى ضد حكومة السلال ، التى

وصمت بالفساد والمحسوبية والانحراف عن أهداف ومبادئ الثورة. وقد دعا المؤتمرون " جميع الفارين والشاردين من أبناء اليمن إلى العودة إلى البلاد ، وأن لهم الأمان المطلق ، وذلك لرأب الصدع الذى أصاب وحدة البلاد ، فأوقعها فى حروب دامية . " (١٣٩)

مـــن جهة أخرى ، حث المؤتمر الحكومة "على تكوين جيش شعبى قوامه ثمانية وعشرون ألف مقاتل من جميع أبناء الشعب تحت قيادة شعبية، يقوم بمواجهة كل متمرد لا يستجيب لنداء المؤتمـــر الشعبى ، وذلك بجانب القوات المشتركة الرسمية ومقره الرئيسى عمران." (١٤٠) أما ما يســتوقف الانتـــباه فى سياق مطالب المعارضة الجمهورية فهو مسألة الاعتراض على التشكيل العســكرى للوحـــدات النظـــامية فى الجيـــش اليمنى والقـــوات المســـاندة له من كتائب الحـــرس الوطـــنى وضـــباطها الفخـــريين الذين أبلوا بلاءً حسناً فى معركة الدفاع عن الثورة والجمهوريـــة . (١٤١) ذلـــك أن هذا التشكيل لبعض الوحدات النظامية (لواء الثورة ، لواء الوحـــدة ، لـــواء العروبة ، لواء الصاعقة ، لواء المظلات) ، الذى أجرته حكومة الجمهورية العـــربية المتحدة قد جاء بعناصر متعاطفة مع نظام السلال ، لهذا يطالب المؤتمرون بـــ" إعادة النظر فى الرتب العسكرية التى منحت منذ قيام الثورة ولا يجوز منحها إلا لمستحقيها عن جدارة وذوى الماضى الشريف . " (١٤٢)

عقـــد المؤتمر الشعبى فى عمران لمناقشة أزمة الحرب الأهلية فى اليمن ، ورسم خط فاصل للـــتدخل المصـــرى فى جـــنوب شبه الجزيرة العربية . وأثناء الحرب العربية الباردة ، حاولت القاهرة توظيف القضية اليمنية فى كفاحها المتواصل ضد القوى الاستعمارية ، خصوصاً بريطانيا وأمـــريكا التى تحتفظ بقواعد عسكرية فى المنطقة . إلا أن القوى الجمهورية المحافظة لم تقبل أن تتحول اليمن إلى ساحة حرب أهلية لقوى إقليمية متصارعة، لا سيما وأنها كانت هى الخاسرة . وعـــندما قررت زعامة حزب الله الدعوة إلى عقد مؤتمر عمران ، لم يكن الحزب فى حاجة إلى دعايـــة لأن المعارضة الجمهورية تبنت موقفاً معادياً للوجود المصرى فى البلاد . فالفراغ الناجم عن سقوط النظام الملكى وانهيار النظام الاجتماعى القديم ، أتاح الفرصة للقوى الجديدة سده بدعـــم قوى من قبل الجمهورية العربية المتحدة ، التى رمت بكل ثقلها لصالح نظام الجمهورية العـــربية اليمنية ، الذى نقل البلاد من غياهب القرون الوسطى إلى حضارة القرن العشرين . فالتحول السياسى والاجتماعى العميق الذى أحدثته الثورة اليمنية ونظامها الجمهورى ، يتناوله أحد الدارسين اليمنيين فى هذا السياق التاريخى :

أ – انقسمت الأيديولوجيا – بنية الوعى الاجتماعى – إلى قسمين ، قسم يحمل أفكاراً عصرية جديدة ، وقسم يحمل عناصر البناء القديم . وكان جوهر الخلاف بين القسمين تتلخص فى قضـية أساسية هى : على ماذا ينبغى أن تقوم الدولة ؟ على أساس دستور جمهورى شعبى جديـد ، وعلى أساس تمثيل مصالح الغالبية العظمى من الشعب ؟ أم على أساس دينى سلالى عـرقى ، وتمـثيل مصـالح نخب صغيرة من الجماعات القديمة كالسادة والمشايخ وكبار ملاك الأراضى والقضاة ؟

ب – لم يتجسـد ذلك الانقسام من خلال تنظيم سياسى ، وإنما من خلال حركة شعبية جماهيرية يقودها كما يقول السقاف حلم غامض بالثورة السياسية والاجتماعية .

ج – أخذت الحركات السياسية الموجودة فى الساحة زادها الفكرى من هذا الانقسام ، واختلفت وتباينت مواقفها الأيديولوجية يميناً ويساراً ووسطاً ، وتحولت قضية الثورة إلى معضلة أيديولوجيـة انقسم بشأنها المجتمع قسمين ، يواجه أحدهما الآخر بالسلاح وبالكلمة. وبرزت قضية كبرى على ساحة الوعى الجديد هى : من الدولة ؟ ولمن الدولة ؟ " (١٤٣)

وفى النقطة التالية وثيقة الصلة بدولة القبيلة ، يشير الطيب إلى مسألة العمل الموحد ضد نظـام السـلال والوجود المصرى . وفى رده على القوى الجديدة الرافضة المشاركة فى تلك السـلقاءات الشعبية ، أشار مجدداً إلى أن المؤتمر لم يحد قيد أنملة عن النظام الجمهورى ، لكن فى الوقـت نفسه ، يطمح المؤتمرون إلى تغيير نظام الحكم من الداخل ، حيث يقول : " عندما وصلت الأمور إلى هذا الحد وأجتمع الشعب فى عمران ، وقال رأيه بصراحة . كانت قراراته إدانـة للحكم ، وإدانة للقيادة العسكرية ، والحكم الفاسد كان سبباً فى إيجاد الحرب . ولهذا قرر المؤتمر تغيير نظام الحكم للحد من عبث الجمهورية والقيادة العسكرية ، التى تنقصها الخبرة باسـتراتيجية الـيمن مـن ناحية الأرض وناحية الروح اليمنية . كانت سبباً من الأخطاء فى اسـتمرار الحـرب ، وعدم القدرة على إحراز النصر ، ومع ذلك فلم يعد الشعب راغباً فى التعاون معها .. " (١٤٤)

ولعـل النقطة الوحيدة التى جاءت منسجمة مع سياسة حكومة السلال هى تأييد "مؤتمر عمران قرار الحكومة الذى اتخذته ضد المدعو عبد الرحمن البيضانى، من سحب الجنسية اليمنية ومنعه من دخول أرض الجمهورية العربية اليمنية ، كما يقر المؤتمر إدانته وكل من يتعاون معه بأى شكل من الأشكال بالخيانة العظمى للشعب اليمنى . " (١٤٥) وقد ندد المؤتمرون بتجاوزات

القيادات العسكرية ، التى كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها . وفى الوقت نفسه ، أبدوا قـلقهم العميق من تزايد عدد القوات المصرية المرابطة ، ونشاطاقا العسكرية المتاخمة للحدود الشمالية ، خشية منهم تدويل أزمة الحرب الأهلية فى اليمن .

لم تكـن عملية تنحية البيضانى الطامح لمنصب رئاسة الدولة المدعوم بقوة من قبل القيادة المصـرية أمـراً سهلاً ، لكن السلال بذل كل ما فى وسعه للإيقاع به ، مستغلاً فترة الاستياء الشعبى من منافسه القوى ، فحصل على موافقة الرئيس جمال عبد الناصر على تجريده من كافة مناصـبه السياسية وطرده من البلاد . ظهر التحدى بينهما – المشير والدكتور – فى الشهور الأولى بعد قيام الثورة ، عندما طالب البيضانى انضمامه إلى عضوية مجلس قيادة الثورة ، قاوم السلال الفكرة ذاتها ، لكنه تحت ضغط القيادة المصرية المتزايد عليه ، أصدر قراراً يقضى بتعينه ليـس عضـواً فى مجـلس قيادة الثورة فحسب ، بل نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً للاقتصاد والخارجيـة . (١٤٦) وعندما حاول البيضانى إثارة الخلافات وتعميقها فى الصف الجمهورى من خـلال الدعوة إلى تقسيم وظائف الدولة العليا المدينة والعسكرى على أسس فئوية ، أعترض السـلال عـلى ذلك القرار مستغلاً استياء كبار ضباط الجيش والعلماء ، حيث أصدر قراراً مشـفوعاً بموافقة القيادة المصرية ، يقضى بحرمانه من كافة صلاحياته التنفيذية ، حتى أن بعض ضباط الثورة اعتبروا هذا الصراع انقلاباً ثانياً على السلطة . (١٤٧)

لكن الصراع لم يقف عند هذا الحد ، فقد لجأ البيضانى إلى مدينة عدن الواقعة تحت نفوذ الاحتلال البريطانى ، حيث عقد هناك مؤتمر صحفى ، عدد فيه مساوئ حكومة السلال ، لكن المشير بدا وكأنه منقذ اليمن من السقوط فى هاوية حرب أهلية مدمرة ، مما زاد من شعبيته بين الجماهير المؤيدة للنظام الجمهورى . أما المعارضة ولاسيما عناصر حزب الله وجماعة كتلة خمر، كـانت ترى السلال سبباً من أسباب نكسة الثورة اليمنية ، حتى بعد رحيل البيضانى . (١٤٨) ونظـراً لتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية فى أنحاء البلاد من جراء التصعيد العسكرى الجمهـورى فى مواجهة الهجمات العنيفة للقوات الملكية المناصرة للإمام المخلوع محمد البدر، اضـطرت القيادة المصرية الإشراف المباشر على مؤسسات الدولة الحديثة العهد . لهذا الغرض شـكلت هيـئة الخبراء العرب ، وهى فى واقع الأمر هيئة عسكرية يشرف على تسيير أمورها جهـاز المخابـرات المصرية ، قوامها عشرات الخبراء والمستشارين المدنيين فى حقول الزراعة والاقتصـاد والتربية. ولم تترك هذه الهيئة البيروقراطية مؤسسة أو مكتب من مكاتب الحكومة اليمـنية ، بمـا فى ذلـك مكتب رئاسة الجمهورية إلا ووزعت فيه مندوبيها ، وغالبيتهم من

العسكريين بملابس مدنية ، الذين أخذوا يتصرفون بشيء من التعالى والعنجهية تجاه الكادر اليمنى المحدود الخبرة والمؤهلات .[(149)]

إن الجيش اليمنى الذى تمكن من قيادة الثورة وإعلان الجمهورية ، استطاع المحافظة على هذين المكسبين ، لكنه لم يكن قادراً على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية بمفرده . ففى الداخل اصطدم بقوة المعارضة القبلية للنظام الجمهورى ؛ وبالطبع كان هناك استثناء بين القبائل اليمنية التى أعلنت ولائها للنظام الملكى بزعامة الإمام المخلوع البدر . فقد أعلنت بعض عشائر حاشد وبكيل ولائها للنظام الجمهورى ، وفى مقدمتها عشائر خارف والعصيمات وعذر . لكن هذا الولاء للنظام الجمهورى لم يكن ولائاً مطلقاً، فقد اصطدمت مصالح المؤسسة القبلية بمصالح النخبة العسكرية الحاكمة فى صنعاء. وظاهرة الإنشقاقات المتكررة فى صف المعسكر الجمهورى هى ظاهرة سياسية متكررة ترصدها المصادر المعنية بمتابعة مسيرة حزب الله وكتلة خمر . فالقرارات والتوصيات الصادرة عن مؤتمر عمران ، كانت تمثل توجهاتها المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال ، التى عبرت عن قناعاتها فيما يلى :

–بناء على أن الثورة قد رسخت واستقرت، وأن الجمهورية قد أصبحت فى ضمان القوى الشعبية التى لا تتقهقر ولا يعجزها تعقب الخائنين، فإن من حق هذه الجماهير أن تحترم الجمهورية رغبتها فى تحويل محكمة الشعب العسكرية بصنعاء إلى محكمة شرعية يختار لها مجموعة من علماء الشرع الأحرار من كافة المناطق يتولون محاكمة المتهمين الذين لم تصدر ضدهم أحكام، أو من يتهم فيما بعد . ويجب أن يكون حكم هذه المحكمة الشرعية نهائياً متحرراً من كل نفوذ غير نفوذ الشرعية السماوية المطهرة لضمان حق الإنسان الأساسى من ألا جريمة إلا بنص ، ولا عقوبة إلا بعد محاكمة عادلة .

– يطالب المؤتمر برفع القيادات العسكرية من المناطق التى لا تحتاج عمليات عسكرية فى القضوات والنواحي ، وأما المناطق التى يلزم بقاؤها فيجب أن تنحصر مهمتها فى الشؤون العسكرية فقط على أن يتحمل إدارة شؤون هذه المناطق العمال والحكام والشرطة .

– يطالب المؤتمر أعضاء مجلس الرئاسة بأن يؤدوا الأمانة التى فى أعناقهم نحو شعبهم وبلادهم ، وسيحاسبهم على كل تقصير، كما يطالب المؤتمر باعتبار مجلس الشيوخ الأعلى هو المجلس الشعبى الذى يمثل الشعب،على أن تضم إليه اللجنة المركزية ومجموعة أخرى من العلماء العاملين وذوى الرأى الصالح باختيار مجلس الشيوخ نفسه، ويسمى مجلس الشورى اليمنى ،

ويتولى مناقشة وتوجيه المسؤولين فى أجهزة الدولة على أن يكون مجلساً دائماً للبلاد ، ويبقى أعضاؤه الحاليون ومن سينضم إليهم بصورة مؤقتة حسب الدستور إلى أن يتم الانتخاب العام فى البلاد، كما يطالب المؤتمر بتحديد المسؤوليات وتكوين جهاز لمراقبة الموظفين الذين يخلون بواجبات وظائفهم ومحاكمة كل من ينحرف عن واجبه أو يثبت عنه محسوبية أو رشوة أو ظلم أو أى شيء يضر بمصالح الشعب . " (١٥٠)

ولعل واحداً من الأسباب القوية لانتعاش النشاط السياسى فى خضم مؤتمر عمران، يعود إلى شعور عدم الاستقرار الذى كان يسود البلاد . فقد أوحت حكومة السلال شعوراً بأن القيادة المصرية سترفض تنفيذ القرارات الصادرة عن المؤتمر. يضاف إلى ذلك شعور ساد الأوساط الشعبية بأن القبائل الموالية للنظام الجمهورى سوف تلتحق بالمعسكر الملكي، حيث سيقومون جميعاً بمواجهة قتالية حتى الرجل الأخير ضد الجيش المصرى المرابط باليمن. وقد علق أحد المرتزقة البيض المشاركون فى المعسكر الملكي على طبيعة هذا التحالف بين عشائر حاشد وبكيل ، مشيراً إلى الدور الذى قام به الشيخ الغادر"بدور همزة الوصل غير الرسمية بين الملكيين والجمهوريين، وسمح له بالتنقل من صنعاء إلى [منطقة] القارة بحرية تامة . ولطالما كانت هناك منافسات هائلة بين أكبر تجمعين رئيسيين للقبائل ، وكان الشيخ عبد الله الأحمر- شيخ مشايخ قبائل حاشد الذى كان قد تم تعيينه حاكماً على حجة ، وأعلن نفسه خلال هذه المرحلة على أنه جمهورى – قد بدأ يفقد نفوذه " . (١٥١)

وقد استطاع الزبيرى فى مؤتمر عمران حشد القوى القبلية المعارضة فى جبهة متحدة ضد الوجود المصرى فى اليمن ، وضد نظام السلال المفروض بواسطة القوة فى صنعاء . فقرارات المؤتمر تظهر لنا بأنها كانت خلاصة لتجارب ثلث قرن (١٩٣٤ - ١٩٦٣) ، من العمل السياسى الدؤوب لحركة الأحرار اليمنيين . ولم يكن تأكيد المعارضة مطالبتها الحكومة الاستجابة لمطالب الشعب ، خصوصاً فيما يتعلق بالعفو العام عن كافة القبائل اليمنية التى ناصرت الإمام البدر فى محاولته الرامية لاستعادة عرشه . وذلك من خلال الإجراءات التالية :

١- تأمين الأشخاص والجماعات الذين وقفوا ضد قوات الجمهورية على أموالهم وأولادهم وأهليهم وأنفسهم .

٢- تأمينهم مما كانوا يتعرضون له من سوء المعاملة قبل أن يخرجوا على النظام .

٣- أن لا يطلب تجنيد وعليهم أن يحافظوا على حدودهم .

٤- أن يكـــون موظفوا النظام الجمهورى الذين سيتولون أعمال الإدارة فى جهتهم من الصالحين ديناً وخلقاً ولا يرتشون .

٥- رفع القيادات العسكرية .

٦- تـــرك أســـلحتهم لهم سواء ما كان ملكاً خاصاً أو ما جاء لهم بأى طريق آخر - ويعنون الأسلحة السعودية والبريطانية .

٧- يعطـــى المؤتمر العهد والذمة على هذا أما الحكومة فلا يقبلونها لأنهم قد جربوها فى الماضى . " (١٥٢)

لكن التغيير المنشود فى مؤتمر عمران لم يحدث من جراء انشقاق زعامة حزب الله عن نظام السـلال ، فهـذا أمـراً كانت تتوقعه الحكومة . لكن الأمر الذى لم يكن يتوقعه مجلس قيادة الثورة، خروج الشيخ الأحمر على الشرعية ، فالثورة على حد تعبير المشير السلال " هى التى أطـلقت سراحه من السجن الذى قبع فيه محطماً بعد أن أجهز الإمام أحمد ياجناه على والده وأخيـه ، عقـب ثورة قبيلة حاشد عام ١٩٥٩ . " (١٥٣) وأساس هذا التفاؤل كما عبر عنه الرئيس السلال للمؤلف فى مقابلة خاصة بقوله : " كيف يعقل أن يقبل الشيخ عبد الله الأحمر مـد يـده إلى تـلك الأيـدى الملطخة بدماء أبيه وأخيه ومشايخ اليمن الأحرار الذين آمنوا بالجمهوريـة قبلـنا نحن ضباط الثورة . " (١٥٤) ذلك أن آخر تقارير المخابرات التابعة لمكتب رئيس الجمهورية " كانت تؤكد لنا أن غالبية مشايخ حاشد لا يزالوا مخلصين فى ولاءهم للنظام الجمهورى . (١٥٥)

ورغـم أن القيـادة المصرية واليمنية كانت تعلم أن الأغلبية الساحقة من المشاركين فى المؤتمر ، كانوا يتلقون مساعدات مالية سخية من الحكومة السعودية سمح لهم بالمشاركة ، إلا أن صياغة قرارات المؤتمر كانت على ما يبدو تخضع لمشيئة زعامة حزب الله ، كيف لا وقد انتخب الزبيرى رئيساً للمؤتمر من أول جلسة . (١٥٦) لكن الضغوط عليه ظلت قائمة، فاضطر القاضى الاسـتجابة لمطالب العناصر الملكية المشاركة فى المؤتمر . ويعلق الطيب على حساسية الموقف بقولـه: إن التعهدات التى قطعها المؤتمرون على أنفسهم، كانت "..هى الشيء الهام الخطير فى الموقـف ، إذن فلن تقف الحرب إلا إذا تعهد المؤتمر ، والمؤتمر لا يستطيع أن يتعهد ما دام فى الجهـاز أشخاص لا يمكن أن يعطى عليهم عهد ، لعدم تقيدهم بالمواعيد والعهود . ولهذا قرر المؤتمر عودة الأعضاء إلى صنعاء للمطالبة بتنفيذ قرارات المؤتمر بالنسبة لجهاز الحكم . " (١٥٧)

يعود تفاقم الصراع بين السلطة والمعارضة بشقيها الجمهورى والملكى ، إلى ثلاثة أسباب رئيسة : أولها ، " افتقار الجيش المصرى فى اليمن لكثير من المعلومات عن الواقع اليمنى ، وعن القبائل اليمنية تحديداً " ؛ وثانيها ، فشل " السياسات والإجراءات المصرية فى تحقيق بعض مقاصدها وأهدافها على الأرض اليمنية ، وخاصة فى تحييد أو إلغاء النفوذ القبلى " ؛ وثالثها ، لجوء القيادة المصرية إلى ممارسة سياسة العصا والجزرة ، " فرغم أن المصريين قد نهجوا فى تعاملهم مع بعض القبائل اليمنية نهجاً يمزج بين العنف واللين، قاموا بحملات تأديبية ضد القبائل المتمردة. وفى نفس الوقت استخدام المال لمحاولة جذبها والحصول على تأييدها " . (١٥٨)

وإذا كان الظاهرى ، قد قوم الدور القبلى تقويماً دقيقاً ثاقباً فى مواجهة الدور المصري، إلا أن ملاحظاته الخاصة حول عدم الاهتمام بتكوين جيش يمنى نظامي، باعتمادهم على الجيش الشعبى أكثر من اعتمادهم على الجيش النظامى ، لا تخلو من المبالغة . وكان حرياً به أن يرصد التطور السياسى للقبيلة فى اليمن بدقة أكثر بعد خوض الجيش المصرى معارك تلاحمية خلال عامى ١٩٦٢ و١٩٦٣ ، على وجه التحديد منذ هجوم رمضان الواسع النطاق ضد القوات الملكية ، حيث وصلت طلائع القوات العربية إلى مشارف الربع الخالى المحاذية للحدود السعودية. (١٥٩) لقد اعتمد الجيش المصرى فى حرب اليمن، بصورة أساسيه فى عملياته العسكرية على قوات نظامية محترفة ، بالإضافة إلى قوات الجيش اليمنى (النظامى) والجيش الشعبى (القبلى) ، اللذان كانا يشكلان رديفاً للقوات النظامية فى العمليات العسكرية الواسعة النطاق . وكانت القيادة المصرية تشك فى ولاء هذه القوات المساندة لها، وبخاصة القوات الشعبية المتقلبة الولاء .

ووصف أحد تقارير المخابرات العسكرية المصرية بواعث القبائل اليمنية الموالية للنظام الجمهورى ، والذى أخذ فى التبلور بالعبارات التالية : " إنهم يشتهون القتال ليلاً ونهاراً ولا يريدون الحرب أن تتوقف حرصاً منهم على زيادة مقرراتهم الشهرية من الريالات الفضية والجنيهات الذهبية التى يتقاضونها بشكل منتظم من أمراء بيت حميد الدين ، ومن الحكومة فى صنعاء عبر وزارة الخزانة والمالية . وبعضهم مدفوعون إلى مواقفهم هذه كما سبق أن ذكرت فى التقرير السابق بدوافع ناجمة عن الحاجة ، والبعض الآخر يعانى من فاقة وجوع تاريخى . وهناك من يعتقدون أنهم قد يظفرون بمزايا وفوائد مباشرة من الطرفين الملكى والجمهورى ، طبعاً ومن ورائهم الحكومة المصرية والأسرة السعودية ، وغالبيتهم كما أبلغنى سيادة الخبير العربى العميد قاسم الصاروخ مجمهرين فى النهار ومميلكين فى الليل ، إنهم رعاع يتبعون كل

ناعق .. " [١٦٠] ويلاحظ كاتب التقرير أن غالبية عشائر حاشد وقفت إلى جانب النظام الجمهورى ، فى حين انضمت غالبية عشائر بكيل وشيخها الغادر إلى صف المعسكر الملكى .

كان أنصار القاضى الزبيرى من تجمع حزب الله الدينى والقبلى ، الذى لعبت عناصره أدوارا مختلفة فى الحرب الأهلية اليمنية، تمشياً مع مصالحها الذاتية ، لا سيما مشايخ القبائل الذين وزعوا ولاءاتهم بين المعسكرين المتناحرين - الجمهورى والملكى ، كانوا على حد تعبير أحد كبار ضباط القيادة المصرية " مجمهرين فى النهار ومميلكين فى الليل . " [١٦١] وكان أمراء الحرب من مشايخ حاشد وبكيل ومذحج يقبضون رواتب شهرية، وقد أعدت لهم وزارة خاصة (وزارة شئون القبائل) وميزانيات لجيوش خاصة ، وقيل أن بند اليمن فى الميزانية السعودية والمصرية بلغ أرقاماً فلكية من الجنيهات الذهبية ، فضلاً عن الكمية الضخمة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة ، التى أصبحت الآن فى متناول أيدى العشائر اليمنية. ورغم اعتماد القوتين الإقليميتين (مصر والسعودية) اعتمادا أساسياً على زعماء العشائر اليمنية فى إدارة جزء من المعارك الطاحنة بين الجمهوريين والملكيين ، على أمل تحقيق طرف على الطرف الآخر نصراً عسكرياً حاسماً ، استغل شيوخ المؤسسة القبلية هذا الصراع استغلالاً عقلانياً لصالحهم، وفى بضعة سنوات كان فى مقدورهم تشكيل قوة سياسية عسكرية لا يستهان بها فى اللعبة السياسة اليمنية . [١٦٢]

ومن النتائج المباشرة لهذه الصراعات انعقاد سلسلة من المؤتمرات الشعبية والوطنية ، كانت قراراتها وتوصياتها مبنية على القناعات السياسية ، الأمر الذى ساعد على بروز أنصار حزب الله ، وكتلة خمر ، كقوة سياسية واجتماعية متنامية يحسب لها حسابها فى كلٍ من صنعاء والرياض . وقد أدى هذا إلى ازدياد مشاركة المؤسسة القبلية فى الحياة السياسية مقابل تناقص دور الأحزاب والتنظيمات السياسية التى حظرت نشاطها المؤسسة العسكرية الحاكمة . وتلك أمور كانت تتناقض مع مبادئ وأهداف الثورة لم تحسب لها حسابها القوى الجديدة التى رمت بثقلها لصالح نظام السلال المدعوم بقوة من القيادة المصرية . سمحت القيادتين اليمنية والمصرية بتأسيس فرع اتحاد عمال اليمن وحركة القوميين العرب ، لكنهم لم تسمح بحرية العمل السياسى ، الأمر الذى أفقد القوى الجديدة المؤيدة للنظام الجمهورى حرية الحركة فى مواجهة نشاط القوى المضادة للثورة . [١٦٣]

وواقع الأمر هو أن القيادة اليمنية كانت تتعامل مع كافة الاتجاهات السياسية المختلفة فى الساحة اليمنية بالشكل الذى يحافظ على هوية النظام الجمهورى واستمراريته ، فالقيادة المصرية فى القاهرة ، وأجهزة مخابراتها العسكرية فى اليمن ، لم تتردد فى تسديد الضربات لأى اتجاه يخل بقواعد اللعبة السياسية ، حتى لو كان ينتمى للصف الجمهورى . وقد أثبتت الوقائع أن الإجراءات القمعية التى مارسها نظام السلال ضد المعارضة الجمهورية كانت لا تقل قسوة عن موقف القيادة المصرية فى عملياتها العسكرية الهجومية ضد المعارضة الملكية . وقد اتهمت المعارضة الجمهورية حكومة صنعاء بالتشدق المستمر بمبادئ الثورة، وهى أول من أنتهك هذه المبادئ ، بل وأفرغ النظام الجمهورى من محتواه ؛ كما أعلن الزبيرى ورفاقه (الإريانى والنعمان) إنهم لا يستطيعون الاستمرار فى السلطة فى ظل الازدواجية السياسية والعسكرية بين القيادتين اليمنية والمصرية . (١٦٤)

وهكذا تتضح أمامنا أهمية قرارات مؤتمر عمران وتوصياته ، فهى تكمل جزءاً من الصورة التى يمكن رسمها لتلك المرحلة التاريخية الممتدة من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٧ ، وهى الفترة التى رسمت معالم الصراع بين القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة والتقليدية بتوجهاتها السياسية المتباينة . كما أنها تساعدنا على فهم مغزى المعارضة الجمهورية ، والأسباب الموضوعية والذاتية التى دفعت بالزبيرى إلى الدخول فى مواجهة سياسية مكشوفة ضد نظام السلال والوجود المصرى الداعم له . علماً بأن هذه الوثيقة السياسية صيغت بطريقة ذكية قابلة للتأويل . فى المقابل ، كانت هناك عناصر معارضة جمهورية وملكية ترفض الاعتراف بالنظام الجمهورى ، وتذهب إلى مشروعية إقامة دولة اليمن الإسلامية ، لكنها لم تجرُ على الإفصاح علانية عن هذا الموقف خشية التعرض للعقاب . أعلنت هذه العناصر (القوى الثالثة) معارضتها الصريحة لنظام السلال ، الذى كانت تحميه قوة عسكرية قوامها خمسين ألف جندى مصرى مدججين بالأسلحة الخفيفة والثقيلة .

وعلى خلاف الأحزاب والتنظيمات السياسية المتواجدة فى الساحة اليمنية، كانت زعامة حزب الله قد نجحت فى استقطاب عدداً لا بأس به من رجال القبائل اليمنية إلى صفوفها . كما أقامت علاقات جيدة مع قبيلة حاشد وبكيل ، ونسجت علاقات مماثلة مع قبيلة مذحج .

والمـــرجح أن الـــزيارات الميدانية التى قام بها الزبيرى لأرحب وخولان وعمران خلال عامى ١٩٦٢- ١٩٦٣ ، قد شجعته فى ربيع ١٩٦٥ على اتخاذ قرار الخروج من صنعاء إلى برط . وكان القاضى ورفاقه يعدون العدة لانعقاد مؤتمر خمر ، حيث شرعت المعارضة فى إعداد خطة عامـــة لـــتجريد الســـــلال من كافة مناصبه الســـياسية – تمهيداً لخلعه من منصب رئيس الجمهورية. [(١٦٥)]

هوامش الفصل الثالث

(١) لحكم الشورى تاريخ حافل فى تجربة المؤسسة الإمامية طور التأسيس فى فترة دولة الهادى ، غير أن النظرية الزيدية لم تشهد تطوراً ملحوظاً فى المفاهيم السياسية والاجتماعية فى ما يقارب عشرة قرون من الزمان ، رغم أن باب الاجتهاد ظل مفتوحاً أمام العلماء . انظر ملاحظات أشواق غيس : التجديد فى فكر الإمامة، سبق ذكره ، ص١١٩-١٢٢ . والاستنتاجات الجاهزة المتعلقة بالنظرية الزيدية ، وإلقاء اللوم فى تجميد النظرية على بيت حميد الدين . والمعلوم أن هذا التجميد أو بالأحرى الشلل الفكرى الذى أصاب فكر الزيدية والمعتزلة فى اليمن كان قد أدركه نفر غير قليل من العلماء المجتهدين أمثال الإمام المؤيد يحيى بن حمزة ، ومحمد بن إبراهيم الوزير ، قبيل ظهور الدولة القاسمية بقرون عدة . راجع تحليل صبحى : فى علم الكلام ، سبق ذكره ، ص ٤٥٦ ، وأحمد : قيام الدولة الزيدية ، سبق ذكره ، ص ١٤١ ، وعارف : الصلة بين الزيدية والمعتزلة ، سبق ذكره ، ص ٣٦٣ .

(٢) سالم : البريد الأدبى حلقة مفقودة من حركة التنوير فى اليمن، سبق ذكره، ص ٣٦- ٣٧ .

(٣) الصائدى : حركة المعارضة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

(٤) يبدى أحمد الصائدى ملاحظات نقدية فى قراءته المتعمقة فى عقيدة حركة الأحرار اليمنيين - من جمعية إب الإصلاحية إلى الجمعية اليمانية الكبرى ، مؤكداً أن الخط السياسى والقناعات الفكرية التى تولدت لدى قيادة المعارضة كانت أطروحاتها النظرية لا تتعدى بأى حال من الأحوال مفهوم حكم الشورى والدستور ؛ وفى أحسن الأحوال الحكم الشعبى الذى أصبح برنامج العمل السياسى لتنظيم الاتحاد اليمنى خلال عقدى الخمسينيات وبداية الستينيات. حول هذين المفهومين أنظر الصائدى : حركة المعارضة اليمنية ، سبق ذكره ، ص١٧٨-١٧٩ . وعبده : مسار الحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص٩٠ .

(٥) من إجابات القاضى الإريانى ، سبق ذكره .

(٦) علوى عبد الله طاهر : " الهيئات الشعبية اليمنية وأثرها فى الحياة الثقافية والسياسية "، مجلة الإكليل ، العدد (١) ، السنة السادسة ١٩٨٨ ، ص ١٧٠ .

(٧) الشامى : رياح التغيير فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١١٢ وما تليها .

(٨) عبده : مسار الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٧٩ .

(٩) عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، سبق ذكره ، ص ١٨٠ ..

(١٠) الرحومى وآخرون : أسرار ووثائق الثورة ، سبق ذكره ، ص ٩٢ .

(١١) من إجابات المشير السلال ، سبق ذكره .

(١٢) عفيف : الحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص١٤١ .

(١٣) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(١٤) ألقـــى أول بيان مجلس قيادة الثورة ، الملازم على قاسم المؤيد أحد رجال الثورة البارزين ، فور اقتحام المدرعات مبنى إذاعة صنعاء ، وإسكات مصدر المقاومة من دار الحمد المطل على مبنى الإذاعة . ثم تقاطر المتحمســـون للثورة وفى مقدمتهم محمد عبد الله الفسيل ، وعبد الله حمران ، وعبد الوهاب جحاف وعبد العزيـــز المقـــالح ، الذين تناوبوا الأدوار فى قراءة بيانات الثورة . انظر كلٌ من الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢١٦ .

(١٥) عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، سبق ذكره ، ص ١٧١ .

(١٦) إدجار أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، (ترجمة عبد الخالق لاشين) ، ص ٦٨-٦٩ .

(١٧) جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٢٩ .

(١٨) كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠١ .

(١٩) انظــر البند الرابع من قرارات مؤتمر عمران فى كتاب عفيف : الحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٤١ .

(٢٠) من إجابات المشير السلال، سبق ذكره.

(٢١) انظر الشلال والشريف : قاموس الأحداث اليمانية ، سبق ذكره ، ص ٧٦ .

(٢٢) الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٩٢ .

(٢٣) السقاف : الزبيرى شاعراً ومفكراً ، سبق ذكره ، ص ٢٧ .

(٢٤) انــظر كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية فى ربع قرن ، سبق ذكره ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢٥) الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٩٢ .

(٢٦) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ٤٩ .

(٢٧) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٩٠ .

(٢٨) السقاف : الزبيرى شاعراً ومفكراً ، سبق ذكره ، ص ٣٠ .

(٢٩) بســطت المعارضـــة مطالبها على شكل التماسات ومطالب ومنشورات تندد فيها بالأوضاع الجائرة فى مـــلكة الإمام يحيى ؛ وكان العلماء بدورهم قد أسدوا النصح للمقام الشريف دون جدوى . انظر رسالة مفـــتى الجمهوريـــة الراحل محمد بن محمد زبارة فى كتاب الشامى : رياح التغيير فى اليمن ، سبق ذكره ،

ص ٨٠ - ٨١ ، ورسالة سيف الحق فى دراستنا : معالم تاريخ اليمن المعاصر ، سبق ذكره ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٣٠) العينى : معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٥٨ .

(٣١) كـان ضـباط الثورة من الرتب الصغيرة يتمتعون بحس ثورى قومى ، لكن يؤخذ عليهم تلك النـزعة المثالـية وحسن النية فى الضباط الكبار والساسة المدنيين . انظر الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٢ . وراجع أيضاً :

Peterson. Yemen , p. 101.

(٣٢) انظر كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث السياسية فى ربع قرن ، ص ٩٤ ، والظاهرى : الدور السياسى للقبيلة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٩ .

(٣٣) جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣٤) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(٣٥) غالب : عوائق التنمية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣٦) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٣٧) الزبيرى : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٥ .

(٣٨) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(٣٩) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(٤٠) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٢٥٠ .

(٤١) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٨ .

(٤٢) إلهام محمد مانع : الأحزاب والتنظيمات السياسية فى اليمن ، ص ١٥٩ .

(٤٣) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٤٤) انظـر عـبد الإله بن على الوزير : تاريخ اليمن المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى (تحقيق محمد عبد الرحيم جازم) ، ص ٥٠ .

(٤٥) من إجابات الشيخ محمد قاسم بحيبح ، حررت فى ١٨ سبتمبر عام ١٩٨٤ .

(٤٦) المصدر نفسه .

(٤٧) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٩٤ .

(٤٨) عبد الإله بن عبد الله : نكسة الثورة فى اليمن ، ص ١٩٧ .

(٤٩) غالباً ما تشير تقارير المخابرات العامة إلى نشاط الطابور الخامس فى صنعاء خلال أعوام الثورة الأولى ، حيث ظهر أكثر من إمام علوى يدعو لإمامته فى السر ؛ وكان أبرز هؤلاء الإمام الداعى على بن على بن أحمد إسماعيل المرونى ، الذى خرج عن النظام الجمهورى من جبل الشرق المحاذى لمدينة ضوران أنس . حيث أعلن من هناك معارضته للنظام الجمهورى ، وقد كلف باعتقاله المقدم أحمد بن أحمد الكبسى ونفذ فيه حكم الإعدام رمياً بالرصاص بمدينة صنعاء . انظر الأكوع : هجر العلم ومعاقله فى اليمن، سبق ذكره، ج٤ ، ص ٢٠٢٧ - ٢٠٢٨ .

(٥٠) كان الأعضاء الفاعلون فى صفوف المعارضة الجمهورية يخططون لإسقاط نظام السلال متحدين بذلك الدور المصرى ؛ وبالتالى حرصوا على فتح قنوات اتصال مع المعارضة الملكية للتخفيف من حدة الضغط عليهم . انظر تفاصيل ذلك فى كلٍ من :

Manfred. Op. Cit. p.218 .

(٥١) انظر :

Halliday. Op. Cit. p. 112.

(٥٢) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٥٧ .

(٥٣) حول حادث تكرار ضرب الطيران العربى المصرى لمواقع جمهورية، وقرى آمنة تدين بولائها للنظام الجمهورى راجع الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص٤٣٥ .

(٥٤) الظاهرى : الدور السياسى للقبيلة ، سبق ذكره ، ص ١٣٦ .

(٥٥) أبو غانم : البنية القبلية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٥٦) المخابرات العامة : تقرير من مكتب الاستطلاع والأمن الحربى حول تسرب بعض الأسلحة والذخائر من مخزون قصر السلاح بصنعاء ، سرى للغاية ، ص ٢ .

(٥٧) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٨.

(٥٨) أبو غانم : القبيلة والدولة ، سبق ذكره ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٥٩) الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٤٤ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .

(٦١) وزارة الإعلام : الكتاب السنوى ، ص ٣٢ .

(٦٢) رياض الريس : رياح الجنوب ، اليمن ودوره فى الجزيرة العربية ، ص ٣١٣ .

(٦٣) أحمد : الدور المصرى فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٩٨ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٩ .

(٦٥) جلوبوفسكايا : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٤٨.

(٦٦) الظاهري : الدور السياسي للقبيلة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤٥ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .

(٦٨) انظر :

Stookey. Op. Cit. p. 234.

(٦٩) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

(٧٠) المراد بتسمية الدولة الإسلامية التوصل إلى صيغة سياسية مشتركة لحل أزمة الحرب الأهلية فى اليمن بين العسكرين المتصارعين – الجمهورى والملكى ؛ حيث دعت العناصر المنشقة عن النظام الجمهورى (كتلة خمر) من جهة ، والعناصر المنشقة عن مجلس الإمامة (حزب الشورى) من جهة أخرى ، إلى قيام دولة اليمن الإسلامية ، كمعادلة سياسية للمشكلة اليمنية – الحرب الأهلية . لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الرابع فى كتاب محمد أحمد محجوب: الديمقراطية فى الميزان ، ص ١٦٦ ؛ والوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٢٦ .

(٧١) حول وجهة نظر المعارضة الإمامية للنظام الجمهورى العسكرى انظر الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٨٧–٨٨ ، وإبراهيم بن على الوزير : بدلاً من التيه ، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٧٢) شكلت كتلة خمر تجمعاً سياسياً ضم لفيف من القادة الجمهوريين المدنيين والعسكريين المنشقين عن نظام السلال ، وكان هؤلاء يميلون إلى الحل السلمى للصراع الدائر فى اليمن بين الجمهوريين والملكيين ، وقد أنضم إليهم لاحقاً تيار اتحاد القوى الشعبية المنشق عن مجلس الإمامة ؛ وكان القاسم المشترك بينهما القبول بتسوية سياسية تطرح مشروع قيام دولة اليمن الإسلامية ، بوصفه بديلاً أمثل للنظام الإمامى الاستبدادى والحكم الجمهورى العسكرى . انظر جلوبوفسكايا . ايلينا . ك : التطور السياسى للجمهورية العربية اليمنية ، (ترجمة محمد على عبد الله البحر) ، ص١٥٠ ، سلطان أحمد عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، ص ١٨٢ .

(٧٣) القاسمى : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٤٠ .

(٧٤) شكلت اللجنة المركزية لشئون القبائل فى ٢٨ أبريل من عام ١٩٦٣ ، وكانت تضم مجلس قبلى يتكون من ١٦ عضو ، برئاسة الشيخ غالب بن ناصر الأحمر . انظر كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية فى ربع قرن ، سبق ذكره ، ص ١٠١ ، وفضل أبو غانم : القبيلة والدولة ، سبق ذكره ، ص ٣٢٢ .

(٧٥) كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٢ .

(٧٦) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٦ .

(٧٧) ديـــباجة مؤتمـــر عمران في (البند الأول) من قرارات المؤتمر وتوصياته في ملف الكلمة : مقتطفات من قرارات مؤتمر عمران ، مجلة الكلمة ، العدد ٣٩ ، (يونيو - يوليو ، ١٩٧٦)، ص ١١٤ .

(٧٨) المصدر نفسه .

(٧٩) عفيف وآخرون : البيضاني يرد على البيضاني ، سبق ذكره ، ص ١٠١

(٨٠) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره، ص ٢٦٨

(٨١) المقالح : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص ٩٤

(٨٢) انظـــر المقابلة الصحفية التي أجراها صادق ناشر مع العميد يحيى المتوكل تحت عنوان: " يحيى المتوكل في شهادة يمنية استثنائية " ، في صحيفة الأيام ، العدد ٣٢٥٧ ، ٦ يناير ٢٠٠١ ، ص ٥ .

(٨٣) انظـــر صلاحيات رئيس الجمهورية في دستور المؤقت الصادر بقرار جمهوري رقم (٣٧) في ٨ مايو من عـــام ١٩٦٣، الموافـــق ٧ محـــرم الحـــرام لسنة ١٣٨٥هـــ في كتاب عفيف: الحركة الوطنية اليمنية ، ص ٣٥٦ وما تليها .

(٨٤) عفيف وآخرون : البيضاني يرد على البيضاني ، سبق ذكره ، ص ٢٠ .

(٨٥) المصدر نفسه ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٨٦) من إجابات العنسي ، سبق ذكره

(٨٧) جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٦٧ .

(٨٨) راجع نص المؤتمر الصحفي الذى عقده سفير اليمن المتجول (النعمان الابن - محمد أحمد نعمان)، وضح فيـــه الأسباب التي دفعت والده إلى تقديم استقالته من عضوية المجلس الجمهورى ، وردود فعل السلطات اليمنية (المجلس الجمهورى) التي وجهت له تهمة الخيانة العظمى ، وبالتالى سحب جنسيته . انظر الوثائق العربية : ديسمبر ١٩٦٧ ، بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ص٣١٦ .

(٨٩) الشلال والشريف : قاموس الأحداث اليمانية ، سبق ذكره ، ص ٧٥ .

(٩٠) من إجابات المشير السلال ، سبق ذكره .

(٩١) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٩٥ .

(٩٢) من إجابات المشير عبد الله السلال ، سبق ذكره .

(٩٣) مديـــنة تاريخية عامرة تقع شمال غربي صنعاء بمسافة ٤٩ كيلو متراً ، ومن أعمالها بلاد الصيد والكلبيين من قبائل حاشد . الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، سبق ذكره ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

(٩٤) البردونى : من أول قصيدة ، سبق ذكره ، ص ٢٨ .

(٩٥) انظـــر كـــلٍ من الصائدى : حركة المعارضة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٢٨ ، والظاهرى : الدور السياسى للقبيلة ، سبق ذكره ، ص ١٣٥ .

(٩٦) جلوبوفسكايا : التطور السياسى للجمهورية العربية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٨٥.

(٩٧) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ٨٨ .

(٩٨) انظر :

Rolf Schloss. "Al-Baidani The Real Ruler", Atlas, Vol. no. V (March 1963), p.162-163.

(٩٩) من إجابات الشيخ أحمد نعمان ، سبق ذكره .

(١٠٠) المصدر نفسه .

(١٠١) جـزيلان : التاريخ السرى للثورة ، سبق ذكره ، ص ٢١٨ ، والبيضانى : مصر وثورة اليمن ، سبق ذكره ، ص ٨٣ .

(١٠٢) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢١٩ .

(١٠٣) الرحومى وآخرون : أسرار ووثائق الثورة ، سبق ذكره ، ص١٩٧-١٩٨ .

(١٠٤) انظر كل من جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، والرحومى وآخرون : أسرار ووثائق الثورة ، سبق ذكره ، ص ١٦٦ .

(١٠٥) نعمان : من وراء الأسوار مناقشة سياسية حول مستقبل اليمن ، سبق ذكره ، ص ٩٣ .

(١٠٦) الريس : رياح الجنوب ، سبق ذكره ، ص ٣٢١ .

(١٠٧) انظر السلال وآخرون : ثورة اليمن الدستورية ، سبق ذكره ، ص ٥ .

(١٠٨) انظر :

Hisham B. Sharabi. Nationalism and Revolution In the Arab World, p. 71.

(١٠٩) انظر ناجى الأشول : الجيش والحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٣٢

(١١٠) انظر حسين محمد المقبلى : مذكرات المقبلى . ص ٤٤ وما تليها .

(١١١) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(١١٢) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

(١١٣) " يحيى المتوكل فى شهادة يمنية استثنائية " ، صحيفة الأيام ، العدد ٣٢٥٧ ، سبق ذكره ، ص ٤ .

(١١٤) انظـــر كلٍ من سفيان أحمد البرطي : شهداء الثورة ، ص ٧٩ وما بعدها ، والأشول: الجيش والحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧٢ .

(١١٥) عبد الإله : نكسة الثورة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣١ .

(١١٦) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

(١١٧) اعترضت عناصر المعارضة الجمهورية والملكية على حد سواء ، على الدستور المؤقت الصادر فى شهر إبـــريل من عام ١٩٦٣ ، كونه لا يتوافق فى كثير من بنوده مع مفهوم حكم الشورى الذى جسدته تجربة حـــركة ١٧ شباط من عام ١٩٤٨ ؛ علماً بأن المواد الرئيسة فى هذا الدستور وغيره من الدساتير اليمنية تؤكـــد عـــلى أن الإسلام دين الدولة. انظر كلّ من جلوبوفسكايا · التطور السياسى للجمهورية العربية اليمـــنية ، سبق ذكره ، ص ٥١ ، وتعليقات كل من الشامى فى رياح التغيير فى اليمن، سبق ذكره ، ص ١١٣ ، والوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية، سبق ذكره ، ص ٨١

(١١٨) إن قراءة متأنية لأعمال الزبيرى الشعرية (صلاة فى الجحيم) و(ثورة الشعر) تجعلنا نعتقد أن اليقين الـــشورى قـــد أخذ يتآكل بصورة ملفتة للنظر فى عهد الثورة والجمهورية ، أى فى فترة الجمهورية العربية اليمـــنية – وعلى وجه التحديد فى مرحلة حزب الله . لذلك وانطلاقاً من البرنامج السياسى لحزب الله ، نشأت مجادلات سياسية وثقافية حول سيرة الزبيرى النضالية فى العهدين الملكى والجمهورى . وقد اكتفينا ببعض الاستشهادات المختارة فى كتاب المقالح : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، سبق ذكره ، ص ٢١٣ – ٢١٤ . لـــلقارئ كـــى يتأمل ويقارن مع الملاحظات النقدية الواردة فى كتاب الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤

(١١٩) انظر نص خطاب الزبيرى فى كتاب العمرانى · الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره، ص٤٤٠ .

(١٢٠) المصدر نفسه ، ص ٤٤١

(١٢١) باديب · الصراع السعودى المصرى حول اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٥٤

(١٢٢) أبو غانم : البنية القبلية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٢٨ .

(١٢٣) أبو غانم : القبيلة والدولة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٦٨ .

(١٢٤) راجع مذكرات محمد عبد الواسع حميد : الأصبحى يتذكر ، سبق ذكره ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

(١٢٥) من إجابات الشيخ أحمد محمد نعمان ، سبق ذكره

(١٢٦) من إجابات القاضى الإريانى ، سبق ذكره .

(١٢٧) راجع مذكرات رئيس وزراء السودان الراحل محمد أحمد محجوب · الديمقراطية فى الميزان (ص ١٥٣ – ١٧٤) ، فهو على صلة وثيقة بأقطاب المعارضة اليمنية ، وله ملاحظات موضوعية على المشكلة اليمنية مـــن كافة جوانبها ، تعكس بطبيعة الحال وجهة نظر (جيل ١٩٤٨) المناهضة للحكم العسكرى فى كل من مصر واليمن إبان الحقبة الناصرية .

(١٢٨) الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص٢٧٤ .

(١٢٩) عبد الإله : نكسة الثورة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤٨ .

(١٣٠) نحيل القارئ لدراستنا المتعلقة بالحركة الإسلامية المعاصرة فى اليمن :

Abd al-Aziz K. Al-Msaudi: " The Islamic Movement in Yemen ", Middle East Affairs, winter 1995, Vol. No. 2-3, p. 32-33.

(١٣١) عبد الإله : نكسة الثورة ، سبق ذكره ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(١٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ – ١٥٠

(١٣٣) انظر :

Wenner. Op. cit. p. 216-217.

(١٣٤) انظر :

Ibid. p. 227.

(١٣٥) المراد بأولاد سوق الملح ، أولئك الضباط العسكريين رجال الثورة ، الذين ينحدرون من فئات اجتماعية متواضعة ، والذين تلقوا ثقافة علمية يسيرة ، فغالبيتهم من خريجى مدرسة الأيتام أو المدرسة التحضيرية بصنعاء ؛ فضلاً عن خريجى الكليات العسكرية فى عهد ما قبل الثورة . انظر الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٤ ، وسالم : البريد الأدبى ، سبق ذكره ، ص ١٨٠ .

(١٣٦) فؤاد حمزة : قلب الجزيرة العربية ، سبق ذكره ، ص ٣٤٢ .

(١٣٧) مفيد الزيدى : التيارات الفكرية فى الخليج العربى ، ص ٢١٤ .

(١٣٨) مالكوم كيير: الحرب العربية الباردة (ترجمة عبد العزيز قائد المسعودي)، ص ١٤٠.

(١٣٩) انظر قرارات وتوصيات مؤتمر عمران (البند الثالث) فى كتاب عفيف : الحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٤٠ .

(١٤٠) انظر البند الرابع فى نصوص مؤتمر عمران ، سبق ذكره ، ص ٣٤١ .

(١٤١) عبد الرحمن البيضانى : مصر وثورة اليمن ، ص ١١٢ .

(١٤٢) انظر البند الرابع فى نصوص مؤتمر عمران ، سبق ذكره ، ص ٣٤٤ .

(١٤٣) المقرمى : التاريخ الاجتماعى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .

(١٤٤) الطيب : نكسة الثورة ، سبق ذكره ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(١٤٥) انظر البند الرابع فى نصوص مؤتمر عمران ، سبق ذكره ، ص ٣٤٣ .

(١٤٦) انظر :

Rolf Schloss. "Al-Baidani The Real Ruler", Atlas, Vol. no, V (March 1963), p.162-163.

(١٤٧) جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(١٤٨) عبد الله بن عبد الإله : نكسة الثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٧ .

(١٤٩) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(١٥٠) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ .

(١٥١) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص٢١١ .

(١٥٢) عبد الإله : نكسة الثورة ، سبق ذكره ، ص ١٥٤ .

(١٥٣) من إجابات المشير السلال ، سبق ذكره .

(١٥٤) المصدر نفسه .

(١٥٥) المصدر نفسه .

(١٥٦) عبد الإله : نكسة الثورة ، سبق ذكره، ص ١٥٠.

(١٥٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ .

(١٥٨) الظاهري : الدور السياسي للقبيلة في اليمن ، سبق ذكره ، ص١٢٦ .

(١٥٩) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ٩٨

(١٦٠) وقع اختيار قائد القوات العربية اللواء أنور القاضي ورئيس هيئة الخبراء العرب العميد على عبد الخبير على شخص العقيد محمد محمود قاسم المعروف بلقب (الصاروخ) فى أوساط القبائل اليمنية ، ليصبح الضابط العربي الأول الذى كلف بالإشراف المباشر على وزارة شئون القبائل بهدف التنسيق السياسى والعسكرى بين القيادتين السياسية والعسكرية (المصرية واليمنية) . وقد رافق القاضى محمد الزبيرى العقيد قاسم الصاروخ فى جولات ميدانية متعددة إلى مناطق القتال الضارى فى جحانة والعرقوب بخولان ، فضلاً عن زيارتهما لمنطقة الصمع وبيت مران فى أرحب ، حيث أصيب قاسم الصاروخ بطلق نارى فى إحدى عينية ، وفى أعقاب هذه الحادثة رقى إلى رتبة العميد، وغادر اليمن إلى مصر للاستشفاء . المخابرات العامة: التقرير الشهرى لشهر يناير ١٩٦٤ ، ص ٥ – ٧ .

(١٦١) كان القائم بالأعمال المصرى على عبد الواحد رئيس هيئة الخبراء العرب والعميد على عبد الخبير يحركان المشير السلال والقبائل ضد ضباط الثورة الصغار ، ممن لهم صلات سياسية أو شخصية جيدة بعناصر حزب البعث العربي الاشتراكى – فرع اليمن . بينما كانت عناصر من المخابرات المصرية فى اليمن تحاول شراء ولاء القبائل اليمنية إلى صف الثورة والجمهورية بواسطة المال والسلاح . وكان كل فريق يحاول الانفراد بالتأثير فى إدارة شئون الحكم فى اليمن ، لا سيما الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى أصبح بين عشية وضحاها يحتل مناصب مهمة فى أجهزة الدولة العليا وقيادة الجيش . بهذا الشأن انظر ملاحظات أحد المراقبين السياسيين الغربيين :

Rolf Schloss. "Al-Baidani The Real Ruler", Atlas, Vol. no. V(March 1963), p.162-163.

(١٦٢) القاسمي : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٣٩ .

(١٦٣) من إجابات السلال ، سبق ذكره .

(١٦٤) العمراني : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص٤٧١ .

(١٦٥) ناجي على الأشول : الجيش والحركة الوطنية فى اليمن ، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

الفصل الرابع

آراء حول فكر الزبيرى

الواقع والأسطورة :

تتضمن مجمل الدراسات التاريخية والأبحاث الأدبية المعنية بشعر الزبيرى الوطنى المناهض للنظام الإمامى ، بمعزل عن نثره وشعره السياسى المناهض للنظام الجمهورى ، تقديم صورة مثالية عنه ، لا تخلو من المبالغة والتقديس . والمشكلة التى تواجه القارئ المتخصص، بقدر ما تواجه العديد من أصحاب هذه الدراسات والأبحاث ، الذين تطرقوا لسيرة هذا العالم ، تكمن فى دائرة الزبيرى الأسطورية ، التى طغت على الحدث التاريخى – مولد حزب الله فى العهد الجمهورى . فالظاهرة الملفتة للنظر فى السياسة اليمنية المعاصرة ، أنه كلما برزت " المشكلة اليمنية " على السطح للمناقشة والحوار غالبا ما يسلط الضوء على شخص الزبيرى ، فيطغى على موضوع النقاش ؛ ويقع الغموض بين المتحاورين حول مفهوم الحكم الشعبى ، الذى كافح فى سبيل تشييده وضحى بحياته من أجله . فالقاضى أو الشاعر محمد بن محمود الزبيرى ، من وجهة نظرهم : هو " أبو الأحرار اليمنيين " بدون منافس ، وهو " ضمير اليمن الثقافى " بدون شك ، وهو " أديب اليمن الثائر " على الإطلاق ؛ بل وهو المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذى به كل يمنى حر . (١)

تعود " ظاهرة الزبيرى " إلى عام ١٩٧٠ – نهاية الحرب الأهلية فى اليمن ، حين تشكلت رابطة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، ومركز الدراسات والبحوث اليمني، الذى أولى القائمون عليه عنايتهم الخاصة بإعادة كتابة تاريخ اليمن وفق رؤية خاصة . حيث ساهمت بعض الأقلام الأدبية فى رسم جزء من أسطورة الزبيرى ، أكثر مما أتاحت المجال للدراسات والأبحاث التاريخية الجادة للمساهمة فى رسم الصورة الحقيقية لهذا الرجل . فكل محاولة خارج هذا الإطار – محاولة عبد الله البردونى وأبو بكر السقاف ومحمد على الشهارى – لا تمثل سوى محاولات قاصرة ومتعثرة ، فهى إما محاولات للانتقاص من شخص أبى الأحرار اليمنيين ،

أو الإساءة إليه ؛ فكلها تقع في خانة المحظور من المطبوعات اليمنية خارج نطاق منظومة ثقافة السلطة .[٢]

ومن الدراسات التي تعبر أحسن تعبير عن هذا الاتجاه دراسة عبد الرحمن بن محمد العمراني (الزبيري أديب اليمن الثائر - ١٩٧٩) ، وكذا الملاحظات العامة التي جاءت في سياق دراسة عبد الملك الطيب (منهج الزبيري لإصلاح الحكم والشعب - ١٩٧٤) . لذلك سنقدم عرضاً عاماً لهاتين الدراستين مع غيرهما ، خصوصاً مؤلف عبد الرحمن طيب بعكر (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيري - ١٩٩٠) ، ومؤلف عبد العزيز المقالح (الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني - ١٩٨٠) ، ودراسة عبد الله البردوني (من أول قصيده إلى آخر طلقة - ١٩٩٣) . فهذه الدراسات وتلك الأبحاث المعنية بسيرة أبي الأحرار اليمنيين ضرورية ومهمة غاية الأهمية لكل من أراد الإطلاع أو الإحاطة بالاتجاهات الأدبية والسياسية في اليمن المعاصر .

لقد تناول الدارسون والباحثون سيرة الزبيري بشيء من التوسع والتضخيم ، معتمدين في ذلك على المرويات التاريخية المكتوبة والشفهية ، في حالة تناثر مجزأ ، وتراكم عددي من الوثائق التاريخية الصحيحة والموضوعة. والمنهج الانتقائي كان هو المنهج المفضل لدى هؤلاء ، الذين يختارون منه أمثلة ومواقف متباينة في سيرته ، كمعارض سياسي عنيد لا تلين عريكته ضد النظام الإمامي الاستبدادي ، ومصلح وطني إسلامي قدم روحه وحياته في سبيل الثورة والجمهورية .[٣] حيث يشدد هؤلاء الدارسون على ضرورة إحياء ذكرى الزبيري ، لأن القاضي مات في حياته كإنسان ، لكنه في وجدانهم لا يزال ضمير اليمن الثقافي وأديبه الثائر . أما رجال الحركة الوطنية ، خصوصاً رفيق دربه في النضال أحمد نعمان ، الذي طواه النسيان حياً في منفاه الاختياري بسويسرا ؛ فهو غالباً ما يوضع على رأس قائمة الرجعية الجمهورية .[٤]

إن اعتماد هذا المنهج الانتقائي لا يفضي بالضرورة إلى الدعوة الرسمية لإعادة كتابة تاريخ الحركة الوطنية على أسس علمية منهجية ، بل قد تفضي مثل هذه الدعوة إلى تشويه الوقائع والأحداث ، خصوصاً تلك وثيقة الصلة بالحركة الوطنية في اليمن المعاصر . وكل ما نود التنويه إليه هو أن العديد من الدارسين والباحثين لا يملون الحديث عن شعر الزبيري ونزعته الوطنية الصادقة، والإشادة بدوره في إيقاظ الحس الوطني، علماً بأن اليمن أنجب الكثير

مسن الشـــعراء.الأفـــذاذ والرجال المصلحين الذين قدموا أرواحهم رخيصة فى محراب حركة ١٩٤٨ الدستورية، وانقلاب ١٩٥٥، وثورة (٢٦) سبتمبر ١٩٦٢. فظاهرة الزبيرى جاءت كتحصيل حاصل لأزمة ضمير لازمت تلك الجماعة الاجتماعية والسياسية المنتفعة بدم الزبيرى حياً وميتاً.[٥] فكل ما برزت المشكلة اليمنية على السطح مجدداً ، يتم استحضار روح القاضى محمد الزبيرى ، كتعبير عن ذلك التناقض القائم بين السلطة والمعارضة فى العهد الجمهورى .

عـــلى أن أبحـــاث هذا الكتاب لم تقتصر على البحث والتعمق فى أدب الزبيرى فى فترة المـــلكة المتوكلية اليمانية فحسب ، بل حاولت التطرق لتلك الخطب السياسية التى ألقاها فى فترة الجمهورية العربية اليمنية . وإذا كان فى هذا الفصل ابتعاد مؤقت عن موضوعنا الرئيسى – مشـــروع حزب الله فى اليمن الجمهورى ، أو الدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية ، فإن ذلك أمر ضرورى لفهم أبعاد المشكلة اليمنية من كل جوانبها ، التى تناولها بشيء من التحليل والمناقشـــة نفـــر غير قليل من الكتاب والمراقبين السياسيين ، وعناوين الكتب المبثوثة فى قائمة المصادر تؤكد ما نذهب إليه فى سياق دراستنا وبحثنا . علينا إذن أن نعود مجدداً إلى بسط هذه المشكلة – القاضى الزبيرى وحزب الله – ، من زاوية أقرب إلى المعطيات الموضوعية ، أى أن نُثبت هنا مصطلح " ظاهرة الزبيرى " ، بهدف تحديد توجهاتها الثقافية والسياسية فى مرحلة الجمهوريـــة العربية اليمنية ، بهدف التعرف عن كثب بمواقفه السياسية المناهضة لنظام السلال من جهة والدور المصرى من جهة أخرى .

فنتوقف أولاً عند دراسة العمرانى (الزبيرى أديب اليمن الثائر) ، حيث يشير المؤلف فى مقدمة كتابه إلى أن " الكتابة عن الزبيرى ربما تكون كتابة عن شعب بأكمله . فحياة الزبيرى وقصـــته قصـــة شـــعب وحياته . ومن نضاله الأدبى والسياسى نعرف نضال شعبه فى القرن العشرين .. وفى أدبه ينعكس تاريخ وحاضر وقضايا شعبه .. "[٦] نحن إذن إزاء مشروع ثقافى قد لا يكتمل تحقيقه فى الوقت الراهن، نظراً لأن القاضى منذ رحيله صار من ".. أكثر الأدباء اليمنيين والسياسيين اليمنيين حظاً فى الاهتمام به والكتابة عنه .. لقد أصبح الزبيرى قضية هامة فى اليمن اليوم ، فكثيراً ما اختلف الكتاب والسياسيون المعاصرون فى نص من شعره ، أو نثره، أو فى موقف له سياسى ، حتى أغنى الأدب والفكر والسياسة فى اليمن بالنقاش والنقد . "[٧] وهذه المقدمة توحى بأن الباحث يتبنى منهج كتابة سيرة الزبيرى من زاوية أدبية محضة .

إذن لا حاجـة بـنا إلى مـتابعة البحث عن الأسباب الموضوعية التى جعلت الكثير من الدارسين والباحثين المهتمين بالمشكلة اليمنية ، التركيز أولاً وقبل كل شيء على سيرة الزبيرى الأدبيـة والسياسـية . فالحركة الثورية فى جنوب شبه الجزيرة العربية سواء فى فترة المملكة المتوكـلية اليمانية أو الجمهورية العربية اليمنية ، لا يمكن فهمها إلا من خلال التعرض لسيرة القاضـى الزبيرى سلباً وإيجاباً. ولعل تفحص الخلفية السياسية والاجتماعية للثورة اليمنية من زاويـتين مختلفـتين : تجربة ١٧ شباط ١٩٤٨ الدستورية ، وتجربة ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ الجمهورية، أمر وارد ربما يساعدنا على فهم فكر الزبيرى السياسى ، الذى جسدته تجربة حزب الله .

إن مـثل هـذا الـتعارض ، كما يبدو واضحاً بين تجربة جيلين : جيل ١٩٤٨، وجيل ١٩٦٢، لم يكـن وليد الصدفة ، وإنما وجهته نظرة وثقافة كل جيل تجاه المشكلة اليمنية وفق تصـوره الخاص لتحديد العلاقة بين السلطة والمجتمع . كما يبرز هذا التناقض بشكل خاص فى الفصـل الـثالث من الباب الرابع ، من خلال دراسة العمرانى للمنهج الإصلاحى الذى تبناه الـزبيرى فى العهدين الملكى والجمهورى ، حيث يقدم لنا نماذج من سلوك الزبيرى فى العهد الجديـد . فضلاً عن تلك المناقشة للواقع السياسى فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، كما يقدم دراسة فنية لأدب الزبيرى نثراً وشعراً قبل قيام الثورة ، وكذا أدبه المتمثل أكثر فى الخطابة فى عهـد السلال . وثمة إجماع لدى معظم الباحثين والدارسين المهتمين بسيرة الزبيرى ، على أن إنـتاجه الشـعرى قد توقف تماماً فى العهد الجمهورى ، حيث اقتصر نشاطه على الخطابة السياسية . (٨)

إن هذا الجانب من كتاب العمرانى (الزبيرى أديب اليمن الثائر) يكتسب أهمية خاصة ، كونـه يسـاهم فى تطوير أشكال الوعى السائد تجاه تجربة حزب الله ، والتى تتسم بالتقديس والإعجـاب الشـديد بصـاحب هذه التجربة . وعبارة (أخطاء المسؤولين ونشوب الحرب الأهـلية) ، التى يوردها العمرانى عنواناً جانبياً للفصل الثالث من الدراسة يقصد بها تسليط الأضـواء عـلى " مصير الزبيرى وحالة بلاده بعد تحقق الحلم الكبير وهو إعلان إنهاء الحكم الإمامى المتوكلى وقيام الجمهورية . " (٩) وهكذا يضع الكاتب شخصية الزبيرى فى موقع متميز فى مسـار حركة المعارضة الوطنية ، باعتباره واحداً من المفكرين السياسيين الذين ساهموا فى إعداد التربة المناسبة لقيام الثورة اليمنية وترسيخ أركان النظام الجمهورى .

تطالعنا عبارة المؤلف (أخطاء المسؤولين ونشوب الحرب الأهلية)، بعدة اعتبارات شكلت محور معارضة الزبيرى للسلطة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، ممثلة بمجلس قيادة الثورة ، أو بشخص رئيس الجمهورية المشير السلال ، سنحاول تلخيصها هنا ، ومن ثم التعليق عليها . ويستند العمراني فى استدلالاته على انحراف نظام السلال عن مبادئ الثورة وأهدافها ، فى ضوء قراءته المختزلة لبعض الدراسات والأبحاث المشايعة للقاضى الزبيرى ومشروع حزب الله فى اليمن ، التى أشار لها فى مقدمة دراسته ، ثم يقوم برصد أخطاء التجربة الثورية فى عهد السلال (١٩٦٢-١٩٦٧) على النحو التالى :

الخطأ الأول ـ السباق على الكراسى والأموال :

" لاشك أن الثورة تعرضت فى البداية لأنانية بعض القادة وعدم إخلاصهم ، وهذا ما أدى إلى انضمام فئات من الشعب إلى الملكيين أنصار الماضى ، فإن يكن فرار (الإمام) البدر ونجاته مقدراً وخارجاً عن إرادة ومقدرة الثورة ، فإن عودته للمقاومة سببته أمور أخرى مقصودة بلا شك من آخرين أجهزوا على السلطة بعد قيام الثورة، لن نضرب أمثلة، وإنما سنترك الآخرين يحدثوننا فى هذا الموضوع ، وبعض المراجع التى أمامنا تتهم شخصين كانا من أسباب الفساد الحكومى ونشوب الحرب الأهلية ، هما السلال رئيس الجمهورية والبيضاني نائبه ، ففى الوقت الذى أجمعت فيه كل المراجع على مهاجمة البيضاني نجد اثنين من هذه المراجع يضيف السلال إلى جانب البيضاني . " (١٠)

الخطأ الثانى ـ التدخل الخارجى :

" قبل أن تقوم الثورة اليمنية كان هنالك تنافس وخصام بين مصر عبد الناصر والمملكة العربية السعودية بزعامة (الملك) سعود وفيصل ، وكان (الرئيس) عبد الناصر يحس بمرارة انفصال سوريا ومصير اتحاده المسرحى مع مملكة الإمام (أحمد)، وكان قيام ثورة فى اليمن يعنى دعماً معنوياً وكسباً كبيراً لزعامته وطموحه القومى الجديد ، وكانت السعودية رغم خلافها التاريخى مع أئمة اليمن تجد فى بقائهم أمناً لها ، وأن قيام جمهورية موالية لعبد الناصر يعنى خطراً قريباً منها على عرشها واستقرارها . لهذا فقد كان كلٌ من مصر والسعودية يراهن على كسب اليمن . وعندما قامت ثورة اليمن فرحت مصر واستاءت السعودية ، وبدا كل منهما يستعد لمواجهة الأخر على أرض اليمن،وكان لكل منهما التدخل.. " (١١)

الخطأ الثالث ـ الفقر والجهل وسوء فهم الثورة وعوامل أخرى ونشوب الحرب :

" نتيجة للفقر الذى عاشه الشعب اليمنى فى العهد المتوكلى ومنذ قرون قبله ، ونتيجة للجهل المطبق الذى أدى إلى سقوط حركة ١٩٤٨، وكل الحركات الثورية الإصلاحية ، ونتيجة لتعصب المواطنين التقليدى للدين بالمفهوم الإمامى فى الشمال المعروفة بالمنطقة الزيدية، ونتيجة لرسوخ العادات القبلية التى لم تقض عليها الإمامة ، لا سيما تلك العادات التى تجعل المواطنين (القبائل) بعيدين عن النظام ومركزية الدولة والاستعداد الدائم للتمرد الذى كان وسيلة الأئمة لإخضاعه هى الرهائن الآدمية ، ونتيجة للنفسية الخاصة التى حكم بها مواطنى المناطق الشمالية والتى تعتمد على أن يكون الحاكم ذا مركز دينى أو طبقى معين، ونتيجة عوامل أخرى استغلها الملكيون ..قام الملكيون بتوزيع السلاح والذهب والريالات الفضية بكميات هائلة ، وقاموا بإفهام المواطنين فى المناطق الشمالية بأن (الجمهورية) تعنى الكفر بالإسلام وتحليل ما حرم الله ، وتعنى التحول إلى (الاشتراكية) ، كم حدث بجمهورية مصر عبد الناصر (الجمهورية العربية المتحدة) ؛ والاشتراكية معناها مصادرة الأموال والنساء، وحاولوا التعامل مع القبائل الشمالية حسب نفسيتها التى صنعوها عبر أجيال من الأئمة ، وأثاروها باسم الدين والنخوة القبلية ، وأثاروا فيها ما أوجدوه فيها من طائفية، حيث حذروهم من ويلات المستقبل إذا استلم زمام الحكم اخوتهم الشافعيون، وحاولوا استغلال النزعة الاستقلالية اليمنية ، ورفض اليمنى لأى خارجى فقاموا بتفسير الوجود المصرى - يعنى استعماراً مصرياً اشتراكياً فرعونياً . كل هذه الدعايات إضافة إلى أخطاء بعض المسؤولين الجمهوريين بقصد طمعاً فى المنصب والمال، أو بغير قصد نتيجة عدم التعامل حسب نفسيتها وعاداتها ، إضافة إلى عامل مهم وهو وجود ضباط مصريين كبار وجدوا فى استمرار الحرب فى اليمن مصدر ابتزاز غنى لهم ." (١٢)

الخطأ الرابع ـ اختلاف الجمهوريين فيما بينهم ورفض بعضهم الوجود المصرى :

" كان الهدف من وصول الجيش المصرى لنصرة الثورة اليمنية هدفاً نبيلاً لا شك فى هذا شأنه شأن هدف تحرير فلسطين من الصهيونية، لكن الأهداف النبيلة أحياناً يساء استغلالها، وتكون النتيجة ضرراً على المبدأ النبيل أكثر مما هو نفع له ، فثلاثون عاماً من المزايدة والمتاجرة بقضية فلسطين أدت إلى توسع إسرائيل . وسنوات من حرب اليمن ظهر فيها المتاجرون بالمبدأ النبيل أدى إلى توسع رقعة الحرب وزيادة قوة أنصار الماضى وضعف الصف الجمهورى ؛ وكان أن حدث انشقاق بين الجمهوريين أنفسهم .. " (١٣)

ويكتفي العمراني في الفصل الثالث الذي تطرق فيه لموقف الزبيري من السلطة في العهد الجمهوري بإثارة هذه الأسئلة: فأين هو الزبيري من هذا الوضع ؟وما هي آراؤه ؟ وما هو دورة ؟

هذا التصادم أو الاختلاف السياسي حول تحديد ماهية نظام الحكم في اليمن المعاصر، برز على السطح عندما تفرد مجلس قيادة الثورة باتخاذ القرارات السياسية الحاسمة، وظهرت نغمة تدعو إلى حملة تطهير شاملة لكل العناصر المعادية للثورة والنظام الجمهوري (أصحاب العمائم) ، وغالبيتهم ينتمون لشريحتي السادة والقضاة ، الذين شكلوا العمود الفقري للجهاز الحكومي في فترة المملكة المتوكلية اليمانية . وكان تنظيم الضباط الأحرار قد قرر التخلص من رموز الحكم البائد ، خشية إبقاءهم على قيد الحياة ، فينقلب الوضع لصالح النظام الملكي البائد لكي لا تتكرر مأساة حركة ١٩٤٨. وعلى هذا الأساس ، شكلت محكمة أمن الثورة للقيام بالمهام المنوطة بها ، ورغم ذلك ، فقد حدثت تجاوزات لم يحسب لها حسابها مجلس قيادة الثورة ، إلا بعد أن تعالت الانتقادات الموجهة للحكومة من قبل المعارضة الجمهورية . [١٤]

إن التغيير الشوري الذي طرأ في العهد الجمهوري ، لم يطل بنية النظام الاجتماعي القائم في اليمن ، الذي ظل قائماً كما هو عليه في العهد الإمامي ، فيما لو استثنينا من ذلك إلغاء امتيازات الطبقة العلوية الحاكمة، وإلغاء نظام الرهائن، والرق والعبودية.[١٥] فالتغيير الحاصل في العهد الجديد لم يتعد كونه تغييراً في المسميات (المملكة المتوكلية اليمانية) و(الجمهورية العربية اليمنية) فحسب . بهذا الخصوص كتب الزبيري : " ولقد يظن البعض أن الحكم سيكون عسكرياً ، وأننا نشهد الله بأن هذا غير صحيح ، وأن ضباطنا الأحرار الأبرار لا يفكرون في حكم عسكري ، وإنما تفكيرنا جميعاً في أن نبدأ حكماً عادلاً شعبياً ، يمثل أصفى وأنقى عناصر الشعب من كل فئاته ومناطقه .. " [١٦]

لهذا السبب ذاته لاقت آراء الرئيس السلال ونائبة البيضاني معارضة شديدة من قبل الوجهاء والأعيان ، الذين بدورهم أبدوا رفضهم المطلق للحكم العسكري ، الذي ألتفت من حوله قطاعات واسعة من الشعب اليمني ، فور الإعلان عن قيام الجمهورية العربية اليمنية . وعلى النقيض من تلك الأصوات المطالبة ببقاء السلال في قمة السلطة السياسية ، كانت أصوات القبائل المتمردة على النظام الجمهوري ، تطالب بعودة الإمام ، وتقاتل في صف المعسكر الملكي . [١٧] ولم يكن الزبيري يفضل النظام الجمهوري العسكري على النظام الإمامي

الاستبدادى ، وللحصول على دعم وتأييد شعبى لموقفه المناهض للجميع ، فإنه يحتم استقطاب القبائل المتمردة إلى حظيرة الجمهورية ، كخطوة مرحلية تمهد لظهور الحكومة الشعبية التى نادى بقيامها ، وعلى وجه الخصوص فى مؤتمر عمران فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٣، أى بعد مضى عام كامل على قيام الثورة وإعلان الجمهورية .

ويرى المؤلف أن القاضى الزبيرى لم يتسنَّ له أن يلعب دوراً بارزاً يتناسب وحجم رصيده النضـــالى فى حـــركة الأحرار اليمنيين ، على الرغم من معاناته وتضحياته الجسيمة كمعارض سياســـى ضد النظام الامامى لا تلين عريكته طوال ربع قرن من الزمان. ويشدد العمرانى على دور الـــزبيرى فى العهد الجمهورى بالقـــول : " بعد قيام الثورة وفى الوقت الذى تهافت فيه البعض على المناصب الأعلى [العليا] فى الدولة ، نجد الزبـــيرى أبا الأحرار صاحب الوصيد النضـــالى الفريد يرضى بما أعطى له من منصب وهو وزارة المعارف (التربية والتعليم) الذى كان قد أعطى له فى ثورة ١٩٤٨ ، فى حين كان الكثيرون يتوقعون له ما هو اكثر من هذا ، لا سيما وأن من كانوا أقل منه نضالاً وإخلاصاً قد تبوءوا مراكز أعلى [عليا] أمثال البيضانى الذى اصبح نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الخارجية الخ .. " (١٨)

وبالـــرغم ممـــا يعـــنيه هذا السؤال (ما هو دور الزبيرى ؟) من مفارقة تاريخية بين هذين الدورين فى حركة ١٩٤٨ الدستورية وثورة ١٩٦٢ السبتمبرية ، فهو يحمل ضمنا اعترافاً بأن حـــق القاضـــى الزبيرى قد بخس فى العهد الجمهورى . ولكن العمرانى لم يتتبع مسار الحركة الوطنية فى اليمن المعاصر ، وطبيعة الصراع على السلطة فى العهدين (الملكى والجمهورى) ، إلا من زاوية واحدة – ألا هى زاوية السباق على الكراسى والأموال .

وللإجابـــة عـــلى هذا السؤال نثير تساؤلا ضمنيا آخر : ألم يتبوأ الزبيرى عضوية مجلس الرئاســـة ، وعضـــوية المكـــتب السياسى ، بالإضافة إلى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير المعـــارف ؟ وإذا كـــانت هـــذه المناصب كما يذهب المؤلف لا تتناسب مع شخص الزبيرى وتضحيته الجسيمة فى سبيل الجمهورية ، فما هو الدور الذى كان يتطلع أن يلعبه ؟

لقـــد استخلص بعض الدارسين آراءهم حول تجربة حزب الله من الوقائع التاريخية التى رافقت الخروج من صنعاء إلى جبل برط . وحاولوا منذ البدء أن يضعوا قاعدة عامة لمن أراد أن يتطرق لسيرة الزبيرى ، كما فعل الطيب فى مؤلفه (منهج الزبيرى فى إصلاح الحكم والشعب – ١٩٧٤) ، عـــندما قدم صورة حية عن الزبيرى ومواقفه السياسية المناهضة لنظام السلال

والوجـــود المصرى ، بقوله : " إن القتال من أجل الجمهورية ومحتواها الثورى التقدمى ، ومن أجل الدين أو الشرف أو الوطن قتال مقدس لا نستنكره ولا نجبن عنه ، ولكن القتال من أجل الحماقات والتوافه وسوء الفهم ، والعجز عن اللقاء الحقيقى مع الضحايا المخدوعين المتمردين ، إنما نعتبره جريمة نبرأ إلى الله منها . " (١٩)

سهلت عملية التكييف القسرى للنظام الجمهورى التى أجراها أنصار حزب الله فى اليمن عـــلى الأفكـــار الإصلاحية الوافدة ، أو المستعارة من تجربة جماعة الإخوان المسلمين فى مصر إمكانية تطبيق نظرية الإخوان فى الحكم " الحاكمية لله " ، وجعلها بين أيديهم الأداة المصطفاة فى تحديـــد مستقبل الحكم فى اليمن . وتعد مؤلفات عبد الملك الطيب (نكسة الثورة اليمنية ، ١٩٦٣) و(التاريـــخ يتكلم ، ١٩٩١) ، و(الثورة والنفق المظلم ، ١٩٩٩) ، خير شاهد على هذا التحول . (٢٠) ورائد هذا التحول بنظر المؤلف هو المجاهد الجزائرى الفضيل الورتلانى ممـــثل الشيخ حسن البنا فى اليمن ، والعقل المدبر لحركة ١٩٤٨ الدستورية وميثاقها الوطنى المقدس. وذلك بالإضافة إلى ما تمثله حركة الإخوان المسلمين - فرع اليمن وزعيمها القاضى الـــزبيرى من أهمية خاصة ، سواء فى مرحلة البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أم فى مرحلة حزب الله . (٢١)

ويرى الطيب أن خطر الأنظمة العسكرية لا يكمن فى اغتصابها للسلطة فحسب ، بل فى مواقفهـــا المعادية لدعاة الإصلاح. ولذلك فإن منهج الزبيرى فى الحكم كان يرمى إلى إصلاح الأوضـــاع الفاســـدة . وإذا كـــانت السلطة والحكم عملاً ذهنياً يقتضى من الحاكم التحرك فى خدمـــة الصـــالح العـــام ، ويتم التوصل إليها بالدراية والخبرة ، فالإصلاح كذلك يتطلب مـــن الداعى أن يمعن العقل والحكمة فى معالجة المشاكـــل المستعصية . والإصلاح إنما يجب أن يكـــون إصـــلاحاً ديـــنياً فى جوهره ، يلامس هموم الناس ومعاناتهم اليومية . والكاتب يبدى ملاحظـــات نقدية يستخلصها من تجربة الزبيرى ، ويسقطها إسقاطاً على الأوضاع المتردية فى عهـــد السلال وخلفاؤه ، لا تبتعد فى جوهرها عن هذا التقييم السلبى لنظام الحكم فى العهد الجمهـــورى ، قائلاً : " تسود اليمن ظواهر خطيرة فى مستوى الشعب والحكومة معاً:فوضى تخرب النظام وتحلل يهـــدد القيم ، وانفلات عن مقومات الحياة السياسية والاجتماعية يعرض البلاد لأفدح النكبات . " (٢٢)

بالانـــتقال من التنظير لفترة المملكة المتوكلية اليمانية إلى فترة الجمهورية العربية اليمنية، يطالعـــنا الـــزبيرى بملاحظات نقدية: "فى المـــجال الحكومى تصدر الحكومة قوانينها وقراراتها فتـــبقى هذه القرارات والقوانين حبراً على الورق ، وتظل عاجزة على تنفيذ أو تغيير وضع، أو تطويـــر عمـــل من الأعمال ، أو إدارة من الإدارات.. وقد أدى ذلك إلى أن بدأت تسرى روح اللامبالاة وروح الاستخفاف بأنظمة الدولة فى كل الأجهزة والإدارات على الإطلاق ، فـــلم يعـــد الحـــلال حلالاً والحرام حراماً.. وأخذت تنتشر من روح هذا الوباء سلسلة من المخالفـــات والآثـــام والخيانات والجرائم والفوضى الإدارية والأخلاقية تهدد الدولة ، وتسير بالنظام الجمهورى إلى حافة الهاوية " . (٢٣)

أمـــا الملاحظة الثانية المتعلقة بالشعب ففى قوله : "وفى المجال الشعبى ما لا يقل عن المجال الحكومـــى ، ولكـــنه لا يـــزال محصـــوراً فى نطـــاق ضيق ، ومع ذلك فقد بدأ ينتج الفساد والتحلل والتحدى لكل القيم والمعتقدات والأخلاق مما يهدد المقومات الاجتماعية كلها بخطر داهـــم ". (٢٤) لقد وعى الزبيرى ما أصاب المجتمع اليمنى من ممارســـات خاطئة على المستويين الـــرسمى والشعبي، أو أنه استوعب ذلك من خلال الممارسة العملية للسلطة والحكم فى العهد الجمهـــوري. والانحلال السياسى والاجتماعى الذى أصاب اليمن فى العهد الجمهورى لا يشبه الإنحلال الذى كان سائداً فى العهد الإمامى .

والخطأ الفادح الذى وقع فيه أحرار اليمن جيل (١٩٤٨) ، من وجهة نظر الزبيرى هو " أن الـــثورة قـــامت دون أن تســـبقها تربية للجيل من الثوار ، ودون أن يستطيع الأحرار فى الداخـــل والخارج أن يقدموا منهجاً كاملاً للحياة الثورية ، فكان فهم الجماهير لشعارات (الـــثورة) و(الجمهورية) و(الحرية) فهماً مشوهاً مسموماً ، وجاءت الثورة واندفع الناس طـــبقاً لمفهومهـــم الخـــاطئ إلى ازدراء كـــثير من التقاليد والمقومات الاجتماعية ، وإلى المغانم والمكاسب والشهوات والمطامع ، وإلى التحلل من كل ما يقيد الأهواء ، ومن كل ما يدفع إلى الجهد والعمل والعناء : واعتبار ذلك مناقضاً لمعنى الثورة ومرادفاً للاستبداد البائد.. " (٢٥)

قد نجد هنا مدخلاً مناسباً للمقارنة بين فكر الزبيرى وفكر سيد قطب ، الذى بدوره اعتبر كافـــة الأنظمـــة العـــربية والإسلامية ، سواء كانت جمهورية أم ملكية ، رأسمالية أم اشتراكية لا تلـــتزم الكـــتاب والسنة ، فهى تجسد جاهلية العصر الحديث. ففى ذلك تقارب واضح مع مداـــول مصطلح " الحاكمية لله "، التى استعارها سيد قطب من المفكر الإسلامى أبو الأعلى

المودودى ، بمعناها الدينى الواسع لحكم الشورى . [٢٦] كما أشار جملة من الباحثين إلى الزبيرى المعـارض لـنظام السـلال وفى مقدمتهم الطيب ، الذى أوضح مصادر فكر الزبيرى الثقافية والسياسـية ، ويشاطره الرأى عبد العزيز المقالح ، الذى ذهب إلى القول " .. كانت إسلامية محضـة ، وأكـثر الذين أخذوا بيده وعاونوه هم جماعة الأخوان، لكنه كان يحتفظ بشخصيته اليمـنية الإسـلامية بشكل يستطيع فيه أن يتجول من منطلقات هذه الساحة لتحقيق ما يريد تحقيقـه للـيمن .. الإخوان مثلاً يرتبطون بعهد مع مرشدهم هو لم يكن مرتبطاً بهم ، بل كان ينسق عمله معهم .. " [٢٧]

ولكـن ما هى وسائل بث هذا الإدراك فى قراءة فاحصة ومتأنية لفكر الزبيرى ودعوته الـرامية إلى إعادة النظر فى التجربة الثورية التى خاضها أحرار اليمن ضد حكم الإمامين يحيى وأحمـد حميـد الديـن ؟ وكيـف يمكن كسب الجولة القادمة وانتزاع المبادرة من الحكام العسكريين فى العهد الجمهورى المتسلطين على رقاب الشعب ؟

يـتحدث القاضى الزبيرى بلغة تنضح بالمرارة عن معاناة جيله-حيال التجربة الدستورية وتداعياتهـا ، وحيـال النقمة الشعبية الناشئة عن خيبة مساعى هذا الجيل ، معلقاً آماله على مستقبل الأيام ، عندما تتبلور صحوة إسلامية تلم إلماماً شاملاً بأبعاد المشكلة اليمنية ، فها هو يقـول: "لقـد كانت الجماهير كما أسـلفنا متألمة يعمها السخط والاستياء ، وكانت فاجعة الشعب عظيمة تصلح لأن تكون وقوداً لأكثر من ثورة، وأن تكون معولاً جباراً يهدم أكثر من دولـة ، غـير أن الأحرار أخطأوا السبيل فى التدرج بعقلية الجماهير ، ففقدوا بذلك قاعدتهم الشعبية " . [٢٨] فقد حدث هذا الخطأ أكثر من مرة ، ولم يتعظ قادة الحركة الوطنية من دروس التجربة الدستورية رغم فداحتها . فالزبيرى كان قد خطط عملياً لإيجاد حركة معارضة سياسية نخبوية متصلة بالجماهير الشعبية . ويتابع قائلاً: " لقد كان الشعب ساخطاً متذمراً ضد الـذين يباشـرون الظـلم والقسوة والنهب والسلب من الموظفين الصغار كالمخمن والمأمور والعامل والحـاكم ، فكـان لـزاماً على الأحرار أن يبدءوا من حيث ابتدأ الشعب ، وأن يتألموا من حيث يتألم الشعب ، وأن يصقلوا هذا الألم ويثقفوه ويحللوه ويشرحوه على أن يتدرجوا به إلى أعـلى ، منسـجمين مـع طبيعة التطور حتى يصلوا بعقل الشعب إلى المصدر الأول للطغيان والفساد . " [٢٩]

وفى إشارة إلى هذه الظاهرة – ظاهرة الفساد المالى والإدارى – ، التى أوردها الزبيرى فى مجمل حديثه عن فساد الطبقة الحاكمة ، يقول : " والحق أن هذه الظاهرة المفزعة لم يستطع أن يستغلها لنفسه أو لتدعيم نفوذه شخص معين أو جهة من الجهات ، ولكن الجميع ضعفوا أو خسروا . ونشأ عن هذا كله وبدافع من غريزة المحافظة على البقاء كما تحدث فى عهود الغاب ظهور ما يشبه العصابات ، أو ما يشبه تجمعات القطعان هنا وهناك داخل الدولة وخارجها" . ويضيف قائلاً : " ولم يكن هذا انقساماً عقائدياً أو حزبياً وإنما هى انقسامات تلقائية عمياء تسير لا تدرى أين تسير ؟ وتثور ولا تدرى على من تثور ، ولا على أى جهة تثور ؟ " (٣٠)

وحتى يتهافت هذا الإدعاء المبطل فى السلطة والرئاسة ، ينبغى إدراك القوة الكامنة فى الزعامة الدينية ، وما ينطوى عليه التاريخ اليمنى من تجارب مريرة، يمكن الاستفادة منها لتحاشى الوقوع ثانية فى الخطأ نفسه؛يقول الزبيرى : " والآن نحن معشر المسئولين نواجه خطر التحلل من الضوابط الاجتماعية والسياسية فى شعب مدجج بالسلاح من قمة رأسه إلى قرار قدمه، فأى هول يواجهنا لو سرى وباء التحلل من تقاليدنا ومقدساتنا بين القبائل التى تحترف الموت والقتال من أجل لقمة العيش ، وتتحمل أفظع ألوان البؤس والحرمان إذعاناً للتقاليد القبلية والمقدسات الدينية ؟ " (٣١)

وفى الإطار عينه نجد نقداً مماثلاً للمؤسسة العسكرية الحاكمة التى تربعت كراسى الحكم ، وهى لم تكن واعية بالمسئولية التاريخية الملقاة على عاتقها ، فقد اكتفت بإسقاط النظام الملكى ، لكنها أبقت على رموزه فى أجهزة الدولة العليا ، وعلى وجه الخصوص نظام القضاء فى اليمن ، الذى لم يطرأ عليه أى تغيير منذ عهد شيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى فى وسط عهد الدولة القاسمية . (٣٢) فالزبيرى يرى أن من واجب العلماء إصلاح الحكام قبل إصلاح الرعية ، من ذلك يتم التدرج أو الارتقاء إلى الإصلاح السياسى المنشود . فهو يحث أحرار اليمن على إنقاذ الثورة من الضياع : " نحن مدعون لإنقاذ الثورة والثورة لا ينقذها التآمر ضدها ولا ينقذها ثورة أخرى مضادة فإن من يفكر فى ذلك ليس إلا فى عداد المجانين . إن أية ثورة أخرى وأية حكومة جديدة حتى لو جاءت بها ملائكة السماء ولو أيدها كل إمكانيات الأرض وعبقريات العصر لن يكون حالها أحسن من حالنا الآن . " (٣٣)

الفقرة التى تلى وهى تتعلق بالنهج الثورى - اليقين الثورى - ذلك المصطلح السياسى الـــذى يكتنفه الغموض أكثر فأكثر فى نثره السياسي، وهو جدل لا يخلو من الأبعاد التاريخية وثيقة الصلة بالثورة اليمنية : " وإنمــا ينقذ الثورة أن يكون لها منهج شامل لكل جوانب الحياة الحكومية والشعبية، ومما لا جدال فيه أنه لا تنقصنا ولو لم تكن فى أيدينا لاستعرناها، وإنما الذى ينقصنا هو أن يكون لهذه القوانين قدسية فى نفس الشعب .. بما يرتفع بنا إلى مستوى الأحداث الكـــبيرة التى نحياها ومستوى الثورات التى نعاصرها ، أن هذه محاولة قدر الجهد لتقديم منهج آمنا به فإن يكن ناقصاً فإن كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر . " (٣٤)

وإلى جـــانب هـــذه الدعـــوة المفتوحة لإعداد التربة الخصبة الملائمة لحكم الشورى فى الإسلام، يشترط الزبيرى، من القائمين على الإصلاح - الحصول أولاً وقبل كل شيء على ثقة الشـــعب : "إن الـــثقة بالشـــعب هـــى الشـــرط الأساســـى لصدق الإيمان بالنظام الثورى الديمقـــراطي، كذلك فـــإن فقد الثقة بالشعب تنطوى على نوايا دفينة واتجاه سافر أو مقنع نحو الحكـــم الدكـــتاتورى ونحو الطغيان ، ويستتبع ذلك بالنتيجة الكفر بالحرية وبالعدالة وبحقوق الشعب المقدسة وبالمبررات الجوهرية لقيام الثورة . " (٣٥) هذا الواقع المعاش هو ما يكشف عن عســـف الســـلطة وضعف حول المعارضة ، التى يتكلم عنها الزبيرى فى صفحات من كتاباته الـــواردة فى (المنطـــلقات الـــنظرية للثورة اليمنية) . فالأحداث التاريخية التى جسدتها تجربة الحكومة الدستورية عام ١٩٤٨ ، وتجربة الجمهورية العربية اليمنية عام ١٩٦٢ ، كما تستقى من وقائع السياسة اليمنية المعاصرة - فيها تحليل موضوعى لمفهوم الدولة وتنوع أشكالها ، بينما يظـــل المضمون أو الجوهر قائماً فى حد ذاته ، أى مما هو سياسة للرعية وللأنداد - من صفح وعدل وغى ، وحلم وحكمة وهوى .

ولئن كان الزبيرى يشتط ويرى فى كل ماعدا الشريعة الإسلامية جوراً وطغياناً ، كما شد الانتباه فى خطبه السياسية إلى أن تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، تستدعى أولاً صلاح الحكام، ومـــن ثم صـــلاح الرعية - النموذج الأمثل للتجربة الثورية فى جنوب شبه الجزيرة العربية . فالاســـتتباع السياســـى الأعمـــى لتجربة الجمهورية العربية المتحدة لا يحافظ على الخصوصية اليمـــنية ، التى بطبيعة الحال تميل إلى التحرر من كل ما هو أجنبى ودخيل ، أو مرتبط بالسلطة المركـــزية ، فدعامـــته الأساسية إلغاء دور القبيلة، أى الشعب من الحياة السياسية والثقافية . ويسجل الاستتباع الذى رآه أحد الباحثين اليمنيين ، هو أشبه ما يكون بتجاوز للواقع اليمنى ،

عـندما حـاول نظام السلال أو القيادة المصرية " تحييد أو إلغاء النفوذ القبلى " .[٣٦] وهذا القول يستند إلى شهادة أدلى بها أمين هويدى ، أحد رجال عبد الناصر .

إن فشل نظام السلال فى تثبيت أركان النظام الجمهورى وسحق المقاومة الملكية ، لم تكن هـى النكسـة الوحيـدة التى تعرضت لها الثورة اليمنية ، بل ثمة نكسات . ففى فترة الحرب الأهـلية ، منيت القوات اليمنية والمصرية بخسائر مادية وبشرية جسيمة ، غير أن التشوهات النفسية التى تركتها فى نفوس من وقفوا فى صف الجمهورية ، أو فى صف الملكية أعمق بكثير . فالسـلطة السياسية فى عهدى السلال والإريانى، هى تجريد السلطة فى شكل حكام ومحكومين ولاحقاً بشكل رعايا لا مواطنين . وفى كلتا الحالتين – فى الأولى السلطة لذاتها والثانية بذاتها– نـرى وضـعاً سياسـياً وثقافياً مشوهاً للنظام الجمهورى ، حيث أصبحت العلاقة بين المركز (صـنعاء) والأطراف (الريف) هى السائدة تماماً ، كما كان عليه الوضع فى العهد البائد ، أو كما يقول المثل الشعبى "ديمة وخلفوا بابها".[٣٧] ولعل هذا الوضع الشاذ يوصلنا إلى تحديد معنى ومبنى الاستبداد الذى عارضه الزبيرى بقوة فى العهدين الملكى والجمهورى .

لقـد نـتج عـن التقسيم الطبقى الحاد فى المجتمع اليمنى ، والتنوع الجغرافى ، تكريس النـزعات القبلية والجهوية ، حيث عاش معظم أبناء الشعب اليمنى من سكان الريف والحضر بمعـزل عن الحياة السياسية الحديثة . لهذا لم يكن مستغرباً أن تجد الثورة أنصاراً لها فى السهول الجنوبية والهضبة الوسطى ، حيث تنفرج العزلة نسبياً بفعل نعومة التضاريس من جهة ، وتخف حدة النـزعة القبلية فى المناطق الحضرية (تعز وإب والحديدة وعدن وحضرموت) من جهة أخرى .[٣٨] فى هذه النواحى ، كانت دعوة الثورة والجمهورية مقبولة لدى غالبية السكان ، على عكس الحال فى أنحاء الهضبة الشمالية (عمران وخمر وريده ومأرب والجوف وصعدة) ، حيث تساهم التضاريس والبنية والقبلية فى تقوية نـزعة الاستقلال عن نفوذ السلطة المركزية فى صنعاء من جهة أخرى .

ساعدت العزلة السياسية بين أقاليم اليمن المختلفة ، والنظام القبلى السائد، الذى أصبح نمطاً اجتماعياً للحياة السياسية لزعماء القبائل (الشيوخ والنقباء) والوجهاء والأعيان (السادة والقضـاة) ، فى لعـب دوراً سياسياً مهماً فى تغذية الصراع ، وتوزيع الأدوار بين المعسكرين المتصارعين – الجمهورى الملكى ، ومن يقف وراءهما من القوى الإقليمية – السعودية ومصر مـن جهـة ، والدولية – أمريكا والاتحاد السوفيتى من جهة أخرى . فى الوقت نفسه ، كان

هـؤلاء يقومون بدور الوسيط فى فض النـزاعات المسلحة بين القوى المتصارعة – جمهوريين وملكيين ، أى الدعوة إلى السلام والمصالحة بين أطراف النـزاع . فكانت المطالب السياسية للمعارضة الجمهورية ، كما جسدها تجربة حزب الله فى مؤتمرات عمران ، وأركويت ، وخمر ، والطائف ، تدعو الحكومة إلى إنشاء جيش شعبى (قبلى) ، ومجلس شورى (مجلس أعيان) ، ولجنة مركزية لشئون القبائل (دولة القبيلة) . (٣٩)

إذا كان المحرك الأساسى لقيام الثورة هو الظلم الاجتماعى الذى لحق بالسكان ، كما تمثله الإدارة الإمامية فى نظام الرهائن والزكاة وما يرافقهما من إجراءات تعسفية ، كالخطاط(٤٠) والتنافيذ(٤١)، فإن الظلم السياسي، وسوء إدارة الألوية والقضوات والنواحي، أظهرت بشكل واضح مدى الاستجابة الشعبية لدعوة الثورة والجمهورية . لكن الهوة السياسية بين الحكام والشعب ظلت قائمة فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . وبقدر ما رفعت الثورة من شعارات سياسية تعهدت فيها بإنهاء كافة أشكال الظلم السياسى والاجتماعى الذى لحق بقطاعات واسعة من السكان ، بقدر ما أفرغت هذه الشعارات الإصلاحية من محتواها ، نظراً لانشغال رجال الثورة بالدفاع عن النظام الجديد فى صنعاء .

فتحت الثورة اليمنية المجال لكافة القوى الاجتماعية الإسهام والمشاركة فى الحياة السياسية ، وقد نجح علماء الدين ومشايخ القبائل فى استثمار الحرب الأهلية وتداعياتها الداخلية والخارجية لصالحهم . ولما كان الزبيرى قد عقد العزم على مواصلة مسيرة السلام والمصالحة كخطوة أولى فى اتجاه بناء قاعدة سياسية لحزب الله ، فإن دعوته لمشروع دولة اليمن الإسلامية لقيت ترحيباً من قبل المعارضة الجمهورية والملكية على حد سواء . وإذا كانت الغالبية العظمى من الفقهاء القحطانيين وفى مقدمتهم الزبيرى قد أظهروا تأييدهم للنظام الجمهورى من زاوية فقهية ، فقد تطلع بعضهم إلى القيام بمهمة وصاية الفقيه المحتسب ، باعتبارهم المرجعية التشريعية والقضائية فى البلاد .

إن طرح زعامة حزب الله لصيغة الحكم الشعبى كيفما اتفق لم ترقَ إلى مستوى الوعى الذى رافق قيام الثورة وإعلان الجمهورية . وإذا كانت المعارضة قد رفعت هذا الشعار ، فإنه لابد من التحقق فيما يذهب إليه الطيب فى كتابه (منهج الزبيرى فى إصلاح الحكم) ، من أن العلماء والمشايخ الذين عارضوا الوجود المصرى ، كانوا يتطلعون إلى المشاركة فى السلطة

والـــثروة بشكل أفضل من السابق . ومن هنا كانت دعوة الزبيرى إلى السلام والمصالحة ترمى إلى إحداث تغيير عميق فى بنية النظام السياسى القائم فى صنعاء.(٤٢)

وانطلاقاً من هذا ، فإنه لابد من مراجعة بعض الملاحظات العامة التى أبداها الزبيرى حول النظام الجمهورى ، التى يتردد صداها فى برنامج حزب الله فى النقاط التالية :

١- إيجاد طريقة يتم بها الجمع بين العقيدة الإســـلامية والأيديولوجية العربية المتحدة ليتم الـــلقاء الصـــادق بين شعب اليمن وشعب الجمهورية العربية المتحدة، ولتكون الوحدة صيغة عملية للأخوة الإسلامية التى يقدسها الشعب العربى كله .

٢- التزام كل الأجهزة الحكومية وكل المســـئولين اليمنيين بتطبيق تعاليم الإسلام داخل الـــنطاق الرسمى وخارجه دون تحايل ولا التواء ولا تناقض إذعاناً لإرادة الله وإرادة الشعب، وتطـــبيقاً للدســـتور القائل بأن اليمن دولة إســـلامية ، وأن القوانين كلها مصدرها الشريعة الإسلامية ، وأن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية : ويجب أن يكون هذا التطـــبيق جـــاداً صـــادقاً لتستطيع اليمن أن تعيش بثورتها وجمهوريتها فى ظل قوانين وأنظمة وتشريعات ثورية تقدمية يقدسها الشعب كله محدد الاتجاه غير منقسم النفس ولا موزع الولاء ولا متـــناقض الخطـــى ولا مضطرب العزيمة ، منسجمة روحه مع سلطته ومستقبله مع ماضيه وباطـــنه مـــع ظاهره وقمته مع قاعدته ، وشماله مع جنوبه وشرقه مع غربه ومدينته مع قريته وجيشه مع شعبه .

٣- التصـــميم على خلق وســـيلة منطقية وعملية للربط بين تعاليم الإسلام بعد تنقيتها من الشوائب والخرافات والأضاليل والسموم الرجعية وبين مقتضيات الثورة التقدمية وتفاصيل الخطى الحضارية ، وبذلك تكتسب القيم العصرية المتحررة عند شعبنا المعزول عن روح العصر قدســـية من قدسية الدين : وهكذا تتوفر لبرامج نهضتنا الثائرة الهائلة مساهمة الطاقات العظمى لـــلملايين البشـــرية اليمنية نابعة من حوافز الذات ودوافع العقيدة وطمأنينة الاقتناع وهيمنة الـــرقابة الجماعيـــة.ومن يأبى هذا فإنما يقوم بعملية حصار للثورة العصرية فى نطاق قمة حالمة معزولة عن الشعب مفقودة الحول والطول . " (٤٣)

فى العودة إلى العرض التاريخى لحركة الأحرار اليمنيين ، يلاحظ القاضى الزبيرى أن نمط الحكـــم السياسى السائد فى اليمن الجمهورى ، كان نسخاً لتجارب عربية وغربية ، أو لنقل إســـقاطاً لشـــكل العبارات ولشعائر الحركة القومية العربية (الناصرية) على الحياة السياسية

والثقافية فى جنوب شبه الجزيرة العربية.فإذا كان إيمانه بقضية اليمن الكبرى قد علمه أن أحرار اليمن قد تميزوا بالتعالى الروحى والأخلاقى ، لأن الشعب خصهم بثقته ودعمه . فقـد منحه هـذا الإيمـان الراسخ بالمشكلة اليمنية (مشكلة التخلف الحضارى) أيضاً إحساساً بضرورة مواصلة النضال السياسى بعد قيام الثورة وإعلان الجمهورية ، حتى تاريخ رحيله ، وهو يدعو إلى السـلام والمصـالحة الوطـنية من أجل إعداد التربة المناسبة لقيام دولة اليمن الإسلامية . لـنلاحظ الملاحظـة المهمة التى أوردها الزبيرى فى مجال حديثه عن الحياة السياسية : " الإيمان بـالوحدة الوطـنية القطـرية أساس للإيمان بالوحدة العربية الشاملة ، وعنصر جوهرى من عناصره ، وأى مساس بالوحدة القطرية إنما يعتبر كفراً بواحاً بكل مقدسات القومية العربية ، ويجعـل دعوى الإيمان بالوحدة العربية ضرباً من ضروب المناورات السياسية . وبناء عليه فإننا نؤكـد شعار الأحرار الذى يرفض أى تفرقة شافعية وزيدية وهاشمية وقحطانية وتهامية وجبلية وقبلية ومدنية وعسكرية ، ونطالب بوضع تشريع دقيق مدروس يحدد ضروب التفرقة المحرمة، ويضع المتهم بها فى مستوى المتهم بالخيانة العظمى. " (٤٤)

تعكس هذه الجمل مناهج البحث فى أسباب تعثر الثورة اليمنية عن السير بخطى ثابتة نحو بـناء طـريق المستقبل ، وتعرض النظام الجمهورى لبعض الأخطاء الفادحة ، والزبيرى بدوره يقـترح المبادئ الإصلاحية الملائمة للتربة اليمنية . فمنذ قيام ثورة ١٩٤٨ ، وحتى قيام دولة الوحدة (الجمهورية اليمنية ١٩٩٠) لا يزال نفس الموضوع على بساط البحث. وهذا يجعلنا نعيـد طرح السؤال مجدداً حول إمكانية الإصلاح من القمة عوضاً عن القاعدة. وأغلب الظن أن الـزبيرى كـان يتطـلع إلى لعب هذا الدور الإصلاحى من داخل السـلطة ، ومن واقع المعارضة فى آن واحد ؛ وهذا ما يجعلنا نستنتج أن موقفه غالباً ما اتسم بالازدواجية ، فهو تارة مـا يقف فى صف المعارضة الجمهورية ، وتارة أخرى يقف فى صف المعارضة الملكية المتحمسة لمشروع دولة اليمن الإسلامية . (٤٥)

والجـواب الذى نقدمه هنا ليس نهائياً بالطبع فهو بحاجة لبحث أوفى . فقد ذكر ا . ب. سـرجنت فى مقالته (شاعر اليمن الزبيرى) ، أن الأفكار الإصلاحية التى نادى بها الزبيرى فى كافـة بـرامجه السياسية ، سواء فى العهد الملكى أو الجمهورى ، تكاد تكون صدى متواصل لـبرنامج جماعـة الإخـوان المسلمين فى مصر. وهذا الرأى – من وجهة نظرنا – يمثل نصف الحقيقـة ، فالـزبيرى بدون شك أعتنق مبادئ الإخوان المسلمين الإصلاحية ، لكنه لم يلتزم سياسـياً لتنظـيمهم، أو يقدم بيعة أو عهداً لزعيمهم الشيخ حسن البنا . فقد كان همه الأول

والأخير إصلاح الأوضاع الفاسدة فى اليمن. فى أماكن أخرى من برنامجه الإصلاحى ، يلجأ القاضى إلى نقل آراء بعض المصلحين العرب والمسلمين ، وعلى وجه الخصوص المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين الشيخ البنا . ولعل عبارة " القوانين كلها مصدرها الشريعة الإسلامية ، وأن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية " ، توحى باقتباس مباشر عن برنامج جماعة الدعوة فى جمهورية باكستان الإسلامية .[٤٦] وقد كان لهذه التيارات السياسية والفكرية تأثيرها الواضح ، ليس على فكر الزبيرى وثقافته فحسب ، بل على تجربة حركة (١٩٤٨) الدستورية ، كما يبدو ذلك واضحاً فى أهم وثيقة سياسية – الميثاق الوطنى المقدس .

الصلة بين الإخوان المسلمين وأحرار اليمن :

تعرضت تجربة حزب الله إلى الكثير من الالتباس والتأويل ، وبخاصة بعد استشهاده . فالتجربة فى ظروف نشأتها السياسية وتكوينها الثقافى ، وفى موقفها السياسى المناهض للحكم العسكرى ، قيمة تاريخية كبيرة أغرت العديد من الدارسين بمحاولة رصدها لصالح حركة الأحرار اليمنيين ، أو التجارب المستعارة من تجربة جماعة الإخوان المسلمين بمصر . والصلة الوحيدة التى كانت قائمة بين الزبيرى والإخوان هى التأثر بأفكار الإخوان الإصلاحية ، " وأبرزها المطالب السياسية الموجزة بإنشاء مجلس شورى وتشكيل حكومة حقيقية .. " [٤٧]. وهذا الصلة وإن انقطعت بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، ومجيء القوات المصرية إلى اليمن ، تظل هى مفتاح العلاقة بين الحزبين المحظور نشاطهما فى كل من مصر واليمن .

لقد كان القاضى الزبيرى على علاقة جيدة بجماعة الإخوان المسلمين بمصر ، عندما كان طالباً بدار العلوم بالقاهرة ، واستمرت هذه العلاقة قائمة بعد عودته لليمن وتأسيس جمعية شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مطلع عقد الأربعينيات . وتأطرت هذه العلاقة بشكل مستمر وثابت بعد صياغة الميثاق الوطنى المقدس لحكومة ١٩٤٨ ، بفضل الجهود المضنية للفضيل الورتلانى ، مندوب الشيخ البنا فى اليمن . فزعيم حزب الله ، ليس بحاجة إلى شهادة جديدة ، للتدليل على خطه الإصلاحي المؤيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ المصرية وثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢ اليمنية ، وعدم مراهنته على الخروج عن النظام الجمهورى والدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية ، لأن تجربة القاضى كلها من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٥ ، هى دليل نموذجي على ذلك الخط المناهض للوجود المصرى فى البلاد .

والمعــروف عن الزبيرى تأييده العلني للنظام الجمهورى والدور المصرى المحدود المناهض للـــنظام الملكى (الإمامى) . وحتى المؤرخين الذين صوروا ثورة (٢٦) على أنها ثورة شعبية قادها تنظيم الضباط الأحرار ، أشاروا إلى خطاب القاضى المؤيد للرئيس السلال ، وإن اختلف معــه ، وذلــك حرصاً منه على وحدة الصف وسمعة الجمهورية . [٤٨] أشار الزبيرى لشخص الســـلال بهـــذه العـــبارات المبطنة : ".. هذا الرجل لم يصبح إلاهاً عليكم ، ولم يصبح إماماً، ولم يدع لنفسه الربوبية عليكم أبداً ، إنما يقول لكم أنا فرد واحد منكم ، وهو حقاً فرد واحد مــنا جميعــاً . نحن الآن فى عهد جديد ، ومعنى هذا العهد الجديد هو أننا يجب أن نكون ثواراً فى حياتنا كلها من أولها حتى آخرها .. " [٤٩] وتبرهن الوقائع على أن الزبيرى تعامل مع الثورة والجمهورية ، كوسيلة ضغط سياسية ناجحة ليس ضد أفراد الأسرة المالكة (بيت حميد الدين) فحسب، بل وضد رئيس الجمهورية (عبد الله السلال) ، كما نلمس ذلك فى خطبه السياسية والوفــود والعــرائض والمؤتمرات الشعبية التى راهن من خلالها على إسقاط النخبة العسكرية الحاكمة فى صنعاء .

أثــار نظـــام السلال ردود فعل متباينة حيال الأحزاب والتنظيمات السياسية التى حظر نشـــاطها فى عهـــده . فقـــد أصبحت عناصر تنظيم الاتحاد اليمنى المنحل بعد الثورة من أشد معارضـــى المؤســـسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء، وكان الأخوان المسلمون فى مقدمة القوى السياســـية التى أبدت تحفظها تجاه الدور المصرى الداعم للنظام الجمهورى فى جنوب الجزيرة؛ واعتبرت بعض قياداتها أن الحكم العسكرى يتنافى كلية مع مفهوم الحكم الشعبي، الذى يتردد صـــداه فى بـــرنامج حزب الله . وقد أصبح من الممكن أن تقوم فى اليمن حركة دينية سياسية موازية لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين فى مصر ، بسبب الأرضية المشتركة لهما فى معارضتهما للحركة الناصرية ، كمذهب سياسى يتخذ من القومية منطلقاً للعمل السياسى الرامى لتوحيد الأمة العربية .

والســـؤال الجوهرى هو : لماذا يصر الزبيرى على الظهور بمظهر زعيم اليمن الأوحد ، فى محـــاولة منه مصادرة تجربة تنظيـــم الضباط الأحرار كـــاملة لصالح تجربة حزب الله وكتلة خمر ؟

يعـــلق المقالح على موقف القاضى المعارض لنظام السلال الممالى للقيادة العربية ، بقوله : " إن الزبيرى قد كان من خلال كتاباته وأشعاره ومواقفه أقرب زملائه الأحرار إلى فكر

ثـورة ٢٣ يوليو الناصرية ، وإن يكن قد اختلف مع جهازها البيروقراطى المباحثى البغيض . وهـو الجهاز البشع الذى حاول أن يحفر لثورة يوليو قبراً واسعاً فى جبال اليمن بمعاداته لكل جديد ، وخنقه لصوت كل معارضة صادقة . ولم يختلف هذا الجهاز البغيض مع الزبيرى وحده، بل مع كل العناصر الشريفة المستقلة والحزبية . " (٥٠) وهذا كلام بعيد عن الصحة ، لمن يتتبع موقـف الزبيرى فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، فقد اتخذ حزبه مواقف مناهضة للوجود المصرى فى اليمن ، وكانت عملية خروجه من صنعاء إلى جبل برط تشكل خطراً مباشراً يهدد النظام الجمهورى ، والتقاءه هناك مع شيوخ القبائل المتمردة على السلطة المركزية، كان الهدف من وراء هذا التحرك إسقاط نظام السلال.(٥١)

ومـن الظواهر الجديدة بالذكر هنا ، دعوة الزبيرى القبائل اليمنية الالتفاف حول حزب الله ، الـرامية إلى إحـلال السلام والمصالحة الوطنية بين المعسكرين المتصارعين – الجمهورى والمـلكى . وكـثيراً ما اتخذت زعامة حزب الله من المقاومة القبلية المسلحة للوجود المصرى العسـكرى ، كـأداة سياسية لإضعاف نظام السلال وأنصاره . وكانت تعتقد عن إيمان بمبدأ الخـروج عـلى الحاكم الجائر ، طبقاً لتعاليم المذهب الزيدى الذى اعتنقه القاضى منذ نعومة أظفاره ، لكنه فى مطلع شبابه أعتنق عقيدة الإخوان المسلمين ، التى اتخذت من الساحة اليمنية مجـالاً حيويـاً لنشـاطها وتطبيق برامجها الإصلاحية. فاليمن بالنسبة لها كانت موطن الإيمان والحكمـة اليمانية ، " هذه المعانى جعلت الإخوان يشعرون بأن بينهم وبين اليمن رابطة خاصة فوق ما يربطهم بغيرها من أوطان العروبة والإسلام .. " (٥٢)

إن المناقشـة والتحليل فى فكر الزبيرى ومذهبه فى الإصلاح سيقودنا حتماً إلى تسجيل النقاط التالية :

أولاً – لا يقتصـر موضـوع البحث (الزبيرى ومشـروع حزب الله فى اليمن) على مـتابعة الدراسـة لنشاط المعارضة الدينية فى العهد الجمهورى فحسب ، بل تفحص جذورها السياسـية والثقافية ولاسيما فهم طبيعة التلاقح الثقافى بين جماعة حزب الله فى اليمن وتنظيم الإخوان المسلمين بمصر . (٥٣) فالتاريخ أو التراث المشترك بين هذين التنظيمين ، تعرض معظمه للتشويه من قبل عدد غير قليل من الدراسات والأبحاث اليمنية المعاصرة. وإذا كنا قد حرصنا عـلى حصر المناقشة فى جوهر الخلاف بين السلطة العسكرية والمعارضة الدينية، فإننا نسرد الأسـباب الموضـوعية لـلخلاف القائم بين المؤسسة القبلية والمؤسسة العسكرية فى مرحلة

الجمهوريـــة العـــربية اليمنية ، بهدف تقديم إجابة تاريخية شافية لا تتقيد بأى حال من الأحوال بالأجوبة الجاهزة أو الدراسات المقولبة .

ثانياً – لا تشكل هذه الملاحظات الموضوعية سوى مقدمات ربما تساعدنا على فهم ماهية مشـــروع حـــزب الله ، ومفهـــوم دولة اليمن الإسلامية . ولكن هذا الفهم يظل قاصراً لأن معلوماتنا عن الزبيرى السياسي ، أقل بكثير مما نعرفه عن الزبيرى الشاعر . فالمصادر لم تسعفنا بـــتقديم إجابة تاريخية موثقه حول سيرة القاضى محمد الزبيرى ومشروع حزب الله فى اليمن، نظـــراً لأن غالبيتها تدور فى الأسطورة التاريخية المنسوجة حول شخص أبي الأحرار اليمنيين ، ضمير اليمن الثقافى ، بل وأديب اليمن الثائر . دون التحقيق العلمى المنهجى المتعلق بموضوع البحث – الزبيرى البشر العرضة للصواب والخطأ ، حتى نصدر أحكاماً جاهزة فى حقه ، مثل أن نقول إنه كان شاعراً مجيداً ، لكنه كان سياسياً فاشلاً .

إن مـــثل هـــذا التصور القاصر لتجربة الزبيرى – السياسية والأدبية ، يبدو واضحاً فى دراســـة عبد العزيز المقالح (الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى) ، التى لا تجرد الزبيرى من أى خـــبرة سياسية فحسب، بل تجعله شخصاً مثالياً يعيف السياسة، ويزهد فى السلطة . (٥٤) والمقالح يصف عملية خروج القاضى من صنعاء إلى برط أنها كانت خطوة حاسمة لإنقاذ النظام الجمهـــورى مـــن الانهيار ، بقوله : " كان يرى تناقضا سافرا بين الطرفين ، بين الذين ولدوا وملاعـــق الذهـــب فى أفواههـــم من أبناء الأسر المبادة ، وكيف يحاولون الاندماج فى القبائل المخدوعـــة والحيـــاة فى صـــفوفها ، وبين أبناء الثورة الفقراء ، الذين ينتمون إلى هذه القبائل المخدوعة، حيث كان يحتمى بعضهم إلى المدن، ويناضلون من المقاهى والمكاتب ". ويختتم قوله بهـــذه الجمـــلة الاعتراضـــية : " صحيح أن الزبيرى قد دفع حياته ثمنا لهذا الموقف السياسى الواضح، لكنه لا يعنى انه كان موقفاً سياسياً فاشلاً أو مبهماً . ومهما قـــيل فيه بعد ذلك من أقـــوال، ومهما حاولت الرجعية أثواب النظام الجديد أن توجه إليه من سهام الحقد ، والنقد لعجـــزها عـــن القيام بما قام به ، وخوفها من الاحتكام مثل الزبيرى إلى الشعب صاحب المصلحة الاولى فى الثورة، بدلاً من الحديث إليه من خلف الأسوار." (٥٥)

ولنا على الاقتباسين – النقطتين – المذكورتين بعاليه الملاحظات التالية : يبنى المقالح قوله على تجربة حزب الله ، بصدد إثبات أن الزبيرى ومنطقه السياسى كان يصب فى صالح النظام الجمهـــورى . وهذا الكلام يبدو متناقضاً مع ما ساقه من ملاحظات نقدية حول سيرته الأدبية

والسياسية منذ لحظة خروجه إلى جبل برط ، وأولئك المقعدين فى صنعاء الذين يتربعون كراسي السلطة والحكم تحت حماية الجيش المصري. يستنتج الكاتب من وراء عملية خروج القاضى ، دروساً وعبر كان فى مقدمتها محاولته الرامية لمواجهة الرجعية فى كهوف الجبال. ومعنى ذلك أن الـــزبيرى لم يخــرج إطلاقاً عن الصف الجمهوري، ولا على الشرعية الثورية، وإنما خرج إلى الشـــعب –القبائل– الموالية للإمام البــدر المخلوع . وكان الهدف الأسمى له محاصرة الرجعية القديمة (بيت حميد الدين) من جهة ، والالتفاف على الرجعية الجديدة (المرتدية أثواب النظام الجديـــد) مـــن جهة ثانية. وكان القلم والكلمة الشجاعة سلاحه الوحيد فى ميدان المعركة، لا كما فعل خصومه الذين خططوا لعملية اغتياله وهو فى منتصف الطريق لإنجاز هذا المشروع الإصـــلاحي – دولة اليمن الإسلامية . والواقع أن الزبيرى كان قد انغمس فى السياسة حتى أذنيه ، على عكس ما يذهب إليه المقالح .

لعـــل الانطبـــاع الأول الـــذى نكونه عن أبي الأحرار من خلال مطالعتنا لكتاب المقالح (الـــزبيرى ضمير اليمن الثقافي)، مزج القاضى بين مفهوم الدعوة والخروج عند أئمة الزيدية، ومفهـــوم الـــثورة والجمهورية عند النخبة العسكرية. كان ذلك الخيار الصعب بين الجمهورية والموت ، من أصعب القرارات السياسية التى أتخذها طيلة حياته . ومن هذه الزاوية يتضح أن الـــباب واسع للاختلاف حول هاتين المسألتين . (٥٦) فالزيدية الهادوية فى اليمن – على عكس بقية الفرق الشيعية ، تربط الإمامة بالخروج ، وتلك لأن النظرية السياسية التى صاغها كل من الإمـــام زيد بن على والإمام الهادى يحيى بن الحسين ، فى وقت كان الامامان يعدان نفسيهما لـــثورة شاملة على السلطتين الأموية والعباسية . (٥٧) أما القاضى الزبيرى ، فإنه كان يتأهب لـــلقيام بثورة على الثورة ، وهذا التحرك كان محسوباً عليه لأنه كان يعد نفسه للخروج كليةً عن النظام الجمهورى العسكرى ، من خلال الدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية .

فى هذا الاتجاه ، قام عبد الرحمن طيب بعكر بتقديم دراسة أخرى (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى) . اعتبر المؤلف أن مصدر أفكار القاضى الزبيرى الإصلاحية تياران رئيسيان : " وأول ما نقوله عن شخصيته الثقافية أنها تمتد جذورها فى أعماق الواحة المباركة التى أنشأها الإمامـــان المجتهدان (محمد بن إسماعيل الأمير) و(محمد بن على الشوكانى) ، اللذان كسرا حاجـــز التعصـــب المذهبى ، وأقاما أساساً ركنياً للاجتهاد المنصف ، ومن قبلهما علماء أعلام كالمقبلى ومحمد إبراهيم الوزير . " (٥٨)

أمـا الـرافد الثانى ، فهو على حد تعبير بعكر - هو "حركة الإخوان المسلمين كدعوة تجديديـة لـلعمل الإسـلامى ، ويظهر ذلك فى أسلوب الزبيرى بعد عودته من القاهرة سنة ١٣٦٠ هجـرية، حيث كان أسلوبه فى كسب الأنصار للدعوة يعتمد على احتضانهم داخل مسـجد الـتقوى ، وطرح الفكرة لهم وتعميقها فى أنفسهم .. " [٥٩] ويذهب المؤلف إلى حد الاعـتقاد بأن الزبيرى قد اعتمد أيضاً فى فكرة الإصـلاحى على رافد ثقافى ثالث ، ألا وهو تيار الجامعة الإسلامية بقوله : " كما أن ثورية خطابات حكيم الشرق (جمال الدين الأفغانى) ومقالاتـه ، وكتابات الثائر الإسلامى (عبد الرحمن الكواكبى) فى كتابيه (طبائع الاستبداد) و(أم القرى) كان لكل ذلك أثره الواضح فى التكوين الثقافى لجيل الإصلاح " . [٦٠]

بعـد هـذا الاستطراد القصير ، نعود لمتابعة أفكار الزبيرى الإصلاحية فى زحمة الصراع الفكـرى والسياسـى بعد قيام الثورة السبتمبرية (الجمهورية العربية اليمنية) ، بين تيار المد القومـى العربى الكاسح الذى يمثله الوجود العسكرى المصرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية، وتيار المعارضة الجمهورية والملكية ، ممثلة بحزب الله وتجمع كتلة خمر واتحاد القوى الشعبية. يرى الـزبيرى فى الـدور المصرى فى اليمن تدخلاً مباشراً فى شئون البلاد الداخلية ، أصبح بمرور الوقت خطراً يهدد الوحدة الوطنية - وهو يرمز بذلك إلى الانتهازية السياسية التى مارسها كلٌ مـن السلال رئيس الجمهورية من جهة ، والبيضانى نائب رئيس الجمهورية من جهة أخرى ، والصلة الثورية الحميمة بين التجربتين (المصرية واليمنية) .

التزمت زعامة حزب الله خط الدفاع عن مشروع دولة اليمن الإسلامية ، حينما كانت الجمهورية العربية اليمنية فى عامها الأول تمر بأزمة خطيرة ، والأعداء يحدقون بها من كل حدب وصـوب . وكانت الأنظمة الرجعية العربية والاستعمارية الغربية ذات الأطماع فى إقليم شبه الجزيـرة العـربية ، بالإضافة إلى نشاطها السياسى المعادى للنظام الجمهورى ، تنشئ لنفسها أحـزاب وتنظيمات سياسية معارضة للدور المصرى فى اليمن ، حيث صورته الدعاية المعادية للـثورة اليمنية ونظامها الجمهورى على أنه احتلال استعمارى - فرعونى - للبلاد . وكانت بعـض عناصر المعارضة المنشقة عن النظام الجمهورى ، لا تتورع عن الطعن فى الدور المصرى وتهييج العصبيات القبلية فى الداخل ضده .

وقد عبر القاضى الزبيرى عن قلقه العميق تجاه التدخل المصرى فى دقائق الحياة السياسية فى اليمن : " أما أنا فإنى اضرع إلى الله تعالى أن يثبت سياسة الجمهورية العربية على الابتعاد عن

التدخل الثوري في الشئون الداخلية لليمن حتى لا تهزها العاطفة في يوم من الأيام فتتصدى للقيام بعمل ثورى ضد الرجعية اليمنية نيابة عن الشعب ، لان ذلك يعنى أن يدمغ الشعب بوصمة فى جبينه إلى الأبد ، بل إنى لأضرع إلى الله ألا يتولى هو جل وعلا إزهاق روح الطغيان بصاعقة تنزل من السماء ، أو بركان يتفجر من الأرض، أو ملك من الملائكة يهبط من عليائه بسكتة قلبية ، أو صدمة عصبية ، أو لوثة عقلية ؛ ولكنى فى الوقت نفسه اسأل الله عز وجل بدلا من أن يبعث الملائكة أو يرسل الصواعق أو يفجر البراكين ، أن يبعث الكرامة النائمة فى نفس الشعب ، وأن يفجر الثورة من أعماقه ، وأن يمنحه الإيمان بنفسه لتحرير نفسه، وأن يعطيها القدرة المؤمنة على الاستماع إلى كلمة الله الثورية الصارمة فى الآية الكريمة : ((قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)). (٦١)

لقد فرض الزبيرى نفسه فقيهاً وصياً محتسباً على رئيس الجمهورية ، فأصبح كلامه مرجعاً تستشهد به عناصر حزب الله ، التى أخذت قاعدتها تتسع يوماً بعد يوم ؛ كما أصبحت تصريحاته المنددة بالمؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، مصدراً تتناقله الصحف المحلية والعربية ، باعتباره الناطق الرسمى باسم المعارضة . كما أبدى تحفظه الشديد تجاه القيادة المصرية فى اليمن، عندما قام بتحرير رسالة وجهها للسفراء العرب (السورى ، العراقى ، الجزائرى) المقيمين بصنعاء ، حررت فى ٢٧ذو القعدة ١٣٨٤/ مارس ١٩٦٥، وندد فيها بالدور المصرى فى اليمن : " إننا نناشدكم مرة أخرى أن تتأملوا موقفنا وموقفهم ، ونحن ننكر وجود حكم يمنى على الإطلاق ، ونحمل الجانب العربى المسئولية التاريخية الكاملة ، ونناشد أصدقاء القاهرة أن ينصحوها بكف يدها عن التدخل فى شئون البلاد الداخلية من اجل النضال العربى المشترك .." (٦٢)

رغم كل الشكاوى المبثوثة فى رسائل وبرقيات الزبيرى التى تطرقنا لها فى سياق الدراسة ، وجهت هذه الرسالة أو الشكوى الموجهة للسفراء العرب المقيمين بصنعاء، اللوم الشديد لحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، التى اتهمت بالتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى اليمن . وقد أنتقل القاضى فى الفقرة الثانية من رسالته من الهجوم على السلطة إلى الدفاع عن المعارضة ، بقوله : " والآن نلفت نظركم إلى أن الشعب اليمنى منذ أشهر، يطالب (بمؤتمر وطنى للسلام) يدعم النظام الجمهوري، وينهى الحرب بالطرق السلمية والشعبية، وينقذ البلاد

مــن المأساة المروعة ، ومن الاستعمار والتآمر الدولي، وتلك أهداف لا تستطيع [الجمهورية العــربية] المــتحدة تحقيقها ، إن لم تكن القوى الشعبية متضامنة ومتجمعة ، فى المؤتمر الوطنى المقــترح ، وبيــنما نحن ننتظر الإجابة المعقولة ، إذ بالمسؤولين العرب يهددون ويتآمرون ضد الدعوة إلى الأخوة والسلام ، ويخلقون الفتن الخطيرة ، ويوزعون الأموال الطائلة ، والأسلحة لشــراء الذمم ويتحكمون فى كل صغيرة وكبيرة ، متجاهلين الوجود اليمنى فى النطاق الرسمى والشــعبى معــا ، ممــا أكــد لقبائل المشرق وغيرها ، دعايات الأعداء وأتاحت الفرصة لهم للاندفــاع نحو أموال وأسلحة أخرى، تبذل لشراء الذمم وخلق المعارك من الجهات الأخرى المعادية . " (٦٣)

وهكذا فى زحمة الصراع بين القديم والجديد فى العهد الجمهوري، وفى ظل خوف الذات مــن التلاشى التلقائى إزاء النمو المتزايد على كل الأصعدة للطرف المقابل ، ومع مواكبة كل ذلــك لأحداث الثورة السياسية والاجتماعية فى الشطرين – الشمالى والجنوبى – بفعل الدور المصرى المتنامى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، يتصدى الزبيرى لهذه المشكلة المستجدة بروح ثوريــة إســلامية . يبحث بعكر – كما يبحث الطيب – فى هذه الفقرة المقتبسة وغيرها من خطابات ورسائل الزبيرى فى العهد الجديد ، ليحدد لنا موقفه من الثورة والجمهورية ، انطلاقا مــن مقولــة " ذاتية الثورة والعقدة اليزنية " ، ومقولة " السلام والمصالحة الوطنية". وهاتان المسألتان مثيرتان للجدل حقا فى اليمن المعاصر، وقد أدى البحث فيهما إلى حدوث انقسام حاد فى الصــف الجمهــورى ، وكــاد هــذا الانقسام أن يعصف بالثورة اليمنية ويودى بنظامها الجمهورى الوليد فى المنطقة .

رأى المؤلف واضح هنا ، فى محاولته بسط المفاهيم الإصلاحية لحزب الله ، كما يراها هو على سبيل المثال ، البحث عن الهوية التاريخية أو " الخصوصية اليمنية " ، فى صراع يكابد فيه اتباع حزب الله مرارة النظام الثورى الجديد ، والتدخل المصرى فى شئون اليمن الداخلية، فى خطــاب ثقــافى ، يتســربل بوشاح الثورية الإسلامية ، لا يكف عن اصطياد أخطاء النخبة العســكرية الحاكمة فى صنعاء ، ووضع الإشكاليات داخل النظام الجمهورى . بهذا الخصوص يقــدم لنا بعكر بعض الملاحظات التاريخية عند تطرقه لسيرة الزبيرى ، وهى ملاحظات تكاد تكون مطابقة للملاحظات النقدية ، التى أوردها الطيب فى بحثه (منهج الزبيرى لاصلاح الحكم والشعب) .

كان بوسعه أيضاً أن ينحو باللوم نحو المفكرين والمثقفين اليمنيين أمثال أبو بكر السقاف ، ومحمـــد الشهارى ، وعبد الله البردونى ، الذين نعتهم بـــ "نباشوا القبور " و" الأقزام " (٦٤) ، الذين رفضوا الانضمام طوعاً إلى " جمعية المنتفعين بدم الزبيرى " (٦٥)، ورفضوا الإدلاء بشهادة الزور فى لجنة كتابة التاريخ الرسمي. وكان بعكر من الممكن أن يظهر احتقاره بالدرجة نفسها لأتـــباع هـــذه الجمعية التى تسيء إلى شخص القاضى الزبيرى حياً وميتاً ، الذين ملئوا رفوف المكتبات بالكتب الموضوعة على الزبيرى فى قوالب من صنعهم ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصـــر ، كـــتاب (نقطة فى الظلام) ، وغيره من المقالات والرسائل الموضوعة باسم أبى الأحرار .

ومهما يكن علم المرء بسيرة القاضى الزبيري، أو إلمامه بتلك الأحداث والوقائع التاريخية وثيقـــة الصـــلة بمشـــروع حزب الله ، ومهمـــا كانت قراءاته عنها فى كتب التاريخ والأدب واســـعة ، فإنـــه مـــن الصعوبة بمكان إصدار أحكام جاهزة عن السلطة والمعارضة فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، مالم يطلع على الوثائق الرسمية والشعبية ؛ وما لم يتعرف على وجهة نظـــر الشخصيات الفاعلة والمشاركة فى صنع الحدث التاريخى . والمؤرخ للمعارضة الدينية — حزب الله — ، أو المعارضة القبلية — كتلة خمر — قد لا يكون أميناً إذا لم تكن مصادره تعتمد بشـــكل أساسى على أدبيات حركة المعارضة وبرامجها السياسية المبثوثة فى نشرة صوت اليمن ومذكرات من عايشوا الأحداث من جهة ، أو كما جاءت فى قراءات وتوصيات مؤتمرا عمران وخمر للسلام من جهة أخرى .

وكـــان بإمكـــان المؤلف (بعكر) ، أن يعرض قصة الزبيرى وحزب الله بأسلوب جيد وموضوعى ، بحيث يستطيع أن يصحح بعض الآراء الخاطئة التى نسجت حول عملية خروجه عن النظام الجمهورى . ولكنه اكتفى بتوجيه السباب — كما فعل المقالح — ، لكل من يخالفه فى الـــرأى حـــول شخص الزبيرى ، باعتباره واحداً من أهم الشخصيات الوطنية ، بل والدينية المقدســـة . هكـــذا ، يختتم بعكر بحثه بالملاحظات التالية التى هدف من ورائها إلى إعادة بناء الشخصية التاريخية (الزبيرى الأسطورة) ، وفق تصوره الخاص لها :

١ — إنه يعلم أن شطراً من شعبه لم يهضم بعد اسم (الجمهورية) ، وما يزال مأخوذاً بالقداسة الوهمية للحكم الوراثى ، فنجده لذلك يركز حملته على اسم (نظام الإمامة) ، وهو طبعاً وشرعاً وقطعاً لا يعنى الإمامة الإسلامية الحقة لانه يعلم علما يقينا أن (الإمامة الشوروية)

ركن ركين فى هذا الدين ، لا تقوم للامة قائمة بدونها ، ولكنه يخاطب القوم بلغتهم ويتحدث معهم بمفاهيمهم.

٢- يجب أن نعرف أن السنوات الأخيرة لاقامته فى القاهرة كانت تعانى حرجاً بالغاً، ذلك لان هذا الداعية المصلح كان يعيش بين شقى الرحى ، الإمام احمد و [الرئيس] جمال عبد الناصر ، فأولهما يمثل الرجعية التقليدية التى ترتكز فى حكمها على اسم الإسلام، بينما هى فى الحقيقة تضاد أحكامه مضادة عامة . فإمامتها وراثية ، ولا وراثية للحكم فى الإسلام ، وتأخذ الزكاة وتنفقها على غير مأخذها ومصرفها الشرعيين ، إلى غير ما هنالك من مظالم الأرواح والدماء والأعراض . وأما ثانيهما فانه واجهة الرجعية الحديثة المنادى بالقومية العربية ، والمحارب للقومية الإسلامية ، ومن خلال فهمنا لتلك الفترة بهذا الفهم نعرف معنى الإلحاح فى ربط الوحدة بزوال الإمامة ، لأن الفكرة الوحدوية بمفهومها الناصرى كانت يطغى على الوضع العربى العام ، فضلا عن أجهزة الإعلام .

٣- إن الموقف المستقر الواضح للزبيرى عن الجمهورية وأسلوب الحكم وضمانات سلامته واستقامته قد ورد فى مقدمته المهمة لمؤتمر عمران وقراراته.." (٦٦)

قبل أن ينهى بعكر تدوين ملاحظاته النقدية فى دراسته (المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى) ، التى لا تخلو بعضها من دقة النظر ، وسعة الاطلاع ، فهو لم يكن حريصاً على ذكر مراجعه ، فى كل مرة يلامس فيها واقع المعارضة الجمهورية حزب الله أو كتلة خمر. فالقاضى الزبيرى فى برامج حزب الله التى جاءت مجسدة لقرارات وتوصيات مؤتمر عمران (سبتمبر ١٩٦٣) ؛ كما نعلم يعالج موضوعاً سياسياً بالدرجة الاولى مستقبل الحكم فى اليمن - ، وحتى لا يتهم بالخروج عن خط الثورة ، والخروج عن الصف الجمهورى ، أو تأكيدا على مصداقية مطالب حزب الله الإصلاحية ، لجأ الزبيرى إلى جبل برط ، شمال غربى العاصمة صنعاء، باعتباره منطقة محايدة بين أطراف الصراع الجمهورى الملكي. (٦٧)

حتى هذه اللحظة ، كان القاضى يقف حائراً فى منتصف الطريق بين تقديم ولائه المطلق للنظام الجمهورى والمعارضة المشروطة للنظام الملكى ، وبين الانفتاح اللامحدود نحو المعارضة الملكية القوى الثالثة وعناصرها الناشطة فى بيروت ، التى أخذت تبشر بمشروع دولة اليمن الإسلامية . (٦٨) بالرغم من ذلك كان الملكيون لا يثقون بشخص الزبيرى ، علماً بأن عملية خروجه عن الشرعية فى صنعاء كان لها الأثر الحاسم فى تمزيق وحدة الصف الجمهورى ، الذى

انقســم على نفسه إلى جناحين : ديني قبلي وعسكرى مدنى . ولم تدرك زعامة حزب الله أنها بانشقاقها عن النظام الجمهورى ، كانت قد ضحت بالبعد القومى العربى لصالح البعد الإقليمى الــيمنى ؛ وظهر ذلك فى ائتلاف كتلة خمر كما فى سلوك القوى الثالثة، التى انعقد لواءها فى مؤتمر الطائف فى أغسطس ١٩٦٥.

يــلجأ القاضى الزبيرى إلى التراث وإلى الذاكرة التاريخية ، والبحث عن جذور المشكلة اليمنية، حيث عانى اتباع حزب الله كل أنواع المكايدة السياسية فى عهد السلال، وذلك بفضل الدعــم المصرى الغير محدود لنظامه . والعودة إلى التاريخ بحد ذاتها منهج جديد يخدم الفكرة ذاتهــا –الخصوصية اليمنية ؛ فالسياسة بنت التاريخ ، وفى العــودة إلى تراث السلف عودة إلى أصل الأفكار الســياسية التى نادى بها علماء مصلحون ، أمثال ابن الأمير الصنعانى وشيخ الإسلام الشوكانى . [٦٩] فقد كان الزبيرى يتابع البحث فى إشكالية الدور المصرى فى جنوب شــبه الجزيرة العربية ، وتحدوه فى ذلك الرغــبة فى الدفاع عن الذاتية اليمنية اكثر مما تحدوه الرغبة فى الدفاع عن النظام القائم . [٧٠] ولعل مبادرة – السلام والمصالحة – كانت خطوة فى اتجاه المعسكر المضاد للثورة ، وحزب الله يحاول إخضاع أعدائه ومهاجمتهم من الخلف والأمام فى وقت واحد . ويتجنب الجمهوريون المنقسمون على أنفسهم الصراع المفتوح لأنه يعنى هزيمة الكل ، وحتى المنتصر فى هذا الصراع يدرك تماما مدى خطورة الإخلال بتوازن القوى .

ظهرت دعوة حزب الله كتيار سياسى مستقل بذاته ، تحاول زعامته أن تلعب نفس الدور الــذى يلعــبه الســادة العلويين فى قيادة المقاومة القبلية . فوظيفة القاضى والشيخ فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، كانت قد تعدت الإطار السياسى المحدد لها فى فترة المملكة المتوكلية اليمانية ، كما حاول ترسيخها الأئمة الحكام عبر قرون من الزمان ؛ كما أخذت دائرة تحركها فى العهــد الجمهــورى تتوسع بشكل ملحوظ داخل حدود عشائر حاشد وبكيل ومذحج . وتــتحدث الوثــائق الرسمية ، خصوصاً محاضر القيادة المصرية عن المعارضة الدينية القبلية بأن زعامتها " هم فى الغالب رجال دين رجعيين ، ومشائخ [شيوخ] قبائل جشعين محرضين على الــتمرد والفوضــى ضد القيادات والمواقع العسكرية فى أنحاء البلاد ، لا هم لها غير الكسب والارتــزاق مــن حكومــات صــنعاء والقاهــرة والــرياض، والاســتفادة من الأوضاع الشــاذة الــتى ولدتهــا الحرب الهمجية التى تشنها الرجعية والإقطاع والإمبريالية ضد الثورة والجمهورية .. " [٧١]

لقد سبق أن رأينا كيف وظف القاضي الزبيرى الدين فى مرحلتى شباب الأمر بالمعروف والاتحاد اليمنى للاحتجاج ضد العنصر العدنانى من السادة الهاشميين فى العهد الإمامي(٧٢)؛ ولجأ حزب الله إلى نفس الأسلوب ضد العسكريين السلاليين الناصريين، عندما رفضت القيادتين اليمنية والمصرية فكرة المصالحة مع الملكيين المتمردين . (٧٣) تبقى الملاحظة الجديرة بالاهتمام ، وهــى اعتقاد بعكر أن الزبيرى وغــيره من أقطاب المعارضة فى اليمن، قد شكلوا بمعارضتهم السياســية لكـــل أشــكال الظلم والطغيان " تاريخ الجهاد الأبيض الناصع الذى لا مجال فيه لـــلمطامع والأحقـــاد"، وهـــو عـــلى حـــد قوله " جهاد يبدأ بمجاهدة النفس ، ويتدرج إلى الأمـــر بالمعـــروف والنهى عن المنكر ، حتى يصل إلى ذروته بنشر دين الله والضرب على يد الظالم .. " (٧٤)

وفى الإطار العام لدعوة الإصلاح الدينى ، نجد نقدا مماثلا للمؤسسة العسكرية الحاكمة فى صـــنعاء بـــزعامة السلال . جاءت الثورة والجمهورية بفضل الحركة الثورية التى قادها تنظيم الضـــباط الأحرار ، وبفضل الدعم السياسى والعسكرى لحكومة الجمهورية العربية المتحدة بـــزعامة الرئيس جمال عبد الناصر لحركة التحرر العربى . ولكن إساءة فهم القيادة السياسية المصرية للخصوصية اليمنية ، أفسد هذه التجربة – تجربة الجمهورية العربية اليمنية . فالزبيرى لم يـــبحث فى إشـــكالية الـــتجربة الجديدة (ثورة٢٦سبتمبر)، والنظام السياسى المتولد عنها (الجمهورية العربية اليمنية) ، إلا من زاوية تجربة الحكومة الدستورية عام ١٩٤٨ . لهذا نراه بعـــد قيام الثورة وإعلان الجمهورية ، يرى أن التجربة الثورية الجديدة فى جنوب شبه الجزيرة العربية، أشبه ما يكون بعملية قيصرية . يقول الزبيري: " إن الثورة قامت دون أن تسبقها تربية جيـــل من الثوار.." (٧٥) كان الزبيرى قد عاد من القاهرة فى بداية شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ ، وكـــانت أهدافه المستعجلة تتمثل فى لم صفوف الاتحاد اليمنى وتأطيرهم ضمن الجهاز الحاكم ، وطـــرد القـــادة العسكريين والمدنيين المتربعين على هـــرم السلطة ، الذين اعـــتبرهم عناصر انـــتهازية تســـللت إلى الصف الجمهورى ، بل وإلى قمـــة السلطة فى البلاد ، وعلى رأسهم المشير السلال والدكتور البيضانى . (٧٦)

تـــرجع أصول حركة الأحرار اليمنيين إلى تلك الدعوة الدينية السلفية التى قادها التيار الزيدى المتفتح على أهل السنة ، الذى أضحت عناصره تدين بالولاء للدعوة الشوكانية ، التى قيـــل عـــنها إنهـــا حركة دينية موازية للدعوات الدينية فى البلاد العربية ، كالوهابية والمهدية والسنوسية . (٧٧) ومن خلال كتاباتهم وأقوالهم بدأت أفكار حركة المعارضة اليمنية فى منتصف

القـــرن العشـــرين تقترب في أطروحاتها السياسية من تيار الجامعة الإسلامية وجماعة الإخوان المســـلمين. وكـــان من أول دعاة السلفية باليمن، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ولم تكن لـــه اهتمامات وطنية حينذاك . وبالمثل كان القاضي الزبيرى الذى أظهر اهتمامات وطنية كما تجسدت فى تجربته الشعرية الناضجة ، قد وجد نفسه بطريقة صوفيه مبهمة يتخطى الأدب إلى السياسة ؛ فهو يقول : " بدأت حياتي طالب علم ينحو منحى الصوفية فى العزوف والروحانية "[٧٨] لكنه بالرغم من ذلك ، فقد أظهر مواقفاً مماليه للأئمة الحكام ، الذين كانوا يكنون عداء شـــديد لمشـــايخ الطرق الصوفية من أتباع المذهب الشافعي ؛ وقيل إن الزبيرى كان من أشد المتحمســـين لهدم ضريح الشيخ أحمد بن علوان (ت ٦٥٥هـ/ ١٢٥٥م) ، حيث كتب قصيدة مطولة يمدح فيها الإمام أحمد حميد الدين لهذا الفعل .[٧٩]

حـــاولت حـــركة الأحرار اليمنيين خلال أعوام ١٩٤٤-١٩٤٨ تنظيم حركة سياسية معارضـــة للـــنظام الإمامي ، إلا أن حكومتها الدستورية قد باءت بالفشل على أثر الحوادث الدامية التى شهدتها مدينة صـــنعاء ، وقد توافق هذا الحدث مع تكليف الزبيرى من قبل زعامة الحركة الدستورية (الإمام عبد الله الوزير) بالسفر إلى السعودية بهدف الحصول على الدعم السياسى للحكومة الجديدة . وكان برفقته فى هذه المهمة المجاهد الجزائرى (الفضيل الورتلانى) ممثل المرشد العام للإخوان المسلمين فى اليمن الشيخ حسن البنا، إلا أن الســـلطات السعودية طلبت منهما مغادرة أراضيها، على وجه السرعة .[٨٠] وحسب وقائع الأمور (الميثاق الوطنى المقـــدس) ، لم تكن تتوفر قناعات سياسية بإمكانية قيام نظام جمهورى فى اليمن الإمامى لدى غالـــبية جيـــل (١٩٤٨) ، فيما لو استثنينا منهم على ناصر العنسي وعبد الله السلال ومحمد الـــزبيرى .[٨١] لكـــن هذه القناعة أو اليقين الثورى لدى الزبيرى التى ولدتها ظروف الغربة والإقامة الطويلة كلاجئ سياسى فى مصر الناصرية ، لم تكن وليدة الصدفة، وإنما وليدة الوعى السياسى الذى اكتسبه فى مرحلة الاتحاد اليمنى من تجربة ثورة ٢٣ يوليو المصرية ؛ عندما كان الوطن العربى يكتسحه تيار المد القومى العربى اكتساحاً . وكانت شعارات (الوحدة ، الحرية ، الاشـــتراكية) مـــن الـــثوابت الدينية الوطنية لكل حر عربي يؤمن بالعروبة والإسلام عقيدة ومنهجاً .[٨٢]

هذا الضرب من المعارضة الدينية ، كانت تقف إلى جانب المعارضة القبلية ، فى مواجهة المؤسسة الإمامية فى فترة المملكة المتوكلية اليمانية ، ثم فى ما بعد خاضت معركة مشتركة ضد المؤسسة العسكرية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . وفى إطار زعامة حزب الله وتجمع كتلة

خمر ، حشدت المعارضة الجمهورية والملكية – القوى الثالثة – صفوفها عشية انعقاد مؤتمر الطائف . [٨٣] ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت المعارضة تتمتع بثقل سياسى نظراً لتلقيها دعم مادى ومعنوى من قبل الحكومة السعودية ، حيث اتخذت من الطائف وبيروت مقراً لنشاطها المناهض للنظام الجمهورى . كما أخذت قيادتها تشيع أنه فى مقدورها ، حشد نحو مليون محارب من القبائل اليمنية لدحر الجيش المصرى من أرض اليمن . [٨٤]

تبقى الملاحظة الأخيرة الجديرة بالاهتمام ، وهى اعتقاد القاضى الزبيرى أن رجال الثورة أى تنظيم الضباط الأحرار، كانوا يفتقرون إلى برنامج عمل سياسى لمرحلة ما بعد قيام الثورة، وأنهم فشلوا جميعاً مع الرعيل الأول من أحرار اليمن ، أى جيل ١٩٤٨ " أن يقدموا منهجاً كاملاً للحياة الثورية ، فكان فهم الجماهير لشعارات الثورة والجمهورية والحرية فهماً مشوهاً مسموماً .. " [٨٥] مع تجاوزنا لإشكاليات الإصلاح السياسى عند الزبيرى ، نصل إلى نظرة جماعة حزب الله التقويمية لتجربة الجمهورية العربية اليمنية عندهم، وهم فى ذلك على اختلاف، فمن داع إلى أسلمة الحركة الثورية فى اليمن والحد من التدخل الخارجى المصرى ، وداع إلى فكرة قيام دولة إسلامية ؛ ومحافظ رجعى يدعو الناس إلى ضرورة التقيد الحرفى بتراث معتزلة اليمن ، أو العودة باليمن الجديد إلى كهف قبيلة الدولة كإطار متجدد للعمل السياسى . [٨٦] فالائتلاف بين المنشقين الجمهوريين عن مجلس قيادة الثورة، والمنشقين الملكيين عن مجلس الإمامة، كان يتمحور حول نطاق مفهوم الحكم الشعبى وحكم الشورى ؛ لكنه لا يشير بصورة واضحة إلى دور مؤسسات الدولة الحديثة ، أو وضع مبادئ الثورة اليمنية الستة موضع التطبيق وفق رؤية إسلامية . [٨٧]

غير أن المشكلة اليمنية ليست فى الخروج على السلطة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، بل فى جدوى تلك الدعوة وملاكه المصلحة العامة . لمزيد من الإيضاح نقول إن الزبيرى كان يدعو نفسه إلى إصلاح أولى الأمر قبل إصلاح الرعية . بذلك يعود الزبيرى ليؤكد مقولة الإصلاح الدينى ، العودة إلى مقولة الحاكمية لله . فالدين – الكتاب والسنة – لا يخطيان . إذن الفساد ليس فى أصول الدين ، بل فى الممارسة الثورية غير الإسلامية . وإن صح ذلك فى تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، فإن مجال صحته فى تجربة الجمهورية اليمنية تظل مسألة مهمة وقائمة .

شـــكلت جماعـــة حزب الله رأس رمح هذه المعارضة الدينية – القبلية المتنامية ضد نظام السلال . ويقودنا التسلسل التاريخي الذى أظهرنا بعضا من ملامحه ومراميه إلى البحث فى دعوة حزب الله الإصلاحية فى اليمن . فالتسلسل التاريخي هنا مقصود دون ريب ، وإن بدأ اللجوء إلى التاريخ إطاراً أو باعثاً له ، مما طبع تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ابتداءً من مرحلة المملكة المتوكـــلية اليمانية إلى مرحلة الجمهورية اليمنية بخاصيتين : الاولى ، انعدام الفعالية الثقافية فى أوساط النخبة الحاكمة بشكل ملفت للنظر ، وقد أمعن فى تغييب الدعوة الإصلاحية الخطاب الإسلامى المتمثل بدعوة حزب الله ، التى لا تعير اهتماماً للجوانب الفكرية فى الإسلام إلا بقدر توظيفها فى عملية الصراع على السلطة ؛ الثانية ، انحسار سلطة علماء الدين والمعاهد العـــلمية الدينية عن الأرضية الثقافية ، نتيجة لحصر مكوناتها الثقافية فى حقل محصور من حقول المعرفة الإنسانية علوم النقل وإغفالها علوم العقل – الفلسفة والعلوم التطبيقية . (٨٨)

نجـــد فى توصـــيات وقرارات المؤتمرات الشعبية (عمران وأركويت وخمر والطائف) ، صـــورة معبرة عن الجو الذى يسود تجمع المعارضة الدينية (حزب الله) ، والقبلية (كتلة خمر) ، حيث تأخذ القناعات المتحمسة أحياناً أشكالاً تعبيرية مثالية . فالحل الذى فضله الزبيرى ودعا إليه من قمة جبل برط ، معقل حزب الله إنما يكمن بالعودة إلى مرحلة فجر الإسلام، الذى يبدو فيه الالتحام بين الدين السماوى (الإسلام) ، والقبيلة العربية (قريش) ، على أشد ما يكون فى عهـــد الخلافـــة الراشدة . هذا بصرف النظر عن الشكل الثورى الذى قد يترجم فيه هذا الالتحام مجدداً : جمهورية عربية يمانية ، أم دولة اليمن الإسلامية ؟

ثمة خلفية مشتركة من الأفكار المسبقة وثيقة الصلة بسيرة الزبيري، نستخلص منها أفكار سياسية شبه جاهزة تضفي على صاحبها هالة من القداسة. فعملية خروجه من صنعاء إلى برط ، واغتياله هناك ، أصبحت تراثاً ثقافياً ، يمكن أن نطلق عليه مجازاً مصطلح ظاهرة الزبيرى . حين انشـــقت جماعـــة حـــزب الله عن السلطة فى صنعاء، وحين أكد القاضى براءته من الأعمال الوحشـــية التى ارتكبها النظام الجمهورى فى حق أعداء الثورة ، أضاعت المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال واجهة وأوراقاً رابحة، كسبت معظمها فى مؤتمر عمران عام ١٩٦٣. ولما قام الزبيرى فى ربيع ١٩٦٥ بتحول فجائي، أذهل خصومه وأصدقاؤه ، حينما قرر الالتقاء بالمنشـــقين الإمـــاميين تحت مظلة القوى الثالثة، واتفق الجميع على العودة باليمن إلى مرحلة الحكومـــة الدستورية ؛ فهو بهذا التحرك يتجاهل ويتناسى عشر سنوات من القطيعة السياسية والشتائم المتبادلة والمعارك الكلامية ، التى خلفتها تجربة الاتحاد اليمنى فى عدن والقاهرة . (٨٩)

هكـــذا ، اعــتقد المقالح أن المواقف السياسية والقناعات الفكرية للقاضي الزبيري قبل الخروج وبعده ، لم تتبدل ولم تتحول قيد أنملة عن مواقفه الثابتة، واعتقاده المطلق بشرعية النظام الجمهـــوري. فكـــل مـــا هنالك أن زعامة حزب الله ضاقت ذرعاً ببعض الممارسات التعسفية لأجهزة المخابرات المصرية والمباحث العامة ، التى دفعته إلى اتخاذ قرارات غاية فى الخطورة دفع ثمـــنها حياته . ومن جملة الأدلة التى ساقها المقالح لتأكيد ثورية الزبيرى ووطنيته قوله "ويتجلى ذكاؤه السياسي اللماح وسداد رأيه كذلك ، فى مواقفه العملية من خلال ممارساتها الوطـــنية . ولعـــل ابـــرز هذه المواقف وأكثرها جلاء " موقفه بعد ثورة ٢٦سبتمبر، حينما نبذ الكراسي والمناصب ، وخرج إلى الشعب يواجه الرجعية الخائنة بصدره المفتوح ، وقلبه الطيب . لقد عزَّ عــليه وهو الذى أفنى زهرة شبابه ، وأحلى سنوات العمر فى الكفاح ، ومنازلة الرجعية فى قصـــورها عز عليه أن تعسكر الرجعية فى الكهوف، وعلى رؤوس الجبال ، لتضلل الشعب وتخدعـــه عن مصيره، فى الوقت الذى ينام فيه الثوار أصحاب الحق فى مخادعهم المعطرة ،وفى حماية جيش الجمهورية العربية المتحدة ." (٩٠)

هذه المعادلة بين الدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية ، والخروج إلى الشعب – القبائل المتمردة ضد النظام الجمهورى ، كانت إحدى المعطيات السياسية لجماعة حزب الله قد عادت إلى الظهور بالكثير من القوة فى تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، ومعها آراء وأقوال جاهزة ، لا يفلت منها المقالح .. "وإذا كانت الرجعية الجمهورية – إذا صح أنها كذلك – قد حاولت أن تفيـــد من مواقف الزبيرى الأخيرة ، فإن مسئولية ذلك تقع على عاتق القوى الجديدة التى توهمت – حينئذ – أنها قادرة على القفز من فوق الواقع والاستغناء عن كل الوجوه التقليدية ، حتى عن أكثر الوجوه التقليدية إشراقاً ونقاء .. عن الزبيرى " (٩١)

هكـــذا أصـــبح أشياع الزبيرى ينـــزعون إلى استعمال ورقة أبي الأحرار كورقة دعائية إعلامية ، أكثر منها ورقة علمية أكاديمية قابلة للدراسة والبحث ، بهدف إرهاب كل من يحاول التصـــدى لهز هذه الصورة المثالية كى تبقى ناصعة . فكل محاولة ترمى إلى تقديم صورة مغايرة لهذه الشخصية التاريخية خارج الإطار المرسوم، يجب إدانتها، كونها خارجة عن الإجماع الخاطئ. فالـــزبيرى عـــلى حد قول المقالح سيظل دوماً وأبداً " شاعر الجماهير الأول ، وصوتها فى زمن الصـــمت والمـــوت .. وهـــب عمره لليمن ، ودفع حياته لكى تبقى الثورة . " (٩٢) وفى كلتا الحالـــتين، تظل الدراسات والأبحاث اليمنية المعاصرة أسيرة تلك الصورة المثالية أو الشخصية الأسطورية للزبيرى ، التى يصعب التخلص منها . وهى بذلك تحولت إلى سلطة ثقافية قمعية ،

تدّعي لنفسها مطلق المعرفة ، وكل ما يتشعب عنها من رؤى سياسية مختلفة وثيقة الصلة بتجربة حزب الله ومشروع دولة اليمن الإسلامية .

تـــلك هـــي الوقـــائع السياسية المتعلقة بالسلطة والمعارضة فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، كما نستنطقها من واقع المصادر والشهادات التاريخية . وقد يكون العرض العام الذى قدمناه حتى الآن لتجربة حزب الله وزعامته يساهم فى تصويب مختلف هذه التفسيرات لعملية خروج القاضى الزبيرى عن نظام السلال . فحزب الله مثلاً لم يهاجم النظام الجمهورى علانية ، لكـــن زعامـــته اختارت القطيعة مع القيادتين اليمنية والمصرية ، مفضلة الانضواء تحت مظلة القـــوى الثالـــثة ؛ ومـــن ثم الـــلجوء إلى جبل برط ، والدعوة من هناك إلى قيام دولة اليمن الإســـلامية . وهذه الدعوة كانت الإطار المناسب للمعارضة الدينية والقبلية المناهضة للوجود المصرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية . ورغم وجود أسماء وطنية كمحسن العينى ومحمد أحمد نعمان ، بقى تكوين حزب الله وكتلة خمر منفراً لكافة القوى الجديدة ، التى رفضت الانخراط فى صـــفوفه ، باعتـــباره حـــزباً رجعيـــاً يتخذ من الدين منطلقاً نظرياً لنشاطه المناوئ للنظام الجمهورى . (٩٣)

عـــلى أن دعوى الخروج على الشرعية ، تستدعى سلفاً الإيمان والاعتقاد بقضية مبطنة مفادهـــا : إمكـــان إعادة بلورة الخصوصية اليمنية ، بمعزل عن المؤثرات الخارجية – التدخل المصـــرى والســـعودى الســـافر فى شؤون اليمن الداخلية . وكانت عملية البحث عن حل للمشكلة اليمنية محل نظر ومنع ، لأن الصراع السياسى والعسكرى بين الجمهوريين والملكيين كان قد بلغ ذروته فى صيف عام ١٩٦٤ ، عندما حاولت القوات العربية المصرية قفل الحدود اليمـــنية فى وجه الملكيين المتسللين عبر الحدود السعودية . (٩٤) لقد كان وقع الحرب الأهلية وتطورهـــا إلى حرب شبه إقليمية فى جنوب شبه الجزيرة العربية متأججاً فى ذهن الزبيرى حتى تاريخ اغتياله فى إبريل ١٩٦٥ ، على أن التدخل المصرى والسعودى ظل سمة ملازمة للسياسة اليمنية حتى قيام دولة الوحدة اليمنية فى مايو ١٩٩٠ .

ولعل تنوع المواقف السياسية فى الصف الجمهورى ، منذ انعقاد مؤتمر عمران حتى انعقاد مؤتمر خمر ، كانت تجسد مطالب المعارضة التى ظلت تتمحور حول فكرة السلام والمصالحة من جهـــة ، وجـــلاء القـــوات المصرية من اليمن ، والحد من التدخل السعودى فى شئون اليمن الداخـــلية من جهة ثانية ؛ كان يتم التنديد به بصورة منتظمة فى منشورات وبيانات المعارضة

الجمهورية . وبين عام ١٩٦٣ و١٩٦٧ ، عقدت سلسلة من المؤتمرات الرسمية والشعبية ، نذكر منها على سبيل المثال مؤتمرات : عمران (سبتمبر ١٩٦٣) ، وأركويت (أكتوبر ١٩٦٤) ، وجده (أغسطس ١٩٦٥) ، والطائف (أغسطس ١٩٦٥)، والجند (أكتوبر ١٩٦٥) ، وحرض (نوفمبر ١٩٦٥) ، والخرطوم (أغسطس ١٩٦٧)، تأطرت جميعها حول نقطة التسوية السياسية للحرب الأهلية اليمنية ، وفق تصور كل طرف من أطراف الصراع المحلى والإقليمى الكيفية التى يتم بها بحث الحلول المناسبة للمشكلة اليمنية ، تمشياً مع مصالحه وأهدافه الاستراتيجية .[٩٥]

كانت مبادرة الرئيس جمال عبد الناصر فى رحلته المفاجأة إلى المملكة العربية السعودية، حيث التقى هناك بالملك فيصل ، وتوصلا فى مباحثات جدة إلى تسوية سياسية ، تقضى بإعلان الهدنة العسكرية ، تمهيداً للمباحثات السياسية المتعلقة بتجديد مستقبل الحكم فى اليمن . بات هذا التحرك مصدر قلق القوى التقليدية – جمهورية وملكية – التى ما انفكت عناصرها تردد أن القيادة المصرية لا تنوى سحب قواتها من اليمن ، وان الاستمرار فى الحرب لا يخدم البتة النظام الجمهورى .[٩٦] وقد زاد من وطأة الإحساس بخطر النفوذ المصرى فى اليمن ، تحرك رموز المعارضة التى خشيت أن يبعدها نظام السلال من المشاركة فى السلطة ، ويقربها أكثر فأكثر من المعارضة الملكية (القوى الثالثة) ، التى تأطرت أواصرها فى لقاءات – أركويت والطائف.[٩٧] فالنشاط السياسى المحموم الذى قام به الزبيري، ونداءاته المتكررة إلى زعماء العشائر الملكية والجمهورية ، بالانضمام والمشاركة الفاعلة فى المؤتمرات الشعبية ، كان يتم رصدها من قبل السلطات فى صنعاء ، التى جندت جيش من المخبرين العاملين فى وزارة شئون القبائل والمباحث العامة والاستطلاع الحربى . والقاضى الزبيرى الذى كان يتوقع استجابة نظام السلال لمطالبه ، اصطدم أكثر من مرة بالمواقف المتصلبة للقيادتين اليمنية والمصرية ، نتيجة لمواقفه العدائية تجاهها . وقد عبر عن هذا الموقف فى إحدى بيانات حزب الله بقوله " إن شعبنا يرفض الحكم العسكرى رفضاً حاسماً ومستميتاً .. "[٩٨]

ولو نظر أشياع الزبيرى فى اليمن المعاصر نظرة فاحصة تخصصية – فى الخلفية التاريخية للصراع الجمهورى – الملكي ، وفى ثنايا سطور برنامج حزب الله وأطروحاته السياسية ، لأدركوا مكامن القوة والضعف فيه من أول وهلة . ولعل عملية خروج الإمام الهادى يحيى بن الحسين من حاضرة الحجاز إلى مرتفعات اليمن الشمالية ترشدهم إلى التجربة المريرة التى عاشها الشعب اليمنى عبر عشرة قرون من الزمان ، قضت الأمة اليمنية أكثرها أبعد ما تكون

عـن مضمون الدعوة الزيدية الثورية . وسوف يعاود الكثير منهم النظر فى منطلقات الزبيرى السياسـية والفكـرية فى عهد الإمامة الهادوية وفى عهد الجمهورية الشعبية ، حيث لم تتح لهم الظـروف كى يتعلموا حرفة بناء الدولة ، والتمرس فى شئون الحكم . فكل حياتهم قضوها فى صـف المعارضـة أكـثر ممـا قضوها فى صف السلطة ، مع إدراك وفهم قاصر لماهية النظام الجمهورى .

لقد مضى العهد الملكى غير مأسوف عليه ، ومضت معه حكم سلالة حميد الدين إلى غير رجعـه . وقـد أثبت السلال إخلاصه للنظام الجمهورى وتفانيه فى مساندة الوجود المصرى الداعم للنظام الجديد . وكان رئيس الجمهورية محدود الخبرة فى إدارة شئون الدولة قيد البناء والتكوين ، فاضطر إلى الاستعانة بالخبرة العربية ، مما دفع خصومه إلى اتهامه بالتواطؤ مع أجهزة المخابـرات المصـرية . ومن يطالع قائمة أعضاء مجلس قيادة الثورة أو الحكومات العسكرية والمدنية التى حكمت البلاد من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٧ ، [انظر الجدول ٦ فى الملحق رقم ٤] سوف يكتشف أن النخبة السياسية الجديدة لم يسمح لها النظام الملكى البائد المشاركة فى الحيـاة السياسية والثقافية ، التى كانت محصورة فى نطاق النخبة العلوية الحاكمة. والقاضى الـزبيرى كان واحداً من ضحايا العهد الإمامي، رغم خروجه المتكرر عليه ، لم يفق من هول الدهشـة عـندما شـاهد بأم عينيه فى بداية العهد الجمهورى الزعيم السلال ونائبه الدكتور البيضـانى يـتربعا قمة السلطة . فهل يمكننا أن نستنتج من ذلك الخروج أنه قد وقع ضحية الخطـأ بسـبب الدعاية الملكية والسياسة السعودية ، التى لم تخف دعمها وتأييدها للمعارضة الجمهورية ؟

وإذا كـانت الحكومة السعودية قد برهنت عن عجزها على تدويل الأزمة اليمنية ، فإن المعارضـة الملكية لم تحسن الاستفادة من مبادرة جدة ، التى تمخض عنها مؤتمر حرض ، الذى تدارس فيه الوفدان الجمهورى والملكى تحديد مستقبل الحكم فى اليمن .(٩٩) أما الحلم اليقين الثورى الذى وضعه الزبيرى فى مشروع حزب الله ، فإنه كان يهدف إلى محاصرة الأصدقاء والأعداء فى أطر محددة ، لا تتعدى قانون الشرع وأعراف القبيلة ، التى كانت تصب فى صالح الإعـلان عـن قيـام دولة اليمن الإسلامية . فالجمهورية كما يعتقد الزبيرى لم تفِ بالغرض المطلوب لقيام الحكم الشعبى ، التى تبلورت أهدافه فى قرارات وتوصيات مؤتمرا عمران وخمر للسـلام فى أرض حاشـد وبكيـل . ومن هنا كان اليقين الثورى يجسد تجربة الزبيرى

السياســية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، قد احتل حيزاً كبيراً فى فكره وعقله ، حيث لم يعد للأدب الشعر مكان فى عالمه المهموم بمشروع دولة اليمن الإسلامية . [١٠٠]

مــن المؤكــد أننا لسنا فى صدد استنطاق شهادة تاريخية حول الظروف المحيطة بخروج الزبيرى فى مؤلف عبد الله البردونى (من أول قصيدة إلى آخر طلقة : دراسة فى شعر الزبيرى - ١٩٩٣) ، بقــدر مــا نتوخى مناقشة موضوعية توضح لنا الباعث من وراء خروجه من صنعاء إلى جبل برط ؛ ومن ثم الإعلان رسمياً عن تأسيس حزب الله . فهل كان يدور فى وعى الـزبيرى مقولــة تــلك الآيات القرآنية الكريمة : ((استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان آلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)) وقولة تعالى : ((ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)) [١٠١] لكن التطبيق العملى لمنهاج حزب الله فى إدارة دفــة الحكــم فى العهــد الجمهورى ، أفرز على الساحة اليمنية تيارات سياسية واجتماعية متناقضة ، لكل منها مصالحها الخاصة ورؤاها المستقلة ، التى تبلورت بشكل أوضح بعد نجاح الثورة اليمنية وترسيخ أركان النظام الجديد .

وقــد انحصرت أهداف المعارضة فى منع نظام السلال من الشعور بالاستقرار والهدوء فى ظــل التصعيد العسكرى المتزايد على جبهة القتال المستعرة ، بين الجمهوريين والملكيين ؛ لكن خيار السلام والمصالحة ظل هو الخيار الأمثل لدى زعامتها . يعلق البردونى على موقف الزبيرى من السلطات الحاكمة فى صنعاء ، بالقول : "وعلى هذا فإن موقف الزبيرى بعد ثورة سبتمبر كــانت تــبدى عدائية للعسكريين وحكم الضبــاط ، فلم يقتنع بتوليه وزارة التربية ، لأنها المنصب الذى تقلده فى ٤٨ م ، وقد أراد ضباط الثورة إرضاءه باختيار هذا المنصب ، لأن له فى نفسه مكانة بحكم توليته إياه فى شهر حكم الدستور ، وظل متمسكاً باسمية هذا المنصب بعد سقوط حكم الدستور ، فكان يوقع رسائله وقصائده من الباكستان والقاهرة هكذا: (محمد بن محمود الزبيرى وزير المعارف)، متجاوزاً سابقاً لأن العهد الدستورى ظل نابضاً فى وجدانه على امــتداد الخمســينيات ، وكأنه لم يسقط ، وإنما أسقطه الشعب لجهله مصالحه والذين يريدون تحقيقها . " [١٠٢]

ففى الفصل الأول من دراسته (من أول قصيدة إلى آخر طلقة) ، يسلط البردونى الضوء على تجربة (حزب الله)، من واقع معاصرته للحدث التاريخى وصانع الحدث (القاضى الزبيرى)، فلفت نظره مدى إصراره وتمسكه بمبادئ حركة(١٩٤٨م) الدستورية، وإسقاطها على تجربة

(١٩٦٢م) الســبتمبرية. والمدخل لذلك الوعى السياسى بفداحــة التجربة السابقة قصيدته الرائعة "مصرع الابتسامة" ، التى يسجل فى مطلعها مأساة جيله :

أنا راقبت دفن فرحتنا الكبرى وشــاهدت مصرع الابتسامة

ورأيت الشعب الذى حطــم القيد و أبقى جذوره فى الإمامة

نحن شــئنا قيامة لفخارٍ فــأراه الطغاة هــــول القـــيامة (١٠٣)

يحدد البردونى مفتاح شخصية الشاعر الزبيرى ، مشيراً إلى أن مواقفه الفكرية والسياسية – منذ عام ١٩٤٨حتى عام١٩٦٢، ظلت ثابتة ، أى معادية ليس لأئمة (بيت حميد الدين) فحسب ، بل لـــ " العسكرية وحكم الضباط " (١٠٤) . إنما الجديد المتولد عن التجربة القديمة ، الذى مارسه القاضى الزبيرى فى معارضته السياسية لنظام السلال ، يعكس وضعية تاريخية على صعيد الممارسة الفعلية لليقين الثوري، فاقتضى ذلك منا اقتباس ثلاثة مقاطع أخرى من كتاب البردونى (من أول قصيدة إلى آخر طلقة) .

يقدم البردونى تحليلا مغايــرا لمن سبقه من الباحثين والدارسين اليمنيين فى شعر الزبيرى ونثره ، لاسيما تجربة (حزب الله) :

– " بــدأ الــزبيرى معارضته باقتراح إشراك شــيوخ القبائل فى ذروة السلطة ، فقام المكــتب السياسى منظر السياسة والحرب ، لان أعضاءه من رؤوس العشائر المحاربة والموالية ، ولم يحقق هذا غايته ، بل زاد اشتعال الحرب .

– فأعلن الزبيرى دعوة السلام بين اليمنيين ، ودعا إلى مؤتمر (أركويت) فاتهمته القوى الــثورية بالمــلكية بدعوى انه قبل قيام (دولة إسلامية) فى اليــمن ، متجاوزة(الجمهورية) و(الملكية) لأنهما سبب الاقتتال المتتالى ، لأن المدد تعاقب بلا انقطاع .

– ولما رفضت الجمهورية تغيير اسمها وشعاراتها ، ارتأى الزبيرى قيام مؤتمر (عمران). ولما أخفقــت قراراته لجأ إلى قبيــلة (برط) عام ١٩٦٤م ، وشكل (حزب الله) تحت مبدأ الآية الكريمة ((ألا إن حزب الله هم الغالبون)) ، فتلمست القوى المحاربة هذا الحزب وإمكان تحوله إلى جبهة ثالثة تمتلك أسلحة وأموالا ، فتوافدوا على قبيلة (برط) معلنين ولاءهم لـــ (حزب الله) . (١٠٥)

ومهما يكن من أمر التسمية . حزب الله – ، فانه من المؤكد أن عـملية الانتقال بوظيفة (القاضـي المفـتى شيخ الإسلام) فى العهد الملكى ، من دور ذى طابع محافظ رجعى منضبط داخل إطار المؤسسة الإمامية الزيدية الهادوية إلى دور ذى طابع ثورى تقدمى إسلامى اجتهادى ومستقل عن نفوذ المؤسسة العسكرية فى العهد الجمهورى ، قد تمت تدريجياً فى فترة حزب الله، وترسـخت فى هـذه الوجهـة نظرية (وصاية الفقيه المحتسب) ، التى جسدها تجربة المجلس الجمهورى فى عهد القاضى عبد الرحمن بن يحى الإريانى رئيس الجمهورية العربية اليمنية .(١٠٦) خصوصاً أن الفقيه المحتسب عند زيدية اليمن الهادوية لم يعد يقتصر دوره فى مرحلة الجمهورية العـربية اليمـنية على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فحسب ، بل تجاوزه إلى حد المطالبة بالسلطة لذاته ولذاتها . وقد حاول القاضى الزبيرى التصدى لرئيس الجمهورية المشير السلال مـن خلال عملية خروجه من صنعاء إلى برط ، ومن خلال زياراته المتكررة إلى عشائر حاشد وبكيل ، حيث توطدت بينه وبين زعاماتها القبلية صلة وثيقة ، جعلته يشعر بالثقة والاطمئنان فى الحصول على تأييدها فى مسيرته الشاقة إلى قمة السلطة .

وكان شيوع اسم القاضى محمد الزبيرى فى أوساط القبائل اليمنية المتحاربة (قبائل حاشد وبكيل) ، كداعية للسلام والمصالحة تحت تسمية (حزب الله) يعود فى غالب الأحيان، إلى ما عـرف عـنه من علم وتقوى وقدرة على جذب المستمعين بحديثه الخلاب ، وطريقة معيشته المتقشـفة الـتى تشـبه حيـاة المتصوفة ، قد جذبت مشايخ هذه العشائر إلى صف المعارضة الجمهورية المتنامية فى الهضبة الشمالية والشمالية الغربية .(١٠٧) وكان الزبيرى معروفاً بمواقفه المـبدئية الرافضـة لكل أنواع الرشوة والمحسوبية لدرجة أنه رفض منصبه الوزارى ، مفضلاً مواصلة نشاطه المناهض للوجود المصرى فى مناطق جبلية مقفرة. ولم يكن تعيين الزعيم السلال فى منصب رئاسة الجمهورية يعنى نفياً لمكانة القاضى الزبيرى الدينية والعلمية ، أو انتقاصاً من سجله الحافل بالنضال العنيد ضد الإمامة الاستبدادية. ولكن المشكلة الأساسية كانت تكمن فى معارضة الزبيرى لنهج السلال فى الحكم العسـكرى ، وتفرده بالسلطة ومصادرته الحريات ؛ بل وأنكى من ذلك رفضه الاستجابة لمطالب المعارضة الجمهورية – تطبيق مبدأ حكم الشورى والدستور .

وكـانت بيانات حزب الله فى المناطق الشمالية المتمردة على الحكومة خلال شهر مارس عـام ١٩٦٥ ، توحـى بأنه ثمة زعامة شعبية جديدة فى طريقها للظهور ، طبقاً لمعادلة وصاية الفقيـه المحتسب التى أخذت تكتسب يوماً بعد يوم سمة سياسية وروحية فى آن واحد . وكان

مفهوماً لدى الجميع قبل انعقاد مؤتمر خمر فى إبريل ، أن السلال قد وافق سلفاً على الأخذ بعين الجدية والتطبيق لقرارات وتوصيات المؤتمر الرامية إلى إحلال السلام والمصالحة فى ربوع اليمن، ذلـك أن رئيس الجمهورية التقى معهم فى الوسائل (البحث عن تسوية للحرب الأهلية) ، وليس الأهداف ، أى إصلاح الأوضاع الفاسدة ، والبحث عن أساليب أخرى لنظام الحكم فى اليمن . ويمكن القول بأن مجلس قيادة الثورة خلال عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، ظل يرفض الاستجابة للضغوط المتزايدة عليه من الجناح الجمهورى المنشق، الذى أعلنت زعامته عن تأسيس حزب الله ، جنباً إلى جنب مع كتلة خمر ، باعتبارهما خطين سياسيين متوازيين لحزب الشورى واتحاد القوى الشعبية ، لا سيما بعد انخراط معظم عناصرهما فى ائتلاف القوى الثالثة .

ويبدو أن الجامع المشترك بين هذه التيارات السياسية جميعها تأطرت حول تلك المطالب المتعلقة بإنهاء الحكم العسكرى فى صنعاء ، معتمدة فى ذلك على استراتيجية انعقاد المؤتمرات الشعبية (القبلية) ، فاكتسبت المعارضة الدينية من خلالها زخماً شعبياً فى معظم مدن وأرياف الهضبة الشمالية ، وانظم إليها العديد من المتضررين سياسياً من النظام الجمهوري. وبالرغم من محاولة زعامة حزب الله إقامة صلة وثيقة بالملكيين المنشقين – اتحاد القوى الشعبية – بزعامة أسرة الوزير ، المتواجدين فى بيروت ، إلا إن الزبيرى لم يستطع تشكيل تنظيم سياسى مؤطر، ولم يعِ تماماً خطورة معارضة الوجود المصرى العسكرى الداعم للثورة اليمنية ، واكتفى برفع شعار السلام والمصالحة الوطنية ، تماشياً مع توجهات كتلة خمر المناوئة لحكومة السلال . لذلك كله أضاعت قيادة حزب الله فرصاً كبيرة لتطوير المعارضة السياسية ، وذلك من اجل مكاسب أثبتت التجربة أنها لم تكن سوى أوهام . فكانت مهمة الزبيرى ورفاقه (الإريانى والنعمان) غاية فى الصعوبة ، وقد اصطدمت قبل كل شى بتعنت الأحزاب القومية (ناصريين وماركسيين) ، الذين رأوا فى نهج حزب الله نوعاً من التواطؤ السياسى مع المعارضة الملكية – من أنصار مشروع دولة اليمن الإسلامية . (١٠٨)

ومن هنا كان الجناح الجمهورى المتشدد فى مواقفه السياسية ويمثله خير تمثيل الشريحة المتوسطة (مثقفون ، تجار ، طلبة ، عمال ، ضباط وجنود ، الجيش اليمنى) ، اكثر الشرائح الاجتماعية حماساً لدعم الدور المصرى فى اليمن والمجلس العسكرى الحاكم فى صنعاء ، وإيمانا بمقدرة القوات المصرية والجيش اليمنى على حسم الصراع عسكرياً لصالح المعسكر الجمهورى. وبالمقابل كان غالبية الساسة المدنيين من جيل (١٩٤٨) ، وعلى رأسهم القاضيان الزبيرى والإريانى ، اللذان ظلا متمسكين بشعار الجمهورية العربية اليمنية، وذلك طبقا لشهادة تاريخية

أدلى بهـا القاضى عبد الرحمن الإريانى فى وقت لاحق للمؤلف، حيث دلل على ذلك بقوله : "إنه عندما تبنى غالبية أعضاء مجلس المصالحة الوطنية فكرة القيام بحركة (٥ نوفمبر التصحيحية عـام ١٩٦٧) ضـد حكومـة السلال العسكرية ، كنت من أشد المتحمسين لاستمرارية النظام الجمهورى ، بل ومبدأ القيادة الجماعية التى جسدتها تجربة المجلس الجمهورى فى عهدى " (١٩٦٧-١٩٧٤) . [١٠٩]

وتماشياً مع صيرورة الوقائع والأحداث التاريخية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، فإن مـا يـثير انتباه المؤرخ ذلك التنوع الثقافى والسياسى فى ظل المتغيرات الداخلية والإقليمية فى السـاحتين اليمنية والعربية . فالباحث المحايد غالباً ما يجد نفسه وجهاً لوجه أمام جملة دراسات وأبحاث وشهادات تاريخية ، تستنطق الأحداث والنصوص التاريخية استنطاقا فى معانيها القلقة ، وتسـتجديها اسـتجداءً تجسيداً لاحتمالاتها المتخفية ، تارة فى خطاب ثورى تقدمى وحدوى، وتارة فى خطاب دينى سلفى ، وثقافة رجعية محافظة لا تمت بصلة لثقافة العصر الحديث . فهل بـذل الزبيرى كل ما فى وسعه لانتزاع الحلول المختزلة فى فكره وأدبه ، فى سبيل التوصل إلى حـل سـليم للمشكلة اليمنية ، أو إجابات مناسبة لإشكاليات عصرية ، ومشاكل اجتماعية واقتصادية وثقافية قائمة ، بل ومتفاقمة على صعيد السياسة اليمنية المعاصرة ؟

هذا السؤال وغيره ، سنحاول الإجابة عليه فى فصول الدراسة ، لكى لا تختلط المقاصد ، وتضـطرب الغايـات المبثوثة فى معظم الأبحاث والدراسات ، فتؤثر على مسار بحثنا فى الاتجاه السليم . سيقودنا البحث فى هذه الإشكالية التاريخية إلى النظر مجدداً فى الإطار الملموس للسلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر ، والعلاقة المزدوجة بين المؤسستين العسكرية والقبلية فى ضوء تجربة حـزب الله وكتـلة خمر . ففى سنوات الحرب الأهلية كان الحفاظ على النظام الجمهورى هو المكسب الرئيسى فى السياسة اليمنية . وبعض رموز المعارضة الجمهورية فى خروجها عن نظام السـلال ، بل وذهابها إلى الطائف لم تكن تفرق بين جوهر النظام الجمهورى والملكى . وهذا ما دفع ببعض علماء الدين وشيوخ القبائل فى صنعاء وخمر دعم مشروع دولة اليمن الإسلامية، وذلك على حساب شرعية النظام الجمهورى واستمراريته .

هوامش الفصل الرابع

(١) يصدر عبد العزيز المقالح حكم عام على ريادة الزبيرى للحركة الشعرية فى اليمن المعاصر ، فهو يرى أن هذا الحكم مطلق ؛ وبدوره يضفى عليه نعوت أخرى، ممثل " شاعر الشعب " و" شاعر الوطنية " و" شاعر الحرية " و" شاعر الجماهير الأول " ، مما يترك القارئ فى حيرة من أمر هذه المسميات والألقاب . انظر المقالح : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، سبق ذكره ، ص ٤٨ .

(٢) نحيل القارئ للملاحظات النقدية وأصحابها الذين تطرقوا لسيرة الزبيرى فى المراجع التالية : الزبيرى شاعراً ومناضلاً (انظر تقديم عبد العزيز المقالح ، ص ٨) ، وانظر أيضاً مقدمة عبد الرحمن الإريانى لكتاب أحمد المعلمى : الثورة المصرية فى الأدب اليمنى ، ص ١٧ ، وإبراهيم المقحفى : حوار مع أربعة شعراء من اليمن ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر عبد الرحمن بعكر : المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٤ وما بعدها . وبعكر هنا يجعل الزبيرى فى مصاف رواد حركة الإصلاح ، من أمثال صالح المقبلي ومحمد الشوكانى وابن الأمير - يمنياً؛ والأفغانى والكواكبي وعبده عربياً ، ضمن ما يسميه بجيل الإصلاح الإسلامى . مما تجدر الإشارة إليه أن بعكر يرى فى فكر الزبيرى وثقافته امتداداً بل واستمراراً للتيار الزيدى المنفتح على فقه السنة .

(٤) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، سبق ذكره ، ص ١٤٨ .

(٥) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ١٠٠ .

(٦) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره، ص ٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٨ .

(٨) يعارض بشدة الشاعر أحمد محمد الشامى فى دراسته : من الأدب اليمنى ، ص ١٠٨، قول عبد الله البردونى بأن الزبيرى توقف عن الإنتاج الشعرى فى فترة الجمهورية اليمنية ؛ وهذا القول يستشهد به عبد الرحمن العمرانى فى بحثه : الزبيرى أديب اليمن الثائر، سبق ذكره ، ص ٤٣١ . فى حين يذهب معظم الدارسين المهتمين بشعر الزبيرى ، أنه فعلاً قد توقف عن الإنتاج الأدبى ، انظر : الحلوجى : الزبيرى شاعر اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٠٤ ، وطاهر : الزبيرى شعره ونثره ، سبق ذكره ، ص ٧٢ - ٧٣ ، ومناقشة القرشى لكافة الآراء حول هذه المسألة : شعر الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٩) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤١٣ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٤١٤-٤١٥.

(١١) المصدر نفسه ، ص ٤١٧-٤١٨ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢٠-٤٢١ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢١-٤٢٢.

(١٤) يشير جزيلان فى كتابه : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢١٠ ، إلى تلك الإجراءات الثورية التى اتسمت بالعنف والارتجالية فى تصفية رجال العهد البائد عشية قيام الثورة دون محاكمة عادلة . وقـد ترأس محكمة أمن الثورة كل من الرائد غالب الشرعى ، والنقيب عبد الله بركات ، والنقيب هادى عيسى . كما يبلغنا البيضانى فى كتابه : أوجاع اليمن ، سبق ذكره ، ص ٥٩٧ ، عن محاولته إنقاذ أرواح بعـض المتهمين بالعمالة للعهد البائد ، بهدف كسب أنصار جدد لصالح النظام الجمهورى ، وحول خلفية هـذه الضغائن التى أظهرها رجال العهد الجديد تجاه الوجهاء والأعيان ، نحيل القارئ لدراسة محمد أحمد نعمان : الأطراف المعنية ، سبق ذكره ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(١٥) عـرف اليمن نظام الرهائن منذ القدم ، وفى عهد الأئمة الزيديين والأتراك العثمانيين، طبق على نطاق واسع ضد الوجهاء والأعيان المعارضين للسلطة المركزية . فالرهائن نظام يعتمد مبدأ القوة وتقديس العنف تمهيداً لإخضاع المهزوم وإذلاله ، فقد حرص الحكام على أخذ أصغر الأولاد لأهم الشخصيات السياسية والاجـتماعية فى الـبلاد ، ووضعهم فى سجون خاصة لضمان طاعة أهله . فقد تأخذ الحكومة رهينة من الطـرف المغلوب (زوجة وبنتاً وذكراً) ، أو (رهينة الطاعة ورهينة العطف) ؛ وهذا النظام ينطوى على أخـذ برىء بذنب مذنب إذا افترضنا ذلك ، وهذا يتنافى مع قانون الشرع . لمزيد من التفصيل حول هذا الـنظام أنظر المصادر التالية : شمس الدين الموزعى : الإحسان فى دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عـثمان ، ص ١٩٦ ، وسـلفاتور أبونتى : مملكة الإمام يحيى ، ص ٣٩ - ٤٠ ، وأمين الريحانى : ملوك العرب ، سبق ذكره ، ص ١٤٣ ، ومحمد عبد الله الفسيل : كيف نفهم القضية اليمنية ، ص ٨٨ .

(١٦) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٤٦ .

(١٧) لعـبت قبائل بكيل دوراً مهماً فى دعم المعارضة الملكية العسكرية أثناء فترة الحرب الأهلية فى اليمن ، وهذا الأمر لا يعنى أن كافة عشائر حاشد لم تشارك فى المجهود الحربى الملكى ، والمرجح أن غالبيتها كانت تديـن بـالولاء للنظام الجمهوري،وعلى رأسهم الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر - شيخ مشائخ حاشد. راجع أوبالانس: اليمن الثورة والحرب، سبق ذكره،ص ٢١١.

(١٨) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٢٤ .

(١٩) إن ثمـة مجالاً واسعاً بين القاضى الزبيرى وعلماء آخرين أمثال ابن الأمير والشوكاني، يعتبر عبد الملك الطيـب زعـيم حزب الله فى اليمن رائد حركة الإصلاح الدينى والاجتماعى فى اليمن الحديث والمعاصر بـلا منافس . راجع الملاحظات النقدية للطيب فى كتابه : منهج الزبيرى لإصلاح الحكم والشعب ، سبق ذكره ، ص ٤٨-٤٩ .

(٢٠) يعتبر الطيب من المؤسسين الفعليين لتنظيم الإخوان المسلمين – فرع اليمن ، وكان من جملة المرافقين للقاضي الزبيرى فى رحلته المثيرة للجدل إلى جبل برط فى مارس من عام ١٩٦٥ . وقد شغل الطيب مناصب إدارية (محافظ لواء إب) وسياسية فى عهد القاضى عبد الرحمن الإريانى وخلفاؤه ، كان أخرها ذلك المنصب الدبلوماسى العزيز عليه – سفير اليمن فى الباكستان . (المؤلف)

(٢١) انظر :

- Zein A. Al-Abdin: " The Free Yemeni Movement (1940-48) And Its Ideas of Reform", Middle East Studies, Vol. 15, no 1 (January 1979), p. 44.

(٢٢) الطيب : منهج الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٠ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠-٢١.

(٢٤) المصر نفسه ، ص ٢٣.

(٢٥) المصدر نفسه .

(٢٦) حنفى : الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ – ١٩٨١ ، (ج١ – الدين والثقافة الوطنية) ، ص ١٣٩ .

(٢٧) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٥٨ .

(٢٨) إن العمل السياسى بنظر الزبيرى هو الإحساس بمعاناة الناس . وهو هنا يوجه سهام نقده لبعض قادة وزعماء حركة الأحرار اليمنيين فى الداخل والخارج التى عاشت بمعزل عن معانات الشعب ، يتنعم برغد العيش فى كنف السلطة الإمامية وألاعيبها السياسية – إعداد البيعة – ومؤامرات القصور . ولأجل ذلك نحن ننظر فى هذه الملاحظات النقدية كمساهمة منه فى إعداد برنامج عمل سياسى للمعارضة . راجع الزبيرى : المنطلقات النظرية فى فكر الثورة اليمنية ، ص٤٠ .

(٢٩) المصدر نفسه .

(٣٠) الطيب : منهج الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٢ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٣٢) المعلمي: " الشريعة المتوكلية أو القضاء في اليمن ". صنعاء، مجلة الإكليل، العدد(٥)، سبق ذكره ، ص ١٠٧ .

(٣٣) الطيب : منهج الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٥-٢٦ .

(٣٤) المصدر نفسه .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨ – ٢٩ .

(٣٦) قارن ما يقوله أمين هويدى فى كتابه : حروب عبد الناصر ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ومقالة الظاهرى : الدور السياسى للقبيلة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٢٦ - ١٢٨ ، وفى صفحات أخرى استنتاجات بحثه المبتسرة التى تحاول فصل الجغرافية عن التاريخ والمجتمع عن الاقتصاد ، كقوله " إن مشاركة القبيلة للدولة اليمنية فى امتلاك أدوات القسر وآليات الإكراه، تعد من أهم ضمانات قوة المجتمع السياسى وفاعليته تجاه هيمنة وطغيان السلطة الحاكمة " . انظر ص ٢١٣ وما قبلها . ولأجل ذلك نحن بصدد قيام دولة القبيلة أو قبيلة الدولة بدلاً من مشروع دولة المؤسسات والقانون ، كما يذهب إلى ذلك باحث آخر . راجع مقدمة الفصل الثانى (العلاقة بين الدين والدولة الزيدية فى اليمن) فى كتاب أبى غانم : الدولة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ١٤٣ وما بعدها .

(٣٧) نشير هنا إلى تلك الكتابة التنظيرية التى اختص بها الراحل محمد أحمد نعمان ، وهو ينحدر من أسرة مشايخية يتمتع أفرادها بوعى ثقافى يتجاوز حدود إشكالية وطن القبيلة ليصل بالقارئ إلى تخوم حدود وطن المواطنة وضوابطها - من خلال إثارته مثل هذه التساؤلات : " إن اليمن لا يمكن أن تبنى من خارج ذاتها . أى أن نقطة البدء فى التحول الحقيقى هى نفس المواطن اليمنى لأنه هو وحده الذات الداخلية لليمن . ما مدى وعيه بحقيقته كيمنى ؟ وما هى الأبعاد النفسية داخلة لكلمة اليمن .. ما حدود اليمن .. وملامحها فى التاريخ ؟ ومن هو شعب اليمن الذى ينتسب إلية . هل اليمن قريتنا .. أو قبيلتنا . أم هى أوسع من ذلك وأشمل .. وإلى أى حد .. ؟ حد اللواء ، أم حد المذهب الدينى .. أم حد المنطقة الجغرافية .. ؟ " أنظر نعمان : الأطراف المعنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٠٤ ، ومحمد على الأسودى : حركة الأحرار اليمنيين والبحث عن الحقيقة، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣٨) على محمد عبده : الطائفية فى اليمن ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٣٩) تذكر المصادر أن أحد شيوخ القبائل اليمنية التى أعلنت ولاءها للنظام الجمهورى (الشيخ على بن ناجى القوسى)، ناشد الحكومة بعدم السماح لطائراتها المدنية والعسكرية التحليق فوق سماء حدود قبيلة الحدا الواقعة جنوب شرق مدينة ذمار . انظر الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٢٣٠ .

(٤٠) الخطاط ومعناها الترتيب والتوزيع للقوة على المنازل والقرى ، وبحسب أهمية الأشخاص والعشائر ، هذا فى حال إرسال قوة عسكرية كبيرة ، ولكن فى حال إرسال عدد قليل من الجنود نحو العشرة ، فكان يسمى (بقاء) ويدوم حتى يستجيب الفلاحون لطلبات الإدارة المركزية . وفى الغالب كانت السلطة تسلط قبيلة ما على أخرى لا لتقضى على شوكتها فحسب ، بل ولتقيم لديها إقامة جبرية ، حتى تعلن الأخيرة طاعتها وتجدد ولاءها للحكومة ممثلة بشخص الإمام . وكان المقصود من وراء نظام (الخطاط) هو إخضاع الرعية (المُخط) عليهم ، إذ كان من واجبهم أن يفسحوا فى منازلهم ليقيم هؤلاء الجنود أو الاتباع إقامة جبرية وطويلة ، حيث تتكفل القبيلة أو القرية باستضافتهم وتقديم ما لديهم من الغذاء والشراب وغيره لهؤلاء الضيوف الثقلاء . (المؤلف)

(٤١) يقصد بالتنافيذ الإنصياع لمشيئة الدولة، حيث درج موظفي النواحي والأقضية المتواجدين فى الأقاليم الزراعية ذات المردود العالى فى الإنتاج ، على مضايقة السكان بشتى الطرق ، ومنها ينفذ المأمور أو المسئول الحكومى أحد الجنود بالذهاب إلى أحد منازل القرى فى الريف أو المتاجر العامة فى المدن ، مصطحباً معه أمر إستدعاء (طُلاب) ، بهدف تحصيل الزكاة أو ما شابه ذلك من الضرائب ، وغالباً ما يبالغ فى تحديد مستحقات الحكومة ، الأمر الذى يدفع بعض الأشخاص المنفذ إليهم الامتناع عن تسديد المبلغ . وفى هذه الحالة يقوم العسكرى المكلف بمهمة (التضمير) ، وهو إطلاق عيار نارى فى الهواء إشارة لعصيان أوامر الدولة . ومن ثم يرسل قاضى المحكمة أو مأمور الشرطة ثُلة (طقم) من الجنود لإحضاره عنوة ، فيدفع المبلغ المستحق للدولة أضعاف مضاعفة ، بما فى ذلك أجرة العسكرى والسجان . (المؤلف)

(٤٢) القرشى : شعر الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ١٠٦ .

(٤٣) الطيب : منهج الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٤٠-٤١ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٤٥) محجوب : الديمقراطية فى الميزان ، سبق ذكره ، ص ١٥٩ .

(٤٦) انظر شحرة : مصرع الابتسامة ، سبق ذكره ، ص ١١٠ – ١١١ ، وراجع :

Sarjeant: The Yemeni Poet Al- Zubairi, Arabian Studies, Vol. 5 (January 1979), p. 99.

(٤٧) شحرة : مصرع الابتسامة ، سبق ذكره ، ص ١٠٩

(٤٨) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره ، ص ٤٣٧ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ٤٣٩ .

(٥٠) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤٨ .

(٥١) الجناحى : الحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٨٤ .

(٥٢) شحرة : مصرع الابتسامة ، سبق ذكره ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ١١٠ – ١١١

(٥٤) كانت الخطوة الأساسية التى باشرها الزبيرى فى بداية حياته حيث بدأ أديباً صوفياً " فروحانيتى جنى عليها الأدب " . ثم أصبح شاعراً وطنياً منهمكاً بالعمل السياسى " وأدبى عوقب بالسياسة " . الزبيرى : ثورة الشعر ، سبق ذكره ، ص ١٠ .

(٥٥) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٥ .

(٥٦) الخيال الأدبى مسئول أيضاً عن ظاهرة الغلو عند تطرقها لسيرة الزبيرى السياسية والثقافية، كما تدل على ذلك كتابات بعض الأدباء والكتاب اليمنيين فى تبريرهم لخروج القاضى عن الثوابت الوطنية (أهداف الثورة الستة) التى أبتدت تجلياتها فى تحليل أبعاد التدخل المصرى فى اليمن وردة الفعل المحلية –

العقدة اليزنية : راجع المقالح : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص٩٤ ، وبعكر : المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٣٩ .

(٥٧) سبق وأن ناقشنا هذه المسألة فى دراسة مستقلة تحت عنوان : إشكالية الفكرى الزيدى فى اليمن المعاصر، ص ١٢ - ١٣ (مخطوط) .

(٥٨) بعكر : المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٤ .

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥

(٦٠) المصدر نفسه

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

(٦٢) انظــر نص رسالة القاضى الزبيرى الموجهة للسفراء العرب المقيمين بصنعاء ، فى كتاب الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٥ .

(٦٣) المصدر نفسه .

(٦٤) بعكر : المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠

(٦٥) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ١٠٠

(٦٦) بعكر : المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٦٧) انظر :

Wenner. Op. cit. p. 219.

(٦٨) أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ٢٨٩ .

(٦٩) نشــأت منذ عهد الإمام محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) ، وحتى عهد القاضى عبد الرحمن بن يحيى الإريانى (ت١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، شريحة واسعة من العلماء ، ملأت وظائف الدولة العليا ، وقامت بمناصب القضاء والفتيا ، وكادت تبسط قبضتها على رئاسة الدولة . ونحن نتطرق هنا إلى علمين من أعلامها (الزبيرى والإريانى) ، اللذان كانا يتطلعا إلى منصب رئاسة الجمهورية . وهذا الطموح تعكسه مطارحات الإريانى فى كتاب محمد أحمد نعمان : من وراء الأسوار ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٧٠) الصياد : السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر ، سبق ذكره ، ص ٢٩٨ .

(٧١) المخابرات العامة : تقرير دورى عن أحداث ووقائع مؤتمر خمر للسلام، حرر بتاريخ ٢١ مارس ١٩٦٥، ص ٤ .

(٧٢) الرحومى وآخرون : أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

(٧٣) المعلمى : الزعيمان الزبيرى والنعمان ، سبق ذكره ، ص ٤٧ .

(٧٤) بعكر : المجاهد الشهيد ، سبق ذكره ، ص ٢٤٠ .

(٧٥) مــن مقومات منهج الزبيرى فى إصلاح الحكم العودة إلى أصول الإسلام دون تعصب لما وجد فى تاريخ الإسلام من نظريات واجتهادات . وأصل الدعوة الإصلاحية التى بلورتها تجربة حزب الله تطبيق ما ورد فى الكتاب والسنة وعصر الخلفاء الراشدين . ومن مقومات الحركة الإسلامية فى اليمن المعاصر التأكيد على البعد الإيمانى كمدخل للعمل السياسى والفعل الاجتماعى فى مواجهة السلطة الجائرة .

(٧٦) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٣ – ١٤ .

(٧٧) على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة، ص ٤٤ وما بعدها.

(٧٨) الزبيرى : ثورة الشعر ، سبق ذكره ، ص ١٠ .

(٧٩) بهــذه المناسبة نظم الزبيرى قصيدة مشابهة لتلك القصيدة التى نظمها جده الأكبر القاضى محمود لطف الــبارى الــزبيرى قبل قرن من الزمان ، مدح فيها الإمام الهادى بمناسبة القضاء على حركة الفقيه سعيد ياسين الهتار . وتصب قصيدة الشاعر محمد الزبيرى فى نفس الاتجاه المعادى للحركة الصوفية :

كذلك المجد رافــعاً عــلماً – – أو باعثاً أممــاً أو هادماً صنما

قد اقتلعت قباب الشرك متخذاً – – مكـــانة البيض والهندية الخذما

حطمت قبراً خطير الشأن جانبه – –لولا عــزيمتك الشماء ما انحطما

جرح على كبد الإسلام متسع – –وضعت فيه شعاع الشمس فالتأما

انظر عبد الله محمد الحبشى : الصوفية والفقهاء فى اليمن ، ص ٦٠ .

(٨٠) انظر :

Richard H. Sanger. The Arabian Peninsula, p. 273.

(٨١) كشفت تجربة حزب الله أن قناعة الزبيرى بالحكم الشعبى ضمن مفهوم اليقين الثورى ، كشعار سياسى يطــالب بإلغــاء الحكــم الفردى الاستبدادى الإمامي. لكن التقارب الشديد فى المبادئ والأهداف لدى الثورتين المصرية واليمنية – لم يكن مطابقاً تماماً لتوجهات عناصر حزب الله السياسية المرتبطة فكرياً بتنظيم الإخــوان المسلمين الذى كانوا بدورهم يعارضوا الاتجاه القومى العلمانى للتجربة الناصرية . انظر رفعت سيد أحمد: الدين والدولة والثورة ، ص ١٦٩ .

(٨٢) قاسم سلام : البعث والوطن العربى ، سبق ذكره ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٨٣) انظر :

Hudson. op. cit. p. 342 - 344.

(٨٤) المخابـــرات العامـــة : تقرير دورى عن أحداث ووقائع مؤتمر خمر للسلام ، حرر بتاريخ ٢١ مارس ١٩٦٥ ، سبق ذكره ، ص ٥ .

(٨٥) الطيب : منهج الزبيرى ، سبق ذكره ، ص٢٢ .

(٨٦) راجــع على سبيل المثال لا الحصر كتاب عبد الإله بن عبد الله : نكسة الثورة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٣ - ٤٧ ، وعــبد المــلك الطيــب : الثورة والنفق المظلم ، ص ١٥-١٦ . ولعل إدخال الطيب مقــولات الإسلام السياسى فى إطار نقده الشامل لتجربة الجمهورية العربية اليمنية بهذه الصورة المناهضة للــنظام الجمهــورى ، تعكس وجهة نظر المؤلف وقناعاته السياسية اللصيقة بالحركة الإسلامية فى اليمن المعاصر .

(٨٧) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ٨٨ .

(٨٨) المعلمى : " الشريعة المتوكلية أو القضاء فى اليمن " ، سبق ذكره ، ص ٨٥ .

(٨٩) العيــنى : معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن ، سبق ذكره ، ص ٩٩-١٠٠ ، والوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٧٦-٧٧ .

(٩٠) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٥ .

(٩١) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٩٣) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(٩٤) أبــدى قــائد القوات العربية اللواء أنور القاضى قلقه العميق لمندوب هيئة الأمم فى اليمن الجنرال فون هــورن أن الهدف من وراء هذه العملية الكبيرة كان ينحصر فى وقف الإمدادات العسكرية عبر الحدود السعودية إلى اليمن أحمد : الدور المصرى فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٩٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٩٦) انظر :

Zabarah. Yemen Traditionalism vs. Modernity , p. 98 - 99.

(٩٧) إيلينا : التطور السياسى للجمهورية العربية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٨٣

(٩٨) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢٢ .

(٩٩) محجوب : الديمقراطية فى الميزان ، سبق ذكره ، ص ١٥٧ .

(١٠٠) البردونى : من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، سبق ذكره ، ص ٢٩ .

(١٠١) القرآن الكريم : سورة المجادلة ، الآية (١٩) ، وسورة المائدة ، الآية (٥٦) .

(١٠٢) البردوني : من أول قصيدة ، سبق ذكره ، ص ٢٤ .

(١٠٣) المصدر نفسه .

(١٠٤) يصـــدق الكـــلام عـــلى مجمـــل قصائد الزبيرى الهجائية لرموز المؤسسة العسكرية ، كما فى قصيدة (الكارثة) ، أو فى قصيدة أخرى حيث أنشد قائلاً :

و العسكرى بليد للأذى فطن – – – كأن إبليس للطغيان رباه

(١٠٥) البردوني : من أول قصيدة ، سبق ذكره ، ص ٢٨ .

(١٠٦) لا ينسحب هذا القول على تجربة جمهورية إيران الإسلامية ، وإنما على تجربة المجلس الجمهورى فى فترة الجمهورية العربية اليمنية وما بعده ، حيث عطلت الحريات السياسية فى مرحلة – وصاية الفقيه المحتسب عـــبد الـــرحمن الإريـــانى ، وكانت الشعارات السياسية الرائجة لأجهزة الإعلام حينذاك تردد مثل هذه الأقـــوال : الحـــزبية جآت بمسوح الرهبان أو قرون الشيطان فهى مرفوضة، من تحزب خان، إننا نرفض الأفكار المستوردة .. الخ. أنظر ملاحظة صالح سميع على هذه التجربة فى كتابة : أزمة الحرية السياسية فى الوطن العربى ، ص ٣٨١-٣٨٢ .

(١٠٧) عبد الرحمن فخرى : الكلمة والكلمة الأخرى ، ص ٧٤ .

(١٠٨) الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٩٤ .

(١٠٩) هذا القول تعكسه إجابات القاضى عبد الرحمن الإزيانى للمؤلف ، سبق ذكره .

الفصل الخامس

جوهر الخلاف بين السلطة والمعارضة

القضية الجمهورية :

يــثور الجــدل كــثيراً حول مغزى الثورة اليمنية وهويتها العقائدية ، التى تفتقر لنظرية متكامــلة تعبر عن رؤيتها للسياسة والمجتمع ، والعمل على تغييرهما طبقاً لأهدافها وبرامجها . اكتفت ثورة اليمن برفع شعار الجمهورية العربية اليمنية ، كشعار سياسى يرتبط بمفهوم حركة الــتحرر الوطــنى فى العــالم العــربى ، حيث كانت قيادتها ترفض الالتقاء مع المعارضة التى أخــذت زعامتها ترفع شعار دولة اليمن الإسلامية . وقد دعم هذا الاتجاه المعارض تقويم تجربة ثــورة (٢٦) سبتمبر ، باعتبارها تجربة قاصرة تشوبها الأخطاء الفادحة فى الممارسة ، وتعوزها المــنهجية السليمة فى مسلكها الثورى ، نظراً لوجود العامل الخارجى ، ممثلاً بدعم الجمهورية العــربية المتحدة للنظام الجمهورى فى اليمن . فكل من يحاول استخدام مصطلح " ثورة " ، كــرديف سياسى لمصطلح " جمهورية " ، لابد من أن يثير حفيظة القوى المحافظة ، التى راحت بــنفوذها القــوى داخــل المؤسسة القبلية تتصدى لحركة المد القومى فى جنوب شبه الجزيرة العربية.

ولــنا أن نتساءل: ألم يعارض القاضى الزبيرى الوجود المصرى فى اليمن باسم الإسلام ، وأعــراف القبيــلة ؟ ألم تكن مدينتا خمر وريدة ، تمثلان العمق السياسى والاجتماعى لتحالف عشــائر حاشد وبكيل ، فى إطاره القبلى المعارض للسلطة المركزية فى صنعاء ، سواء فى عهد الإمامة أو فى عهد الجمهورية ؟

لقــد كان للأغلبية الساحقة من سكان الهضبة الشمالية أسبابها المختلفة فى رفض النظام الجمهــورى ، على الرغم من إجراءاته الثورية التى حررت قطاعاً واسعاً من السكان من جور نظام الرهائن والخطاط والتنافيذ وغيرها من الممارسات اللاإنسانية التى طبقت فى العهد الملكى عــلى نطاق واسع فى حق سكان اليمن قاطبة . لكن هذه الإجراءات الإصلاحية لم تكن كافية

لاسترضـــاء القبائل اليمنية ، وعلى وجه الخصوص عشائر حاشد وبكيل التى اختار معظمها خط المعسكر الملكى الإمامى المضاد للثورة والجمهورية . وحسبما يذكر محمد جابر الأنصارى مظاهر الصراع فى اليمن الجمهورى ، أنه أتخذ منحى " أيديولوجية مذهبية ذات مرجعية دينية بحكـــم إســـلامية المجتمع (زيود شوافع) ، ومثل العامل الأخطر ، وإن يكن غير المعلن فى الحرب الأهلية اليمنية بين الملكيين والجمهوريين بعد قيام الثورة اليمنية فى ٢٦ أيلول / سبتمبر ١٩٦٢ ، وحـــتى اســـتقرار الجمهوريـــة العربية اليمنية كدولة موحدة فى حقبة السبعينيات والثمانينيات . " [١]

وإذا كـــان محمـــد محسن الظاهرى يعزو هذه المقاومة القبلية المسلحة للنظام الجمهورى إلى سلســـلة الأخطـــاء التى وقعت فيها القيادتين اليمنية والمصرية ، فإن فضل أبو غانم يربطها بـــ " الفترة الزمنية التى عاشها اليمن منذ مجيء الإمامة الدينية الزيدية ، فى مطلع القرن العاشر الميلادى وحتى قيام الثورة اليمنية فى عام (١٩٦٢) ، وهذه الصورة بلا شك تمثل صورة قاتمة حقـــاً ، وتعـــبر بكل وضوح عن مظاهر التخلف ، التى اتسمت بها الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى ظل العهد الإمامى فى اليمن ، ونظام حكمه السياسى الذى عكس نفسه على طبيعة الصراعات والمنازعات القبلية والمذهبية الدينية والسلالية ، والسياسية .. " [٢]

ومعـــلوم لديـــنا أن زعامـــة حـــزب الله ، بادرت فى استثمار هذا التخلف الاجتماعى والاقتصادى لصالحها ، فهى كمعارضة جمهورية منشقة عن نظام السلال ، أخذت تعبر بصورة علنية عن مصالح سكان مدينة صنعاء وعمران وحمر وغيرها من مدن الهضبة الشمالية ؛ فضلاً عـــن مصـــالحها الذاتية فى مجال التنافس على كراسى الحكم واقتسام مغانم السلطة فى العهد الجديـــد. ويشدد على هذا القول ويؤكده عبد الله بن عبد الإله عند تطرقه لنشاط المعارضة ، التى أخذت على عاتقها مسئولية تعبئة القبائل اليمنية فى مؤتمر شعبى ، نظراً لعدم ثقتها بالسلطة الحاكمة فى صنعاء ، وآثرت أن يعقد المؤتمر بمدينة عمران شمال العاصمة ، ذلك لأن مدينة تعز على حد قوله كان لا يعنيها شيء من أمر المؤتمر، كونها " تعيش بأحجارها وأطفالها وترابها مع الثورة والنظام الجمهورى .. لا حرب فيها ولا انتفاضات." [٣]

ســـوف نحاول فى هذا الفصل البحث فى جوهر الخلاف وحيثياته بين السلطة والمعارضة، لـــمزيد مـــن التعريف لمصطلح جمهورية وثورة ، وغيرها من المصطلحات المختلفة التى يعج بها القاموس السياسى اليمنى المعاصر ، دون الحاجة إلى التقيد الحرفى بمنهج الرد والرد على ، الذى

يتردد صداه بقوة فى بعض الأبحاث والدراسات اليمنية ، خصوصاً فى كتاب أحمد جابر عفيف (البيضانى يرد على البيضانى) ، طبقاً لتلك المعادلة : " إذا كنت جمهورياً فلا بد أن تكون شافعياً، وإذا كنت زيدياً فلا بد أن تكون متمرداً ملكياً".(٤) فقد وعينا هذه المسألة كونها تشكل جزءاً من نظرية سياسية تلتزم بها عناصر القوى الثالثة، التى تميل أيضاً إلى استخدام مصطلح اتحاد القوى الشعبية بصورة عامة ، دونما إشارة واضحة إلى تحديد هوية هذه القوى التى تتحدث عنها . هل هى كافة فئات القوى السياسية والاجتماعية المتواجدة فى الساحة اليمنية من عدن جنوباً إلى صعدة شمالاً ، ومن ميدى غرباً إلى المكلا شرقاً ؟ أم أن المقصود بذلك فئات محددة بعينها ، مثلاً شعب حاشد وبكيل ، أى جناحى الإمامة ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فمن المستفيد من وراء إحياء مثل هذه النعرات القبلية والنزعات المذهبية من سباتها ، كونها أحد مخلفات النظام الملكى (الإمامي) البائد ؟

ساهمت الحرب الأهلية فى البلاد فى تعميق الخلاف بشكل واضح فى أوساط النخبة الحاكمة المنقسمة على نفسها حول مسائل رئيسة ، مثلاً السلام والمصالحة الوطنية ومبدأ الحكم الشعبى ، التى تمثل حجر الأساس بالنسبة للقضية الجمهورية . فقد أثار نفر من قادة العمل السياسى وفى مقدمتهم أحمد محمد نعمان ، فى مجمل تحليله لموقف المعارضة ، التى تحركت فى دائرة سياسية محددة ، بقوله " لقد كان راسخاً فى وعى الأحرار أن المستنيرين فى اليمن وهم قلة ، لا يستطيعون وحدهم أن يزيلوا نظاماً أو يقيموا نظاماً، ولذلك مضت محاولاتهم تبحث عن سند من السلطة الحاكمة ذاتها، فلما استنفذت هذه الوسيلة ، اتجهت أنظارهم للأرض التى تقف عليها السلطة أساساً ، والقوة التى تضرب بها محاولات التغيير ، وهى القبائل ، وحتى تحس القبائل معنى التغيير الكبير دارت المباحثات على أساس تغيير نظام الحكم من ملكية إلى جمهورية يرأسها شيخ من مشائخ القبائل ، وينوب عنه أحد الأحرار ، ودون مضى فى التفاصيل عن أساليب الحكم ومحاولة حل التناقضات الحافلة فى حياة الشعب .. " (٥) وبعد حدوث التغيير المطلوب فى نظام الحكم فى اليمن ، أصبحت المعضلة الرئيسة بالنسبة للمعارضة الجمهورية تكمن فى عدم الاعتراف بشرعية النظام العسكرى القائم فى صنعاء . يعلق الزبيرى على هذه المسألة " .. أنكرنا الظلم فى العهد الإمامى ، ثم أنكرنا الخطأ فى العهد الجمهورى ، لأن المبدأ لا يتغير بتغير الأشخاص والأسماء والأشكال. أحارب الظلم مهما كان مصدره البراق ، أو كيفما كانت أساميه."(٦)

لـنطرح أولاً القضية الجمهورية من الزاوية النظرية : ما هى المسافة الفاصلة بين مفهوم نظـام جمهـوري ومفهوم نظام ملكي ، بالنسبة لأطراف النـزاع من قوى محلية وخارجية ، شاركت بشكل أو آخر فى الحرب الأهلية اليمنية ؟ فالنظام الجمهورى بصفته العسكرية الثورية (الناصـرية) ، لم يكن مدرجاً فى جدول المعارضة ، سواء كانت هذه المعارضة دينية أو قبلية ، فهى رغم رفعها لشعار الجمهورية ، كان المقصود من وراء رفع ذلك الشعار تطبيق مبدأ الحكم الشعبى المنصوص عليه فى الميثاق الوطنى المقدس لحكومة ١٩٤٨ ؛ وفى برنامج مطالب الشعب لعام ١٩٥٦ فى مرحلة الاتحاد اليمني[٧] ، أو كما عبر عن ذلك أحد مشايخ قبيلة أرحب ، عند استقباله لوفد جمهورى برئاسة القاضى الزبيرى عام ١٩٦٤ ، قائلاً : " إسمع يا ظاك [يا رجل] .. خليك من [الجنهورية] حقكم ، وكان يعنى (الجمهورية) ، ثم أضاف يقول : الله يحفظ إلمـام [الإمـام] . "[٨] وهذا المصطلح يتردد صداه أيضاً فى أدبيات المعارضة ، حيث يبدو التـناقض واضحاً بين تسمية " جمهورية " ، وتسمية " ملكية " ، على المستوى العقائدى لكلا الطرفين – السلطة والمعارضة . فهذه المصطلحات لا يمكن فهمها جيداً إلا فى السياق التاريخى لمسـار الـثورة اليمنية ، وفى سياق الحرب الأهلية وتداعياتها السياسية ، التى قسمت المجتمع الـيمنى إلى معسـكرين متصارعين – جمهورى وملكى ، حيث سخر كل طرف من أطراف الصراع كل أسلحته المادية والمعنوية لنصر قضيته .

ولقد كان واضحاً أن النظام الجمهورى الذى مثل النموذج الأمثل لنظام الحكم الشعبى لدى قطاع واسع من سكان اليمن ، وعلى وجه الخصوص سكان اليمن الأسفل ، الذى رأوا فيـه الخلاص من تركة عشرة قرون مثقلة بالظلم والاضطهاد ، الذى مارسه فى حقهم النظام الملكى الجائر أو بتعبير آخر السلطة المركزية لإمام صنعاء. لكن النظام نفسه، كان على ما يبدو أقـل جاذبية بالنسبة لسكان اليمن الأعلى ، الذين التحق معظمهم بالمعسكر الملكى فى أعقاب قيـام حـركة ١٩٤٨ ، وثورة ١٩٦٢ . وكان أبرز ما يسيطر على الحياة السياسية فى تلك الفـترة مـن الناحية الداخلية ، النـزاع المسلح بين الجمهوريين والملكيين ، حيث أصبحت الحـرب الأهـلية فى الـيمن ملتقى لضغوط ومصالح أطراف إقليمية عربية ، خصوصاً مصر والسعودية . وهنا تكمن إشكالية الحرب الأهلية بالنسبة للمعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال ، التى حاولت زعامتها القيام بدور الوسيط فى حل هذه المعضلة السياسية ؛ وذلك من خلال تحالفها مع المعارضة الملكية المنشقة عن مجلس الإمامة، دونما حاجة إلى تبرير منطقى لهذا التحول غير الدعوة إلى " تطهير أرض اليمن من الجنود المصريين . "[٩]

جاءت التحديات الرئيسية لنظام السلال من داخل الصف الجمهورى . وكانت المعارضة الدينية والقبلية مصدر قلق دائم للحكومة ، التى حاولت تحجيم نشاط مرجعيتها بشكل ملحوظ . وقد زاد اعتماد الرئيس السلال على الضباط العسكريين من مثل اللواء حسن العمرى ، واللواء عبد الله جزيلان ، والعميد محمد الاهنومى ؛ فضلاً عن الدعم السياسى الذى يتلقاه من شريحة التجار من مثل عبد الغنى مطهر ، ومحمد على الأسودى ، ومحمد مهيوب ، وغيرهم من المثقفين من مثل محمد سعيد العطار ، وحسن أحمد مكى ، وعبد الغنى على ، الذين عرضوا خبرتهم لخدمة القيادتين اليمنية والمصرية . وإذا ما اعتبرنا السياسيين على شاكلة البيضانى أو الأسودى يطالبون بتغيير سريع لهيكلية النخبة الحاكمة ، فإن السلال كان يطالب بتغيير تدريجى ، يضمن له الحفاظ على توازن سياسى بين كافة القوى الجمهورية المتصارعة على اقتسام مراكز السلطة فى قيادة الجيش والحكومة . [١٠] وتتجلى السخرية المرعبة التى ينطوى عليها تعقيد السياسة اليمنية فى المفارقة التالية : أن المشير السلال هو حسيب الإمام المخلوع محمد البدر ورئيس حرسه أضحى رئيس الجمهورية ، وأن البيضانى حسيب الرئيس المصرى أنور السادات ، الذى قضى معظم طفولته وشبابه فى مصر أمسى نائب رئيس الجمهورية بعد قيام الثورة . [١١]

اتخذ اليمن الجمهورى فى عهد المشير السلال، من سبتمبر ١٩٦٢ حتى نوفمبر ١٩٦٧، النموذج المصرى الناصرى الذى اختطه لنفسه فى درب القومية والوحدة والاشتراكية العربية. وقد تحددت أهداف الثورتين (٢٣) يوليو المصرية ، و(٢٦)سبتمبر اليمنية، فى اتجاه عروبى معاد للاستعمار الغربى والأنظمة العربية المحافظة المرتبطة استراتيجيا به، متخذة من هذا الموقف اتجاهين رئيسين: الاتجاه الأول ، جاء مبلورا لفكرة إصلاح الخلل الداخلى باقتلاع جذور النظام الإمامى من أساسه، وإقامة (حكم جمهورى عادل) على أنقاضه – نظرياً . فالمبدأ الرئيسى كان هو التحرر من (الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما)، وذلك بهدف (إنشاء مجتمع ديمقراطى تعاونى) ؛ فالتحرر كفكرة وشعار يصبح مفرغا من محتواه ، مالم يتم (رفع مستوى الشعب اقتصادياً وسياسياً وثقافياً). [١٢] بعبارة أخرى، خلاص الشعب اليمنى من الثالوث المخيف – الجهل والفقر والمرض – الجاثم فوق صدره لقرون طويلة من عهود الاستبداد الإمامى والحكم العثمانى والاحتلال البريطانى .

والاتجاه الثانى كان متعلقا باحتكار القوة المادية من اجل إعادة صيغ المجتمع للدولة ، بحيث تكون المؤسسة العسكرية محوره (بناء جيش وطنى قوى) ، يدين بالولاء للنظام

الجمهـــورى . (١٣) فالقوة المادية فى المجتمع اليمنى الجديد ، سواء تمثلت فى معدات ومنشئات عســكرية ومدنية (طرق ومستشفيات ومدارس ومصانع، وسدود)، هدفها الأول والأخير تفجــير الطاقات الوطنية والمساهمة فى صياغة مجتمع أهلى ، كخطوة فى الطريق نحو بناء مجتمع مدنى ، بمعزل عن الولاءات القبلية والمناطقية والطائفية الضيقة .

هكـــذا كان التنظير العقائدى محور العمل السياسى لدى تنظيم الضباط الأحرار ، التى أخـــذت طلائعه تبشر بقيم الحرية والعدل والمساواة. وكان التبشير بهذه المبادئ والأهداف ، يـــرمى للقضـــاء على مخلفات النظام الإمامى ، والقيام بثورة سياسية واجتماعية شاملة تلغى الفوارق الطبقية بين فئات الشعب ، إلا أن القوى المحافظة تصدت بقوة للمد الثورى الشعبى ، الذى أخذ يكتسح الساحة اليمنية اكتساحاً . وقد نفذ مجلس قيادة الثورة قانوناً يقضى بإلغاء كافـــة أشـــكال الرق والعبودية فى اليمن؛ فضلاً عن إلغاء نظام الرهائن، ومبدأ الامتيازات – الفضل والشرف – المعمول بها فى العهد الملكى . (١٤) ولم تكن الثورة فى نظر الضباط الأحرار مجرد حركة انقلابية نخبوية ، ولكنها كانت حركة احتجاج اجتماعية شعبية موجهة ضد الطبقة الإماميـــة الحاكمة، التى عزلت الشعب اليمنى عن حضارة العصر، واتخذت من الدين وسيلة وغايـــة لسحق كل الأصوات المنادية بالإصلاح . وكان البرهان على ذلك أن إمام اليمن أحمد حميد الدين، أعلن انسحاب بلاده من الاتحاد الثلاثى (الجمهورية العربية المتحدة) عام ١٩٦٠ ، بإقدامه على نظم قصيدة شعرية هاجم فيها هذه التجربة وتنصله عنها . (١٥)

وبالرغم من أن أهداف ومبادئ الثورة الستة ، قدمت نقداً نظرياً للواقع المعاش فى العهد الإمـــامى الذى لم تكن تمتلك مقومات تغييره إلا عن طريق القوة . حول هذا التحول التاريخى كتب النعمان (الابن) معلقاً على حدث الثورة : " وفى خضم المفاجأة ، ومن بين الانفعالات المرتبكة، دوت المدافع عشية الأربعاء السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ مصوبة طلقاتها عـــلى القصر الذى ينـــزل فيه البدر فى صنعاء ، وفيما كان الاعتقاد السائد أن البدر قد وقع تحـــت أنقاض القصر ، كانت الرشاشات تعبر بتتابع رهيب عن المشاعر الصنعانية الحبيسة منذ أربعين عاماً .. مشاعر الحقد والانتقام من أولئك المتربعين للكراسى بجانب الأئمة ، ممن عرفوا بالمعممين ، سواء أكانوا هاشميين أو قحطانيين. " (١٦) وقد عانت المؤسسة الدينية فى بداية عهد الـــثورة وضعاً حرجاً ، نظراً لتصاعد المشاعر المعادية تجاه شريحة العلماء " المعممين " ، الذين كانوا فى نظر الشعب يمثلون أحد رموز العهد الإمامى البائد، حيث لقى بعضهم حتفه على يد

محــاكم عسكرية استثنائية - ترأسها المقدم غالب الشرعى وعضوية النقيبين عبد الله بركات وهادى عيسى . [17]

كـــان الضــــباط الأحرار يكونون جماعة سياسية متجانسة فكرياً ، لكنهم فى الواقع كما أثبــتت أحداث الثورة ، لم يكونوا يمتلكون برنامج عمل سياسى ، فيما عدا الأهداف الستة . إذ كان يحدوهم الأمل فى القضاء على مخلفات الماضى الإمامى الاستبدادى والاستعمار البريطانى بالشـــعارات والمـــبادئ ليس فى اليمن فحسب، بل فى إقليم شبه الجزيرة العربية. وكان عبد الناصـــر أول مـــن أيد الثورة اليمنية ، وسعى بدوره إلى توسيع رقعة الحركة الثورية من شمال اليمن إلى جنوبه مستهدفاً الأنظمة الملكية العشائرية فى المنطقة ، وفى مقدمتهم سلاطين وأمراء محميـــات عـــدن الشرقية والغربية ، الذين تحالفوا مع إدارة الاحتلال البريطانى . وهذا الدور المصرى الداعم للثورة اليمنية تؤكده شهادة أحد المشاركين فى الأحداث : " وقع اقتراب عام ١٩٦٤ مـــن منتصفه كان اليمن بشطريه قد تحول إلى مسرح لصراع ساخن بين قوى الثورة والـــتحرر مـــن ناحية ، والقوى المحافظة والاستعمارية من ناحية أخرى . وخلال ذلك أمكن لقضية الجنوب اليمنى المحتل أن تشق طريقها إلى تبوء موقع متقدم فى سلم الاهتمامات العربية والدولية ، لدرجة أن صارت أحد شواغل الأمم المتحدة ولجنتها الخاصة بتصفية الاستعمار . " [18] وظن السلال أن تعيينه على رأس الدولة سيقوى سمعته لدى الشعب اليمنى ، وسينتقم له من الإهانة التى لقيها من القادة الجمهوريين المنشقين عن نظامه. [19]

لقد اعتبر الكثير من عناصر المعارضة المصطلحات الثلاث - ثورة ، جمهورية ، حرية - التى رفعت فى عهد السلال ، مجرد شعارات سياسية براقة يراد بها إحقاق باطل ، فقد اكتسب المصطلح الأخير معنى مزدوجاً فى العهدين الملكى والجمهورى ؛ كما أفصح عن ذلك صاحب كتاب (نكسة الثورة فى اليمن) بقوله : " فى العهد الغابر عهد الأئمة ، كان الأحرار يطالبون بالحـــرية للأفراد وللجماعات ولعموم الشعب ، وكان الأئمة ومن فى فلكهم يقولون إن هذه الحرية إنما يقصد بها إتيان المعاصى وشرب الخمور . والآن عندما يطالب أى مواطن بحرية القول وحـــرية الجماعـــة يقولـــون إن المقصود اعتناق المذاهب الهدامة، كالشيوعية والبعثية ، الآن أصبحت أخطر من أى شيء فى الدنيا ، وفى نظر المسئولين هى المهمة الوحيدة التى يقذفون بها من لم يحنِ رأسه، ويرضى بخيانة الوطن. " [20] فالمتمسكون بفكرة الذات أو الخصوصية اليمنية أصحاب " العقدة اليزنية " ، كالمتشبثون بالعقيدة الناصرية ، ينظرون إلى المشكلة اليمنية كلاً مـــن زاويته الخاصة ؛ ويعوزهم بعض التعصب للحرية الفكرية المسئولة ، وبعض الفهم العميق

لـتجربة الجمهوريـة العربية اليمنية. فالاقتباس لفكرة الجمهورية ، أو التمثل لبعض التجارب الـثورية العربية الأصيلة ، لا يدخل فى باب الأفكار المستوردة ، بل العكس ، يشكل مشاركة حقيقية فى الحياة السياسية ، والانفتاح على مجريات الثقافة العالمية .

إن ضمور النظام السياسى فى عهد السلال فى ظل الوجود المصرى ، وصل إلى حالة جمود فى أعقـاب إزاحة البيضانى من السلطة ، لكن الصراع بين أعضاء النخبة الحاكمة ظل قائماً . فقـد شـهدت الساحة اليمنية نهضة جديدة لزعامة حزب الله ، التى رفعت شعار دولة اليمن الإسـلامية فى مقـابل شعار الجمهورية العربية اليمنية . لكن هذه النهضة سرعان ما أصيبت بنكسة سياسية ، عندما " .. قبل الأستاذ قاسم غالب أحمد – أحد الزعامات السياسية المعتدلة لتنظـيم الإخوان المسلمين باليمن – ، شغل منصب وزير التربية والتعليم خلفاً للقاضى عبد الكـريم العنسـى ، الذى حول الوزارة إلى وكر للطابور الخامس، مما دفع بخصومه إلى اتهامه بفسـاد الذمـة والعمل لصالح جهاز المخابرات المصرية ، لكن الوزير المذكور أثبت إخلاصه لـلوطن وتفانيـه فى خدمة الصالح العام ، من خلال الأشراف المباشر على تنظيم الوزارة عن طـريق الاسـتعانة بالخـبراء العـرب .. " [٢١] وبهذا يتضح لنا أن عناصر حزب الله فقدت مـرفقاً حيويـاً مـن مرافق الدولة ، كانت تعوّل عليه تشكيل كادر مؤهل لتولى السلطة فى المسـتقبل . وبهذا الإجراء تمكنت الحكومة من تحجيم نشاط الإخوان المسلمين فى مجال التربية والتعليم ، الذى يعتبر من أهم الحقول الاجتماعية والثقافية الملائمة لإعداد جيل مؤهل لمواصلة الرسالة .

وبالـرغم من احتجاج العلماء والقضاة الشرعيين ضد المناهج المصرية والخبراء العرب ، الذيـن احتـلوا مكاتب الوزارة ، فإن الحكومة مضت فى سياستها الرامية إلى تحديث المناهج التعليمية وتطوير الإدارة التربوية كماً وكيفاً . " وقد قدم وفد من علماء صنعاء عريضة خطية للمشـير السلال طالبوه فيها بجعل (كتاب شرح الأزهار) وغيره من كتب الفقه الزيدى من مثل كتاب (التاج المذهب فى أحكام المذهب) من ضمن المقررات العلمية لطلبة الثانوية العامة ، فـرفض الرئيس الاستجابة لطلبهم . " [٢٢] كما أصدر القاضى " .. يحيى الفسيل الذى كان يحـارب بجـانب القـوات المـلكية ، الفتوى الشهيرة ، والتى تقضى بضرورة تطليق نساء الجمهوريين ، لأن عقود الزواج حسب فتواه قد تمت خلافاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، ومن قبل ناس غير مسلمين ، أى جمهوريين . " [٢٣] ولأن الاتصال بين القاضيين (الفسيل والزبيرى)

كـــان محـــدوداً لـــلغاية – على عكس الحال مع القاضى أحمد السياغى ، فقد رفض الأخير الاعتراف بهذه الفتوى لأنها تعرض أتباعه لهجوم السلطة .

ولمـــا اقتصـــر نشاط زعامة حزب الله وتأثيرها على سكان الهضبة الشمالية ، فقد كانت صنعاء وعمران وخمر تمثل المجال الحيوى للمعارضة . على عكس الحال فى مدن الهضبة الوسطى (إب) والســـهول الجـــنوبية (تعز والحديدة وعدن) ، كانت تقع تحت تأثير شريحة التجار والمـــثقفين الثوريين ، الذين أظهروا تأييدهم المطلق للنظام الجمهورى والدور المصرى الداعم للثورة اليمنية . وكنتيجة منطقية لهذا الوضع اقتصر دور القوى التقليدية على المعارضة لنظام السلال والوجود المصرى ، ومن ثم الدعوة سراً وعلناً لمشروع دولة اليمن الإسلامية . وكان الدفـــاع عن هذا المشروع السياسى تجسيداً لمفهوم الحاكمية لله كمقولة قرآنية ، يعبر أصحابها عن آمالهم ومخاوفهم ، من التلاشى والضياع فى ظل الاستلاب العقائدى للحركة الناصرية فى جنوب شبه الجزيرة العربية . [٢٤]

وعلى العكس من ذلك ، فقد كان مصطلح جمهورية عربية يمنية ، شعار عقائدى أكثر منه شـــعار سياسى رفعه تنظيم الضباط الأحرار يوم قيام الثورة ، وتمسكت به القوى الاجتماعية الجديدة ، التى وقفت متراصة فى خندق الدفاع عن النظام الجمهورى ، التى بدورها رفعت إبان حـــرب الســـبعين يوماً – حصار صنعاء فى أواخر عام ١٩٦٧ وبداية عام ١٩٦٨ – شعار "الجمهوريـــة أو المـــوت".[٢٥] ولعـــل السبب المباشر فى ثبات النظام الجمهورى فى اليمن رغم الحصـــار المضروب حوله من قبل القوى الاستعمارية الغربية والرجعية العربية ، يعود الفضل بالدرجة الأولى إلى التفاف قطاعات واسعة من الشعب اليمنى حوله ؛ وبفضل اقترابه الشديد مـــن نظـــام الجمهورية العربية المتحدة، قاعدة الحركة الثورية فى الوطن العربي. وهذه الوجهة القوميـــة للـــثورتين – المصرية واليمنية – تؤكدها شهادة أحد أعضاء تنظيم الضباط الأحرار (أحمد حمروش) ، حيث يقول : " إذا كانت القومية العربية لم تظهر كلمات فى أهداف ثورة يوليو الستة ، ولا فى برنامج تنظيمها الأول [هيئة التحرير] ، فإنها مع الوقت والتطور أصبحت العمـــود الفقرى للحركة السياسية المصرية والعربية ، والعامل التوحيدى الأول بين حركات التحرر العربى . " [٢٦]

كيف يمكن تفسير تبنى زعامة حزب الله لمشروع دولة اليمن الإسلامية فى سياق أحداث الحـــرب الأهلية وتداعياتها السياسية ، التى كادت تؤدى بالنظام الجمهورى ؟ ولماذا اختارت

عناصــر حزب الله مصطلح الشورى والدستور كمدخلاً نظرى لصيغة المجلس الجمهورى فى عهد وصاية الفقيه المحتسب ؟ لقد أورد القاضى إسماعيل الأكوع جزءاً من الإجابة على هذين السؤالين ، فكتب فى مقدمة كتاب (القاضى الإريانى حكيم الثورة اليمنية) مقالة توحى بهذا المعنى : " كانت رئاسة الدولة قد أفضت إلى القاضى عبد الرحمن الإريانى فى الثالث من شعبان ســنة ١٣٨٧هـــ / ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، بعد أن التفت عنده رغبات زعماء اليمن وعلمائها ، ورؤساء القبائل والعشائر ، والتفت حوله القلوب المختلفة ليكون رئيساً لها ، حتى ينتشل البلاد من الهاوية التى تردت إليها ، واستطاع بسياسته الحكيمة وحلمه الواسع أن يمسك بدفة السفينة وســط أمــواج مضــطربة ، وعواصف عاتية حتى حقق لليمن السلام والأمن والاستقرار ، فاعــترفت المملكة العربية السعودية بالنظام الجمهورية [الجمهورى] فى ٢٤ جمادى الأول سنة ١٣٩٠هـــ (٢٧ تموز ١٩٧٠) . " (٢٧)

وإذا كان دور القاضى الإريانى فى الحرب الأهلية قد اقتصر على لعب دوراً مزدوجاً بين أطراف الصراع الإقليمية (السعودية ومصر) ، فإن الدور نفسه الذى لعبته زعامة حزب الله بــين أطــراف الصراع الداخلى (الجمهوريين والملكيين) ، قد ساهم بشكل مباشر فى ظهور مشروع دولة اليمن الإسلامية إلى حيز الوجود. ورغم ما تطرحه المعارضة الدينية والقبلية من إشــكاليات عصية فى الحياة السياسية فى اليمن المعاصر، إلا أنها لا تستطيع إخفاء دور الوجهاء والأعيان (أهل الحل والعقد) فى معارضتهما الضمنية للنظام الجمهورى بأشكال متعددة. فمنهم مــن اعتــبره بدعة ، بل وخروج عن الدين ، ومنهم من أعتبره ثورة عقائدية تتجاوز مفهوم "استبدال إماماً بإمام"، وفقاً لنظرية حطم صنماً وانصب صنماً.(٢٨) الأمر الذى يزيد من تعقيد المشــكلة اليمــنية، من حيث نزوع أقطاب المعارضة إلى إحياء قدر معين من النعرات العصبية السلالية قحطانية عدنانية ، زيدية شافعية – ، وهذا الاتجاه يؤكده المقالح فى مؤلفه –قراءة فى فكر الزيدية والمعتزلة، تحت عنوان جانبي (صراع السلطة بين الهادى وابن الفضل) ، بقوله : " وقــد استمرت هذه العاهة إلى بداية العصر الحديث ، وكاد بعض الأحرار فى بلادنا يقعون فى قبضــتها العاتيــة، وأن يفتحوا فى جدار الحركة الوطنية ثغرة لا يمكن سدها . عندما رأوا أن الوقوف فى وجه الأسرة الحاكمة التى احتكرت نظام الحكم ، يستدعى إحياء قدر من النزعات العرقية . " (٢٩)

ويعلل المقالح اهتمامه المتزايد بموضوع الزيدية والسلطة من خلال تقصيه ورصده لجذور المشــكلة اليمــنية فى ضوء ظواهر الحاضر الجمهورى فى الماضى الملكي . فالسجال القائم بين

زيديـــة اليمن الهادوية وأشياع النظرية القحطانية أو العقدة اليزنية، تعبيراً عن جدل اجتماعي وسياســـي قائم، بقدر ما كان جزءاً منه وعنصراً فاعلاً فى تحريكه وإدارته. وكما أن التعصب المذهـــبى أو القبــلى درجات يتحدد وضعه وطبيعته باختلاف كل مرحلة تاريخية ، فإن النظام الإمـــامى عـــلى حد قوله: ".. قد حاول الجمع بين السلطتين الزمنية والدينية ونجح فى فترات تاريخيـــة سابقة ، وفى ظل شروط اجتماعية وسياسية لا وجود لها اليوم ، فإنه كان قد فقد هذا النجاح تاريخياً منذ عدة قرون ، وكان استمراره فى البقاء إساءة للإمامة وتشويه متعمد لبريقها الـــتاريخى ، وقـــد وصل نظام الإمامة إلى شكل يقول عنه علماء الزيدية أنفسهم أنه (الملك العضوض) ! (٣٠)

هذا القصور فى تجربة حركة المعارضة اليمنية، تقره أيضاً أدبيات الضباط الأحرار بشكل واضح فى مؤلف (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) ، بالتأكيد على أن رجال الثورة حين شرعوا فى تفجيرهـــا لم تكـــن لديهم نظرية ، أو برنامج متكامل للتغيير؛ وكان الدليل النظرى الذى يهتدون به هو أهدافها الستة . (٣١) ولكن مع التفاعل المكثف بين قادة الثورة فى سنوات الحكم الأولى ، وفى ضوء التدخل المصرى ، والممارسة العملية ، بدأ هذا الشتات يتبلور فى بحث كثير من ضباط الثورة والساسة المدنيين المرتبطين بهم عن هويتهم السياسية المفقودة فى ظل الوجود العسكرى المصرى من جهة، والتدخل السافر لأجهزة الاستخبارات فى الشئون الداخلية للبلاد من جهة أخرى . (٣٢)

ولعل حالة البيضانى ، فى واقع الأمر تشكل صورة صارخة من أشكال التدخل السياسى المصـــرى الســـافر فى مجريات الحياة السياسية اليمنية ، بعد وصول قوات الجمهورية العربية المتحدة أرض اليمن بأيام ، وقبل بدء عملية التصعيد العسكرى خلال عامى ١٩٦٣ و١٩٦٤. كتب أحد قادة الثورة اليمنية البارزين، اللواء عبد الله جزيلان فى مذكراته، شارحاً هذا الوضع الثورى الشاذ، بقوله : " فى دار الوصول (القصر الجمهورى الآن) جلست والزعيم عبد الله السلال للراحة من عناء العمل المستمر ، وجاء الأخ عبد الرحيم عبد الله، والأخ (الدكتور) عـــبد الـــرحمن البيضانى ، الذى ابتدرنى بقوله: لقد عينت وزيراً للاقتصاد، ومن أين آتى لكم بـــالأموال ؟ دهشـــت لهذه النغمة الجديدة التى يتحدث بها الأخ عبد الرحمن البيضانى ، فقد وعدتنى القاهرة بدفع مرتبات القوات المسلحة وغيرها .. كان الموقف صعباً ، والاختيار أشـــد صـــعوبة . فإمـــا أن نوافـــق عـــلى ما يريده الأخ (الدكتور) البيضانى ، فتقف القاهرة إلى

جانبنا ماديا ومعنويا ، وإما أن نرفض فتنكس أعلام الثورة ، وتعود اليمن إلى ظلام القرون الأولى " . (٣٣)

تشكل حالة البيضانى – من وجهة نظرنا – مسألة تستحق التوضيح ، نطرحها هنا مجدداً على بساط البحث . هل كان لموقف القيادة المصرية دوراً مؤثراً على مسلكية البيضانى ، إلى حد أنه أصبح بمثابة الوصى الجديد على مجلس قيادة الثورة اليمنى ؟ وهل يمكننا مثلاً أن نستنتج أن وصاية البيضانى على رجال الثورة ، قد تمت نتيجة للظروف الحرجة التى تزامنت مع قيام الثورة واندلاع الحرب الأهلية ، خصوصاً وأن تصرفاته أضحت موضع تساؤل الكثير منهم ، بل ومبعث استنكار المدنيين والعسكريين داخل المجلس والحكومة على حد سواء . كما بينت أحداث الحرب الأهلية قصور الحركة الثورية وعجزها عن حماية النظام الذى ساهمت فى خلقه ، وحدة سخط العلماء والمشايخ الذين شكلوا العمود الفقرى للمعارضة المناهضة للوجود المصرى .

إذا كان التحقق من رواية جزيلان مسألة إجماع لدى الساسة اليمنيين ، فإن عامل التدخل المصرى ، أصبح مصدر تذمر قطاع واسع من الضباط العسكريين والساسة المدنيين ، الذين كانوا على صلة جيدة بالجمهورية العربية المتحدة قبل قيام الثورة . ولكن القضية كانت أكبر من ذلك بكثير، فاليمن كان فى أمس الحاجة للدعم المصرى على كافة المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية لبناء أجهزة الدولة الحديثة ، حتى يستطيع النظام الجمهورى الوليد الوقوف على قدميه . وكانت النتيجة الوحيدة التى استخلصها سلطان أحمد عمر عن الدور المصرى فى اليمن باستعراضه سلبياته وإيجابيته على النحو الآتى : "مما سبق ذكره ، فإن الجمهورية العربية المتحدة قامت بدور وطنى مهم فى الساحة اليمنية شمالاً وجنوباً . كما أنها أسهمت فى حركة التطويرات المحدودة المادية والثقافية ، خاصة فى مجال تأسيس جيش يمنى حديث ، وأيضاً مجال الإدارة والتربية والتعليم . إلا أن الأجهزة العربية فى اليمن ، خاصة جهاز المخابرات بقيادة صلاح نصر آنذاك قد اتخذت سياسة مؤداها الاعتماد على الأنصار المباشرين للعربية المتحدة دون قيد أو شرط ، وذلك فتح المجال واسعاً أمام الإقطاعيين والتجار ، ومختلف العناصر الانتهازية المرتزقة للارتماء فى أحضان المخابرات وتوجهاتها ، واللهاث وراء ما تقدمه من سلاح ومال ، وبالطبع باسم المعركة ضد الملكيين، ومن أجل القومية العربية .. " (٣٤)

إن النتائج التي تمكنا من الوصول إليها من مختلف المصادر التاريخية – المدونة والشفهية – تكـــاد تجمع على أن نموذج البيضاني ، ليس النموذج الذى كان يتوقعه رجال الثورة فى الدور المصرى المساند للنظام الجمهورى . فالثورة والقيادة المصرية كانت هى النموذج الأمثل لمعظم أعضـــاء تنظـيم الضباط الأحرار اليمنيين ، على اختلاف مشاربهم السياسية . وكان النظام الجمهورى غاية مطمحهم ، فى اتجاه بناء مجتمع جديد على غرار الأنظمة العربية الجمهورية فى كـــل مـــن مصر والعراق وسورية وغيرها . [٣٥] ويعتقد رئيس الجمهورية المشير السلال " أن الدور المصرى فى اليمن لم يخلِ من الممارسات السلبية كما جسدتها تجاوزات البيضانى ، وأجهزة المخابرات المرتبطة بمكتب المشير عبد الحكيم عامر وهيئة الخبراء العرب فى اليمن . بالرغم من ذلـــك ، لا يمكـــن بـــأى حال من الأحوال التقليل من قيمة الدور المصرى فى تثبيت النظام الجمهـــورى ، حيـــث رمت الجمهورية العربية المتحدة بكل ثقلها السياسى والمادى فى معركة القومية العربية ، وضحت بالغالى والنفيس من أجل بقاء واستمرارية النظام الجمهورى للأبد فى جنوب شبه الجزيرة العربية .. " [٣٦]

وإذا كانت مظاهر التوتر السابقة – حالة البيضانى – قد بدت مخيفة ، بمجيئها فى سياق مجموعـــة مـــن القرارات السياسية الارتجالية ، فإن بوادر الانقسام السياسى فى صف المعسكر الجمهـــورى ، ظهـــرت عـــلى الســـطح منذ انعقاد مؤتمر عمران ، الذى عبرت فيه العناصر الجمهوريـــة المنشـــقة عـــن نظام السلال معارضتها للوجود المصرى بكافة مظاهره السياسية والعسكرية . حيث وصلت الأزمة ذروتها فى ٢ ديسمبر ١٩٦٤ ، عندما قدم كل من الشيخ أحمـــد نعمـــان رئيـــس مجلس الشورى ، والقاضيين عبد الرحمن الإريانى وزير العدل ، ومحمد الـــزبيرى وزير المعارف استقالة جماعية من مناصبهم ، احتجاجاً منهم على الأوضاع السياسية والاقتصـــادية المـــتردية فى البلاد . [٣٧] فى الوقت نفسه، كانت أجهزة المخابرات المصرية قد نجحـــت فى إزاحة عدد كبير من ضباط الثورة والساسة المدنيين المعارضين للحل العسكرى ، فدفعت بهم دفعاً إلى صف المعارضة .

رأيـــنا فى الفصـــل السابق أن جوهر الخلاف بين السلطة والمعارضة فى فترة الجمهورية العـــربية اليمنية كان يدور فى الظاهر حول مسألة الحرب والسلام والمصالحة الوطنية ، وعمقه يـــدور حـــول السلطة . فقد تطلع كل فريق إلى زيادة سيطرته على مفاصل السلطة السياسية والعســـكرية ، وهى مجلس قيادة الثورة ، وقيادة الجيش ، والحكومة . وكان برنامج المعارضة الجمهوريـــة كمـــا جســـدته قرارات مؤتمر عمران ، يرمى إلى تجريد المؤسسة العسكرية من

صلاحياتها السياسية ، فى اتجاه بناء سلطة محلية قبلية لا تخضع للسلطة المركزية فى صنعاء . كل هـــذا الســـرد فى سيرة الزبيرى ومشروع حزب الله ، يضع فى الظل الأهداف الثورية للنظام الجمهورى التى أشعلت نار الحرب الأهلية فى البلاد فى سبتمبر عام ١٩٦٢ وما بعده .

وكان مجلس قيادة الثورة ينـــزع إلى إقامة حكم جمهورى شعبوى متحرر من قيود الماضى الإمامى الاستبدادى . فعندما ألغيت الملكية كنظام سياسى يرتكز على مبدأ الفضل والشرف فى ســـبتمبر من عام ١٩٦٢ ، أعلن مجلس قيادة الثورة عزمه على تضمين الدستور المؤقت لعام ١٩٦٣ نصـــاً يشـــير إلى أن " الإســـلام دين الدولة الرسمى والتشريع فيها يستند إلى مبادئ الشـــريعة الإسلامية الغراء ولا يتعارض معها . " (٣٨) ونصت قرارات وتوصيات مؤتمر عمران تمســـكها بالـــنظام الجمهورى كنظام سياسى فى اليمن لا بديل له ، وأن " الملكية مرفوضة فى كـــتاب الله وشـــريعته .. " ، عملاً بالآية الكريمة ((قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)) [سورة النمل ، الآية ٣٤] . (٣٩)

ومـــن هنا فى اعتقادى ، بأن عبارة " جمهورية " ، التى وردت فى نصوص مؤتمر عمران، كان المقصود بها " الحكم الشعبى " ، علماً بأن القاضى الزبيرى كان فى وقت لاحق – بعد لقاء أركويت – يميل لاستخدام مصطلح " دولة اليمن الإسلامية " ، التى ستكون بالطبع بعيدة جداً عن العنوان الذى أقره المؤتمرون سلفاً فى مؤتمر عمران . وبالمثل يتردد صدى هذا المصطلح فى برنامج حزب الله من جهة ، وفى مداولات لقاء الطائف ومؤتمر حرض . (٤٠)

هكـــذا كـــان الزبيرى ، يعيش ازدواجية الاختيار بين مسايرة الوضع الجديد من جهة، والدعـــوة إلى تأسيس حركة معارضة دينية من داخل السلطة من جهة أخرى . فهو فى الوقت الـــذى يتصـــوز مـــثالاً نظرياً لحل معضلة الحرب الأهلية فى اليمن بدعوته الحارة إلى السلام والمصالحة الوطنية ، تأخذ السياسة به نحو مواجهة مكشوفة مع المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء . ويثار التساؤل حول سبب استخدام القاضى لمصطلح حزب الله على جماعته . إذ يمكن فى هـــذا السياق الإشارة إلى جملة أسباب موضوعية وذاتية: أولها، أن تأسيس حزب الله ، كان يشكل امتداداً طبيعياً ومنطقياً لجمعية شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكانت تلك المرحلة الأولى لمشاركة تنظيم جماعة الإخوان المسلمين – فرع اليمن فى عمل منظم ومستمر ؛ وثانيهـــا ، أن اخـــتيار الزبيرى لهذين الاسمين لم يكن محض صدفة، بل موضوع تأمل ودراسة للواقع السياسى فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

بعـد مؤتمـر عمران ، اهتم المؤسسون بتنظيم الحزب الجديد فى إطار المؤتمرات الشعبية داخـل صـنعاء وخارجها. ففتحت المكاتب ونظمت الاجتماعات داخل اليمن وخارجه مع العناصـر الجمهوريـة والملكية المنشقة خلال صيف عام ١٩٦٤ . عقد لهذا الغرض مؤتمرات شعبية ولقاءات مع قادة المعارضة الملكية ، استمرت أسبوعاً كاملاً ، حضرها كلٌ من القاضى محمـد الزبيرى والسيد أحمد الشامى ببلدة أركويت بالسودان ، حيث لم يتوصل الطرفان إلى اتفـاق نهـائي بخصـوص السلام والمصالحة . [٤١] وكان الهدف المباشر من وراء هذا التحرك إضـعاف الموقف المصرى الداعم لحكومة السلال ، لكن الظرف لم يكن مواتياً نتيجة للتصعيد العسكرى فى جبهات القتال . وقد وجد الزبيرى السند الأساسى لحزبه فى أوساط قبائل حاشد وبكيـل ؛ ولم يكن ذلك يدعو إلى الاستغراب . فهذه الجهات القبلية كـانت تمثل فى الغالب المجـال الحيوى للمعارضة الملكية ، حيث يتنقل أمـراء بيت حميد الدين بحرية فى حدود هذه العشائر اليمنية الموالية للمؤسسة الإمامية .

مـن أيـن تأتى هذه المخاوف : من الرجعية المحلية ، أم من الرجعية العربية ، ومن يقف وراءهـا مـن قوى استعمارية غربية ؟ وإذا كان الإمام البدر وأمراء الأسرة المالكة يتحركون بحرية فى أوساط القبائل اليمنية ، فهل كان زعماء هذه العشائر على وعى بخطورة هذا التحرك فى حدودهم ؟ ولهذا السبب ذاته حلت القوى المعارضة للنظام الجمهورى محل الرجعية العربية ، باعتـبارها الأداة الفاعلة فى إشعال وقود الحرب الأهلية لمدة ثمان سنوات متواصلة . نظراً لأن المعارضـة الديـنية كانت تضرب على أوتار العقيدة الإسلامية والشريعة المعطلة ، تماماً مثلما كانت المعارضة القبلية تضرب على أوتار الدفاع عن الديار والعرض والشرف . فهذه العقيدة السياسية المناهضة لعقيدة القومية العربية ، كانت ردة فعل ضد الإجراءات الثورية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، التى حاولت إلغاء النظام الاجتماعى القديم القائم على مبدأ الفضل والشـرف . لـيحلّ محله مفهوم المواطنة الذى يتخطى مفهوم حدود المذهب والقبيلة . كما جسدت أهداف الثورة الستة – من الناحية النظرية – تطبيق مفهوم المساواة بين فئات الشعب الـيمنى – قبائل ورعيه سهليين وجبليين دون تمييز أو تفرقة . مثل هذه الإجراءات السياسية أثارت حفيظة القوى التقليدية فى المجتمع اليمنى ، التى ساهمت بدورها فى إذكاء حدة الصراع بين المعسكرين – الجمهورى والملكى .

شـهد الـيمن خلال سنوات الحرب الأهلية (١٩٦٢ – ١٩٧٠) ، تحولات سياسية واجتماعـية واقتصادية ملحوظة فى بنية المجتمع . وكان مفهوم مصطلحات (وطن ، مواطنة ،

ثـورة ، جمهورية) لدى القوى الجديدة ، هى أدوات تحقيق الثورة السياسية والاجتماعية فى اليمن الجديد ، التى ظلت كامنة فى العهد الملكى البائد تتمحور داخل مصطلحات عفى عليها الزمن كـ (إمامة ، مملكة ، قبائل ، رعية) ، وذلك ما استنتجناه من خلال مطالعتنا العميقة لأدبيـات حـركة المعارضة اليمنية فى العهدين الملكى والجمهوري؛ فضلاً عن المعلومات التى استقيناها من المصادر التى تشير إلى أن بعض شيوخ عشائر حاشد وبكيل ومذحج (حميد الأحمر ومطيع دماج وعبد اللطيف راجح) ، كانوا قد بشروا بقيام الحكم الشعبى ، قبل قيام الثورة والجمهورية بعامين أو ثلاثة . (٤٢)

لكـن هـذا الفهم العام لماهية الحكم الشعبى ، أى النظام الجمهورى ، ظل قاصراً لدى زعامـة حـزب الله التى اعتبرته أنه الخلاص من حكم بيت حميد الدين ، تمهيداً لظهور شيخ الإسـلام ، أو بتعـبير أكثر دقة وصاية الفقيه المحتسب ، عملاً بالحديث الشريف " الأئمة من قريش ". فى حين اعتبرت المعارضة القبلية على اختلاف توجهاتها المذهبية ومشاربها السياسية أن صيغة المجلس الجمهورى ، قد تعود بها إلى الماضى – أى عهد الإمامة ، حيث أصبح يتربع قمة السـلطة – أى رئاسـة الدولـة – أحد الفقهاء القحطانيين (القاضى الإريانى) ، أو الضباط العسكريين (المشير السلال) ، وكلاهما كان يحتفظ بصلات جيدة مع رموز العهد البائد من الأئمـة الحكام. فرجال العهد الجديد (الإريانى والسلال) سبق وأن تبوءوا مناصب تنفيذية وقضـائية مهمـة فى العهـد الإمامى ، وهم بطبيعة الحال ، إما محسوبين على حكومة المملكة المتوكلية اليمانية ، أو على حكومة الجمهورية العربية المتحدة .

سبق وأن ناقشنا هذه الإشكاليات التاريخية المتعلقة بالمعارضة الحضرية والمعارضة القبلية فى دراسة أخرى (القوى السياسية والاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية عام ١٩٠٥ – حتى عام ١٩٤٨) ، توصـلنا فيهـا إلى نتائج مهمة مبنية على مصادر ووثائق تكشف لنا أسباب قيام وسـقوط الحكومـة الدستورية . (٤٣) ومثلما مثلت مدن وأرياف الهضبة الشمالية والشمالية الغربية مناطق فشل ذريع للحكومة الدستورية ، بزعامة الإمام الهادى عبد الله الوزير ، مثلت أيضـاً مصـدر رفـض ومقاومـة مسلحة للنظام الجمهورى بزعامة السلال ، حيث أقتصر نفـوذ الـنظام الجمهـورى عـلى الهضـبة الوسطى والسهول الجنوبية ومحيط مدينة صنعاء وضواحيها . (٤٤)

اســتقبل سكان اليمن الأعلى وعلى رأسهم الشيوخ والعلماء فى صنعاء ومحيطها القبلى تعيين المشير السلال رئيساً للجمهورية ، بنوع من الاستنكار وعدم الارتياح . بهذا الخصوص ، يذكــر أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة (اللواء عبد الله جزيلان) ردة فعل القبائل اليمنية تجاه تعيــين عبد الله السلال رئيساً للجمهورية ، حديثاً دار بينه وبين الشيخ ناجى بن على الغادر شيخ قبيلة خولان بعد قيام الثورة بأيام معدودة ، على النحو التالى :

– اقــترب منى الغادر وقال : إن الناس قد رفضوا السلال ، وأنتم عينتموه قائداً عاماً . لماذا لا تكون أنت ؟ وأنت واحد من رجال قبائل بكيل ومفجر الثورة ؟

– أجــبت : يا شيخ على ليس هذا وقت الحديث فى هذا الموضوع . لقد حكمتنا امرأة بنت حجر (٤٥) ، وطفل ابن محمود (٤٦) . أما اليوم فالقيادة جماعية .

– قال : لا لن يكون السلال فى هذا المنصب وسنقاومكم بكل ما نملك ! (٤٧)

كــان من ضمن تطلعات المؤسسة القبلية – جناح بكيل – إزاحة السلال ، ليحل محله جزيلان ، الذى ينتمى فى الأساس إلى فرع عشيرة ذو محمد ، وهى تنسب فى الأصل إلى بكيل، لكــى لا تظفــر حاشد بمواقع متقدمة فى أجهزة الدولة ، سيما وأن الشيخ عبد الله بن حسين الأحمــر ، أظهر مرونة سياسية التعامل مع حكومة السلال والقيادة المصرية ؛ فوجد كل طرف مــن أطــراف الصــراع ضالته المنشودة فى الطرف الأخر. فعلاقات الأحمر بالضباط اليمنيين والمصــريين وثقــتها معارك الدفاع عن النظام الجمهورى ، كانت كافية لإقناع الجميع بتعيينه وزيراً للداخلية فى وزارة الجائفى التى شكلت فى مايو عام ١٩٦٤ . (٤٨) لكن الأحمر اعترف لــلفريق أنور القاضى قائد القوات العربية المرابطة باليمن ، ذات مرة : " .. أن وجود المشير الســلال فى قمة السلطة أكبر كارثة حلت باليمن منذ نكسة ١٩٤٨ ونهب القبائل لصنعاء ، وأنــا لا أســتطيع التعاون بصدق وأمانة مع شخص لا يحترم كلمته ، وكم يا مرات خيرات والرئيس الأفندى يطبع وجهه لنا ولا يصدق .. " (٤٩)

بــدأ الشيخ الأحمر منذ الشهور الأولى لقيام الثورة وإعلان الجمهورية ، يشك فى نوايا القيــادتين اليمنية والمصرية ، خصوصاً عندما أشتد الصراع حول مناصب الدولة العليا المدنية والعســكرية ؛ كمــا أبدت القبائل المتضررة من الصراع – بكيل – معارضتها القوية للنظام الجمهــورى ، فاضطرت سلطات صنعاء إلى فرض هيبتها عن طريق استخدام القوة ، مما ساهم فى تعميق الهوة بين الحكومة والقبائل المتمردة ، التى انضمت معظمها للمعسكر الملكى . وهكذا

لم تعـد تسـمية " جمهورية " كلمة جمع وشمل والتئام، بقدر ما أصبحت مصدر شجب وتذمر وانسـحاب، كمـا عـبر عـن ذلك الشيخ الغادر ، فى قصيدة شعبية رفضه المطلق للنظام الجمهورى ، حتى ولو أدى ذلك إلى فناء قبيلة خولان[٥٠] عن بكرة أبيها :

حيد الطيال أعلن وجاوب	كـل شامـخ فى اليمن
ما با نجمهر قـط لـو	نفنى مـن الدنيا خلاص
لو يعقب أمس اليوم والا	الشمـس تغرب من عدن
و الأرض تعلق نـار	وأمزان السماء تمطر رصاص [٥١]

نستشـف من هذه القصيدة – الزامل الشعبي – وغيرها ، مدى رفض المعارضة القبلية للنظام الجمهورى ، والشيخ الغادر يبين موقفه بوضوح دون مواربة ، وعملية الرفض والمقاومة سـوف تستمر وتتصاعد فى عهد القاضى الإريانى . فقد كان الغادر مثل الشيخ الأحمر لا يثق بشـخص السلال ، ويرفض التعامل مع المصريين ، لا سيما بعد خوضه معركتين ساختنين فى صرواح والعرقوب ضد الجمهوريين ، حسمت لصالح الملكيين. [٥٢] كما كان يرفض الاعتراف أيضاً بوصاية الفقيه المحتسب القاضى الإريانى ، فاستمر فى معارضته حتى يوم ٢٠ فبراير من عام ١٩٧٢ ، حيث سقط مغدوراً به ، وهو يرتب أمره لحضور مؤتمر شعبي بالقرب من وادى ذنه فى المنطقة الشرقية المحادية لمدينة مأرب . وفى هذا المؤتمر سقط معه العديد من مشائخ خولان، الذيـن كانوا يعدون العدة لمواجهة جديدة ضد حكومة صنعاء . وهذه الحادثة المروعة أفقدت جناح بكيل عصبيته القبلية ، ولم تقم لخولان قائمة منذ ذلك التاريخ حتى وقتنا الراهن . [٥٣]

وإذا كـانت معلوماتـنا عن سلسلة المؤتمرات السياسية : عمران (سبتمبر ١٩٦٥) ، وأركويـت (أكـتوبر ١٩٦٤) ، وخمر (أبريل ١٩٦٥) ، والطائف (أغسطس ١٩٦٥) ، وجـدة (أغسطس ١٩٦٥) ، وحرض (نوفمبر ١٩٦٥) ، والجند (أكتوبر ١٩٦٥) ، والخـرطوم (أغسطس ١٩٦٧) ؛ لا تتجاوز القرارات والتوصيات السياسية المتناقضة التى تعكـس طـبيعة الصراع وتوجهاته فى جنوب شبه الجزيرة العربية . فإن ما وصلنا من بيانات حزب الله وبرامجه السياسية التى أججت نارها قصيدة الغادر (حيد الطيال) ، مثلما أججتها قصيدة (القانون والفرس والميدان) [٥٤] . فإن الصراع السياسى على السلطة ، كان قد بلغ

الــذروة عشية انعقاد مؤتمر خمر للسلام فى أبريل١٩٦٥، الذى حاولت حكومة السلال منع قيامه . (٥٥)

لعل من المفيد أن نبدأ هنا بما ذكره أحمد عبد الرحمن المعلمى حول بروز حزب الله كقوة سياســية متنامية ، أخذت تحسب لها حسابها القيادتين اليمنية والمصرية ، حيث يورد الأسباب الموضــوعية التى دفعت زعامة المعارضة الخروج من السرية إلى العلنية : " ولما صارت القيادة المصرية فى صنعاء هى صاحبة القرارات الحاسمة فى أمور اليمن الداخــلية ، فقد خرج الزبيرى من صنعاء إلى خولان محتجاً على سياسة الحكومة التى يترأســها المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية، ثم لحق به القاضى عبد الرحمن الإريانى والشيخ أحمد نعمان وعدد من رجال الدولة بعد أن استقالوا من مناصبهم، وألتف حولهم بعض زعماء القبائل حتى انتهى بهم السير إلى جبل بــرط ، فوجدوا الزبيرى قد كون هنالك حزباً دينياً سياسياً سماه (حزب الله) كنواة لتنظيم شعبى إسلامي، وأصدر جريدة (صوت اليمن). وكانت تطبع بالآلة الكاتبة ، ودعا إلى مؤتمر السلام يعقد فى (خمر) . (٥٦)

إن موقــف المعارضــة من الحرب الأهلية والإجراءات القمعية التى اتخذتها السلطة ضد ناشــطى حزب الله ، كان دافعاً أساسياً لخروج الزبيرى من صنعاء مغاضباً إلى جبل برط . وفى هذه المناسبة التاريخية أرسل القاضى برقية مستعجلة إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، يناشده فيها على إقناع السلطات اليمنية بالسماح بانعقاد المؤتمر وتقديم التسهيلات اللازمة لإنجاحه ، هذا نصــها: " أخــى جمال: لقد آويتنى وزملائى من أجل الشعب ، ولقد بذلت الدماء والأرواح لمســاعدة شعب اليمن ، وكــنت أتمنى أن يأتى اليوم الذى نرد فيه الجميل ونثبت وفاءنا لك ولزعامــتك ، وهاهو الشعب قد صمم على جمع كلمته فى مؤتمر (خمر) لمنع الحرب وإصلاح الأمــور والوفاء للدم العربى الغالى ، فاستحلفك بالله أن تساعد على عقد هذا المؤتمر لتعرف كلمة الشعب . " (٥٧)

والسؤال الذى يبدو مسوغاً هو لماذا تنعقد مؤتمرات شعبية (قبلية) فى عدة أماكن ، وفى آن واحد ، تشارك فيها عناصر مشكوك فى ولاءها للنظام الجمهورى ؟

إن تعدديــة الطــرح حول مستقبل الحكم فى اليمن فى المعسكرين الجمهورى والملكى ، كانت تشير إلى وجود مشكلة تستحق المناقشة والمشورة . بل يكفى أن تــكون الحرب الأهلية التى تورطت فيها قوى إقليمية (مصر والسعودية)، ودولية (روسيا وأمريكا) ، تستدعى من

الأطـــراف المعنية فى اليمن البحث عن حل مناسب للأزمة من كل جوانبها. [٥٨] ويكـــفى أن بـــلداً صغيراً كاليمن يواجه غمار حرب أهلية واسعة، لم يهمل هذا الموضوع فأولته المعارضة الجمهوريـــة اهـــتمامها الكبير. فنظام السلال العسكرى بصلفه واعتماده الدائم على الدعم المصـــرى ، كان يعتقد أن مفاتيح الأزمة بيديه ولا سبيل إلى حلها إلا الجمعةوهذه هى المعضلة بالنسبة للمعارضة . [٥٩]

وجـــاء مؤتمر الطائف فى السعودية كمحصلة اتفاق بين جماعة حزب الله وكتلة خمر من جهة ، وكتلة حزب الشورى المنشقة عن مجلس الإمامة واتحاد القوى الشعبية من جهة أخرى . ورجحـــت كتـــلة خمـــر فى عدد المشاركين فى المؤتمر (نحو ٥٤١ شيخ وعالم) ، لكن صيغة القرارات والتوصيات كانت تصب فى صالح القوى الثالثة . فكان أول مؤتمر تندد قراراته بنظام الســـلال ، وتطالب توصياته علانية بالتنصل عن النظام الجمهورى ، والمطالبة بسحب الجيش المصرى من اليمن . وتعقيباً على قرارات مؤتمر الطائف أصدرت سلطات صنعاء بياناً فى نوفمبر مـــن عام ١٩٦٥ ، حملت فيه على المؤتمرين المعتدلين الذين يطالبون نظام السلال التفاهم مع الحكومة السعودية . [٦٠]

ومـــا ساعد على وصول مؤتمر الطائف إلى هذه النتائج المخيبة لآمال الشعب ، أن جميع الأحـــزاب والتنظـــيمات السياســـية المعارضـــة للوجود المصرى فى اليمن ، والمؤيدة للتدخل الســـعودى فى الصراع ، حاولت عن طريق عناصرها إقناع الجميع بالتخلى عن شرعية النظام الجمهـــورى . وليس معنى ذلك أن المؤتمر خلا من العناصر الوطنية المؤمنة بالنظام الجمهورى ، ولكـــنهم كـــانوا يشـــكلون أقلية فى محيط متجانس يتطلع للعودة باليمن إلى مرحلة الحكومة الدســـتورية . وبالمعنى ذاته قال أحد المنظمين للمؤتمر ما معناه : " لقد قبلنا إحالة قضية اليمن بالاحـــتكام إلى الحكومـــة السعودية ، التى أولتها عنايتها الخاصة ، بعد أن بحت أصواتنا ونحن نطالب القاهرة تقديم الحلول الناجعة لها دون جدوى ! " [٦١]

أمـــا الأمـــر الآخر الذى لابد أن يتـــوقف عنده المرء وهو يطالع قـــرارات وتوصيات المؤتمرات الشعبية والوطنية ، فهو نمط التعميم عند الإشارة إلى نظام الحكم فى اليمن المعاصر ؛ فهـــذا الواقع مرهون بسياقات فى التنظير أو بسياقات مضادة للتنظير . بعبارة أخرى ، كـــان أطـــراف الصـــراع فى الـــيمن يقعـــون تحت تأثير النفوذ الخـــارجى ، وهم فى شتى الأحوال لا يمتـــلكون القرار السياسى الحاسم للأزمة . وقد لا تأتى مؤتمرات السلام والمصالحة الوطنية

بقـــرارات وتوصـــيات تخدم المصلحة العليا للبلاد ، بقدر ما تخدم تيارات واتجاهات سياسية متعارضة، وثيقة بالطرف الأخر المتورط فى الصراع – السعودية ومصر؛ أى أن هذه المؤتمرات غالباً ما أصبحت منبراً لتصفية الحسابات القديمة ، كما يتكشف ذلك فى محاضر ووقائع مؤتمر حرض . (٦٢)

مشروع دولة اليمن الإسلامية :

حـــذر القاضـــى محمد الزبيرى المشاركين فى مؤتمر عمران فى سبتمبر عام ١٩٦٣ ، من التساهل مع السلطة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، المدعومة بحراب الجيش المصرى . ودعاهم إلى الوقـــوف بقـــوة فى وجه المخططات الداخلية والخارجية الموجهة ضد مسيرة حزب الله. ثم خاطب أنصاره من عشائر حاشد وبكيل ، محاولاً استثارة حماستهم : " أيها المؤمنون الأحرار، ولقد سمعتم إعلاناً فى الإذاعة عن المكتب السياسى وما تلاه من منظمات وقوانين، ورأينا بعض أبـــناء شعبنا أنكروا بعض هذه القوانين وعارضوها.. وتم الاتفاق على أن المكتب السياسى هو السلطة العليا للدولة ، وأن له الحق الكامل فى تعديل كل القوانين الأخرى .. وأن هذا المكتب هو الهيئة العليا فى الجمهورية التى ستحقق الحكم الشعبى السليم، وتجعل شريعة الله مصدر كل القوانين والتشريعات فى جميع أجهزة الدولة . " (٦٣)

كـــانت الدعوة إلى تفعيل دور المكتب السياسى تفضى إلى ضرورة تطبيق قانون الشرع ليحل محل اللوائح والقوانين الوضعية التى حاولت هيئة الخبراء العرب تطبيقها فى اليمن . فإذا لم تكـــن هـــناك سلطة عليا فى البلاد مشرفة على نشاط مجلس قيادة الثورة ، فمن يمنع ظهور دكـــتاتورية عسكرية تتفرد بالسلطة والحكم . فالحكومة الثورية التى يشرف على تنظيمها فى العهـــد الجمهورى أهل الحل والعقد ، تمهيداً لظهور وصاية الفقيه المحتسب فى زمن غيبة الإمام الفاضـــل والمفضـــول ، بدت حريصة على جعل " الإسلام دين الدولة " فى الدستور المؤقت للجمهورية العربية اليمنية ، الصادر فى إبريل عام ١٩٦٣ . (٦٤)

وكان الزبيرى يعيب على السلال تأييده المطلق للسياسة المصرية المرسومة لليمن وتسليم مقاليد الأمور فى البلاد لأجهزة المخابرات التابعة لها . وبالمثل كان يعيب عليه التظاهر فى العلن بتأييده لفكرة السلام والمصالحة الوطنية ، وفى الخفاء يسعى لإثارة الفرقة وتوسيع شقة الخلاف فى الصـــف الجمهـــورى . وفى يمن الستينيات ، حيث شاعت حوادث قطع الطرق والحرابة ، وظهـــور أمراء الحرب ، برز أسم القاضى كداعية للسلام ، وأحيط بهالة من التقدير ، كتعبير

عـن الحس الوطنى ونزعته المعارضة لكافة الحلول العسكرية . وفى ذلك يتحدث العمرانى عن ظاهرة الزبيرى معلقاً : " كان يعيد مع السلال تجربته مع الإمام أحمد عندما كان ولياً للعهد فى تعز ، وهى وسيلة التوجيه والإصلاح بطريقة الإحراج بالمدح علىَّ الحاكم يستحى ويكون عند مستوى مـا قيل فيه ، لكن هذا لا يعنى أن الزبيرى اكتفى بالمدح ، وإنما كان يعارض داخل مكـاتب المسئولين ووصل به الأمر إلى المواجهة وتبنى المشاريع الإصلاحية التى لا يوافق عليها تجار الحروب .. " (٦٥)

ولم تكن دعوته للسلام والمصالحة الوطنية بين أهل اليمن الأعلى واليمن الأسفل معزولة عن مجمل أفكاره ومواقفه . فمن خلال دعوته إلى انعقاد المؤتمر الشعبى العام ، سواء فى عمران أو خمـر ، كـان ثمة يقين قائم يؤكد وجود علاقة مترابطة بين جماعة حزب الله وكتلة خمر من جهة ، وتيار اتحاد القوى الشعبية من جهة أخرى ، الذين كانوا يطرحون فكرة قيام دولة اليمن الإسـلامية ، كـبديل أمثل للنظامين الجمهورى والملكى . بل إن الإطار السياسى للمعارضة الجـمهوريـة والملكية تميز بذلك الخط السياسى المستقل ، الذى أصـبح يعرف باسم القوى الثالثة. (٦٦) وعلى خلاف أجنحة الأحزاب والتنظيمات السياسية المتواجدة فى الساحة اليمنية ، كـان حزب الله أول تنظيم سياسى استقطب إلى صفوفه عدد كبير من شيوخ القبائل اليمنية الجمهوريين والملكيين من دون استثناء . وبالمثل نجح فى إقامة علاقات حميمة مع رموز المعارضة المـلكية ممثلة بجناح عائلة الوزير التى دفعت بأتباعها للمشاركة فى مؤتمر خمر للسلام فى أبريل عام ١٩٦٥ . (٦٧)

كـان الانشـداد إلى ثقافة الماضى مثلاً إحياء تجربة ١٩٤٨ الدستورية أو الاتحاد الـيمني، هـو الميزة الأساسية لأقطاب المعارضة ، وبخاصة ائتلاف القوى الثالثة ، التى مالت رموزهـا لحـل الأزمة اليمنية بطريقة سلمية ، أى " يمننة الصراع " . وذلك أمر بعيد المنال فى ظـل الوجـود المصرى ونظام السلال ، الذى غالباً ما نعت بالحكم الفردى والدكتاتورية العسـكرية . (٦٨) ولم تكـن مسـألة ترسيخ حكم الشورى والدستور مسألة ثانوية ، بل إن مشروع إعلان قيام دولة اليمن الإسلامية كان من صلب اهتمامها ، بعد أن فقد الجميع ثقتهم بنظام السلال . (٦٩)

وقد ارتبطت هذه المسألة الشائكة بالوجود العسكرى المصرى المكثف فى اليمن ، الذى أصـبح يفـرض إرادتـه على الجميع ، حتى أنه لم يبقِ للوزراء أى تأثير على صنع القرارات

السياســية المتعــلقة بالسياسة والحرب ؛ واقتصر دورهم على تنفيذ سياسة الجمهورية العربية المتحدة المرسومة فى جنوب شبه الجزيرة العربية . ولذا كان انتقاد المؤسسة العسكرية الحاكمة ونعــتها بالدكـــتاتورية والحكم الفردى ، تمهيداً لتصحيح مساز النظام الجمهورى . وبمقتضى التصـــحيح أو الإصـــلاح الذى قصده الزبيري، فإن النخبة العسكرية مجلس قيادة الثورة ، كانت فى نظره تفتقر للشرعية ؛ أى " أن الزعيم عبد الله السلال فرض نفسه رئيساً على تنظيم الضباط الأحرار ، وهو لا يستند إلى شرعية تقرها المرجعية المتعارف عليها .. " (٧٠) فقد أصبح الجهـــاز الإدارى لــــلدولة بأكملـــه يخضع لتوجيهات القيادة المصرية ومستشاريها . ويضرب القاضى الأمثال على ذلك بمستوى الإدارة والتصرف ، وهو يستعرض نقائص حكومة السلال، حيث يوجه سهام نقده للحكومة من خلال تلك الرسالة المطولة التى بعث بها لرئيس الجمهورية المشير عبد الله السلال ، يوبخه فيها إلى حد التقريع الشخصى ، وفيها يعدد له بعض الممارسات الخاطئة ، نلمس فى ثنايا سطورها آثار متون الفقه والحسبة عند الزيدية. نورد هنا بعض مقاطع الرسالة المهمة :

"سيدى المشير رئيس الجمهورية .. انتهكتم حرمة الميزانية العامة للدولة ، وخرجتم على قواعد النظام القديم والحديث، وخلقتم الفوضى والارتباك فى الشؤون المالية بسبب التصرفات والـــتحويلات بـــأموال الشعب طبقاً لرغباتكم الشخصية ، حتى كأن أموال الشعب إنما هى أموالكـــم الخاصـــة ورثتموها من الآباء والأجداد ، على أن الوارث المسرف السيئ التصرف يحجره الحاكم الشرعى ويمنعه من التصرف بماله الخاص . "

ثم ينـــتقل القـــاضـــى الـــزبيرى فى رسالته إلى إجراء مقارنة بين عهدين الجمهورى والملكي–، وفى هذه المقارنة ليس التعريض بشخص السلال والتشكيك فى شرعيته فحسب، بل توجيـــه جمـــلة تُهَم ضـــده ، فهو فاسد ومستبد يمارس الإرهاب ضد كل من يعارضه، إلى حد التصـــفية الجسدية: "والآن أفلست الجمهورية وتعطلت خزائنها وأنتم المسئولون لأنكم أنفقتم أموال الدولة بقصد الحصول على تأييد شعبى لشخصكم ومنصبكم ، وشراء الذمم والضمائر لتـــبقى رئاســـة الجمهورية حقاً أبدياً فى (آل السلال) .. فالبئر الرهيبة ترمى فيها الضحايا الأحيـــاء ، والإعـــدام الجزافى بلا محاكمات ، والغدر بمن عاهدتموه أو عفوتم عنه ، واختطاف المواطنين من الشوارع، ومهاجمة الآمنين فى بيوتهم، وقتل الناس بالسم بعد العفو عنهم .." (٧١)

كان الزبيرى على علم بالمشاكل الناجمة عن الوجود المصرى فى اليمن ، وبذلك تعقدت عمـــلية البحث عن حل سلمي للحرب الأهلية بفعل الدور السعودى فى تغذية حرب اليمن . وتبين هذه الرسالة مجمل مشاكل الدولة الجديدة بصورة مفصلة ، بعد أن تأكد له أن تصوراته لحل المشكلة اليمنية تختلف تماماً عن تلك التصورات والحلول العسكرية التى تقترحها القياديتان المصـــرية واليمنية . وإذا أردنا أن نحدد مرمى هذه الرسالة، فالغاية واضحة، إذ نستطيع القول إنهـــا صدرت من مركز القوة لأن زعامة حزب الله كانت تعد العدة لعقد مؤتمر خمر للسلام ، ونزع الثقة من الرئيس السلال بإجماع شعبى . فالانتقادات المضمنة فى هذه الرسالة كانت مبنية عـــلى قاعدة الاحتساب المتعارف عليها عند زيدية اليمن الهادوية ؛ وهو فى ذلك يقول: " لو أنكـــم جعلـــتم الأمر إلى من يثق الشعب بوجوههم من مشايخ القبائل والعلماء والوجهاء ، وتركـــتم تدبـــير الـــتفاهم إليهم وجعلتموهم واسطة التفاهم كما يقضى بذلك دستور مجلس الشـــيوخ الأعـــلى لما احتاجت الجمهورية إلى استخدام الحرب إلا فى النادر القليل . ولكنكم جعلـــتم الحـــق كله لكم ، ووزعتم المسئوليات على من تريدون من الأفراد ، ثم ضاع الأمر كلـــه من أيديكم وأيدينا جميعاً، وأصبحنا ونحن فى بلادنا لا نعرف من يعلن الحرب ومن يعلن السلم . " (٧٢)

ويصـــل الزبيرى – عند نهاية الرسالة – إلى ما يبتغيه من ورائها ، فهو يلقى باللوم على السلال وزمرته ، الذين سلموا زمام الأمور فى البلاد إلى القيادة المصرية ومخابراتها العسكرية ، مذكـــراً إياهم بأن مفتاح المشكلة اليمنية ليست فى يد الجمهورية العربية المتحدة ، وإنما فى يد أهـــل الحـــل والعقـــد مـــن علماء اليمن ومشايخها، المشاركين فى المؤتمر الشعبى بمدينة خمر . وقد اختتم الزبيرى رسالته بهذه العبارات الحادة :

– منحكم الشعب هذا المنصب العظيم والشرف الكبير والأمانة العظمى بناء على أنكم مـــن الثوار الأحرار، وأنكم ضد الفردية والاستبداد : فكان المنتظر منكم أن تكتفوا بالرئاسة الرمـــزية ، وأن تبـــتعدوا عن الاحتكاك بالمشاكل وتتركوا الشعب يختار له على الأقل رئيساً لـــلوزراء يتحمل المسئولية وأنتم مصانون عن النقد، ولكنكم أخذتم الرئاسة والسيادة كلها ، ثم تدخلـــتم فى كـــل صغيرة وكبيرة، ودخلتم فى خصومات شخصية ونفيتم من البلاد رجالاً صالحين ، وسجنتم آخرين ، وسرتم فى الطريق الإمامي، حتى كأن النظام الجمهورى لم يغير إلا الملابس والألفاظ .

– اســتخدمتم وسيلة التفرقة بين المواطنين وأثرتم فتنة الفرقة الشافعية والزيدية بشكل صريح واضح ، وهذا ما لم يــجرؤ الإمام أحمد أن يفعله ، ولم تكتفوا بذلك بل أخذتم تثيرون الخصومات بين كل الفئات بين المدنيين والعسكريين والقبائل، وكلما اجتمعتم بفئة لعنتم أختها حتى انكشف الأمر للجميع فى مدة قصيرة .

– أهنــتم شرف الشعب بتذللكم لأصغر المسئولين المصريين وتنازلتم عن حقوق الدولة لهم وشجعتموهم على حكم المناطق والســيطرة عليها دون أن تشـــاوروا أحداً .. تركتم لهم التصـــرف بكـــل شئون الحرب دون مشاركة اليمنيين فوقعوا فى الأخـــطاء لجهلهم بالبلاد ، وبذلـــك صـــار المتمردون يعتقدون أن اليمن لم تعد لأهـــلها، بل صار العالم كله يعرف أن اليمنيين لا وجود لهم ، وأن الجمهورية ليست إلا شخصاً اسمه السلال وحفنة من الرجال معه يعيشون جميعاً فى حماية الدبابات العربية . " (٧٣)

مـــن الملاحـــظ أن هذه الوثيقة كانت تحوى عبارات لاذعة ، يشتم منها رائحة التحدى لـــنظام السلال والقيادة المصرية . ففى حين كانت المعارضة تناشد الرئيس السلال الاستجابة لمـــنطق العقل والحكمة السماح لممثلى الشعب – أهل الحل والعقد – قول كلمتهم فى مسألة أزمة الحرب، كانت تطلب المساندة من جهات إقليمية – السعودية – لطرد المحتلين المصريين . كمـــا نجدهـــا تـــتعاون ســـراً وتلتقى علناً بأقطاب المعارضة الملكية فى الداخل (لقاء كرش مـــع القاضـــى أحمد السياغى) ، والخارج (لقاء أركويت بوزير الخارجية الملكى السيد أحمد الشـــامى) . (٧٤) وقـــد أكد الزبيرى نفسه للسفراء العرب المقيمين بصنعاء ، وعلى رأسهم الســـفير العـــراقى ، حرص المعارضة على الوصول إلى تسوية سلمية مع القبائل المتمردة على الـــنظام الجمهورى ، لولا عناد السلال وأنصاره " الذين يختلقون الفتن الخطيرة .. متجاهلين الوجود الرسمى والشعبى معاً .. " (٧٥)

وفى إطـــار ملاحظاتـــه الـــنقدية الموجهة للحكومة ، اعتبر الزبيرى نظام السلال مصدر المشـــكلة ، وعلـــتها السياســـية تكمن فى التدخل المصرى السافر فى شئون اليمن الداخلية . فالسياسة الرامية إلى حسم الصراع عسكرياً لصالح النظام الجمهورى ، أوقع الحكومة فى أخطاء فادحة ، منها تلك الممارسات الخاطئة للقيادات العسكرية فى أنحاء متفرقة من المنطقة الشمالية ، ممـــا ســـاهم فى تعميـــق الهوة بين السكان والحكومة . فالقيادة اليمنية لم تعد قادرة على تحمل المســـئولية ، لأنها أصبحت تقع تحت الحماية المصرية ، وقد ذكر السلال أن تمادى الحكومة فى

تغذية النـــزعات الطائفية ، لا تخدم مصلحة الوطن العليا ، وسيكون أكثر المتضررين منها من يحرض على إحيائها ؛ وهذا الفعل سوف يدفع بالطرف الآخر المتضرر من جراء هذه السياسة إلى طلب الدعم الخارجي للخروج من المأزق .

لقد أمسك نظام السلال حتى الآن بزمام المبادرة ، فالنظام الجمهورى لم يكن مجرد شعاراً، بل واقعاً سياسى واجتماعى واقتصادى يختلف تماماً عن واقع الماضى الملكى . وحدث أن أشاد بهـــذا الـــدور القومى العربى لجيش الجمهورية العربية المتحدة الداعم للثورة اليمنية ونظامها الجمهـــورى . ولعل النظام السياسى الذى أقامه المصريون فى اليمن كان ضرورة سياسية تقوم على دمج نخب المجتمع اليمنى المنقسمة على نفسها مذهبياً ومناطقياً فى إطار سياسى عرف باسم الجمهوريـــة العـــربية اليمـــنية . لكن هذا النظام السياسى الذى أشرفت على تنظيمه أجهزة المخابـــرات المصـــرية أصـــبح ولائه موزعاً بين القيادة العسكرية اليمنية ممثلة بشخص رئيس الجمهورية (السلال) من جهة ، والمعارضة الجمهورية للوجود المصرى ، ممثلة بشخص زعيم حزب الله (الزبيرى) من جهة أخرى . لهذه الأسباب كانت الظروف مواتية بعد قيام الثورة مباشرة لظهور سلطة عسكرية مطلقة يتربع قمتها الضباط على نمط الثورة المصرية .

كـــانت ملابسات العلاقة الشائكة بين السلطة العسكرية القائمة فى صنعاء ، والمعارضة الجمهوريـــة المنشـــقة عن النظام ذاته ، التى عرفت نفسها أولاً باسم حزب الله وكتلة خمر ، ثم أعادت تعريف نفسها باسم القوى الثالثة . ويؤكد ذلك إدجار أوبالانس بقوله : " .. أن ما يزيد على ألف شخص غادروا صنعاء منذ عودة السلال – انظم معظمهم فيما عدا أقلية نادرة إلى حركة مقاومة المنشقين الجمهوريين التى أصبح يشار إليها الآن علانية باعتبارها (قوة ثالثة) . وكان يقود تلك القوة الشيخ عبد الله الأحمر – الذى آوى وأعان جماعة من بين أنصار حسين العمرى كانوا يحاولون إقامة نظام يعارض كلاً من الملكيين والسلال ، وقد أصبح عبد الناصر أكثر اهتماماً بهذه (القوة الثالثة) التى كانت تعمل من مدينة خمر فى منطقة حاشد – وتبعد عن ما يزيد على ستين ميلاً شمال صنعاء – وأمر قواته العسكرية الأساسية باصطياد أكبر عدد ممكن من شخصياتها البارزة فى حين تولت قواته الجوية قصف المنطقة بالقنابل . " (٧٦)

كان القضاة القحطانيون فى مقدمة فقهاء الزيدية الذين تصدو بقوة للمؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، على اعتبار أن الولاية العامة ليست من اختصاص رئيس الجمهورية ، بل هـــى مـــن صلب السياسة العامة التى يرسمها أهل الحل والعقد طبقاً لقانون الشرع . وعارض

معظمهـــم سياسة الدولة، فى محاولتها الرامية إلى تحجيم دورهم فى الحياة السياسية وحصرها فى حـــدود ولاية القضاء والفتيا والإشراف على الأوقاف والوصايا والمعاهد الدينية ، وقد اعتبر الـــزبيرى هذه السياسة – فرق تسد – لعبة قديمة مارسها الأئمة الحكام ، وكان من نتائجها تقســيم الـــيمن إلى شطرين ، لاسيما بعد عقد صلح دعان ١٩١١ بين الإمام يحيى والدولة العـــثمانية . ففـــى هـــذا الصلح حصل الإمام يحيى على وضع خاص اعترفت بموجبه الإدارة العـــثمانية بزعامـــته على بلاد اليمن الأعلى . (٧٧) وكانت الأطر التى رسمها هذا الصلح قد مهدت الطريق لظهور ما يسمى بالمملكة المتوكلية اليمانية ، فى حين ظلت عدن ومحمياتها التسع ترزح تحت إدارة الاحتلال البريطانى . (٧٨)

وكنتـــيجة لكثافة الضغوط السياسية والعسكرية على السلطات الجمهورية فى صنعاء ، لم يعـــد الســـلال ووزراءه قادرين على اتخاذ القرار المناسب ، للتسليم بمطالب المعارضة بعقد مؤتمر شعبى موسع تشارك فيه كافة الأطراف المعنية بالصراع فى الساحة اليمنية . وقد داومت إذاعـــة صنعاء دعوتها الشعب اليمنى التمسك بالنظام الجمهورى ، ورفض كل حلول التسوية الانهـــزامية . وفى حين كان رئيس الجمهورية يلوح للمعارضة بإمكانية قبول مقترحاتها، لم يخف دهشـــته وسخريته من أولئك الفقهاء الذين تمادوا فى انتقاداتهم لمسلكية القيادة العربية المصرية العســـكرية ، وهـــم عاجزون عن الدفاع عن بيوتهم داخل مدينة صنعاء التى تعرضت بعضها للنســـف بالألغام من قبل عناصر الطابور الخامس . والمقصود بذلك منـــزل القاضى عبد الله المجـــاهد الشماحى ، الكائن بحى بئر العزب ، القريب من مقر القصر الجمهورى ، حيث فجر الطابق العلوى بعبوة ناسفة . (٧٩)

أمـــا عـــن الشـــكوك المثارة حول أقطاب المعارضة فى كل من مدينة صنعاء وخمر ، فقد وضـــحت بعـــض ملابســـاتها تلك البرقية التى بعث بها الشيخ عبد الله الأحمر وزير الداخلية إلى مشايخ البيضاء فى ١٣ إبريل ١٩٦٥ ، يطلب منهم التعبئة العامة ضد العناصر المندسة فى الصف الجمهورى، وتغيير جهاز الحكم الحالى فى صنعاء. وفى برقية مماثلة وجهها للسلال، هدد الأحمر بأن قبائل حاشد سوف تستولى على العاصمة صنعاء ، فى حال رفض الحكومة الاستجابة لمطالب المعارضة . لكن الرد عليها جاء ملتوياً ، بل ومغايراً للواقع ، فى برقية بعث بها الرئيس السلال للرد على استفسار الشيخ (سالم عبد القوى الحميقانى)، هذا نصها : " حفظكم الله ، الغـــرض من المؤتمر هو للأخذ بدماء الشهداء ، وعلى رأسهم القاضى محمد محمود الزبيرى ،

وتصفية بلادنا من بقايا المرتزقة وأعداء البلاد . ونحن الآن فى تفاهم مع الإخوان تام ، ومهمة الجميع وقصدهم هو العدو أولاً . " (٨٠)

لا نعــرف على وجه الدقة من هم " المرتزقة " ، الذين تشير لهم برقية رئيس الجمهورية، وإن كـــان المقصود بها على وجه التقريب لا التحديد ، كل العناصر المخربة التى تلقت المال والســـلاح مـــن الخارج لمحاربة النظام الجمهورى . غير أننا نعتقد أن أصدقاء الأمس بالنسبة للسلال أصبحوا أعداء اليوم ، أو كما يخبرنا بذلك السطر الأخير من البرقية ، " ونحن الآن فى تفاهم مع الإخوان تام ، ومهمة الجميع وقصدهم هو العدو أولاً . " بالرغم من وضوح المعنى فى سياق البرقية ؛ لكن مهمة تفسيره تصعب فى سياق الصراع على السلطة ، وتظل بالنسبة لنا فى حكم المجهول . فعبارة " الإخوان " ربما يقصد بها السلال جماعة الإخوان المسلمين المنخرطين فى حزب الله وتجمع كتلة خمر ؛ وربما يقصد بها الأخوان العرب – القيادة المصرية ، أى الخبراء والمستشارين المقيمين فى صنعاء . وهكذا فإننا نظل ، نعلم تماماً مغزى عبارة " تفاهم تام " ! إذا كـــان المقصود بذلك المعارضة ، فالتفاهم كان غير موجود ، والعلاقة بين الطرفين وصلت إلى حد القطيعة ، لا سيما بعد عملية اغتيال القاضى الزبيرى .

وبالـــرغم من أن الانقسامات السياسية الحادة كادت تشق الصف الجمهورى شقاً ، فإن قياداتها بزعامة الزبيرى والإريانى والنعمان ، أعربت عن استيائها الشـــديد من مسلكية القيادة المصرية وسياستها المتـــهورة فى اليمن . فالمستشارون العسكريون والخبراء المدنيون المصريون ، كـــانوا يصرون على التدخل فى دقائق وتفاصـــيل الحكـــم فى البلاد دون أى اعتبار للعنصر الوطنى . وكلما ازداد التصعيد العسكرى فى جبهات القتال تطورا ازداد اعتماد نظام السلال على القيادة المصرية . ثم إن المعارضة الجمهورية التى نمت بصورة مضطردة خلال عام ١٩٦٥، كانت ترى أن استمرار الحرب الأهلية فى البلاد ، تشكل العائق الرئيسى فى سبيل التوصل إلى حـــل سلمى للمشكلة اليمنية ، والحل الأمثل لهذه الأزمة ، يكمن فى انسحاب الجيش المصرى من اليمن، وبالتالى تخلى الحكومة السعودية عن تقديم مساعدتها للملكيين. (٨١)

تجمعـــت معظم العناصر الجمهورية المنشقة عن نظام السلال حول زعامة أبى الأحرار ، وذلك بعد استقالة حكومة اللواء العمرى فى ربيع عام ١٩٦٥، وبالذات عقب إعلان الحكومة الموافقـــة عـــلى انعقاد مؤتمر خمر للسلام فى مطلع شهر إبريل فى نفس العام ..وقد جمعت بين صـــفوفها عدد لا بأس به من الساسة المخضرمين ، الذين شاركوا فى أحداث حركة ١٩٤٨

الدستورية ، وانقلاب مارس ١٩٥٥ ، ونشاطات الاتحاد اليمنى ، وكانوا ينادون بتحسين العلاقات السياسية مع المملكة العربية السعودية . ولم يرددوا مثل تلك الشعارات المرفوعة " الجمهورية أو الموت " مطلقاً ، اعتقاداً منهم بأنها ستزيد من مكاسب القوى الجديدة ، التى أخذت تتطلع قيادتها الشابة إلى لعب دوراً أساسى فى الحياة السياسية.(٨٢) ولكن يهمنا فى هذا السياق أن نعرف إذا كان تعريف الطيب لحزب الله يعنى لديه إطاراً سياسياً دينياً منظماً ، ينطبق أيضاً عليه تجمع كتلة خمر وثيق الصلة بالمعارضة القبلية. فالمعارضة للسلطة من داخلها ، هى مصدر وموضع للتفكير لإعادة النظر كلية بصيغة النظام الجمهورى ، والخروج عن النظام الجمهورى هو شروع فى إعداد الأرضية المناسبة لقيام مشروع دولة اليمن الإسلامية .

يبقى السؤال الأهم فى هذه الدراسة ما هو فيصل التفريق عند زعامة حزب الله بين حالتى الصمت والسكوت المطبق فى صنعاء وبين الخروج ومواجهة الموت فى جبل برط ؟ فشتان ما بين الموقفين : الولوج فى صلب السلطة ونهج المعارضة للنظام الجمهورى ، وبين الثورة والهياج والاندفاع والدخول فى مواجهة مكشوفة مع المؤسسة العسكرية الحاكمة .

الخروج (٨٣) :

كان لقرار القاضى الزبيرى الخروج من مدينة صنعاء مغاضباً إلى مدينة ريدة الواقعة فى سفح جبل برط فى شهر رمضان الكريم عام ١٣٨٥هـ ، أثره البالغ فى تغيير موقفه السياسى بشكل ملحوظ من مؤيد للنظام الجمهورى ، إلى داعٍ متحمس لمشروع دولة اليمن الإسلامية . على إثر ذلك، تفجر الصراع على السلطة بين القادة الجمهوريين ، نظراً لعدم التزام السلال بقواعد اللعبة السياسية المتعارف عليها داخل صفوف حركة الأحرار اليمنيين منذ عام ١٩٤٨ . وكان الساسة المدنيون محقين فى مخاوفهم بشأن تفرد السلال بالسلطة والحكم، لا سيما بعد تفكك تنظيم الاتحاد اليمنى وحظر نشاطه بعد عام ١٩٦٢. وساد اعتقاد لدى الحكومة أنه بمقدورها تطهير الإدارة من كل الخصوم السياسيين الذين ساهموا فى وقائع المؤتمرات الشعبية المناهضة للحكم العسكرى ، كما يذهب الطيب إلى ذلك . (٨٤) فالسكوت عن ممارسات القيادتين اليمنية والمصرية كان يعنى التسليم بالأمر الواقع ، والمعارضة للسلطة من داخلها كان يعنى من ناحية أخرى حدوث شقاق مع المشاركين الجدد ، الذين نعتوا بـ " السلاليين " . وكان الزبيرى يمثل رأس الحربة للجناح المدنى المنشق عن نظام السلال، على وعى كامل

بحاجـات النظام الجمهورى إلى إصلاح سياسى شامل؛ لكنه أخطأ خطأً فادحاً فى تبرير أسباب الخروج ودوافعه .(٨٥)

أثـار هـذا الموقف – الخروج – لغطاً فى أجواء صنعاء الثورة والجمهورية ، وردة فعل مجـلس قيـادة الـثورة . حيـث أفصح الزبيرى فى بيان الخروج عن موقف جديد فى غاياته ومنطلقاته وطريقته فى عرض القضايا المستجدة فى الساحة اليمنية ، موضحاً أسباب (الخروج) بقوله : " فى أول يوم من أيام الشهر الكريم [عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م] والأحداث الدامية فى أنحاء اليمن تهز ضمائرنا خرجنا من صنعاء متجهين إلى الله ، لائذين به أن يأخذ بأيدينا ، وأن يـنقذ شـعبنا من الظلم والفوضى والرعب والحرب والدمار .. ما خرجنا من صنعاء لطلب وظيفة ولا منصب ، فإننا تركنا المناصب فى صنعاء ورفضناها .. ولا خرجنا نطلب مالاً فنحن طوال أعمارنا لم نكسب مالاً ولا متاعاً ..ولا خرجنا نبتغى جاهاً ولا شهرة، فنحن بحمد الله فى غـنى عـن ذلـك، على أن الجاه لا يطلب فى القرية ، وإنما يطلب فى المدن الكبرى .. ولا خرجـنا خـائفين من بطش فنحن بفضل الله وفضل تأييد الشعب فى مناعة وحصانة أينما كنا .. " (٨٦)

فى ضوء هذا الاقتران بين الدعوة الإصلاحية والخروج (الثورة) ، نفهم عبارة الزبيرى "ما خرجنا من صنعاء لطلب وظيفة ولا منصب" وإنما "خرجنا من صنعاء متجهين إلى الله..أن ينقذ شعبنا من الظلم" . وضحت ملاحظات القاضى المدونة فى برنامج حزب الله مغزى الخروج عن السلطة .(٨٧) غير أن إدخال الزبيرى لهذا المصطلح فى البرنامج السياسى للحزب لم يخرجه عـن كونه فقهياً معارضاً للمؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء يدافع عن الشريعة الغائبة ، وأنه فى مقدوره تفسير النظام الجمهورى وفق توجه دينى قبلي. ولم تتمكن جماعة حزب الله فى اليمن من مد نفوذها خارج إطار تحالف قبائل حاشد وبكيل ، فمثلث صنعاء ، عمران ، خمر ، المجـال الحيـوى لنشـاطها السياسى . ورغم أن زعامتها كانت تطمح لتأليب الشعب حول بـرامجها ، لم تفلح لأن معظم سكان اليمن كانوا قد أعلنوا تأييدهم المطلق للنظام الجمهورى . وأفـاد أحـد رجال حركة ١٩٤٨ الدستورية فى إجابة حررها للمؤلف حول " عدم إمكانية سمـاح الحكومـة فى ذلك الظرف الدقيق الذى تمر به البلاد بقيام حزب إسلامى يحمل اسم الله أو اسـم الشـيطان ، فذلـك فى نظرها ، كان يعد ضرباً من الكفر ، بل والخيانة لمبادئ الثورة .. " (٨٨)

علـى صـعيد آخـر ، تعكس هذه الملاحظات ولو بشكل خفى انتقاداً مباشراً لزعامة المعارضـة ، والانتقاد هنا يعنى أن دعوة حزب الله كانت خروجاً عن الشرعية السياسية ، بل وخروجاً عن الثوابت الوطنية . فالخلل السياسى الذى أوصل المشير السلال لقمة السلطة قد ابـتدئ بخلل فى فهم ماهية النظام الجمهورى وإساءة تفسير أهداف الثورة ومبادئها . وبالطبع يرفض الزبيرى الأخذ بالنموذج المصرى فى السياسية اليمنية ، نظراً لأن القوانين الحديثة المطبقة فى العهـد الجمهـورى الجديد لا تمت بصلة إلى روح الشريعة الإسلامية ؛ فهو بدوره ينتقد المحاكمـات السرية والأحكام الصادرة فى حق أعداء الثورة : " هذه القوانين ليست جمهورية ولا ثورية .. ولا إسلامية .. ولا يمنية .. هذه القوانين خيانة للحرية والأحرار .. وغدر بأرواح الشهداء والأبرار.. هذه القوانين إلغاء لكل مبادئ الثورة ومكاسبها ومبرراتها .. " (٨٩)

وفى ضـوء هـاتين الخاصيتين الأساسيتين – الدعوة والخروج – تتكشف أمامنا الأهمية البالغة للموقف العقائدى فى تفسير ظاهرة حزب الله فى العهد الجمهوري، وفهم ديناميكية تيار القحطانية المتمثلة فى ظاهرة وصاية الفقيه المحتسب ، باعتبارهما ظاهرتين سياسيتين متلازمتين فى الحياة السياسية والثقافية فى اليمن المعاصر.(٩٠) فبعد قيام النظام الجمهورى بعام تقريباً، شكلت عناصر الاتحاد اليمنى المنحل تكتلاً سياسى حول زعامة القاضى الزبيرى فى مؤتمر عمران . وقد اتخـذ هـذا الحزب المعارض للسلطة من داخلها قرارات وتوصيات تطالب الحكومة بإحلال السلام محل الحرب ؛ وبالتالى توسيع قاعدة الحكم عملاً بمبدأ الشورى والدستور . وكان هذا الـتجمع السياسى يدرك أن فرصة مشاركته فى السلطة محدودة للغاية ، بحكم التجربة المريرة التى عاشتها عناصره فى القاهرة خلال عقد الخمسينيات . وكان التسليم بنظام السلال وعدم معارضته بالنسبة لهم ، يعنى قبول الوجود المصرى كحقيقة واقعة . وبناء عليه ، وفرت الحرب الأهـلية إمكانية استغلال ثقله السياسى فى تحريك المعارضة القبلية بشكل فاعل ضد الوجود المصرى فى البلاد .

لم يكـن الأمر يتعلق بإزاحة السلال أو البيضانى من السلطة ، بقدر ما كان يتعلق بإنهاء الوجود المصرى فى اليمن ، بخلاف ذلك الموقف المؤيد للدور المصرى الذى أتخذه معظم الساسة المدنيين والعسكريين الجمهوريين . وقد سمح لنفس الجماعة – حزب الله وكتلة خمر – المشاركة فى السلطة فى نطاق ضيق لم ينسجم مع طموحاتهم . ففى مقابل احتكار السلطة والثروة من قبل سـلالة أو أسـرة بعيـنها فى عهد الإمامة ، توسعت دائرة المشاركة فى عهد السلال لتشمل قطاعـات واسعة من فئات الشعب اليمنى . وفى مقابل الحكم الثيوقراطى الإمامى الاستبدادى

وضـــع الحكم الجمهورى الرئاسى العسكرى . وفى مقابل التشيع المذهبى ، والعرقية العنصرية المرتكزة على مقولة الفضل والشرف ، افرز النظام الجمهورى مراكز قوى جديدة تولدت من أحشاء القديم ، الذى كرس بدوره تلك التوجهات القبلية والطائفية المناطقية والحزبية الضيقة ، فى مجمـــل صراعه من أجل السلطة ، ومن أجل تأكيد الذات اليمنية المسلوبة فى ظل الوجود المصرى .

ولمـــا كانت مؤسسات الدولة الحديثة العهد مركز استقطاب القوى الجديدة ، فإن هذا التحول أثار مخاوف القديم ، الذى أبدى قلقه العميق من التزايد المستمر لهذا الاختراق ، حيث لم يصـــبح مجال للمناقشة . واحتجاج على ذلك قدم الزبيرى استقالته من منصب الوزارى فى حكومـــة اللواء حمود الجائفى ، فى مطلع عام ١٩٦٥ ، ليتولى الأمانة العامة لحزب الله ، الذى أشرف على تنظيمه جماعة من العلماء ، من أمثال عبد المجيد الزندانى وعبد الملك الطيب وعبده محمـــد المخلافى . [٩١] فبالرغم من إعلان الزبيرى انشقاق حزبه عن نظام السلال، ظل يردد باســـتمرار تمســـكه المـــبدئى بالنظام الجمهورى من جهة ، ومحاولة تصحيح مسار الثورة من الانحراف من جهة ثانية . حيث قال: "ولا خرجنا لإثارة الحرب على الجمهورية ، فالجمهورية هـــى حياتـــنا وهى مصيرنا .. وإنما خرجنا إلى الشعب ، ومنها نحاول إنقاذ البلاد من الانهيار والدمـــار .. خرجـــنا ونحـــن نعرف إن الجهاز الحكومى فى صنعاء جهاز فاسد يجب إصلاحه وتطهـــيره ، فـــان بقاء الجهاز الحكومى فاسداً يقوى الملكية ويزيد من الفتنة والظلم والظلام والحرب والخراب ، لاسيما أن شعبنا يرفض الحكم العسكرى رفضاً حاسماً ومستميتا . " [٩٢]

ففككت الثورة اليمنية فى عهد السلال عرى عصبية النخب القديمة (السادة والقضاة)، وجـــاءت بقوى جديدة (الضباط والتجار والمثقفين) إلى قمة السلطة . وبالرغم من أن فترة الحـــرب الأهلية ، تعد من أكثر الفترات الحرجة فى تاريخ اليمن المعاصر على الإطلاق، إلا أن موقـــف النخب القديمة من النظام الجمهورى لم يكن قد اتضح بعد بدرجة كافية . ويبدو أن بعض عشائر حاشد التى لبت نداء الجمهورية ، اعتبرت نداء الجهاد الموجه ضد الملكية (بيت حميـــد الدين)، بمثابة ثأر مباشر لمقتل الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد – على يد الإمام أحمد . وكانت دعوة الزبيرى إلى إقامة حكومة شعبية ، تعبر عن رفضه المطلق لنظام السلال ، كما عبر فى إحـــدى رســـائله الموجهة إلى أحد الاتباع والمريدين (العقيد عبد الله بركات) ، بقوله : " يـــا فخـــرى ، إن الســـبب فى رفعـــنا الشعار رفض الحكم العسكرى ، هو إقناع القبائل

بـأن الجمهورية ليســت هي الحكم العسكرى ، كما يدعى بيت حميد الدين ، بل هي شيء آخر . " (٩٣)

إذن مــا هي الجمهورية ، الحكم الشعبي (القبلي) ، أم الدعوة إلى مشروع دولة اليمن الإسلامية ؟ بهذا الطرح تبدو عقيدة المعارضة تكمله للخط المعادى ليس للعسكريين فحسب ، بل للنظام الجمهورى ذاته . ففي فكر الزبيرى ، عدو الأمة اليمنية متلبس لباس عقيدة القومية العــربية الناصــرية ، فحاول بناء قاعدة سياسية ذات توجهات دينية مذهبية (حزب الله) ، أو قبــلية جهوية (كتلة خمر) ، قادرة علي مواجهته في الساحة اليمنية . وقصيدة (القانون والفرس والميدان) تعبر أصدق تعبير عن حتمية المواجهة بين الفقيه والسلطان .

لم يشــتهر الزبيرى بمعارضته الصريحة للنظام الملكي (الامامى) فحسـب ، بل لعله كان اكــثر القادة الجمهوريين من الساسة المخضرمين شــهرة لكونه تحدى الدور المصرى في اليمن علانية ، وهو بهذا يتحدى زعامة القائد العربي الراحل جمال عبد الناصر، الذى احتضن عناصر الاتحــاد الــيمنى لــزمن طويل . وقيل إن الزبيرى أصبح يشارك عبد الناصر تصوراته حول حــركات التحرر الوطنى في العالم العربي . وعندما طلب إمام اليمن أحمد حميد الدين الانضمام إلى الوحــدة الســورية المصرية ، ناشده القاضى عدم السماح للرجعية العربية بالاندساس في صــفوف الوحدويــين ، لكــى لا تدنس تجربة الجمهورية العربية المتحدة ، وتفقد طهارتها الثورية .(٩٤) هكذا ظلت العلاقات بين زعامة الاتحاد اليمنى والقيادة المصرية مبنية على ثوابت مبدئية ، وإن كان محاورو الزبيرى والنعمان في القاهرة في الغالب ضباطاً عسكريين ينــزعون في سلوكهم إلى التعالى والاحتقار لمن دونهم من زعماء الأحزاب والتنظيمات السياسية المحظور نشاطها في مصر .

رغــم ذلــك الموقف المعادى للأحزاب والتنظيمات السياسية ولا سيما تنظيم الإخوان المسلمين ، إلا أن القيادة المصرية سمحت لزعامة الاتحاد اليمنى بالانطلاق من القاهرة باعتبارها قــاعدة العمل الثورى في المنطقة . وقد استوعب الزبيرى هذا الدرس في تلك الحقبة ، إلا أن بعــض آراءه السياســية وخواطره النظرية بدأت تتبدل في بداية عقد الستينيات ، فور عودته مباشــرة إلى صنعاء اليمن بعد قيام الثورة ، حيث عين للتو وزيراً للمعارف وعضواً في المكتب السياســى . ولم تمضى بضعة شهور على توليه هذين المنصبين حتى اظهر معارضته ليس لنظام الســلال فحســب ، بــل وللوجود المصرى برمته . فالثورة والجمهورية لم تعد نقطة انطلاق

فى فكره ، حيث أخذت مواقفه السياسية تتأرجح بين مفهوم حزب الله وحاكميته ، ومشروع دولة اليمن الإسلامية ومضامينها ، باعتبارهما البديل الأمثل للنظامين الملكى الاستبدادى والجمهورى العسكرى .

وكان محمد عبد السلام محقاً فى تأكيده بالقول إن الزبيرى خلال أعوام ١٩٦٢ – ١٩٦٥ ، غير آراءه ومواقفه بزاوية حادة أدهشت أصدقاءه قبل أعدائه ، عندما " .. كف عن أن يرى الوشائج التى تربطه باليمن الجديد . "[٩٥] ولم يكن اعتراض الحكومة على جهوده الرامية إلى إحلال السلام فى ربوع اليمن ، ولكن على سوء تقديره للدور المصرى الداعم للثورة اليمنية ونظامها الجمهورى ، مما ترك لديه انطباعاً بأنه لم يعد تربطه بالنظام أى رابطة . كذلك تسمية حزب الله أثارت شكوك القيادتين اليمنية والمصرية ، بسبب تحركات زعامته المريبة فى أوساط القبائل المتمردة ، التى أبدت استجابة ملموسة لمشروع دولة اليمن الإسلامية.[٩٦] رغم ذلك ظلت الحكومة تراقب نشاطات المعارضة عن كثب وبحذر، مما دفع حزب الله إلى الانكسار تحت تأثير ثقله . وظلت مواقف زعامته ، ممثلة بالقاضيين الزبيرى والإريانى ، والشيخين النعمان والأحمر ، تتسم بالازدواجية كما يتبين ذلك من خلال قنوات الاتصال التى أقامتها مع السلطة الجمهورية من جهة ، والمعارضة الملكية من جهة أخرى ، تحديداً منذ مؤتمر أركويت عام ١٩٦٤ ، ولقاء الطائف عام ١٩٦٥ .[٩٧]

كان الزبيرى بحكم إقامته الطويلة فى القاهرة ، نحو عقد من الزمان ، منذ اندلاع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ المصرية حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ اليمنية ، قد تحول من معارض لسياسة مصر الملكية تجاه حركة الأحرار اليمنيين ، إلى مؤيد لسياسة عبد الناصر تجاه قضايا التحرر العربى ، وعلى وجه الخصوص قضية اليمن . وهذه المسألة " مشكلة اليمن الكبرى " ، أشار إليها القاضى فى كتابه الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، بأنها ستظل أهم القضايا المستعصية فى السياسة العربية المعاصرة ، ما لم تحل بصورة عادلة .[٩٨] لكنه طوال مدة إقامته بالقاهرة فقد صلاته بواقع الحال فى اليمن ، حتى علاقاته بأقرب المقربين إليه الشيخ أحمد نعمان أوصلتها النزاعات القديمة إلى حد القطيعة والمفارقة.[٩٩] لكن رغم ذلك كله ، ظلت شاعريته السياسية قائمة يسمعها الناس عبر مذياع صوت العرب من القاهرة، وقصائده النارية المحرضة على الثورة ضد الأئمة الحكام.

وقــد اكتســبت هذه العلاقة المتوترة بين القادة الجمهوريين المدنيين والعسكريين أهمية إضافية خلال السنوات الأولى من عمر الثورة اليمنية ، حيث أصبحت هذه العلاقة أكثر توتراً بســبب التصعيد العسكرى ، فأعطت الفرصة لانشقاق سياسى خطير فى الصف الجمهورى ، الــذى كــان يفترض أن يحافظ على وحدته . ففى ربيع عام ١٩٦٥ على وجــه التقريب ، انشــقت مجموعــة صغيرة من القيادات الجمهورية المحافظة بزعامة الإريانى والنعمان وشكلت تجمعاً رئيسياً معارضاً لنظام السلال ، عرف باسم كتلة خمر ، باعتباره حلقة مكملة لحزب الله . [١٠٠] وقد حدث الانشقاق حول ثلاث مسائل رئيسة : السلام، والمصالحة الوطنية ، والحكم المــدنى . فقــد فعلوا ما كان متوقعاً منهم واتجهوا إلى المعارضة الملكية بزعامة أسرة الوزير ، وكونوا جبهة متحدة ضد النظامين الملكى والجمهورى ، وحاولوا تقوية موقفهم بحث الحكومة السعودية على التدخل لإنقاذ الموقف فى اليمن ؛ عندما سمح السلال للمعارضة بتشكيل وزارى جديد بزعامة النعمان .

ومثلما ساهم نظام السلال فى إضعاف المعارضة الدينية ، ساهمت القيادة المصرية فى تعزيز دور المؤسســة القبلية فى الحياة السياسية ، من خلال السماح لزعامتها المشاركة فى الحكومة والمكتب السياسى واللجنة المركزية لشئون القبائل . وكانت زعامة حزب الله وكتلة خمر تتطلع لإعادة نفوذ العلماء والمشايخ فى المجلس والحكومة . وبالرغم من أن مجهودات الزبيرى كانت موجهة للوساطة بين القبائل المتحاربة ، فإن رموز المعارضة الدينية والقبلية أعطوا الصراع أفاقاً طائفيــة سياسية ، حيث صورت الجمهورية على أنها مكسباً سياسياً لقطاع معين من السكان دون القطــاع الآخر . وقد أفتى عدد من العلماء بعدم شرعية ولاية السلال ، واعتبر الزبيرى التعاون مع جهاز المخابرات المصرية ضرباً من الخيانة لمبادئ الثورة ودماء الشهداء ، " فحزب الله يرفض أن تحقد طائفة على طائفة ، أو منطقة على أخرى ، أو قبيلة على قبيلة ، لأن الحقد جريمة والتحكم جريمة ، والفرقة الطائفية الإقليمية جريمة .. " [١٠١] وهكذا لم يكن المخرج من هــذه الأزمــة مناسباً لحل الصراعات المتشعبة بين السلطة والمعارضة ، التى كانت كل منهما تتمسك بوجهة نظرها حول الطريقة المثلى لحل المشكلة اليمنية .

وكان الزبيرى قد أعلن منذ انعقاد مؤتمر عمران ، فى مناسبات أخرى موقفه الواضح من القيادة المصرية، كما تعكس ذلك خطاباته السياسية فى مناسبات متعددة . ففى الزيارة التاريخية الــتى قام بها عبد الناصر لليمن فى شهر إبريل١٩٦٤، كان الزبيرى فى مقدمة المستقبلين له،

والمحذريـــن له من خطورة الموقف السياسى فى البلاد، بنبرة لا تخلو من الصـــراحة والشفافية مخاطباً الجماهير المحتشدة بميدان التحرير بمدينة صنعاء ، وبحضور السلال ألقى كلمته الآتية :

" أيهـــا الإخوة الأحرار .. اهدءوا قليلاً .. أيها المواطنون الأحرار ، هذا عيدكم ، هذا زعيمكم ، هذه ثورتكم ، هذه مبادئكم .. (هذه روحه وهذه جنوده ---- فليحاذر من بشر يـــريده) نعـــم ، هذه روح الروح التاريخية ، الروح المنحدرة من السماء إلينا جميعاً ، روح امـــتدت من السماء وأثرت فى حياتنا منذ القدم ، منذ جذور ثورتنا الأولى ، ثورتنا فى اليمن ، وثورتنا فى الجمهورية العربية المتحدة، جذورها ، جذورها ترتد بنا إلى الثورة الإسلامية الكبرى التى أشار إليها زعيمنا ورائد أمتنا العربية الرئيس عبد الناصر . "

ولـــا تطرق فى خطابه إلى الظرف الدقيق الذى تمر به البلاد ، ارتجل الزبيرى كلمته أمام عـــبد الناصـــر ، فعـــبر عما يجيش فى صدره من غصة ومرارة ولدتها تجربته الطويلة مع الحكم العســـكرى ليس فى مصر الناصرية – مرحلة الاتحاد اليمنى – ، بل فى يمن السلال، فها هو ذا يخـــاطب عـــبد الناصر بنبرة لا تـــقل حدة عن مخاطبته السلال ، من ذلك مثلاً قوله : " أيها الإخـــوة الأبرار، إن جمال عبد الناصر معنا هنا، أنت هنا يا عبد الناصر ليس بأمرك ولا بأمرنا ولكنك هنا بأمر الله سبحانه وتعالى ، أنت هنا لأنك رمز لمبادئنا .. لست جباراً ، ولست طاغية محـــتلاً ، ولا تمـــثل القـــوة ولا المدفـــع ، ولكنك تمثل المبادئ ، وتمثل الضمائر . أنت هنا يا عبد الناصر لأن الله سبحانه وتعالى أرادك أن تكون هنا .. يا عبد الناصر أنت هنا بأمر الله لأننا شعب يؤمن بالله ، شعب يؤمن بمبادئ الإسلام ، وبكتاب الله وبسنة رسول الله .. " (١٠٢)

لم يفلح الزبيرى بخطاباته العاطفية فى إقناع عبد الناصر فى تغيير سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه المشكلة اليمنية. فقد كان الرئيس المصرى لا يثق بالقاضى ويخشاه ، باعتباره زعيماً ديـــنياً تربطه صلات حميمة بتنظيم الإخوان المسلمين المحظور نشاطه فى مصر . (١٠٣) وفى صدد مشـــكلة القبائل اليمنية المتمردة على النظام الجمهورى ، لم يكن موقف القيادة المصرية يختلف كـــثيراً عن موقف القيادة اليمنية، نظراً لاعتقادهما أن الحل العسكري، هو الخيار الأمثل لحل الأزمة . وقد عبر عبد الناصر عن السياسة المصرية المرسومة فى جنوب شبه الجزيرة العربية فى خطابـــه الـــتاريخى فى ميدان الشهداء بمدينة تعز ، فى ٢٥ إبريل من عام ١٩٦٤ ، حيث قال كلمته : " .. إن بريطانيا لابد وأن تجلو من عدن .. إن كلاً من عدن والجنوب أرض عربية .. إن بريطانيا التى تنظر إلى ثورتكم بكراهية وحقد يجب أن تحمل عصاها على كتفها وترحل من

عـــدن ، إنـــنا نعاهد الله على هذه الأرض المقدسة أن تطرد بريطانيا من كل جزء من الوطن العـــربي . ولقـــد بذلـــنا الدماء وضحينا بالأرواح وحققنا النصر ، وسنبذل الدماء ونضحى بالأرواح ونحقق النصر كما حققناه فى مصر واليمن . " (١٠٤)

جـــاء عبد الناصر إلى اليمن للإطلاع عن كثب على الأوضاع السياسية فى جنوب شبه الجزيرة ، وكان نصب عينيه نقل المعركة ضد الرجعية العربية (سلاطين وأمراء محميات عدن الشـــرقية والغربية) ، وضد الاحتلال البريطانى المتمركز فى قاعدة عدن ، فى حين كان جيشه يخـــوض غمار حرب ظروسة ضد فلول المرتزقة البيض والمتمردين الملكيين فى مرتفعات اليمن الشمالية . لهذا الغرض ، عقد سلسلة من اللقاءات الرسمية والشعبية فى كل من صنعاء وتعز ، حضرها ممثلين عن الشعب من علماء ومشائخ وضباط ومثقفين ، وفيما يتعلق بالدور المصرى المســـاند للثورة اليمنية ، اعتبرها جزء مكمل " لرسالة شعب اليمن الثائر الذى تثقف برسالة محمـــد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وسار بها بين مشارق الأرض ومغاربها ، لينشرها من أجل الدين ، ونجح فى رفع راية الإسلام حتى أتت فترة من الزمن تحكمت فيها بهذه البلاد فئة من الطغاة أرادوا أن يحولوا حريتكم إلى إذلال، وارادوا أن يحولوا كرامتكم وعزتكم إلى تكبيل بالحديد فقاومتم .. " (١٠٥)

إنها تجارب تاريخية لابد أن يستفيد من دراستها أحرار اليمن لنـــزع هالة القداسة الدينية من الأئمة الحكام ، ولتقديم إيضاحات ذات دلالة لمفهومى الثورة والجمهورية . فى حالة ما إذا قـــررت الأطراف المعنية فى الصراع الدائر فى الساحة اليمنية " دعم سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، كما عكستها ثلاث خطط عسكرية : صلاح الدين ، وبدر الكبرى ، وسياسة النفس الطويـــل ، التى سبق وأن أقرها كل من القيادتين السياسية والعسكرية فى القاهرة ، بعد تلك الـــزيارة المفاجـــأة لليمن فى شهر إبريل ١٩٦٤ . " (١٠٦) أما القاضى الزبيرى ، فقد كانت استجابته محدودة لمثل هذه الخطط العسكرية ، التى هى فى نظره لن تجدى فتيلاً فى حل الأزمة فى اليمن ، بقدر ما تصب الزيت فى النار .

باســـم مـــن كـــان يتكلم القاضى الزبيرى ؟ فأفكار حزب الله يتردد صداها فى كتاب (الـــتاريخ يتكلم) ، الذى يحاول المؤلف من خلاله توضيح موقف المعارضة ، لا سيما تنظيم الإخـــوان المســـلمين – فرع اليمن من الثورة اليمنية والنظام الجمهورى ، تحت تأثير احتدام الحـــرب الأهـــلية ، ومضاعفات الصراع المصرى السعودى على الساحة اليمنية . والزبيرى

لا يسعه بالتأكيد إدعاء الكلام باسم جماعة الإخوان المسلمين المحظور نشاطهم في اليمن. (١٠٧) وحتى ندرك الكيفية التي تمت بها ربط الخلافات المزمنة بين تنظيم الإخوان المسلمين بنظام عبد الناصر في مصر ، وانعكاسات هذا الصراع في الساحة اليمنية . فماذا لو أن منهجاً آخر برز لبرنامج حزب الله داخل اليمن ، دعا أمينة العام القاضي الزبيري – إلى التغيير أو الإصلاح هذه المرة من واقع السلطة ، لا سيما أن تحدياً من الخارج هز القناعات لدى جيل عام (١٩٤٨) في شرعية النظام الجمهوري ومصداقيته .

أعتنق الزبيري عقيدة الأحرار اليمنيين التي ظلت عناصرها مرتبطة بوهم الحكومة الدستورية والميثاق الوطني المقدس لعام ١٩٤٨ ، حتى بعد سقوطها ، " .. فكان يوقع رسائله وقصائده من الباكستان والقاهرة هكذا : محمد محمود الزبيري وزير المعارف ، متجاوزاً سابقاً لأن العهد الدستوري ظل نابضاً في وجدانه على امتداد الخمسينيات ، وكأنه لم يسقط ، وإنما أسقطه الشعب لجهله مصالحه والذين يريدون تحقيقها . " (١٠٨) وبعد سلسلة من الانقلابات العسكرية والتمردات القبلية الفاشلة ضد الحكومة الإمامية ، نجح تنظيم الضباط الأحرار الإطاحة بالنظام الملكي وإقامة النظام الجمهوري على أنقاضه . لكن الزبيري رغم تأييده المعلن للنظام الجديد ، كان غير راضياً عن العسكريين الذين اصبحوا في قمة السلطة . وكان يتمنى لو أن الفرصة تتاح له باستعادة تجربة الحكومة الدستورية – مصرع الابتسامة – على أرض الواقع الجديد الجمهوري . ولما عجز عن تحقيق ذلك الحكم الشعبي ، أو اليقين الثوري ، أعلن تنصله عن نظام السلال من خلال محاولته تأسيس حزب الله والدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية .

أصبحت هذه الفكرة صفة ملازمة له حتى بعد إعلان قيام نظام الجمهورية العربية اليمنية، وقد حاول الزبيري التكيف مع الأوضاع المستجدة في الساحة اليمنية دون جدوى . ومثلما حاول أ . ب . سارجنت تقديم تحليل موضوعي لشخصية القاضي الزبيري ، حاول مطهر الإرياني إعادة النظر في تفسير آراء ومواقف الزبيري على أنها نتيجة لنشأته الدينية المحافظة، بل وسلسلة التجارب المريرة التي اعترضت مسار حياته الأدبية والسياسية، موضحاً النقاط التالية :

– " وفي هذه المرحلة جثم على صدر الزبيري حزن عميق للكارثة التي حلت بوطنه وبصفوة أبناءه من رفاقه الأحرار ، فعزف على جيتاره الشعري أشجى النغمات وأبكاها

للعيون ، ولكنه بإيمانه العميق بوطنه وبشعبه بشر بالميلاد الجديد ، واستقطر من وحول اليأس أعذب وأشهى كؤوس الأمل .

– وعـــاد صـــوت الـــزبيرى عالياً مدوياً فى الساحة اليمنية ، وكان لقصائده وكتاباته السياســـية وأحاديثه الإذاعية ، دورها الفعال فى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر – أيلول ١٩٦٢م الخالدة . وفى يوم مهيب عاد الزبيرى إلى صنعاء حيث استقبل استقبالاً شعبياً يليق بمكانته الرفيعة فى كل النفوس والقلوب .

– واخـــتير الزبيرى وزيراً للتربية والتعليم ، وأصبح أيضاً عضواً فى مجلس الرئاسة الذى تشـــكل فـــيما بعد برئاسة المشير السلال رئيس الجمهورية ، وتعين نائباً لرئيس الوزراء حمود الجائفى ، ثم عضواً فى المكتب السياسى ، وزاول الزبيرى عمله بكل إخلاص وحماس ، ووضع لوزارة المعارف دعائمها الجديدة كوزارة للتربية والتعليم ، وشارك فى مختلف أوجه النشاطات الرسمية والشعبية .

– ولكن الذى كان يحز فى نفس الزبيرى ويقلق مشاعره ، ويحتل المساحة الأكبر فى عقله وقلـــبه ، هـــو نشـــوب الحرب الداخلية بين النظام الجديد ، وبين بعض القبائل شمال صنعاء مدفوعين بشيء من رواسب التضليل الإمامى ، وبحوافز أقوى من إغراءات الذهب والأسلحة، وبأساليب المرتزقة الأجانب الذين استعين بهم لتجنيد أمثالهم كما هى العادة فى محاربة كل نظام لا ترضى عنه القوى الرجعية الاستعمارية .

– ويجمـــع كـــل العارفين للزبيرى وكل من كتب عنه ، أنه كان فى نزعته الدينية ومنذ ريعان شبابه متسامياً إلى درجة الصوفية المطلقة . " (١٠٩)

ومن هنا نقول أن محاولة الإريانى تقديم ترجمة ميسرة للقاضى الزبيرى ، لإقناع القراء على التزام خط الإجماع الذى يقره الدارسون والباحثون على سلامة موقفه من النظام الجمهورى ؛ وهـــذا التحليل. من وجهة نظرنا إنما يحمل معنيين : المعنى الأول ، هو أن الزبيرى لم يخرج عـــن الشـــرعية ، وإنما خرج إلى القبائل المتمردة على النظام الجمهورى لإقناعها بالعدول عن مواقفهـــا المبطلة . والمعنى الثانى ، أن الرجل كان ضحية نزعته الدينية المحافظة ، وهو بمعارضته للنظام من داخله ، إنما كان يقع تحت تأثير تلك المؤثرات الصوفية فى مجريات حياته منذ شرخ شبابه حتى لحظة خروجه واستشهاده . ولم يشر الإريانى إلى أن معارضة الزبيرى لنظام السلال وتأسيســـه لحزب الله كان سبباً من جملة أسباب دفعته إلى مزيد من الطموح الشخصى للترقى

فى مناصب الدولة العليا ، بما فى ذلك منصب رئاسة الدولة . وكانت لديه نزعة مكتسبة فى الوصول إلى سدة الحكم ، شأنه فى ذلك شأن العديد من أقرانه القضاة القحطانيين الذين كانوا يتطلعون إلى لعب دور وصاية الفقيه المحتسب ، منذ عهد شيخ الإسلام الشوكانى ، حتى عهد القاضى الإريانى . (١١٠)

يتضح ذلك من أن تسمية جمهورية عربية يمنية ، بالنسبة للمعارضة كان شعاراً سياسياً متعدد المعانى والأغراض والمقاصد ، وبات واضحاً أنها لم تكن ترغب الاستمرار فى تقديم الدعم والتأييد لنظام السلال ومن يقف وراءه . وإذا ما وجد شعور كهذا – حتى قبل الإعلان رسمياً عن حزب الله – ، فإنه لابد من تحليله ضمن منظور قوى المعارضة الجمهورية والملكية ، التى رفعت شعار دولة اليمن الإسلامية . هذا الشعور المعادى للمؤسسة العسكرية داخل صنعاء وخارجها ، كانت تتم ملاحظته وتتبع اتجاهاته واستثماره بشكل جيد من قبل المعارضة الملكية – اتحاد القوى الشعبية . ومن بين الإشاعات التى وظفت لصالح الحملة النفسية ضد المعسكر الجمهورى ، تمهيداً لاختراقه ، ضرورة توحيد الجهود المشتركة من أجل تحرير اليمن من الاحتلال المصرى . (١١١)

وفى هذا الصدد ، لابد من إيضاح نقطتين متلازمتين بالنسبة للسلطة والمعارضة؛ النقطة الأولى ، تتعلق بتلك الإشاعة السياسية التى أطلقتها إذاعة المملكة المتوكلية اليمانية ، على أن دعم الجمهورية العربية المتحدة للثورة اليمنية والنظام الجمهورى ، سوف يتحول بمرور الوقت إلى احتلال عسكرى دائم للبلاد . والمصادر تكشف عن دوافع هذه الإشاعة التى غذتها الدوائر الاستعمارية الإمبريالية والرجعية العربية ، والتى حرصت على تحريض القبائل الملكية المتمردة وتمويلها بالمال والسلاح لضرب الثورة والجمهورية . وكان التوقيت المناسب لهذه الدعاية المعادية للدور المصرى فى اليمن قد تزامن مع زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لليمن فى أواخر شهر إبريل من عام ١٩٦٤ . (١١٢) فى هذا الوقت بالذات ذكرت نشرة الوثائق العربية الصادرة عن الجامعة الأمريكية بيروت ، نداء الزبيرى الموجه لعبد الناصر " .. يناشده فيه بسحب قواته من اليمن ، وهذا النداء فى حد ذاته أكدته مصادر جمهورية موثوقه متواجدة فى بيروت .. " (١١٣)

والنقطة الثانية ، تطرح مخاوف المعارضة من عملية تدويل الصراع الدائر فى اليمن . ويبدو أنها قد عبرت عن مخاوفها إزاء التصعيد العسكرى فى البلاد ، منذ انعقاد مؤتمر عمران،

لكـــنها لم تجـــد الوقت الكافى ولا القوة اللازمة لتعبئة جهودها ضد الوجود المصري. وستتبع عناصـــر الخـــط الصارم الذى يدعو له الزبيرى ، وهو رجل دين متصلب فى مواقفه السياسية تربطه صلات جيده بالمشايخ ، لكنه يفتقر للمال والسلاح الكافى لكسب ولاءهم . ونظراً لأن بؤرة الصراع ظلت قائمة فى المناطق الشمالية ، فى حدود قبيلة حاشد وبكيل ، فقد كان لا بد مـــن تحييـــد هـــذه القبائل المتمردة لصالح المعارضة الدينية والقبلية المتنامية فى صنعاء ومحيطها القبلى . (١١٤) وفى حال تحقق السلام والمصالحة بين القبائل المتحاربة، فإن الزبيرى يحتفظ لنفسه بحـــرية الـــتحرك ضـــد القيادة اليمنية ، وضد القيادة المصرية . وسيتطور تكتيك الدعوة إلى المؤتمـــرات الشـــعبية إلى دعوة إنشاء أحزاب وتنظيمات سياسية، لتشكل جماعة ضاغطة على الســـلطة مـــن الداخـــل ؛ بالإضافة إلى دعوته الجادة لقيام ائتلاف سياسى بين دعاة السلام والمصالحة فى المعسكرين الجمهورى والملكي.

ومـــن هـــاتين النقطتين السابقتين نخرج بالاستنتاجات التالية : كانت المعارضة – الدينية والقبلية – المتنامية داخل الصف الجمهورى ، تريد الحد من نفوذ القيادة المصرية ، والتخلص كـــلية من حكومة السلال العسكرية ، التى رفضت الاستجابة لمطالبها التى جسدتها فى مؤتمر عمـــران فى سبتمبر ١٩٦٣. فبعد إفلاس محادثات أركويت فى أكتوبر ١٩٦٤ ، وعدم توصل الزبيرى إلى نقاط مشتركة لتسوية الأزمة اليمنية مع رموز المعارضة الملكية ، عقد القاضى عزمه عـــلى تطويـــر برامج حزب الله ، والخروج من دائرة السر إلى العلن . كما طرحت المعارضة مســـائل سياســـية اجـــتماعية مهمة ، ذات صلة وثيقة بالتداعيات السياسية للحرب الأهلية فى الـــيمن . فخلال ثلاث سنوات من الحرب الدائرة فى البلاد ، كان الجيش المصرى المرابط فى اليمن قد تكفل بتوفير الحماية اللازمة للنظام الجمهورى ، معتمداً فى تحركاته على وحدات رمـــزية من الجيش اليمنى النظامى جنباً إلى جنب مع الجيش الشعبى . (١١٥) لكن ولاء الجيش الشـــعبى للـــنظام الجمهـــورى كان مشكوكاً فيه، حيث أصبح معروفاً لدى القيادتين المصرية واليمنية أن مشائخ القبائل تربطهم صلات نفعيه بالمعسكر الملكى المعادى، وقيل أن "أمراء بيت حميد الدين يتحركون بحرية فى حدود القبائل الجمهورية والملكية التى توفر لهم الحماية اللازمة مقـــابل الذهب والسلاح .. " (١١٦) وكاتب هذا التقرير من الضباط العسكريين يتساءل عن جـــدوى المـــال الذى تنفقه الخزانة العامة على وزارة شئون القبائل ، إلى حد أن العميد قاسم الصاروخ اقترح على القيادة المصرية قطع الميزانية الخاصة بالشيوخ الجمهوريين .

وإذا كـــان وضـــع المؤسسة القبلية فى العهد الجمهورى قد اتسم بالتمثيل الضعيف فى وظـــائف الدولة العليا فى الشهور الأولى من قيام الثورة ، فإنها قد اكتسبت مواقع متقدمة فى المجـــلس واللجنة المركزية ، رغم معارضتهم العلنية لنظام السلال والوجود المصرى . [انظر الجـــدول ٣ و ٤ فى المـــلحق ٤] وقد استغل شيوخ القبائل حالة الفوضى والتسيب فى ظل الحـــرب الأهلية ، فى البحث عن الثراء ، سواء بالحصول على المال والسلاح من الحكومتين السـعودية والمصـــرية ، أو بالاســتيلاء على المال العام من المؤسسات المالية – البنك اليمنى للإنشاء والتعمير – بواسطة القوة [١١٧] . وكان غياب الدولة فى المناطق الشمالية حيث يحتدم القتال بين المعسكرين الجمهورى والملكى له الأثر الحاسم فى تكريس سلطة القبيلة على حساب سلطة الدولة . وهكذا كانت الإصلاحات السياسية والاقتصادية التى أوجدتها القيادة المصرية فى البلاد ، لا تشمل المناطق الشمالية التى تحولت إلى ساحة حرب واقتتال ، وكان ذلك أيضاً بسبب عدم ثقة شيوخ القبائل المتمردة بالسلطة العسكرية الحاكمة فى صنعاء .

كـــانت مجـــريات الحـــرب الأهـــلية فى اليمن ، تقع ضمن دائرة الصراع الإقليمى بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية . وهاتان القوتان الإقليميتان كانت تستندا فى صراعهما الدائر فى إقليم شبه الجزيرة العربية إلى قوى دولية – الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة . [١١٨] كما سبق أن لاحظنا ، أنه بتحليل ظاهرة الحرب الأهلية فى اليمن ، التى أخذت رقعتها تمتد تدريجياً من محيط مدينة ضوران أنس شمال ذمار وجنوب صنعاء ، إلى أقصى مدينة صـــعدة شمـــالاً ، ومن أقصى الحدود الشرقية عند مدينة حريب إلى أقصى المرتفعات الشمالية الغـــربية فى اتجـــاه مدينة حجة ووشحه ورازح ، كان تحالف عشائر حاشد وبكيل الضارب ، يـــتحمل العـــبء الأكبر فى المعركة . وقد تبنى زعماء هذه العشائر موقفاً رافضاً للإصلاحات السياسية ، بما فى ذلك مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية التى أصبحت محصورة فى مناطق الهضـــبة الوسطى والسهول الجنوبية التى أيدت النظام الجمهورى ، وأبدت مرجعيتها الممثلة فى السـلطة حماســاً منقطع النظير لحركات الإصلاح والتجديد فى العهد الجديد . علماً بأن هذه المـــناطق كانت أكثر الأقاليم الجغرافية تضرراً من النظام الإمامى سياسياً واقتصادياً خلال فترة المملكة المتوكلية اليمانية .

كل هذا ارتبط بالتغييرات العميقة التى أحدثتها الثورة فى البناء السياسى ونظام الحكم فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، ولم يكن سكان الهضبة الشمالية مهيئون لتقبل الإصلاحات السياســية التى تبنتها الإدارة المصرية فى اليمن ، باعتبارها سلطة طارئة وغزو سافر لبلادهم .

وبالمثل لم يكن شيوخ القبائل اليمنية مستعدين لتقبل فكرة النظام الجمهوري، فيما عدا بعض عشائر حاشد (خارف والعصيمات وعذر وبنى صريم) ، التى ناصرت آل الأحمر فى معارضتهم لحكم بيت حميد الدين . لكن الغالبية العظمى من عشائر حاشد وبكيل ظلت محتفظة بولائها للنظام الإمامى . (١١٩) أليس باسم الإسلام والذود عن الديار قاومت القبائل اليمنية الجيش المصرى فى اليمن ، باعتباره تدخلاً خارجياً ؟ والقبيلة فى اليمن ليست بظاهرة تتحرك فى الفضاء ، ولا بظاهرة تتحرك فى الزمن ؛ وإنما كانت وما زالت كياناً اجتماعياً يضرب جذوره فى عمق التاريخ اليمنى ، وهى بدورها تشكل العمق السياسى والاقتصادى للمجتمع اليمنى . وسواء تعلق الأمر بالجمهورية أو الملكية أو بالقيادة المصرية أو الأسرة المالكة السعودية ، فإن القبائل اليمنية كانت تتحرك وفق مصالحها الذاتية . (١٢٠)

ولعل فعالية المقاومة القبلية ضد الجيش المصرى المرابط فى اليمن يؤكد ذلك ، حيث أتخذ الصراع الدائر فى البلاد مواقف سياسية متضادة بين عقيدة القومية العربية الناصرية وعقيدة الوهابية الدينية السلفية من جهة ، وعقيدة المؤسسة الإمامية الزيدية من جهة ثانية. وتعود جذور هذا الصراع فى إقليم الجزيرة العربية إلى عهد والى مصر محمد على باشا ، الذى شن ولده إبراهيم باشا حملة عسكرية ناجحة ضد الدولتين – السعودية الأولى فى نجد ، والقاسمية الزيدية فى تهامة اليمن . (١٢١) منذ ذلك التاريخ ١٨١٩ ، عندما عصفت القوات المصرية بالدرعية ، واحتلت إقليم عسير وتعز الخاضعين اسمياً لنفوذ إمام صنعاء ، عاودت طلائع الجيش المصرى فى عهد جمال عبد الناصر الكرة فى محاولتها الرامية إلى تصدير الثورة هذه المرة خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة . (١٢٢) تلك الهزائم النكراء التى لحقت بأئمة آل سعود وأئمة آل القاسم ، تركت ذكرى مؤلمة ، لدى النظام السعودى ، الذى رمى بكل ثقله السياسى فى صالح المعارضة الملكية. من هذه النتائج المتعددة والاستدعاءات البعيدة ، كصدى لهذه المقاومة القبلية المستجدة فى حرب اليمن ، أصبح الحديث عن الثورة والجمهورية ، حديث يخص أكثر تلك الجهات والأطراف المعنية بالصراع ، التى استقبلت طلائع الجيش المصرى بالهتاف والتهليل ، رغبة منها فى التخلص من كابوس السلطة المركزية لإمام صنعاء .

من هذا الركام التاريخى ، تبرز لنا كتابات تحاكم تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، محاكمة جائرة تعسفية ، كتلك الإصدارات التى سطرها عبد الملك الطيب ، تارة باسم مستعار (عبد الله بن عبد الإله) صاحب كتاب (نكسة الثورة اليمنية) ، وتارة أخرى باسمه (الثورة والنفق المظلم) . وهكذا ، نلاحظ مرة أخرى عدم صحة اختيار عناوين هذه الكتابات

أو الإصـــدارات ، للتعبير عن مكنون الذات تجاه الثورة اليمنية ، وحصرها فى هيكلية الآخر (منهج الزبيرى فى الإصلاح والحكم) ، وما يتراءى فى أذهاننا بسهولة تحديد ماهية " ظاهرة الزبيرى " المبثوثة فى كتاب الطيب (التاريخ يتكلم) هو أحسن مثال على هذه العقلية .

يشـــير المؤلف فى كتابه (التاريخ يتكلم) إلى أن دعوة حزب الله ، كانت اضعف حلقة فى سلســـلة المعارضـــة الجمهورية المنشقة ، التى اتسعت حلقاتها باتساع دائرة الحرب الأهلية فى اليمن؛ وكانت أقوى هذه الحلقات المعارضة على الإطلاق تجمع كتلة خمر ، باعتباره الحلقة المكملة لما سبق البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبرنامج مطالب الشعب . (١٢٣) من هذه البداية المتواضعة ، نمت المعارضة الجمهورية بشقيها – القبلى والديـــنى – فى مواجهة المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، لتصبح واحدة من أهم القوى السياسية المتواجدة فى الساحة اليمنية . إلا أن الزبيرى ، إزاء ضغط القيادة المصرية عليه وعلى جماعته فى العاصمة صنعاء ، كان متعجلاً فى الإفصاح عن برنامج الحزب. ويحدد فى هذا الشأن بعض الأمور :

أولاً: المـــزيد مـــن التعريف والإيضاح بأهداف ومبادئ الحزب حتى لا يحصل نوع من الالتبـــاس حـــول برنامجه، واسم (أمينه العام القاضى الزبيري) بالخروج عن طاعة (أولى الأمر والـــنهي) أى (مجلس قيادة الثورة)؛ وهى سلطة ثورية جديدة استولت على السلطة ، وتدعى الشرعية لنفسها. ونقتبس هنا تعريفات أخرى من جملة ما ورد فى المنشور الثانى ، الصادر باسم الحزب فى جبل برط ، فى ٢٨ شهر رمضان سنة ١٣٨٤هـــ/ الموافق مارس من عام ١٩٦٤ ، وهى كالآتى :

–(حزب الله) أمة من المؤمنين أفزعتهم نكبة اليمن ودماؤها وحروبها وظلامها ، فلاذوا بكتاب الله واعـــتصموا بحبل الله وباعوا نفوسهم وتعاهدوا على العمل بتعاليم الله إذعاناً لقول الله عـــز وجـــل: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون،ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)) (١٢٤)

– (حزب الله) ليس صـــوفية ولا رهبانية ولا شعوذة خرافية ، ولكنه ثورة إسلامية ، وسيرة محمدية ، وحركة تقدمية تعتمد على جماهير الشعب .

– (حزب الله) قوة مؤمنة موجهة تجمع عزائم الشعب وتوحد كلمة الجماهير من علماء ومثقفين وقبائل ومشائخ وضباط للعمل على تفجير طاقات الإيمان، وإقامة دولة القرآن وتحويل العقيدة إلى عدل وإحسان وعمل وإتقان ورقي وعمران .(١٢٥)

وكلمات الزبيري التالية التي استشهد بها مراراً بلورت أهداف المعارضة الجمهورية بجلاء، يقول : " من أجل هذه الأهداف خرجنا إلى أبناء شعبنا ، وإلى قبائلنا الشجاعة الأبية ، ومن أجل إعلاء كلمة الله أعلنا قيام (حزب الله) .. الذي سيدعو الناس إلى المؤتمر ، ويأتي بالعلماء العاملين ليحكموا بكتاب الله إلى جانب (أهل الحل والعقد) في البلاد والمشايخ والزعماء ، والذي سيحمل دائماً راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذي سيدعو المسلمين أن يحتكموا دائماً لكتاب الله وسنة رسوله في كل أمر من أمورهم الخاصة والعامة .. "(١٢٦)

ثانياً: وقصة خروج القاضي الزبيري إلى جبل برط معروفة ، ولكن السؤال حول سبب الخروج ، هل هو دافع ديني أم سياسي ؟ ونحن نميل إلى القول إن الدافع مشترك – ديني وسياسي– معاً ، كما نستشف من النقاط الأساسية التي جاءت في البرنامج ما هو حزب الله وماذا نريد ؟؟ يقول الزبيري :

– (حزب الله) يريد لليمن .. حكما إسلامياً جمهورياً شوروياً يمنياً لا حكماً إمامياً ولا حكماً عسكرياً .

– (حزب الله) يريد .. حكم الله لا حكم المدفع والصاروخ ولا حكم الدبابة والمصفحة ولا حكم القوة والتسلط ولا حكم الوراثة والتملك .

– (حزب الله) يريد لشعب اليمن أن يحكم نفسه بنفسه لان الله قد خلقه حراً، ولم يجعله شركة مملوكة للعائلة المتوكلية تذله وتحكمه ولا غنيمة موهوبة للقوة العسكرية تستعبده وتظلمه .

– (حزب الله) يعتقد أن الله وهب اليمن لشعب اليمن، وإن الحكومة يجب أن يختارها اليمنيون اختياراً حراً في مجتمعاتهم ومؤتمراتهم لا تقيده عبودية الخرافة المتوكلية ولا ترهبه القوة العسكرية .

-(حــزب الله)يؤمــن بــالله وشــرف الشعب ولا يؤمن بالقبائل والألغام ولا بالقتل والرصاص.

- (حزب الله) يريد السلام لا الحرب ، الأمان لا الخوف ، الإخاء لا العداء ، البناء لا الهدم ، التعاون لا الاختلاف ، الحياة لا الموت . [١٢٧]

وبالــرغم مــن إيضــاح الــزبيرى لأسباب الخروج ، إلا أنها تنطوى أحياناً على بعض الغمــوض، فهــو يتحدث عن دعوة حزب الله الإصلاحية أنهــا تجسيداً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . كما يعرض أيضاً نظريته البالغة الأهمية عن اليقين الثورى ، موضع التطبيق والعمــل فى فترة الجمهورية العربية اليمنية . وهكذا نجد أن منبع الإصلاح عند القاضى ليس ذاتيــاً ، بــل اجتماعياً تعود جذوره إلى الدين ، تحديدا الكتاب والسنة ، وكلاهما دون شك يجسدان دعوة حزب الله . كما يحوى برنامج الحزب فى هذا الاتجاه دفاعا حارا عن هذه المبادئ التى جسدها الشريعة ، حيث يقول :

- (حــزب الله) رد..عــلى الزاعمين بان الإسلام عاجز عن صنع الحياة الحديثة وعلى الزاعمين بان الحياة الحديثة عاجزة عن احتمال تعاليم الإسلام .

- (حزب الله) يريد .. إنقاذ اليمن من طمع الطامعين ، وعبث الفاسدين ومن الحرب والدمــار ، ومــن الدجل والضلال ، ومن الانحلال والاستهتار .. لتكون كلمة الله هى العليا وشريعة الله هى الحكم ، وكتاب الله هو مصدر الأحكام والقوانين .

- (حزب الله) يريد لليمن حياة بلا خــوف ، وحرية بلا فوضى ، وتقدماً بلا انحلال ، وعقيــدة بلا ضلال ، ووحدة بلا تسلط وبلا استبداد ، وعدلاً بلا ضعف، وحزماً بلا ظلم، وطاعة بلا استعباد .

- (حــزب الله) يريد لليمن..حقوقاً فى مقابل واجبات ، ورفاهية فى مقابل تضحيات ، ومكسباً فى مقابل عمل ، وانتصاراً فى مقابل كفاح ونظام وعزم . " [١٢٨]

تعكس النظرة الإصلاحية الدينية المعاصرة فى برنامج حزب الله ، هذه نظرة الزبيرى إلى نمــط التنظــيم السياســى والفعل الاجتماعى ، الذى لا يكتمل مشروعه إلا من حيث الدين والقبيــلة . فالقاضى يتحدث فى اكثر من موضع فى خطابه السياسى ، وهو خطاب دينى واع بطبيعة العمل السياسى فى التنظيمات والأحزاب السياسية الحديثة، والدور الذى تلعبه الطليعة

السـورية المثقفة فى هذا المجال . ولكنه لا يشـير إلى كيفية تعبئة طاقات هذه الجماهير داخل إطـار المؤتمرات الشعبية (القبلية) ، مبيناً نمط الصراع الذى تستعد لخوضه هذه (الأمة من المؤمـنين) ضد السلطة العسكرية الحاكمة (حزب الشيطان) . والمبدأ الذى يتخذه الزبيرى شـعارا وممارسـة فى برنامج حزب الله ، هو نفس المبدأ القرآنى – الأمر بالمعروف والنهى عن المـنكر –، الذى سبق وأن وظف توظيفاً جيداً ضد النظام الامامى كما أسلفنا ذلك فى سياق الفصل الثانى من الدراسة .

وصاية الفقيه المحتسب :

إن مصـطلح المحتسـب أو الإمـام مصطلح فقهى اكتسب فى تاريخ اليمن الإسلامى والحديـث صبغة دينية ومكانة اجتماعية مرموقة شأنه فى ذلك شأن مصطلح شيخ الإسلام . فالمحتسـب اصطلاح فقهى سياسى استخدمه العلماء كل حسب علمه واختصاصه . وفى تحول وظيفـة المحتسب إلى داعٍ وإمام ، ثم فى تحول وظيفة الحسبة والإمامة إلى منصب دينى وسياسى كما هو الحال عند زيدية اليمن الهادوية؛ أفضى ذلك إلى ظهور سلطة وصاية الفقيه المحتسب ، لتغطية الفراغ الناجم عن غيبة الإمام الفاضل والمفضول فى العهد الجمهورى . فوظيفة الفقيه المحتسـب لم تعـد مقصورة على مراقبة الأسواق والنشاط الاجتماعى فى أحياء العاصمة ، بل تعدتها للقيام بأدوار ثقافية وسياسية تجاوزت فى بعض الأحيان صلاحيات رئيس الدولة . وكان القاضـى الـزبيرى فى مقدمة علماء المعارضة من داخل السلطة الجمهورية الذى تصدوا بقوة لتحديد صلاحيات ونفوذ منصب رئيس الجمهورية، من خلال رفعه شعار الشورى والدستور من جهة، والسلام والمصالحة من جهة أخرى .

طور الفقهاء القحطانيون الذين انخرطوا فى خدمة النظام الجمهورى نظرية وصاية الفقيه المحتسـب لأنفسهم ، بعد أن تأكد لهم استحالة خروج إمام علوى فاطمى يدعو لنفسه فى ظل الوجـود العسـكرى المصرى فى اليمن . فبزوال النظام الملكى الاستبدادى واستبداله بالحكم الجمهورى ، برز دور الفقهاء المحتسبين . والفقهاء المحتسبين الذين نشير لهم بالبنان هم القاضى محمد الزبيرى ، والقاضى عبد الرحمن الإريانى ، والقاضى عبد الله الحجرى (ت ١٩٧٧ م) ، هـم الذيـن احتـلوا مراكز سياسية وقضائية مرموقة فى العهدين الملكى والجمهورى . [(١٠٢٩)] واقتضى ذلك منهم إلى إيجاد فكر مستقل متميز عن الفكر السائد، لأن الموافقة فى الفكر تبطل وتلغى المعارضة. فكان رفع شعار الشورى والدستور، وشعار الحاكمية لله، مجرد شعار سياسى

رفعته جماعة حزب الله كقوة سياسية متنامية ، يلتف حولها الناس فى الريف والحضر . وهذا عين ما حصل بالفعل فى عهد السلال وعهد خلفاؤه ، حيث استعر الصراع مجدداً بين العلماء والضباط على السلطة .

ففى الحالة اليمنية ، إذا كان الصراع وارداً ضمناً بين أقاليم جغرافية مثلاً يمن أعلى ويمن أسفل ، فإنه قد ظل تناقضاً ثانوياً مضمراً حول ماهية النظام الجمهورى وتطبيقاته على أرض الواقع . ففى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية استبدل منصب الإمام المستبد بمنصب رئيس المجلس الجمهورى ، طبقاً لنظرية "حطم صنماً وانصب صنماً" . وهكذا تتكشف لنا الأزمة السياسية والفراغ الدستورى الذى عانى منه النظام الجمهورى إبان سنوات الحرب الأهلية . فالخلل الكامن فى السلطة ، والأزمة التى عانت منها الحكومة والمعارضة فى آن واحد ، حيث وجدت الكثير من الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد نفسها عاجزة عن بلورة معالم مجتمع أهلى متجانس تسوده المحبة والوئام . وتحكمه وتسيره دولة المؤسسات والقانون ، بمعزل عن أعراف القبيلة واحتكار الأخيرة لنشاط الدولة وإلغائها حدود الوطن والمواطنة . تضاف إلى ذلك خصوصية المجتمع اليمنى ، وهى ظاهرة تعارض مصالح السلطة المركزية مع سلطة الأطراف القبلية لقرون طويلة من الزمن ، دون أن يحسم الصراع ، وتحل بذلك الوظيفة المزدوجة لدولة القبيلة وقبيلة الدولة .

نشأت منذ عهد الإمام محمد بن على الشوكانى وحتى عهد القاضى عبد الرحمن بن يحيى الإريانى ، طبقة واسعة من علماء الدين فى اليمن الامامى والجمهورى ، ملأت وظائف الدولة العليا ، وقامت بمناصب القضاء والإفتاء والتدريس فى المدارس العلمية والمعاهد الدينية والعسكرية، وبوجه خاص كادت تحكم قبضتها على جهاز القضاء الأعلى فى العهد الجمهوري. سبق لهذه الحركة الدينية أن بلورت فى عصر الشوكانى والإريانى ، مفاهيم جديدة عن الرئاسة والزعامة للامة اليمنية. فالرئاسة (الخلافة) ، طبقاً لمقولاتها الفقهية ، "الأئمة من قريش" ، وليست بالضرورة محصورة فى آل البيت، كما يزعم الإمام الهادى وأضرابه من الأئمة العلويين الذين حكموا اليمن نحو عشرة قرون متواصلة.[١٣٠] وكانت هذه الأطروحات السياسية ذات الصبغة الدينية، تطرح مجدداً على فكر الزيدية تساؤلات لم تأت الأجوبة عليها متجانسة وواحدة . هل النظام الجمهورى يرتكز على قاعدة الإجماع والشورى ، أى البيعة ؟ أم انه مجرد نظام عسكرى يرتكز على مبدأ الغلبة والقوة، أى العصبية ؟

إن الحركة الفكرية والتشكل التاريخى لجماعة القضاة القحطانيين المنخرطين ضمن حركة المعارضة لا يمكن فصلها عن السياق التاريخى ، الذى نشأت فيه ، والبيئة السياسية التى ترعرعت فيها ، والثقافة الدينية السلفية التى تشربت قيمها وأفكارها. وبذلك تتكشف أمامنا الأهمية البالغة للموقف العقائدى فى تفسير الاتجاهات الإصلاحية ومكوناتها الفقهية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية لدى جماعة حزب الله ، ونحن نتطرق إلى علم من أعلامها، ألا وهو القاضى الزبيرى . وليس للسلطة منفعة فى حظر نشاط جماعته فى أوساط القبائل المتمردة ضد النظام الجمهورى ، ما دام الشعور الدينى والتقديس الخاص للمؤسسة الإمامية يشكل الدعم الأساسى للمعارضة الملكية ، ممثلة بتيار حزب الشورى واتحاد القوى الشعبية. وقد عالج الزبيرى هذه المسألة – الخروج – ، وهى ليست مبرراً للقول بالفصل بين مؤسستين– المؤسسة العسكرية والمؤسسة الدينية – ، بقدر ما هى محاولة لإصلاح الخلل الناجم فى مؤسسات الدولة فى العهد الجمهورى . والصراع يدور هنا بين سلطة مجلس قيادة الثورة والمعارضة الجمهورية وجلهم من وجهاء اليمن وأعيانها ، الذين أصبحوا يشكلوا هامش سياسى داخل السلطة . (١٣١)

كان المتحمسون للنظام الجديد من النخبة القديمة ، يشكلون أقلية سياسية أخذت تتكاثر بعد أن تأكد لها استحالة نجاح المعارضة الملكية (بيت حميد الدين) إسقاط النظام الجمهورى كما حدث فى عام ١٩٤٨ . ولكن بغض النظر عن الظروف الموضوعية والذاتية التى أدت إلى بزوغ نجم القضاة القحطانيين المنخرطين فى خدمة النظام الجمهوري، إلا أن هنالك تساؤلاً يتبادر إلى أذهاننا ، عما إذا كان هؤلاء الناشطون فى صفوف المعارضة من مثل الزبيرى والإريانى والحجرى مستعدين للتضحية بمصالحهم الأسرية الضيقة لصالح المصلحة الوطنية العليا .

ولعل طرح مثل هذا التساؤل وغيره (من نحن ؟ وماذا نريد ؟) أثار جدلاً واسعاً فى صفوف حركة الأحرار اليمنيين ، عندما أقدم النعمان (الابن) ، على نشر تلك المناقشة السياسية حول مستقبل الحكم فى اليمن فى كتاب (من وراء الأسوار – عام ١٩٦٥) ، رغم أن المادة قد تم جمعها تقريباً عام ١٩٥٢ . وكان الأمر الأكثر إثارة فى هذه المطارحات ، تلك الآراء المتطرفة التى أدلى بها القاضى الإريانى فى مجمل مناقشته للمشكلة اليمنية ، من زاوية عنصرية ، أبدى فيها تحامله الشديد على الظهير العدنانى ، الذى تتطلع زعامته الأسرية إلى استعباد أبناء العشائر اليمنية فى القسم الأعلى ، الذين شبههم بعبدة الأصنام . (١٣٢) وكان

البديل المنقذ للبلاد والعباد بعد نجاح الثورة هم القضاة القحطانيين الملتفين حول زعامة الاتحاد اليمني وفى مقدمتهم القاضى الزبيرى . ويعلق الإريانى على ذلك بقوله: ".. وإذا استمرت الزعامة مدة من الزمن بغير علوى ألف الناس ذلك، وفهموا أنه من الممكن أن يقوم بالأمر غير المتألهين الذين ألفوا أن يُعبدوا. "(١٣٣) ومن هنا اظهر غالبية الفقهاء القحطانيون تأييدهم للثورة والجمهورية ، باعتبارها حركة سياسية تنتزع من العنصر العدنانى ذلك التفوق المعنوى ، الذى أحرزوه منذ قيام الدولة الزيدية الأولى فى اليمن على يد الإمام الهادى فى نهاية القرن الثالث الهجرى . (١٣٤)

أما السادة العلويين ، خصوصاً أمراء بيت حميد الدين ، فكانوا بالمقارنة مع القضاة القحطانيين أكثر مقاومة للنظام الجمهورى ، حيث أفتى بعضهم بأنه خروجاً عن الشريعة، نظراً لإلغائه منصب الإمامة ، الذى يعتبر فى نظرهم أصل من أصول الدين . (١٣٥) وكانت أحداث الحركة الدستورية لعام ١٩٤٨ ، قد أثارت عمق الخلاف بين صفوف المعارضة عن جدوى قيام إمامة دستورية بدلاً من الإمامة الاستبدادية . ولكن الأمور سرعان ما حسمت لصالح إمامة عبد الله الوزير ، الذى أصدر فتوى تجيز قتل الإمام يحيى سلمها لفريق الاغتيال بزعامة الشيخ على بن ناصر القردعي . (١٣٦) وفى هذه الفتوى وغيرها الميثاق الوطنى المقدس ، فند الثوار من خلالها مشروعية قيام الحكومة الدستورية . بهذا الخصوص يقول عبد الله الشماحي: " وبدأت فى الأسبوع الأول للثورة ، الحرب الأهلية تبرق وترعد ، وأحمد يزجى سحبها بتهويل مقتل أبيه ، وأخذ يتحدث عن مؤامرة نصرانية كفرية يراد بها بيع اليمن من الكفار الذين سيمحون الإسلام .. " (١٣٧) وهذا الموقف المعارض للحكومة الجمهورية تكرر بالمثل طرحه عام ١٩٦٢ ، من قبل الإمام المخلوع محمد البدر ، لكن السلطة الثورية فى صنعاء كانت تمتلك وسائل القوة للدفاع عن النظام الجديد ، وقد علقت المعارضة الملكية آمالها على المساعدة السعودية فى سحق النظام الجمهورى فى جنوب شبه الجزيرة العربية، لكن الشعب اليمنى كان لها بالمرصاد .

إن الخصائص الاجتماعية والثقافية للمعارضة الجمهورية لم تكن لتختلف عما كانت عليه فى سلوكها السياسى المعارض للوجود المصرى ، عن سلوكها السابق المعارض للأئمة الحكام . ففى خريف عام ١٩٦٣ ، أعلن الزبيرى الذى كان قد تقلد منصب وزير المعارف نفسه متحدثاً باسم المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال . وهذا الموقف المعارض للمؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء يتطلب تحليلاً دقيقاً لمعارضة حزب الله أو كتلة خمر، التى لجأت إلى

الـتقية السياسية ، بل والتورية الفقهية ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة للمحافظة على مكاسبها الـتاريخية فى ظـل المتغيرات المستجدة فى الساحة اليمنية . فالنخبة القديمة من الساسة المدنيين كـانوا يمثـلوا من تبقى من جيل ١٩٤٨ ، الذين التقى معظمهم فى المقام الشريف بمدينة تعز خـلال عقـد الأربعينيات، وكانت تجمع بينهم معرفة قديمة وعلاقات قرابة تطورت فى وقت لاحق فى سجن نافع بمدينة حجة ، وأسسوا معاً فى عدن الجمعية اليمانية الكبرى ، وفى القاهرة الاتحـاد الـيمنى الذى تزعمه النعمان والزبيرى عبر عقد من الزمن . (١٣٨) وكانت محصلتهم الثقافية والسياسية تشكل مزيجاً من ثقافة فقهية وأدبية ، وأفكاراً إصلاحية سلفية لم تتجاوز بأى حال من الأحوال مفاهيم الجامعة الإسلامية ، وحلقة المنار، والطرح الدينى لجـماعة الإخوان المسلمين بمصر . (١٣٩)

مثـلما ساهمت القوات العربية فى تثبيت النظام الجمهورى فى اليمن ، ساهمت فى الوقت نفسـه فى خلق أعداء جدد للنظام الجديد من الداخل . فالمستشارون المصريون فى الوزارات كانوا هم الذين يقومون بتسيير أجهزة الدولة ، وكان تعاملهم مع الكادر اليمنى المحدود الخبرة يتصـف بالتعالى والعنجهية . كما بدأ دور نظام السلال وتنظيم الضباط الأحرار يفقد تدريجياً اسـتقلاليته فى اتخـاذ القـرارات السياسـية ، الـتى أصـبحت الآن من اختصاص القيادة العـربية المصـرية ، ليندرج منصب رئيس الجمهورية تدريجياً تحت نفوذ أجهزة الاستخبارات العسـكرية . (١٤٠) وكان الكثير من أقطاب المعارضة الجمهورية ، بما فيهم الزبيرى والإريانى والـنعمان عـلى استعداد لشغل مناصب عليا فى الدولة ، رغم أنهم لم يكونوا مرتاحين لتعيين المشـير السلال رئيساً للجمهورية ، والدكتور البيضانى نائباً له . لكن القيادة المصرية كانت تؤيد بقائهما فى قمة السلطة ، كونهما أبديا تعاطفاً قوياً مع الوجود المصرى فى اليمن . ويقدم أحمد يوسف أحمد تحليلاً صائباً لتفرد السلال بالسلطة دون منافس ، بقوله : " وفى هذا المناخ ، وبعـد التأكد من رسوخ الالتزام المصرى بالتدخل العسكرى المباشر إلى الدرجة التى لا يمكن الـتراجع فيهـا ، يفـرض أن تنحية البيضانى يمكن أن تكون سبباً لمثل هذا التراجع ، ضرب السلال ضربته معبراً فى ذلك عن شبه إجماع للقوى السياسية الداخلية فى اليمن .. ووافق عبد الناصـر واخطـر البيضانى بذلك ، وطلب منه أن يكتب استقالته لأسباب صحية ، ورضخ البيضانى . " (١٤١)

وكـان ثانى أهم قرارات حكومة الجمهورية العربية المتحدة التى كان لزاماً عليها تدعيم وجودها العسكرى بقرارات سياسية صائبة تخدم مصلحة النظام الجمهورى فى اليمن ، توسيع

قاعدة المشاركة فى السلطة ، حيث سمح لبعض الزعامات الدينية والقبلية الانضمام إلى عضوية الحكومة والمكتب السياسى . ويشير الظاهرى إلى تحليل محاولة الدولة مرحلة استرضاء للقبيلة ، حيث حرصت القيادتين اليمنية والمصرية على دمج المؤسسة القبلية فى الحياة السياسية بشكل فاعل ، من خلال الإجراءات التالية :

١- إنشاء المجلس الأعلى للدفاع الوطنى ، فى ٣١ أكتوبر ١٩٦٢ ، وضم أكثر من مائة وثمانين شيخاً . أوكلت إليهم مهمة حراسة الحدود مع السعودية ، وقد احتل كل شيخ عضو فى هذا المجلس مرتبة وزير ، ويتقاضى ما يعادل مرتب الوزير .

٢- إدخال ثلاثة عشر شيخاً قبلياً فى عضوية مجلس الرئاسة اليمنى ، المشكل فى إبريل ١٩٦٣ ، والمكون من رئيس واثنين وثلاثين عضواً . حيث شكل المشايخ ما نسبته ٤١٪ من مجموع أعضاء هذا المجلس .

٣- صدور قرار جمهورى بقانون ، بإنشاء مجالس شيوخ القبائل فى ٢٦ إبريل ١٩٦٣ ، حيث ينشأ فى كل قبيلة مجلس يسمى " مجلس شيوخ القبيلة " ، وفى كل لواء " مجلس شيوخ اللواء " ، ثم إنشاء " المجلس الأعلى لشيوخ القبائل " يكون مقره العاصمة صنعاء . وتتكون هذه المجالس جميعها عن طريق انتخابات دورية سنوية ، (ما عدا عضوية مجلس شيوخ القبيلة فهى مدى الحياة) من بين مشايخ القبائل اليمنية، على أساس النسبة العددية لكل قبيلة . [١٤٢]

لكن خط التقارب المنشود الذى رسمته الدولة تجاه القبيلة لم يكن كافياً على حد قوله ، نظراً لرفض حكومة السلال قبول أعضاء جدد من العلماء والمشايخ فى المجلس والحكومة ، كان سبباً من جملة أسباب التى أدت إلى ظهور المعارضة المناهضة للوجود المصرى وحلفاءه من القوى المحلية . وكانت المؤتمرات الشعبية تعد من أهم آليات وقنوات التعبير عن مطالب المعارضة الدينية والقبلية ، فقد تبنت المعارضة مواقف متشددة تجاه السلطة مطالبة إياها بتوسيع قاعدة الحكم ، والقبول بتسوية سلمية للحرب الأهلية ؛ ومن ثم تحديد فترة زمنية لموعد انسحاب القوات المصرية من اليمن. وعشية انعقاد مؤتمر عمران أبرز النعمان والإريانى قائمة بأسماء مرشحين لمنصب رئاسة الجمهورية (اللواء الجائفى) ، ونائبه (القاضى الزبيرى) ، لكن هذه المذكرة قوبلت بالرفض من قبل القيادة المصرية . [١٤٣] وقد تراجعت المعارضة عن تقديم أسماء مرشحيها لمناصب الدولة العليا بعد أن تأكد لها استحالة ذلك ، فى ظل التصعيد العسكرى على جبهات القتال .

وتأسيساً على ذلك ، حددت المعارضة الجمهورية المنشقة مطالبها الإصلاحية – كما نلمس ذلك فى سياق قرارات المؤتمرات الشعبية – تبلور حركة إسلامية ذات توجهات قبلية مسيسة، تسعى سعيا حثيثا للمشاركة الفعلية فى السلطة والثروة. والزبيرى تأكيداً لدعوة الحركة الإسلامية ، يقترح أن تكون الحلول المناسبة للسلطة والمعارضة حلولا إسلامية لا تحيد قيد أنملة عن الكتاب والسنة. (١٤٤) وهذه المطالب الأساسية " هى أهم قواعد الحكم الإسلامى الذى ارتآه فى النظام الجمهورى " ، والذى يطالب به حزب الله الآن :

١– ولاية أمر المسلمين ورئاستهم ليست غنيمة ولا مكسباً وإنما هى خدمة للمسلمين فى مقابل المعاش ونيابة عن المسلمين لتنفيذ حكم الله بينهم، ولتدبير شئونهم ، ومشورتهم فى أمورهم ، فى مقابل السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره. وليس الحكم والولاية فى الإسلام قصوراً عالية وسيارات فاخرة وصوافى واسعة وأموالاً طائلة وحاشية متملقة ، وإنما هو خدمة للمسلمين خالصة ومراقبة لله بالغة وربط للبطن وحياة خشنة وسهر على مصالح المسلمين وعدل بينهم ومشاروة لهم مخلصة . قال تعالى: ((وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)) وقال جل من قائل: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) وقال تعالى : ((وأمرهم شورى بينهم)) وقال جل من قائل : ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)) .

٢–ولاية أمر المسلمين ورئاستهم أمانة عظمى فهى لا تعطى إلا لمن يحسن القيام بها.ويرعى حقها ويخشى الله تعالى من إساءة استخدامها قال تعالى: ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)) وقال عليه الصلاة والسلام ((من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً بمحاباة فعليه لعنة الله ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((من ولى أمراً وهو يجد أن فى الناس من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)) .

٣– ولاية أمر المسلمين ورئاستهم حل لكل مسلم ولكل فرد من أفراد الشعب ممن تتوفر فيهم شروط الولاية من علم ومعرفة وصدق وشجاعة وتواضع وأمانة وصحة فمن توفرت فيه شروط الولاية من أبناء الشعب يحل له أن يكون رئيساً للجمهورية وولياً لأمر المسلمين إذا بايعه الناس واختاروه برضائهم . فولاية أمر المسلمين ورئاستهم ليست مخصوصة بعائلة أو طائفة طاغية . قال تعالى : ((وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم))

ولم يقـــل سبحانه من بنى فلان ولم يقل من عائلة فلان ولا من القبيلة الفلانية ولا من الطائفة الفلانية وإنما قال منكم أى منكم أيها المسلمون جميعاً .

٤- ولايـــة أمر المسلمين ورئاستهم تؤخذ عن طريق البيعة فقط وذلك بأن يجتمع أهل الحـــل والعقـــد فى البلاد من العلماء ، والمشائخ ، والقادة العسكريين ، وأهل الرأى والخبرة ثم يختاروا رئيساً لجمهوريتهم ووليأ لأمرهم بحرية تامة دون ضغط أو إكراه على أن يكون من يختارون ممن تتوفر فيهم الكفاءة والأهلية والصلاح لولاية أمرهم .

٥- ولايـــة أمـــر المسلمين ورئاستهم لا تؤخذ بالوراثة من الأباء والأجداد فذلك يعطل ويمســـخ البيعة الشرعية عند ما يفرض على المسلمين مبايعة شخص واحد بالقوة هو ولى العهد وإن كـــان فاسقاً أو جاهلاً أو منحرفاً أو عابثاً قال تعالى : ((وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين)). ولا تؤخذ عن طريق القوة والحرب فالرسول عليه الصلاة والسلام قد نهى عن مجرد طلب الولاية، ولأن الـــذى يطـــلب الرئاسة إنما يريدها لمغنم أو غرض من الأغراض فقال عليه الصلاة والسلام : ((مـــن طلب الولاية لا يولى)) وقال : ((إنا لا نولى امرنا هذا من طلبه)) فكيف بمن لا يطلبها فقط وإنما يحارب عليها ويقاتل فى سبيل نيلها .

٦- إذا انحرف ولى أمر المسلمين أو رئيسهم أو عجز، وجب على أهل الحل والعقد فى الـــبلاد أن يجـــتمعوا لخلعه أو عزله ، ومبايعة غيره من أهل الكفاءة والعلم والصلاح ، فبقاء الحكـــم بيد منحرف أو عاجز اكبر منكر يجب إزالته ، قال عليه الصلاة والسلام : ((افضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر)) وقال ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)) .

٧- هـــذه هى قواعد الحكم الإسلامى الصالح الذى كلفنا الله بإقامته وجعل إقامة هذا الـــنظام فرضـــا على كل مسلم ومسلمة، فهو أول ركن من أركان الأمة المسلمة ، فبه تسعد الأمة وتستقر البلاد ويعم الصلاح، لانه نـــظام للحكم يضمن ألا يصل إلى ولاية أمر المسلمين إلا من كان أهلا للولاية والرئاسة بعد أن يختاره الشعب ، ويضمن بعدم بقاء أى رئيس أو أمير فى منصبه إلا إذا كان أهلاً للولاية وصالحاً فى أعماله .". (١٤٥)

ويـــبقى تـــأجيل موضـــوع الولاية العامة أى الرئاسة ، موضع خلاف قائم بين السلطة والمعارضـــة ، حيث حاولت الأولى ترسيخ وجودها كقوة سياسية جديدة تستمد شرعيتها من

النظام الجمهورى ، الذى يحظى بتأييد شعبى فى البلاد ، وتحولات تاريخية أضحت بمثابة ثوابت . الأمـــر الذى يطرح على الفقه السياسى الإسلامى المعاصر أفاقاً جديدة فى تعيين حجم العلاقة وحـــيزها بين الفقيه والسلطان ، خارج الإشكالية التى أثارتها وتثيرها زعامات المعارضة الدينية والقبـــلية فى الـــيمن المعاصـــر . هـــذا هو المأزق السياسى لوصاية الفقيه المحتسب فى اليمن الجمهورى ، كما ظهر جلياً فى تجربة حزب الله (١٩٦٢ – ١٩٦٥) ، فى عهد القاضى محمد الـــزبيرى ، وتجـــربة المجلس الجمهورى (١٩٦٧ -١٩٧٤) ، فى عهد القاضى عبد الرحمن الإريـــانى. فالحـــركة الإسلامية فى اليمن المعاصر المتشبثة بشعارى " الحاكمية لله " و" الذاتية اليمنية " ، نجحت فى استفحال العداء ضد نظام السلال العسكرى من جهة، والوجود المصرى فى اليمن من جهة ثانية ؛ لكنها لم تنجح فى تقديم إجابة وافية للمشكلة اليمنية من كل جوانبها حتى الزمن الحاضر .

وتبدو ملاحظات أبو غانم حول البنية القبلية فى اليمن غاية فى الأهمية كونها تلقى الضوء عـــلى تـــلك العلاقـــة الشائكة بين الدولة والقبيلة فى العهدين الملكى والجمهورى ، فهو من المدافعين عن النظرية القائلة أن القبيلة يجب أن تلعب دوراً موازياً للدولة . (١٤٦) فى حين يحدد الشرجبى مظاهر الصراع بين الدولة ومجتمع القرية فى الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية ، تعود جذورها إلى قيام الدولة الزيدية الأولى فى نهاية القرن الثالث الهجرى . فالمجتمع القبلى فى الهضبة الشمالية على حد قوله ، ظل محافظاً على تماسكه حيث كانت قواه السياسية قادرة على الدفاع عن مصالحها المتعارضة مع السلطة المركزية . على عكس الحال ، كان المجتمع الزراعى فى أنحاء مـــتفرقة مـــن اليمن – الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية – يعانى الأمرين من عسف السلطة المركزية وممثليها المحليين حتى قيام الثورة وإعلان الجمهورية ؛ انتقل الصراع هذه المرة إلى عمق الهضبة الشمالية . (١٤٧)

وهكـــذا يتـــبين أن الاتجاهـــات المختـــلفة فى توضيح أسباب انقسام المجتمع اليمنى إلى معســـكرين متصارعين جمهورى وملكى ، على اختلاف وجهات نظر الباحثين اليمنيين الذين يـــنظروا إلى جوهر المشكلة اليمنية ، إما من زاوية دولة – قبيلة ، أو من زاوية قرية – دولة . وقـــد استغرقت عملية بناء الدولة فى اليمن المعاصر حوالى نصف قرن من الزمان ، وتمثل أهم مراحلها على الإطلاق – مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، حيث كان يجرى البناء والتكوين على جبهتين : جبهة البناء والإعمار فى الداخل ، وجبهة القتال على الحدود الشمالية للدفاع

عـــن المكاســـب التاريخية التى أنجزتها الثورة اليمنية . فالحرب الأهلية فى اليمن أثبتت عبر ثمان سنوات عجاف أن الصراع الدائر فى جنوب شبه الجزيرة لم يكن

بين قوى جمهورية – ملكية فحسب ، بل صراع سياسى وعقائدى محتدم بين قوى محلية وإقلـــيمية جميعهـــا كانت تدافع عن كيانها وذاتها من الذوبان والتلاشى فى الأخر . فالتعارض السياسى بين الشمال والجنوب كاد يؤدى بالنظام الجمهورى فى المهد ، عندما انتقلت عدوى الحرب الأهلية من ساحات القتال إلى داخل الصفوة ، مما أثار الجيش اليمنى ودفعه إلى التدخل، وذلك فى حركة ٥ نوفمبر التصحيحية التى أطاحت بنظام السلال .

كـــانت هذه الحركة الانقلابية بمثابة العقار المسكن لتخفيف مظاهر الصراع بين القديم والجديد فى عهد وصاية الفقيه المحتسب القاضى الإريانى . وقد اعترف رئيس المجلس الجمهورى فى إحـــدى إجاباته الخطية للمؤلف أنه " كان من المستحيل علينا الاستمرار فى حكم البلاد فى ظـــل غياب دولة المؤسسات والقانون ، وسيادة الأعراف القبلية أى حكم الطاغوت ، حيث تصـــدى لى أكثر من إمام مدعى وشيخ محتسب ، جميعهم نصبوا أنفسهم مدافعين عن حقوق الشعب ، وهم يجهلون ماهية الحقوق الملقاة على عاتقهم تجاه الشعب والوطن .. " (١٤٨)

الخلاصـة :

دائماً كان فى المجتمع اليمنى صراع بين ثقافة الماضى الامامى وثقافة الحاضر الجمهورى ، وثقافة الثورة وثقافة الردة. كان أنصار ثقافة الماضى ينقبون عن كل شى يتعلق بالماضى ، بما فى ذلك مسميات الهيئات الدينية والمنظمات السياسية، وشيوخ الطوائف الحرفية ومشايخ وعقال الحـــارات ، وأمجاد القبيلة والعشائر المحاربة، التى جسدتها الرواية السياسية المشهورة للقاضى الزبيرى (ماسأة واق الواق) . وكان الهدف من وراء ذلك البحث والتفتيش فى أضابير الماضى ومخـــلفاته تنحصـــر أساســـا فى المحافظـــة على النظام الاجتماعى القديم ، الذى هزته الثورة والجمهورية هزاً عنيفاً . لكن رغم تلك المحاولات البائسة فى عملية إحياء جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتنظيم الاتحاد اليمنى المنحل ، وتسليح الجيش الشعبى القبلى بالمدفع والدبابة ، لم يستطع المجلس الجمهورى ضمان بقائه فى السلطة والحكم مدى الحياة . (١٤٩) ففى حـــين كـــان جيـــل (١٩٤٨) يتطلع إلى قيادة الأمة اليمنية بعقلية وثقافة الماضى الامامي، كـــان جيل (١٩٦٢) يتوثب لربط اليمن بحركة التحرر الوطنى العالمى ، محاولاً بذلك حرق

المراحل التاريخية ، ونقل المجتمع اليمنى دفعة واحدة ليضبح فى مصاف دول المنظومة الاشتراكية . [١٥٠]

فى الوقت نفسه ، اتخذت القوى السياسية والاجتماعية الجديدة ، مواقف رافضة لكل التسويات السياسية التى حاولت الانتقاص من شرعية النظام الجمهورى وسيادته . وتجربة حزب الله أو كتلة حمر لم تكن المحاولة السياسية الوحيدة التى حاولت الانتقاص من نظام الجمهورية العربية اليمنية ، من خلال دعوتها لمشروع دولة اليمن الإسلامية ، بل إنها كانت امتداداً لمحاولات سياسية سابقة لم يحالفها الحظ فى الوثوب إلى قمة السلطة . ولعل التجربة الثورية التى حالفها الحظ ، كانت ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢ التى كللت بالنجاح فى إسقاط النظام الملكى فى اليمن ومؤسسته الإمامية ، وبذلك تكون قد مهدت الطريق لقيام الجمهورية ، وبالتالى الوحدة اليمنية فى ٢٢ مايو من عام١٩٩٠ . ومعنى هذا أنه لم يبق وجود ملكى – إمامى – قادر على أن يسترجع ذلك الاقتناع المفقود باطروحات النظام الملكى " تثبيت الإمامة فى آل البيت " ، أى تغيير الواقع الجمهورى الراهن عن طريق إحياء القيم القديمة لعهد مضى وانقضى أجله .

هوامش الفصل الخامس

(١) محمـــد جابـــر الأنصارى : تكوين العرب السياسى ومغزى الدولة القطرية مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربى ، ص ١١٤ .

(٢) انظر كل من الظاهرى : الدور السياسى للقبيلة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٦ ، وأبو غانم : القبيلة والدولة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٥٠ .

(٣) عبد الإله : نكسة الثورة ، سبق ذكره ، ص ١٤٨ .

(٤) عفيف : البيضانى يرد على البيضانى ، سبق ذكره ، ص ٤٦ .

(٥) محمد أحمد نعمان : الأطراف المعنية فى اليمن ، ص ٧٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

(٧) عبده : مسار الحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٨٩ وما بعدها .

(٨) حميد : الأصبحي يتذكر ، سبق ذكره ، ص ٢٩٥ .

(٩) الجناحي : الحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٩٢ .

(١٠) أحمد : البيضانى يرد على البيضانى ، سبق ذكره ، ٢٢١ .

(١١) يروى سامى شرف فى كتابه : عبد الناصر كيف حكم مصر ؟، (ص ٢٣٩) إلى وجود علاقة مصاهرة سياســية بين الرئيس الراحل أنور السادات والدكتور عبد الرحمن البيضانى ، تعود إلى فترة ما قبل الثورة اليمنية ((رغم أصله اليمنى فقد ظل بعيداً عن ارض اليمن خلال دراسته الطويلة بمصر ، ثم سافر إلى ألمانيا ليعمـــل هـــناك كدبلوماســـى ، ثم عاد إلى القاهرة وتزوج من سيدة مصرية ، مما جعله أبعد ما يكون عن معايشة حقيقة الأوضاع باليمن ، وكان متباعداً تماماً عن أى نشاط نضالى ؛ بالإضافة إلى عدم ثقة العناصر القيادية اليمنية فيه .

(١٢) انظـــر الـــبيان الأول للثورة فى كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية فى ربع قرن ، سبق ذكره ، ص ٨٥ .

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) الشلال والشريف : قاموس الأحداث السياسية ، سبق ذكره ، ص ٧٢ .

(١٥) المقالح : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٤ .

(١٦) نعمان : الأطراف المعنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٧٦ – ٧٧ .

(١٧) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(١٨) باسندوه : قضية الجنوب اليمني المحتل ، سبق ذكره ، ص ٢٢٢ .

(١٩) انظر :

Dana A. Schmidt. Yemen: The Unknown War, p. 159.

(٢٠) عبد الإله : نكسة الثورة ، سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

(٢١) من إجابات العنسي ، سبق ذكره .

(٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢٤) انظر ياسين عبد العزيز: الحرية والشورى دراستان في الفقه السياسي، ص ٦٤-٦٥ .

(٢٥) عمر الجاوى : حصار صنعاء ، ص ٤٢ .

(٢٦) سعد الدين إبراهيم وآخرون : مصر والعروبة وثورة يوليو ، ص ٩٢ .

(٢٧) مقالة الأكوع " معالم مضيئة في حياة الرئيس الإرياني " ، ص ٢٤ المضمنة في كتاب وزارة الثقافة والإعلام تحت عنوان : القاضي الإرياني حكيم الثورة اليمنية .

(٢٨) حميد : الأصبحي يتذكر ، سبق ذكره ، ص ٣٠١ .

(٢٩) المقالح : قراءة في فكر الزيدية ، سبق ذكره ، ص ١١٨ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(٣١) تشير جميع القرائن إلى أن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن يمتلك رؤية سياسية حول ماهية الثورة اليمنية، وكان الهدف والغاية من وراء الحركة الثورية هو الإطاحة بالنظام الملكي (الإمامي) ، وإقامة النظام الجمهوري على أنقاضه ، كما حدث في بعض الأقطار العربية . راجع الرحومي وآخرون : أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٢ ، ومذكرات جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره، ص ١٧١ ، والأشول : الجيش والحركة الوطنية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢١٠ ، هذه المصادر تؤكد أن رجال الثورة من الضباط الصغار كانوا يعتمدون في تحركهم على الدعم المادى والمعنوى الذى تعهدت بتقديمه حكومة الجمهورية العربية المتحدة لحركتهم الثورية .

(٣٢) انظر المقابلة التى أجراها صادق ناشر مع العميد يحيى المتوكل في " شهادة يمنية استثنائية " ، جريدة الأيام ، العدد ٣٢٥٧ ، ٦ يناير ٢٠٠١ ، سبق ذكره ، ص ٥ .

(٣٣) أنظر جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٣٤) عمر : نظرة في تطور المجتمع اليمني ، سبق ذكره ، ص ١٧٩ .

(٣٥) صلاح سالم زرتوقة : أنماط الاستيلاء على السلطة في الدول العربية ١٩٥٠ – ١٩٨٥ ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٣٦) من إجابات المشير السلال ، سبق ذكره .

(٣٧) أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ٢٨٧ .

(٣٨) راجع المادة رقم (٣) فى الدستور المؤقت للجمهورية العربية اليمنية لسنة ١٩٦٣ فى كتاب محمد راشد عبد المولى: تطور التشريع والقضاء فى الجمهورية العربية اليمنية ، ص١٩٩.

(٣٩) انظر نص البند الأول فى قرارات وتوصيات مؤتمر عمران فى كتاب على محمد العلفى : نصوص يمانية ، سبق ذكره ، ص ١٣٤، وعفيف : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٣٤٠ .

(٤٠) نحيل القارئ لمراجعة المصادر التالية : السيد عبد الله الحسنى : مؤتمر حرض وثائق ومحاضر ، ص ١٣٤ ، وعبد الرحمن سلطان : الثورة اليمنية وقضايا المستقبل ، ص ٧٩ ، والجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٤١) انظر :

Manfred Wenner. Modern Yemen, p. 215.

(٤٢) بهذا الخصوص راجع جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، والرحومي وآخرون : أسرار وثائق الثورة ، سبق ذكره ، ص ٤٦ ، وعبده : مسار الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٤٣) انظر المسعودى : معالم تاريخ اليمن المعاصر ، سبق ذكره ، ص ٣٥٤ .

(٤٤) إدجار أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ١٥٥ .

(٤٥) هو محمد محمود بن إسماعيل ، ينحدر من أسرة تركية استقرت فى اليمن بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية ، وقد خدم والده وعمه كامل فى المقام الشريف بمدينة تعز . من مواليد (صالة) عام ١٩٤٥ ، تبنى الإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين الطفل محمد محمود وعمره نحو عامين بعد أن لمس فيه ذكاء مبكراً متقداً . وقيل إنه كان بمثابة الطفل المدلل لدى الإمام خصوصاً بعد وفاة نجله عبد الرحمن الذى مات فى حادث سيارة فى طريق حجة ، ليصبح ابن محمود الطفل الأثير لدى الإمام حيث كان يصحبه معه فى حله وترحاله مع نديمه الفكه المضحك محمد سعد عُلُوس . ونظراً لمكانة ابن محمود الخاصة عند الإمام، كان بعض الناس يلجئوا إليه فى إنجاز معاملاتهم وتوصيل شكواهم إلى إمام العصر. الأكوع : هجر العلم ومعاقله فى اليمن ، سبق ذكره ، ج٢ ، ص ٨١٩.

(٤٦) امرأة فاضلة من النساء المؤثرات فى إدارة شئون اليمن بعهد الإمام أحمد . لقبت باسم (عبد المحسن) ، باعتبارها من أقارب الإمام ذات الحظوه لدى إمام اليمن أحمد حميد الدين . تنسب هذه الشريفة لوالدها

حسن حجر ، تعلمت منذ نعومة أظفارها كما أتقنت قراءة وكتابة اللغة العربية ، وكانت تقوم بالرد على الشكاوى والمظالم نيابة عن الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين عندما يلم به المرض . وقد اشتهرت بنت حجر بحـدة الذكاء والقدرة على التصرف بحصافة فى الملمات ، لاسيما خلال أحداث فتنة الحوبان حين ساهمت فى التصدى لرجال الحركة الانقلابية الذين حاصروا القصر فى أواخر شهر مارس ١٩٥٥ ؛ وكذا بعد وفاة الإمـام فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ ، قامت بالإشراف المباشر على تحصين القصر الملكى بمدينة تعز حتى عشية إعلان البيعة للإمام محمد البدر .

(٤٧) جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤٨) كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

(٤٩) المخابـرات العامـة : رسالة خطية مرسلة من الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر إلى قائد القوات العربية باليمن الفريق أنور القاضى ، حررت فى خمر بدون تاريخ .

(٥٠) مـن أشـهر قـبائل اليمن المقاتلة ، وهم ولد خولان بن عمر بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بـن مـرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ ، يحدها شرقاً بلاد مأرب ، وشمالاً بنى حشيش ونهم ، وغرباً بـنى بهلول وسنحان ، وجنوباً الحدا . ومن بطونها تتفرع عشائر بنو سحام بن خولان المحاذين لليمانيتين : العليا والسفلى ، ومنهم بنو جبر وبنو شداد وبنو ظبيان وغيرهم . الحجرى : مجموع بلدان اليمن ، سبق ذكره ، ج١ ، ص ٣١٣ وما تليها .

(٥١) صالح بن أحمد ناصر الحارثى : الزامل فى الحرب والمناسبات ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٥٢) شـنت قبيلة خولان حرب ضارية ضد النظام الجمهورى ، وفى رأس العرقوب ووادى صرواح سحقت كتيبة من رجال الصاعقة والمضلات المصريين ، بعد أن تم محاصرتهم من قبل القوات الملكية ، وكان الشيخ الغـادر هو المسئول عن ذبح قائد هذه الكتيبة (الرائد عبد المنعم سند) ، فى مطلع شهر ديسمبر من عام ١٩٦٢ . انظر تفاصيل ذلك فى كتاب البيضانى : مصر وثورة اليمن ، سبق ذكره ، ص ١١٥ وما بعدها .

(٥٣) أعدت سلطات اليمن الديمقراطية الشعبية مذبحة جماعية عام ١٩٧٢ ، لمشائخ قبيلة خولان وعلى رأسهم الشـيخ نـاجى بن على الغادر ، الذى تم استدراجه مع نخبة من مشائخ هذه القبيلة المتمردة على النظام الجمهـورى ، الذين يصل عددهم نحو (٦٠ شيخاً) ، حيث تم الاتفاق معهم لإقامة مؤتمر شعبى بالقرب من مدينة مأرب ، لمناقشة إمكانية قيام جبهة مشتركة ضد حكومة صنعاء ؛ فجاءوا فى موعد المؤتمر المحدد ، وأثـناء تـناولهم وجـبة الغـداء تم القضاء عليهم بواسطة مواد متفجرة أعدت لهم سلفاً . وكانت هذه الحادثة سبباً مباشراً فى إشعال الحرب بين حكومة صنعاء وعدن . القاسمى : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٧٠ .

(٥٤) تساعدنا هذه القصيدة السينية على فهم ملابسات اغتيال الشاعر الزبيرى ، وهى القصيدة اليتيمة التى نظمها فى العهد الجمهورى ، فى حين تميز إنتاجه الأدبى بالغزارة والإبداع فى العهد الإمامى . ولعلها كانت بمثابة السهام الجارحة التى سددها إلى صدر خصمه اللدود السلال ، وفى مطلعها يقول :

هذا هو السيف و الميدان و الفرس   و اليوم من أمسه الرجعى ينبجس

و البدر فى الجرف تحميه حماقتكم   و انـتم - مثلما كنتم له حرس

انظر نصوص القصيدة فى كتاب الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٤٣ . والقرشى فى كتابه : شعر الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ١٠٦ ، وأحمد الشامى : نفحات ولفحات من اليمن ، ص ٥١٠ .

(٥٥) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٢٥ .

(٥٦) المعلمى : الزعيمان الزبيرى والنعمان ، سبق ذكره ، ص ٩٠-٩١ .

(٥٧) نشرت هذه الرسالة أول مرة فى صحيفة (صوت اليمن) الناطقة باسم حزب الله ، وهى غير صحيفة صوت اليمن الناطقة بسم حزب الأحرار اليمنى . ثم أعيد نشرها ثانية فى كتاب الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٤-١٥٩ .

(٥٨) انظر لورنس : اللعبة الكبرى الشرق العربى المعاصر والصراعات الدولية ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٥٩) كيبر : الحرب العربية الباردة ، سبق ذكره ، ص ١٧٨ .

(٦٠) انظر خطاب السلال فى افتتاح مؤتمر الجند فى صحيفة الثورة، العدد ٩٢١، ص٣-٤ .

(٦١) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(٦٢) نحيل القارئ لقراءة وقائع مؤتمر حرض للتعرف على وجهات النظر المختلفة للأطراف المعنية فى اليمن وأطروحاتها السياسية التى غالباً ما تعكس مصالحها الآنية من جهة ، ومصالح الأطراف العربية المتورطة فى الصراع من جهة أخرى . راجع كتاب السيد عبد الله الحسنى : مؤتمر حرض وثائق ومحاضر ، ص ١١٥ وما بعدها .

(٦٣) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٦٣ ٤٦٤ .

(٦٤) كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية فى ربع قرن ، ص ١٦ .

(٦٥) العمرانى : الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٤٤٤ .

(٦٦) يعكس هذا المصطلح السياسى وجود معارضة قوية أطلقت على نفسها ، تارة تسمية (حزب الشورى)، وتارة أخرى تسمية (اتحاد القوى الشعبية)بزعامة أسرة الوزير التى شارك رجالاتها فى أحداث الحكومة الدستورية فى ١٧ شباط من عام ١٩٤٨ . وقد ضم هذا الائتلاف السياسى عدداً لا بأس به من الساسة المخضرمين من جمهوريين وملكيين ، ممن أعلنوا انشقاقهم عن النظامين الجمهورى والإمامى . ويرى اتباع

هــذا الــتيار أن الحل الأمثل للمشكلة اليمنية هو إفساح المجال للعناصر المستقلة في بحث أسباب الأزمة وتقــديم الحــلول الناجعة لها ، كالأخذ مثلاً بفكرة قيام دولة اليمن الإسلامية ، بدلاً من النظامين الإمامي المــلكي الاستبدادي والنظام الجمهوري العسكري . ولا يزال قادة هذا التنظيم يتطلعون للعب مثل هذا الــدور في الوقــت الراهن ، رغم أن المعادلة السياسية قد تحولت بشكل ملحوظ بعد قيام دولة الوحدة في ٢٢ مايو من عام ١٩٩٠ .

(٦٧) غليس : التجديد في فكر الإمامة ، سبق ذكره . ص ١٦٩ .

(٦٨) انظــر خطاب القاضي عبد الرحمن الإرياني الموجه لمؤتمر الشباب المنعقد في ٨ مارس ١٩٦٩ في كتاب وزارة الإعــلام تحت عنوان : وثائق يمنية ، ص ٦٢ ، وانظر أيضاً ملاحظات أبو غانم : القبيلة والدولة ، سبق ذكره ، ص ٣٢٨ .

(٦٩) إيلينا : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٧٧ .

(٧٠) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(٧١) في هــذه الفقرة ، يندب الزبيري هنا علماء المؤسسة الإمامية الذين تعرض بعضهم للتصفية الجسدية في الأيام الأولى من قيام الثورة ، حيث أصدرت محكمة أمن الثورة حكم الإعدام في حق بعضهم دون محاكمة عادلة . راجع الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٥ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

(٧٤) انظــر تفاصيل ذلك في كتاب الجناحي : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٤٤ ، والصياد : السلطة والمعارضة في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٩٥ .

(٧٥) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره . ص ١٥ .

(٧٦) أوبالانس : اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٧٧) كــانت الأطــر التي رسمها هذا الصلح قد مهدت الطريق لظهور ما يسمى بالمملكة المتوكلية اليمانية ، في حــين ظــلت عــدن ومحمياتها التسع ترزح تحت إدارة الاحتلال البريطاني . انظر سالم : تكوين اليمن الحديث ، سبق ذكره ، ص ١٤٤ .

(٧٨) انظر سالم : تكوين اليمن الحديث . سبق ذكره ، ص ١٤٤ .

(٧٩) المخابــرات العامة : تقرير دوري عن أعمال التخريب التي يشنها عملاء الطابور الخامس داخل مدينة صنعاء ، حرر في ٩ مارس ١٩٦٥ لمكتب رئاسة الجمهورية ، ص ٤ .

(٨٠) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٦ .

(٨١) انظـــر لورنس : اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦ ، وراجـــع أيضـــاً جيراسيموف : " القبلية فى اليمن " ، قضايا العصر ، العدد ٤ (إبريل ١٩٩١) ، سبق ذكره ، ص ١٣٥ .

(٨٢) الجاوى : حصار صنعاء ، سبق ذكره ، ص ٤ وما تليها .

(٨٣) تكرر استخدام عبارة (الخروج) بشكل ملفت للنظر فى بيان حزب الله الصادر فى شهر مارس من عام ١٩٦٥ ، فى كـــتاب الطيـــب : الـــتاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٩-٢٤. والخروج من وجهة نظر الـــزبيرى ، لم يكن خروجاً مكانياً وزمانياً ونفسياً ، وإنما خروجاً عقائدياً ، أى ثورة على الثورة ؛ أو كما يؤكد المقالح تلك الفكرة العقلية التى نشأت وترعرعت فى الفكر الزيدى فأعطته طابعاً ثورياً " فهى تعنى فى الأساس الخروج على الحاكم الجائر .. والخروج حتى على المذهب نفسه .. " انظر المقالح : قراءة فى فكر الـــزيدية والمعـــتزلة ، ص٣٠-٣١ ، وأحمـــد محمود صبحى : فى علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين ، (ج٣ - الزيدية) ، ص ٤٦٠ ، وأحمد الصياد : السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٨٤) عبد الإله : نكسة الثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٧ .

(٨٥) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٩ - ٢٤ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(٨٧) المصدر نفسه .

(٨٨) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(٨٩) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٣٩ .

(٩٠) كـــانت تجـــربة المجلس الجمهورى تجسد تجربة حزب الله بشكل عملي،حيث ساد الانسجام لفترة زمنية قصيرة بين سلطة أهل الحل والعقد وبين سلطة العسكر من جهة ، وسلطة مشائخ القبائل الذين برزوا على الســـطح كقـــوة سياسية فاعلة من جهة أخرى . لكن الحكم الجماعي للمجلس سرعان ما تحول إلى ملك عضـــوض ، حيث تفرد فخامة رئيس المجلس الجمهورى القاضى العلامة عبد الرحمـــن بن يحي الإريانى بالسلطة والحكم ، الأمـــر الذى أثار حفيظة المؤسستين - العسكرية والقبلية ، فتحركتا فى يوم ١٣ يونيو مـــن عـــام ١٩٧٤ للإطاحة بوصاية الفقيه المحتسب على الثورة والجمهورية . قارن بين القراءة المختزلة للصـــحفي الرئيس : رياح الجنوب اليمن ودوره فى الجزيرة العربية ، سبق ذكره ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، وقراءة الصياد : السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر ، سبق ذكره ، ص ٣٢٤-٣٢٥ .

(٩١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٩٢) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢٢ .

(٩٣) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٦٩.

(٩٤) المقالح : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص ٣١ .

(٩٥) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ١٠٠ .

(٩٦) البردونى : من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، سبق ذكره ، ص ٢٨ .

(٩٧) كتبت الباحثة السوفيتية جلوبوفسكايا فى كتابها التطور السياسى للجمهورية العربية اليمنية (ص ٨٣ - ٨٤) ما يلى : " وكان ميثاق الطائف موجهاً بالدرجة الأولى لتلبية مصالح الملكيين والقوى الرجعية العربية الواقعة ورائهم . وأيضاً الإمبريالية ، ويعتبر ميثاق الطائف أول وثيقة تعبر فيها الأوساط الجمهورية اليمنية عن استعدادها لرفض النظام الجمهورى ؛ واعترفت الوثيقة قانوناً بشرعية ادعاءات الملكيين بالسلطة وجعلتهم فى وضع متساوٍ مع الجمهوريين . "

(٩٨) الزبيرى : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن . سبق ذكره ، ص ٢٤ .

(٩٩) انظر كلّ من العينى : المؤامرات ومعارك ضد قضية اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٠٣، والشامى : رياح التغيير فى اليمن . سبق ذكره ، ص ٥٣٥ .

(١٠٠) انظر :

Zabarah. Op. cit. p.98.

(١٠١) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(١٠٢) بعد تبيان العلاقة الحميمة بين الثورتين - اليمنية والمصرية - يوجه الزبيرى اهتمامه نحو محتوى هذه العلاقة بين التجربتين وإمكانية التعايش السلمى بين المجتمع اليمنى الذى يعتنق الإسلامى عقيدة ومبدأ ، وبين نظام السلال الذى يحاول فرض إرادته على المؤسستين - الدينية والقبلية مستنداً بقوة على الدعم المصرى الغير محدود لحكومته . انظر كلٌ من ليونارد بايندر : الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط ، ص ١٨١ ، وراجع خطاب القاضى الزبيرى فى ملف مجلة الكلمة : " وثائق أدبية وفكرية " ، الكلمة العدد ٣٩ ((يونيو - يوليو ، ١٩٧٦)) ص ١١٠.

(١٠٣) المقالح : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(١٠٤) انظر خطاب عبد الناصر فى كتاب الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره، ص ٢٥٩ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(١٠٦) من إجابات الفريق محمد فوزى وزير الحربية ورئيس هيئة الأركان السابق ، حررت فى القاهرة فى ٨ فبراير ١٩٩٠ .

(١٠٧) نحيل القارئ لدراستنا المتعلقة بالحركة الإسلامية المعاصرة فى اليمن :

Al-Msaudi: "The Islamic Movement in Yemen", Middle East Affairs, winter 1995, Vol No 2-3, p. 32-33.

(١٠٨) البردوني : من أول قصيدة إلى أخر طلقة ، سبق ذكره ، ص ٢٤ .

(١٠٩) انظر مقالة مطهر علي الإرياني في الموسوعة اليمنية ، سبق ذكره ، ج٢ ، ص ٨٣٤ – ٨٣٥ .

(١١٠) غليس : التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٦. (١١١) الجناحي : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٩٢ .

(١١٢) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ١٢٣ .

(١١٣) انظـر تفاصـيل المؤتمر الصحفي الذى عقده سفير اليمن المتجول الأستاذ محمد أحمد نعمان في نشرة الوثائق العربية بتاريخ ٢٧ / ٤ / ١٩٦٤ ، سبق ذكره ، ص ٢٥٧ .

(١١٤) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ١٢٤.

(١١٥) ناجي : التاريخ العسكرى لليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٣٤ .

(١١٦) المخابـرات العامـة : تقرير عام عن الموقف العسكرى في حدود قبيلة أرحب وبني الحارث ، مكتب الاستطلاع والأمن الحربي ، صنعاء حرر في ١٢ / ٩ / ١٩٦٤ ، ص ٣.

(١١٧) الأسودى : حركة الأحرار اليمنيين والبحث عن الحقيقة، سبق ذكره، ص٢٠٧ .

(١١٨) لورنس : اللعبة الكبرى ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

(١١٩) أوبالانس : اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٥٦ .

(١٢٠) تناقضـت السياسة المصرية حيث ظهرت مراكز قوى ترفع راية عبد الناصر لكنها تتحدى سياسته ، وانـتقل هـذا التناقض إلى اليمن ، فكانت القيادة المصرية تحرك القبائل اليمنية بالمال والسلاح بواسطة العميديـن عـباس فهمي ومحمد قاسم ضابطي الاتصال العربيين لدى وزارة شئون القبائل . انظر كلّ من البيضـانى : مصر وثورة اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٣، وأبو غانم : القبيلة والدولة ، سبق ذكره ، ص ٣٢٧ وما تليها .

(١٢١) انظر :

Afaf Lutfi al-Sayyid Marsot. Egypt in the Reign of Muhammad Ali, p.202.

(١٢٢) كير : الحرب العربية الباردة ، سبق ذكره ، ص ٦٢ .

(١٢٣) أحمد : الدور المصرى في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٨٩ .

(١٢٤) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآيتين ١٠٤-١٠٥ .

(١٢٥) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٣٣-٣٤.

(١٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(١٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

(١٢٩) انظر :

J.E. Peterson. Yemen The Search for a Modern State, p. 144-145.

(١٣٠) يعرف بعض الدارسين المذهب الهادوى على أنه مذهب سياسى وفكرى كتحصيل حاصل لتراث معتزلة اليمن فى صدر الإسلام ، وما رافق تلك الحقبة التاريخية من قمع سياسى لرموز هذا الفكر فى العهدين الأموى والعباسي.راجع زيد: معتزلة اليمن دولة الهادى وفكره، سبق ذكره، ص١٥٧-١٥٨، و حسين عبد الله العمرى : الإمام الشوكانى رائد عصره (باب الإمامة أو الولاية العامة) ، ص ٣٠٨ وما بعدها، وأشواق غليس : التجديد فى فكر الإمامة عند الزيدية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٨٤.

(١٣١) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(١٣٢) انظر مطارحات الإريانى فى كتاب من وراء الأسوار ، سبق ذكره ، ص ٣٤ .

(١٣٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

(١٣٤) أحمد : قيام الدولة الزيدية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٦٦ .

(١٣٥) يذهب زيدية اليمن الهادوية إلى أن الدعوة والخروج ملزمة لكل سيد هاشمى يأنس فى نفسه الكفاءة لمنصب الخلافة ، مستدلين بذلك على الحديث الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم : " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات موتة جاهلية " . انظر الصاحب بن عباد : الزيدية ، ص ١٨٧ .

(١٣٦) الشماحى : اليمن الإنسان والحضارة ، سبق ذكره ، ص ٢٢٥ .

(١٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .

(١٣٨) راجع عن الخلفية الثقافية والسياسية لجيل (١٩٨٤) أحمد بن محمد الشامى : رياح التغيير فى اليمن ، ص ٨٥ ، وأحمد عبد الرحمن المعلمى : الثورة المصرية فى الأدب اليمنى ، ص ٢٦ .

(١٣٩) حول عقيدة الأحرار اليمنيين ، انظر سالم : مجلة الحكمة اليمانية ، سبق ذكره ، ص ٥٣-٥٤ ، وحول التجانس السياسى والثقافى لقيادة المعارضة اليمنية التى تأطرت أواصرها وراء أسوار سجن حجة ، بهذا الصدد راجع العمرانى : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧٥، وانظر أيضاً الفصل الرابع (أفق المعارضة) فى كتاب الصائدى : حركة المعارضة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٥٠ وما بعدها، انظر أيضاً :

Zein A. Al-Abdin: " The Free Yemeni Movement (1940-48) And Its Ideas of Reform ", Middle East Studies, Vol. 15, no 1 (January 1979), p. 39 - 40 .

(١٤٠) البيضاني : مصر وثورة اليمن ، سبق ذكره ، ص١٤٦.

(١٤١) أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ١٩٨ .

(١٤٢) الظاهرى : القبيلة والنظام السياسى ، ص ١٣٩ .

(١٤٣) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(١٤٤) شحرة : " الشهيد الزبيرى والعمل الحزبى " ، سبق ذكره ، ص٤٤ .

(١٤٥) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٥٦ - ٥٩ .

(١٤٦) أبو غانم : القبيلة والدولة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧١ .

(١٤٧) الشرجبى : القرية والدولة فى المجتمع اليمنى ، سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

(١٤٨) من إجابات القاضى الإريانى ، سبق ذكره .

(١٤٩) القاسمى : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٥٥ .

(١٥٠) انظر عطية المصري: النجم الأحمر فوق اليمن ، ص ٣١، وتقدم دراسة شاكر الجواهري: الصراع فى عدن ، مطبعة مدبولى ، القاهرة، ١٩٩٢ ، تحليلاً أشمل للثورة اليمنية (١٤ أكتوبر ١٩٦٣) ، وتداعياتها السياسية خلال فترتى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ودراسة على الصراف: اليمن الجنوبى فى الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة (مؤسسة رياض الريس، لندن، ١٩٩٢)، مداخلة شخصية تعرض فيها الكاتب لطبيعة الصراع على السلطة فى تجربة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

الفصل السادس

عنف السلطة ومحنة المعارضة

عوامل انقسام النخبة :

إن أهم درس يمكن استخلاصه من تجربة الثورة اليمنية هو أن المؤسسة العسكرية لعبت دوراً فـاعلاً فى الحياة السياسية وعملية التحديث فى المجتمع ، حيث أظهر العسكريون طموحاً واضحاً فى السلطة ، كما يظهر ذلك من تشكيل أول حكومة برئاسة السلال . [انظر الجدول ٦ فى الملحق ٤] وإذا كان الصراع على السلطة بين القادة العسكريين والساسة المدنيين قد ظهـر على السطح منذ الشهور الأولى لقيام الثورة ، فإنه ظل قائماً حتى قدَّم الزبيرى ورفاقه استقالتهم الجماعيـة عـن الحكومة ؛ وبالتالى أعلنوا خروجهم عن نظام السلال فى مارس عـام ١٩٦٥ . [١] ولم يكن الخلاف بين الطرفين مبنياً على قضايا جوهرية تتعلق بمستقبل نظام الحكم فى البلاد ، بل على الممارسات والأساليب التى انتهجتها الحكومة فى معالجة أزمة الحرب الأهلية .

سـنحدد بدقة فى سياق هذا الفصل عوامل انقسام النخبة وتعمق الخلافات حول مفهوم السـلام والمصـالحة الوطـنية ، وهو خلاف عمقته أحداث الحرب الأهلية ، فكانت نتيجته الأساسية تبلور صيغة مجلس الرئاسة ، أو بتعبير أكثر دقة المجلس الجمهوري. ففى حين حرص العسـكريون عـلى تكريس مكانتهم فى السلطة ، كان الساسة المدنيون يحاولون فك ارتباط الجيش بالسياسة وتحويله إلى مؤسسة رسمية تخضع لنفوذهم . وحول هذه النقطة بالذات كتب الزبيرى : " .. أن جميع الضباط الأحرار الشرفاء هم معنا لا يؤمنون بأن يكون الحكم فى اليمن حكماً عسكرياً . ونحن نعرف أيضاً أنهم لم يشاركوا فى تدعيم هذا النوع من الحكم ، بل إنهم معـنا يعارضـونه ويرفضونه ، لأنهم ضحاياه .. والعلاج الوحيد لهذا الإشكال هو أن ينضم الضباط الأحرار الشرفاء إلى حركة حزب الله ويوحدوا مطالبه ، ويقنعوا الشعب بالحقيقة التى نعرفها .. " [٢]

وكــانت مهمة غرس قيم مدنية ذات توجهات دينية قبلية أكثر منها وطنية قومية تفرض على قيادة الجيش القيام بمهام عسكرية محضة تنحصر فى الدفاع عن النظام الجمهورى ، وحماية الأمن العام فى البلاد مسألة غير واردة فى أذهان العسكريين . ولم تكن هذه المهمة سهلة بالنسبة للساسة المدنيين المنخرطين فى السلطة ، ذلك لأن " النمط الانقلابى هو أساس الخلاف فى اليمن الشــمالى ، سواء فى شكل انقلابات سياسية أو عسكرية .. وكان تحرك الجيش فيها من قبيل تنفيذ مهام أسندت إليه ، أما الانقلابات العسكرية فقد حدثت فى حالتين : إحداهما ضد النظام الملكى القــائم ، وتمخض عنها تأسيس نظام عسكرى ثورى ، والثانية ضد نظام عسكرى ، وأدت إلى تغيــير هذا النظام ، ومن ثم كان العنف هو القاسم المشترك الأعظم بين كل أشكال الخلافة . " (٣)

فى ســنوات الثورة الأولى ، لم يكن الجناح المنشق عن المعسكر الجمهورى ، قد نمى إلى تلك الدرجة التى تحيله إلى حزب سياسى منظم ، بقدر ما كانت زعامته تمثل المصالح المكتسبة لتــلك الأســر المتنفذة التى نمت وترعرعت فى فترة المملكة المتوكلية اليمانية . حيث اقتصر نشــاطها فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية على دعوة السلام والمصالحة الوطنية ، والتعجيل بسحب القوات المصرية من البلاد ، تمهيداً للدخول فى مفاوضات مباشرة مع المعسكر الملكى والحكومـــة السعودية فى لقاء الطائف . (٤) كانت زعامات هذه المعارضة تتمتع بسمعة طيبة ، تفــوق مــا يتمتع به الضباط العسكريين والتجار المدنيين الذين كانوا يمثلون المصالح التجارية لســكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية ، المقربين من القيادتين اليمنية والمصرية . وللتعبير عــن استــنكارهم لمظاهــر الفساد المالى والتكتلات الفئوية التى حرص الرئيس السلال على تغذيتها، قدم الزبيرى ورفاقه استقالتهم الجماعية عن الحكومة. وهكذا أخذت المعارضة تكشف عــن توجهها السياسى المناهض للحكومة والوجود المصرى ، حين هاجم المؤتمرون فى عمران وخمــر والطــائف ســلطات صنعاء متهمين إياها بتبنى سياسة الفرقة المذهبية ضد قطاع من السكان ، وبالإخفاق كلية فى حل أزمة الحرب الأهلية . (٥)

لقــد أرادت زعامـــة المعارضـــة ممثلة بحزب الله وكتلة خمر تقديم حلولاً جاهزة للوجود المصـــرى ، باعتــباره جــزء لا يتجزأ من المشكلة اليمنية ، من خلال تبنيها مشروع السلام والمصالحة الوطنية فى مؤتمرا عمران وخمر . لكن مهمتها كانت غاية فى الصعوبة ، كما أخذت الهــوة تتســع بين الحكومة والمعارضة ، حيث عبرت الأخيرة عن تذمرها الشديد من الحكم العســكرى ، كمــا أفصح عن ذلك الزبيرى فى قوله : " الحكم الجمهورى الذى نريده هو :

الحكـــم الجمهـــورى الإسلامى الصحيح ، يقوم على أساس الشورى .. الحكم الجمهورى هو الذى قامت من أجله الثورة ، هو الذى فى ظله : يحكم الشعب نفسه بنفسه، وتكون له الحرية فى أن يختار حكامه وأن يعزلهم من مناصبهم.. " (٦)

لكـــن هـــذه الوجهـــة القائلة بضرورة تطبيق مبدأ حكم الشورى فى الإسلام ، لم تكن أطـــروحاتها مقـــبولة لـــدى الحكومة ، لأن البلاد كانت تمر بظرف دقيق للغاية، وإن السلام والمصالحة كان أيضاً أمر بعيد المنال ، نظراً للموقف السعودى الداعم للمقاومة الملكية المسلحة . ومثـــلما رفضـــت القيادتين اليمنية والمصرية الاستجابة لمطالب المعارضة بالبحث عن تسوية سياســـية للحرب الأهلية ، رفضت زعامة حزب الله الإذعان لمشيئتهما . اكتسب الزبيرى من خـــلال هذه الدعوة قاعدة شعبية فى ذلك المحيط القبلى المغرق فى عزلته السياسية عن مجريات العصـــر والحيـــاة الحديثـــة ، حيث حاول توظيف الدين فى صالح القبيلة وفق تصوره الخاص لماهية النظام الجمهورى ، مهملاً بذلك إمكانية التوفيق بين النـــزعتين الدينية القبلية والوطنية القومية .

مـــن هذا المنطلق ، يرتكز برنامج المعارضة على فكرتين : فكرة تأطير الحكم الجمهورى وفق تصورها الخاص لمفهوم الحكم الشعبى ، وهذا يعنى إلغاء الحكم العسكرى لتحل محله سلطة مدنيـــة مكونة من أهل الحل والعقد . فالدعوة إلى قيام جمهورية إسلامية مستقلة ذات سيادة ، عاصـــمتها خمـــر أو عمران ، وعلى الأرجح يحدد هذا الاتجاه البيان الذى وجهته المعارضة إلى ضباط الجيش اليمنى : " قلنا إننا نريدها جمهورية إسلامية ، لا حكماً عسكرياً " . (٧) وفى ذلك إشارة واضحة إلى واقع المعارضة التى أخذت على عاتقها مسئولية " ... إنقاذ سمعة الجيش اليمنى من سوء السمعة التى جرها عليه حفنة تعد بالأصابع، اغتصبت السلطة العليا، وصبغت النظام الجمهـــورى بصبغة الحكم العسكرى ، وجعلت الشعب اليمنى كله يفهم هذا الفهم ويتأجج حقداً وغيظاً .. " (٨)

وفيما يتعلق برد فعل المعارضة على تفرد السلال بحكم البلاد ، وجهت له تهمة اغتصاب الســـلطة ، وصـــبغ النظام الجمهورى بالصبغة العسكرية . يجب التفريق هنا بين موقف زعامة حـــزب الله الـــتى أخـــذت تطالب بخلع السلال ، وبين زعامة كتلة خمر التى كانت تطمح فى الحصول على المزيد من المكاسب السياسية بصرف النظر عمن يحكم البلاد . وقد أدى موقف الطـــرفين إلى تعزيز نفوذ القوى القبلية فى الدولة ، لا سيما بعد أن استجابت القيادتين اليمنية

والمضـــرية لمطـــالب المشايخ بحصص متساوية في الحكومة ومجلس الرئاسة . وفي ظل الأحكام العرفية فى البلاد، حظرت السلطات العمل الحزبي ، الأمر الذى سهل لزعماء العشائر استغلال هذا الفراغ السياسى فحاولوا تعزيز مواقعهم فى أجهزة الدولة . كان الهيكل الاجتماعى سواء لحزب الله أو كتلة خمر ، يعتمد بدرجة أساسية على العلماء والمشايخ ، الذين عقدوا مؤتمرات شعبية داخل البلاد وخارجها حتف أنف السلطة . وكان الاعتراف الضمنى للحكومة بزعامة القاضى الزبيرى الروحية ، يعنى الاعتراف أيضاً بزعامة الشيخ الأحمر على الجميع ، على الأقل فى حدود قبيلته .

ولمـا كانت المعارضة تحتاج إلى زعيم يمتلك الحكمة والمبادرة ، تولى الزبيرى هذه المهمة الصـــعبة . ويـــرى القاضــــى أن حزب الله هو استمرار وتواصل لمسار الحركة الإسلامية منذ انطلاقتها الأولى فى مرحلة شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد اعتمد حزبه بصورة أساســية عـــلى تجمع كتلة خمر ، إلا أنه حاول توسيع قاعدة تحالفه السياسى مع اتحاد القوى الشعبية المنشق عن مجلس الإمامة ، ليشكلا معاً ائتلاف القوى الثالثة ، وذلك من خلال تبنيهما لمشروع دولة اليمن الإسلامية ، الذى يرتكز على مبدأ الحكم الشعبى (القبلى) ، ليحل محل المذهـــبية الدينية التى سبق وأن كرستها المؤسسة الإمامية فى العهد الملكى ، " كى يتسنى لتلك القـــاعدة الشـــيطانية – فرق تسد – أن تمزق وحدة الشعب وتمنعه من التكتل ضد الأوضاع القائمـــة ، .. " [٩] علماً بأن هذه المسألة – دولة اليمن الإسلامية – نقطة خلاف بين قيادات المعارضـــة ، التى ارتأت بعضها (عبد الرحمن الإريانى ومحسن العينى) " .. إلغاء حزب الله ، ولم توضـــع جذور عميقة لحركة شعبية . وأعظم مكسب هو مشروع الدستور ، الذى وافق عـــليه رئيس الدولة ، وأصدر قراراً بالعمل به ضمن موافقته على قرارات المؤتمر كمرحلة من مراحل احتواء الموقف والإعداد لضربه وضرب المؤتمرين والحكومة . " [١٠]

هكـــذا تـــبرز ثلاث مكونات سياسية وثقافية ، جسدتها تجربة حزب الله خلال الثلاث الســـنوات الأولى مـــن عمر الثورة اليمنية : المكون الدينى بخصوصيته الفقهية ، طبقاً لمفهوم الحسبة عند الزيدية الذى استقاه القاضى الزبيرى من ثقافته الدينية منذ نعومة أظفاره وهو طالباً بالمدرسة العلمية . أما المكون السياسى الوطنى ، فقد اكتسبه فى مرحلة الاتحاد اليمنى مجاراة منه للمد القومى العربى ، حيث " .. ساقته هذه الوضعية إلى تبنى مفاهيم غريبة ومواقف مثيرة ليس فيها شيء من الحكمة والكياسة ، ولعل الجميع يذكر حتى الآن ما أثاره الدكتور البيضانى حول الهاشمية قبل الثورة .. " [١١]

إن دراســـة المكونـــات الثقافية لزعامة حزب الله تعكس توجهاتها الفكرية موقفاً سياسياً مناهضاً ليس للحكم العسكرى الجمهورى فحسب ، بل وللوجود المصرى . فالإثارة والعرض للمشكلة اليمنية من منطلق دينى أو قبلى ، كانت بطبيعة الحال مستعدة للتكيف مع الظروف المســـتجدة محـــلياً وعـــربياً ، وما يترتب على ذلك من توزيع الأدوار طبقاً لمقتضيات الحاجة والضـــرورة السياسية . فالخطاب السياسى للمعارضة ، اتسم بالترغيب والترهيب ، والدفاع والهجـــوم من جهة علاقتها بالسلطة الحاكمة ، والنظام السياسى القائم الذى كانت تقبل به ، لكنها ترفض الاعتراف بالقائمين عليه . فالذات اليمنية ، أو العقدة اليزنية مثلاً ، كان المكون الأكثر دلالة على الحدس السياسى لزعامة المعارضة، التى ترفض الوصاية الخارجية على الشعب اليمني. فهذه المعارضة تبدو واضحة من خلال خطب الزبيرى وتصريحاته ، فصنعاء من وجهة نظره " .. كانت مركز الصراع ومركز الحكم فى آن واحد ، الثورة استولت عليها من الإمام يحيى ، والجيش المصرى يحرسها وأبناء الإمام وأحفاده وأسباطه يريدون العودة إليها .. " (١٢)

وهكذا تعود هذه الجدلية القديمة – قحطانية عدنانية – التى تحكم المركز صنعاء بالمحيط القبلى ، وهى علاقات دائماً تبدو متوترة ، تظهر على السطح فى شكل سلسلة من الانفجارات والتمردات القبلية التى تشنها الأطراف ضد المركز . فالمركز لا يمنح الأطراف شيئاً إلا ما كان قد أخذ منها عنوة ، وهذه النظرية أكدها زعيم حزب الله قبيل انعقاد مؤتمر خمر بأيام معدودة . بعث الزبيرى رسالة من قمة برط إلى أحد أقاربه فى صنعاء (يحيى بن محمد الزبيرى) ، شارحاً فيها الظروف الصعبة المحيطة بمهمته بعد الخروج : " إننا نعيش بهذه الفكرة الرائعة فى شبه أعياد رغم البرد والجبال والصعوبات . إن شعبنا جبار ولا بد من الخضوع له ، ولا قيمة لمن ينحرف من الأفراد . إننا نريد لكل قبيلة رواداً وقادة ، فليتهيأ الشباب المخلص حتى نعلن إليهم ذلك . إنه لم يعد يهمنا أمر الحكومة ، ولكن يهمنا تنظيم عقائدى للشعب . إن هذا هو دورنا . " (١٣)

لقـــد حرص الزبيرى ، استناداً إلى أقوال أنصاره الذين رافقوه فى رحلته المضنية إلى جبل بـــرط ، على أن يلفت نظرهم إلى الدور المستقبلى الذى ينتظرهم لمواصلة مسيرة حزب الله . كـــانت مهمـــته غاية فى الصعوبة كما وضحها فى سياق خطابه الموجه إلى أحد أقاربه المقيمين فى صـــنعاء . فعـــلى خلاف غالبية أقطاب المعارضة ، لم يستخدم القاضى مبدأ التقية والتورية الفقهيـــة ، لتفادى بطش السلطة ، فهو يحث الشباب الناشئة على تبنى " منهج ثورى متكامل تحـــت قيادة حزب الله " ، كما يشدد عليهم " أن يدرسوا كتباً إسلامية ويهيئوا أنفسهم لهذه الرســـالة الـــثورية التى لا طريق للثورة فى بلادنا سواها .. فالحقل الوحيد لنمو الشخصية هى

الجمـــاهير ومنطلقاتها الروحية والاجتماعية .. " [١٤] وبذلك كان أكثر الساسة المدنيين تطرفاً لضرورة تعبئة المؤسسة القبلية لمواجهة طغيان المؤسسة العسكرية وتسلط الضباط على مقاليد السلطة فى البلاد .

وللوقوف على حقيقة هذا الدور ، فى خطبه ومراسلاته ، لا تستقيم قراءة مسيرة حزب الله إلا فى ضـــوء تجربـــته الشخصية التى تمزج مزجاً فاعلاً وحياً بين الدعوة لتبنى منهج ثورى مـــتكامل وبين الممارسة من خلال التزام خط إسلامى مناهض للمؤسسة العسكرية . وفى هذا الإطار استغل القاضى الزبيرى موقعه فى السلطة ، لأكثر الأحاديث جراءة فى التحريض والتعبئة العامـــة للقـــبائل اليمـــنية وحثها على المشاركة فى المؤتمرات الشعبية . وفسر الكثيرون دعوة الـــزبيرى هـــذه تحيزاً ملموساً لصالح القبيلة ، وسخروا من قوله " أن جماهير القبائل ستخرج العباقرة والقادة والزعماء . " [١٥]

ويـــناقش بـــرنامج حـــزب الله الذى وضع فى مارس ١٩٦٥ ، بإسهاب مسألة التغيير السياسى المطلوب فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . وقد اقترحت زعامته تعديل الدستور ، وإقامة مجلس جمهورى ، وتأليف مجلس دفاع وطنى ، وإعلان قيام جيش شعبى من أبناء القبائل، وضـــمان حرية الرأى والتعبير . [١٦] وفيما يخص النظام السياسى بعد المرحلة الانتقالية تحدثت المعارضـــة عـــن إمكانية قيام مؤتمر شعبى ، يحدد فيه " أهل الحل والعقد فى البلاد من العلماء والمشـــايخ والقـــادة العسكريين، وأهل الرأى والخبرة ، ثم يختاروا رئيساً لجمهوريتهم، ووليًّا لأمـــرهم بحرية تامة دون ضغط أو إكراه ، على أن يكون من يختاروه ممن تتوفر فيهم الكفاءة والأهـــلية والصـــلاح لولايـــة أمرهم . " [١٧] وفى إطار العمل السياسى الموجه ضد الحكومة والقيـــادة المصـــرية ، تعهدت المعارضة بمواصلة " .. الكفاح وحدنا من بعيد .. فى أى جبل ، وفى أى كهـــف أو قرية ، ونستطيع أن نحضر صنعاء ، ونناى بنفس الدعوة المبرورة . " [١٨] وفى حـــين كانت نشرات الحزب تدعو الشعب إلى الالتفاف حول النظام الجمهورى ، كانت زعامـــته لا ترى ضيراً فى الالتقاء مع عناصر المعارضة الملكية ، التى أخذت تطالب بقيام دولة اليمن الإسلامية . وهكذا يضع الزبيرى شرطاً أساسياً لبقاء النظام الجمهورى واستمراريته ".. نصـــرة الحـــق وأهله ، والدفاع عنه ، والانقياد له ، والجهاد فى سبيله باختياره المنقذ لليمن ، والتمســـك بالـــنظام الجمهورى اليمنى المبنى على الشورى .. ، لقوله تعالى [وأمرهم شورى بينهم] . " [١٩]

ويمكننا أن نستنتج بعد ذلك كله ، أن ما أخذته الحركة الوطنية من تراث الزبيرى ، هو ذلك الدور الريادى الذى ينتقل باليمن من حضارة القرن العشرين إلى صدر الإسلام ، حيث يبنى القاضى محمد نظرته العقدية إلى المشكلة اليمنية على مجموعة مفاهيم فقهية سياسية وتاريخية اجتماعية ، صياغتها النظرية ضعيفة ، لكنها مشحونة بالألفاظ والمصطلحات ، وفى مقدمتها " الخصوصية اليمنية " . فالقبائل اليمنية فى نظره "ينبوع العروبة .. رفعوا راية العروبة والإسلام إلى أقطار المعمورة .. وهم السلاح فى يمين الشعب يهزه كلما ألمت به الملمات ، ولولاها لفنى العرب وانقرضوا ، وانحلت قواهم فى سموم المدينة ، وانسحقوا تحت أقدام الغزاة .. " (٢٠)

يدافع الزبيرى عن دور القبيلة اليمنية فى التاريخ ، بالقدر نفسه الذى يدافع فيه عن الشريعة الغائبة فى ظل الأحكام العرفية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . فبدل التنظير لمرحلة قادمة ، انصب التفكير على مرحلة ماضية ، وعلى نقد تصرفات الحكام والاحتساب عليهم . من هنا كانت دعوة حزب الله فى اليمن تجربة قاصرة يعوزها التنظير بموضوعية لواقع الحال فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، فى ضوء التدخل المصرى لصالح النظام الجمهورى . فالرئيس السلال الذى فرضته الأحداث فرضاً على تنظيم الضباط الأحرار ، جاء تجسيداً لتلك الحقبة الناصرية ، حيث هيمن على مقاليد السلطة والحكم فى اليمن الجمهورى النخب العسكرية المنبثقة من بين صفوف الشعب . (٢١) هذا اللون من الحكم العسكرى كما فهمته المعارضة فى خطابها السياسى ، كان يتنافى مع مفهوم حكم الشورى فى الإسلام ، ولم تكن البيئة السياسية فى اليمن مهيأة لتقبله واستيعابه .

تعددت خلال هذه المرحلة مواقف جميع المعنيين بحل أزمة الحرب الأهلية ، حيث برزت فيها الملامح الواضحة لطبيعة الصراع على السلطة بين النخب المدنية والعسكرية . وكان الدعم السياسى الذى قدمته الجمهورية العربية المتحدة لحكومة الجمهورية العربية اليمنية ، قد ساهم فى تعزيز مواقع العسكريين فى السلطة ، لكنه لم يساهم فى حل أزمة الحرب . فالقيادة المصرية رغم استخدامها الأسلحة الروسية الحديثة على نطاق واسع فى حرب اليمن لإخضاع القبائل المتمردة ، لم تفلح فى بسط سيطرتها على المرتفعات الشمالية والشمالية الغربية، واكتفت قواتها بفرض سيطرتها على المدن الرئيسة هناك (الجوف وصعدة وحجة وحريب ومأرب وعمران وصنعاء) ، لأنها كانت تدرك تماماً مدى خطورة الوضع الداخلي، عندما بلغ الانقسام ذروته فى الصف الجمهورى فى شتاء عام ١٩٦٤ مرحلة خطيرة لا يمكن السكوت عليها . (٢٢)

ففي تقـرير أعـده مكتب الاستطلاع والأمن الحربي المرتبط بالقيادة العربية بصنعاء في ١ ديسمبر ١٩٦٤ ، أبلغ السلطات العليا بالقاهرة أنه " تم اكتشاف تنظيم سرى في العاصمة يدعـى حـزب الله يتبناه مجموعة من الوزراء يتصدرهم الإخونجي محمد الزبيري، وانظم إليه مجموعـة مـن كبار ضباط الجيش اليمنى الذين يخططون لقلب نظام الحكم والإطاحة بالمشير السلال واغتيال قائد القوات العربية ورئيس هيئة الخبراء العرب .." وورد في التقرير " ليس في اليمن أحـد باستثناء أبناء المناطق الجنوبية يحبون المصريين والرئيس جمال عبد الناصر ". (٢٣) ولقـد ظهـرت حقيقـة الدور البارز لهذا القطاع من الشعب في استقبال سكان مدينة تعز الحـار لطلائـع القوات المصرية وضباطها ، الذين كلفتهم القيادة العليا بمصر بإعداد الخطة العسكرية (صلاح الدين) المرسومة لتحرير الجنوب اليمنى من نير الاحتلال البريطاني . (٢٤)

كما لا يفوتنا الإشارة هنا إلى أسباب زيادة حجم القوات المصرية المرابطة في اليمن منذ بداية عام ١٩٦٣ من (١٥٠٠٠) جندى ليصل عددهم في نهاية عام ١٩٦٥ إلى (٦٠٠٠٠) مقاتل مدعمين بالأسلحة الثقيلة . (٢٥) يكفى أن نعى هذه الأهمية لحجم القوات العربية المرابطة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، والضغوط الداخلية والخارجية المتزايدة التي تعرضت لها قيادتها السياسية ، سواء في نطاق مطالب المعارضة الجمهورية بإحلال السلام والمصالحة ، أو في نطاق الضـغوط الأمريكية والسعودية المطالبة بسحب الجيش المصرى من اليمن . ذلك الانسحاب المصـرى من المنطقة كان مرهوناً بهزيمة ٥ يونيو عام ١٩٦٧ من جهة ، ومتزامناً مع انسحاب القـوات البريطانية من قاعدة عدن في ٣٠ نوفمبر من نفس العام من جهة أخرى . (٢٦) ولعل الجمـاهير التي استنفرت حواسها الحرب النفسية الموجهة ضد النظام الجمهورى ، هى جماهير المدن من سكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية ، حصراً – رداع والبيضاء ويريم وإب وتعز والحديدة ، والضالع وعدن ، والريف المحيط بها ، الذى استجاب لنداء الجهاد الوطني المقدس ضـد فـلول المرتـزقة البيض الذين جندتهم الرجعية العربية لخدمة الأسرة المالكة من جهة ، وضد قوات الاحتلال البريطاني المتواجدة على أرض اليمن منذ قرن وأكثر من الزمن من جهة أخرى .

عـلى أن الأمـر كان مختلفاً نسبياً لدى سكان مدن الهضبة الشمالية والشمالية الشرقية والغـربية ، حصراً – مأرب وحريب والجوف وصعدة وشهارة وحجة وعمران وخمر ، حيث تسـود هناك أعراف القبيلة وتقاليدها . كانت المقاومة المسلحة ضد النظام الجمهورى قوية ، بفضـل سيل المساعدات المالية السعودية ودفق الأسلحة الأمريكية المنهمرة للقبائل المتمردة ،

حيث بلغ التصعيد العسكرى الذروة فى صيف عام ١٩٦٥ ، عندما تمكنت القوات الملكية ليس قطع طريق الحديدة - صنعاء فحسب ، بل الاستيلاء على حريب ومأرب وصعدة . وكان لسقوط صعده معقل الدعوة الزيدية أثره البالغ على معنويات الجمهوريين ، عندما "دعا مجلس الإمامة إلى مواصلة الجهاد ضد الغزو المصرى حتى دحر آخر جندى فرعونى من أرض اليمن ." [٢٧] غير أن القوات الجمهورية كانت قد شنت هجوماً مضاداً استعادت فيه صعدة ومأرب ، بفضل الغطاء الجوى الذى وفرته القيادة العربية للمهاجمين، وتمهيداً لانسحاب الجيش المصرى إلى مثلث طريق الحديدة - صنعاء - تعز . هذا الموقف العسكرى الجديد أصبح فيما بعد يعرف باسم " استراتيجية النفس الطويل " ، تلك السياسة التى اقتصرت على سحب القوات من عمق الهضبة الشمالية ، وحصر نشاطها العسكرى بشكل مكثف حول العاصمة صنعاء ، بهدف التقليل من حجم الخسائر المادية ، ورفع المعنويات لدى المعسكر الجمهورى . وبالتالى تأهيل طلائع الجيش اليمنى ، حديث العهد والتدريب على الأسلحة الروسية على خوض غمار حرب عصابات جبلية لمواجهة الملكيين فى جبهات القتال . [٢٨]

حرب اليمن هذه ، لا يتسع لنا المجال هنا لإيراد وقائعها كاملة ، فهى بحاجة إلى دراسة مستقلة . ولكن ما يهمنا هو دراسة تداعياتها السياسية على الساحة ، خصوصاً المعسكر الجمهورى ، حيث استعرت الانقسامات بين القادة العسكريين والساسة المدنيين حول مسألة السلام والمصالحة . وقد كانت جماعة حزب الله وكتلة خمر تتعارض مصالحها مع العسكريين المحسوبين على نظام السلال ؛ وهم من ذوى الرتب الكبيرة ، من أمثال الفريق حسن العمرى ، واللواء عبد الله جزيلان ، والعميد عبد اللطيف ضيف الله ، والعقيد على الكهالى وغيرهم . لكن بعض الأسماء الجديدة بدأت تظهر على السطح ، وهى أسماء سيكون لها وزن كبير فى معركة الدفاع عن صنعاء : النقيب عبد الرقيب عبد الوهاب ، والنقيب محمد على الجبرى ، والنقيب محمد صالح فرحان ، والنقيب على مثنى جبران ، والنقيب حمود ناجى سعيد ، والملازم محمد مهيوب الوحش ؛ جميعهم اعتنقوا الجمهورية عقيدة ومبدأ ، تلازمهم حساسية مفرطة تجاه كل ما هو تقليدى ومعتدل يميل لتسوية سياسية مع المعسكر الملكى ؛ وهم بالرغم من خبرتهم السياسية المحدودة ، كانوا يتمتعون بخبرة قتالية عالية اكتسبوها فى أرض المعركة . [٢٩] كان الجيش اليمنى الذى جعلت منه سنوات الدفاع عن الثورة والجمهورية لحمة واحدة ، تريد طلائعه أن تلعب دوراً يتناسب مع حجمه فى الحياة السياسية ، كما هو الحال فى بقية الأقطار العربية .

ولقد حاول قادة الوحدات النظامية خصوصاً الصاعقة والمظلات والمدفعية والمشاة ، استخدام مراكزهم ونفوذهم فى الجيش ، وأخذوا يفكرون بجدية بتصحيح الأوضاع المتردية فى البلاد ، تمهيداً للاستيلاء على السلطة . وكانت حرب السبعين يوماً قد أفسحت الطريق أمامهم بالوصول إلى مراكز قيادية فى وزارة الدفاع ورئاسة هيئة الأركان العامة ، رفضوا التخلى عنها بعد انتهاء المعركة ، وأعلنوا مقاومتهم الشديدة لقرارات القيادة السياسية التعسفية ، بإلغاء منظومة المقاومة الشعبية التى أصبحت رديفاً سياسياً وعسكرياً لمراكز القوى الجديدة فى الجيش والأمن العام . وقد جرت صدامات عنيفة بينهم وبين أنصار القاضى الإريانى والفريق العمرى فى أحياء العاصمة صنعاء ، كلفت المعسكر الجمهورى نحو ألف قتيل وجريح فى أحداث ٢٠ و ٢١ أغسطس من عام ١٩٦٨. (٣٠) وفى هذه الأزمة تحالفت القوى المحافظة المتواجدة فى قيادة الجيش اليمنى والجيش الشعبى (القبلى) لضرب الوحدات النظامية ، باعتبارها قوات غير موالية للشرعية السياسية تعارض مشروع السلام والمصالحة مع الملكيين .

لقد كشفت أحداث ٢١ و٢٢ أغسطس ١٩٦٨ بصنعاء الضوء بوضوح على التركيبة السياسية والاجتماعية المعقدة للقوى الجمهورية ، التى هددت مستقبل النظام الوليد الذى ساهمت فى خلقه ، عندما تطور الخلاف بين القوى القديمة المتواجدة فى الحكومة والمجلس ، وبين القوى الجديدة المتواجدة فى قيادة الجيش إلى مواجهة مكشوفة فى أحياء العاصمة . أما سبب الصراع كما أوضحه رئيس هيئة الأركان النقيب عبد الرقيب عبد الوهاب ، فكان مصدره " خيانة رئيس المجلس الجمهورى لأهداف الثورة ومبادئها فى قبوله عودة الملكيين وأنصار دولة اليمن الإسلامية إلى صنعاء ، وبيع البلاد للرجعية السعودية والإمبريالية الأمريكية . " (٣١) فالوحدات النظامية الحديثة التى أبلت بلاءً حسناً فى معركة الدفاع عن صنعاء المحاصرة فى حرب السبعين يوماً ، بعد أن تحقق لها النصر العسكرى الحاسم على الملكيين ، كان ضباطها يخشون أن تلحق بهم وحلفائهم من القوميين هزيمة سياسية من نوع آخر ، سيما وقد باشرت قوات الجيش الشعبى (القبلى) سلسلة من الاعتداءات المتكررة على مقرات المقاومة الشعبية فى صنعاء والحديدة وتعز ، وتعرض بعض ضباط القوات المسلحة وقيادات اتحاد عمال اليمن للاعتقال والتصفية الجسدية . (٣٢) إزاء ذلك ، حاولت القيادات الشابة فى الجيش إثبات وجودها فى الساحة السياسية ، فتصدى لها الفريق العمرى وأنصاره بقوة ، " وأسفرت المواجهات والاشتباكات التى استمرت أياماً وأثارت الرعب والفزع فى صنعاء وجوارها ، إلى هزيمة الوحدات التى كانت مرتبطة بالجبهة القومية فى عدن. واختلفت التحليلات والآراء حول

النتائج التى أدت إليها تلك الاشتباكات ، المستقلون وأنصار الاعتدال ، والمحافظون بشكل عام اعتبروا أن الاعتدال هو الذى انتصر ضد التطرف ، الذى كان يمثله قادة تلك الوحدات ذوو الميول الماركسية .. " (٣٣)

كانت عملية فك ارتباط الجيش عن السياسة إحدى المهام الرئيسة للمجلس والحكومة، سيما وقد اتخذ الصراع بين القديم والجديد أشكالاً سياسية متعددة ، وكان أخطرها محاولة المجلس الجمهورى اللعب على ورقة الفرقة المذهبية . ويصف أحمد الصياد طبيعة الصراع وتعقيداته فى هذه المرحلة : " هذا هو المخطط لمسيرة الثورة المضادة ، نرى من خلاله إن كل مخطط يكمل الآخر ، وإن أحداث أغسطس ١٩٦٨ التى حدثت فيها المواجهة العسكرية ، والتى حاولت السلطة أن تصبغ عليها الطابع الطائفى لم تكن سوى حلقة من ذلك المخطط ، أبرزت بشكل واضح الطبيعة الطبقية لذلك الصراع القائم بين قوى الثورة المضادة من إقطاع وبرجوازية وعناصر ظلامية ، وقوى الثورة من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين وبورجوازية صغيرة . " (٣٤) ويقلل رياض الريس من أهمية الصراع المذهبى الذى ظهر مجدداً فى سلسلة الحروب الأهلية التى شهدها اليمن عبر الحدود بين شطرى اليمن – الشمال والجنوب ، فالعامل العقائدى هو الذى فرض نفسه : " .. أن تألب القوى الرجعية ودعمها المباشر للقيادات البعثية داخل الجيش، كان السبب فى النهاية التى أدت إليها تلك المواجهات . وقد اضطر بعض قادة الوحدات للنزوح إلى عدن بمن فيهم الشخصيات المدنية . وعندما تسلم يسارو الحركة القومية السلطة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، كان بعض القادة من أبناء تعز وجوارها يحاولون إذكاء الصراع بإثارة القضية المذهبية بين الزيدية والشافعية . " (٣٥)

والرأى العام اليمنى فى مدن اليمن الرئيسة ، بقدر ما كان مهتماً بالتداعيات السياسية والعسكرية المتولدة عن الإنشقاقات السياسية فى الصف الجمهورى ، بقدر ما كان أكثر استجابة لصوت المعركة ، حيث انخرط عدد كبير من الفلاحين والعمال وطلبة المدارس فى صفوف الحرس الوطنى ومنظومة المقاومة الشعبية للدفاع عن النظام الجديد . (٣٦) وإذا كان الصراع بين القديم والجديد فى العهد الجمهورى قد أتخذ من المتناقضات الاجتماعية والسياسية شكلاً أساسياً، " فالطائفية الدينية لعبت دوراً هاماً وخفياً فى تعزيز طبيعة التفاعل السياسى فى الداخل والخارج . " (٣٧) ففى حين كان أنصار الجمهورية ، رغم الخلافات والانقسامات التى تسودهم حريصون على إقامة مجتمع الإخاء والمساواة ، كان أنصار الملكية حريصون على بعث الفتن بين السكان " فى حرب عصابات وتسلل وختر ومكر ، ولم تقدم تلك القوى

الخارجيـــة جندياً واحداً ، بل ظلت تنعم فى هذا النـــزيف الدموى ، وتمرح وتفرح طيلة ثمان سنوات. " [٣٨]

ويبدو أن فردية المشير السلال وتسلطه الدكتاتورى من جهة ، واعتداده بالدور المصرى إلى حـــد الغرور فى ميدان العمل العسكرى والسياسة من جهة أخرى ، دفعاه لأن يصطدم مع معظـــم الساســـة المدنيين من أنصار الحل السلمى . فاختلف مع القاضيين الزبيرى والإريانى والشـــيخين النعمان والأحمر ؛ إذ احتج هؤلاء على مسلكيته فى اتخاذ القرارات السياسية دون استشـــارتهم . وبالمثل رفض الزبيرى منهجه المعتمد على العنف والتصفية الجسدية لخصومه ؛ كما رفض الانصياع للقيادة المصرية وأجهزة مخابراتها العسكرية الرافضة لمشروع إنشاء جيش شـــعبى قبلى موازى فى قواته وتسليحه للجيش النظامى . ولم يبق لزعامة المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال من خيار سوى الخروج من صنعاء إلى جبل برط .

وإذا كـــان نظـــام الســـلال قد تابع عملية خروج القاضى الزبيرى من صنعاء إلى ريدة والتقاءه هناك بعدد من زعماء العشائر اليمنية الجمهورية والملكية ، فقد أرسلت القيادة المصرية عملائها لرصد تحركاته ، بل ومحاولة اعتقاله ، لكنها أحجمت عن ذلك -حرصاً منها على إبقاء الجـــبهة الشـــمالية هادئـــة . وقد كانت القيادتين – المصرية واليمنية – تعلم كل شيء عن الإجـــراءات الـــتى تم اتخاذها من قبل زعامة حزب الله وتجمع كتلة خمر من أجل نجاح المؤتمر الشـــعبى المزمع انعقاده فى مطلع شهر إبريل من عام ١٩٦٥ . كما أخذت الأخبار تصل إلى القيـــادة العـــربية بصـــنعاء تباعاً بأن عدداً من المواقع العسكرية، حيث ترابط قوات مصرية أصبحت عرضة للهجوم من قبل المتمردين بصورة منتظمة خلال شهر مارس [٣٩] ؛ وإذا أمكن تفسير مغزى ذلك التصعيد العسكرى ، فالرسالة أصبحت واضحة بالنسبة للسلطة والمعارضة .

وعلى أية حال ، كانت أجهزة المخابرات فى صنعاء ، تشير دون انقطاع إلى حالة الهدوء الذى يسبق العاصفة فى الجبهة الشمالية ، فى كل من عمران وخمر ، " أخذت عناصر حزب الله تكثف نشاطها بصورة فعالة فى أوساط القبائل المتمردة . " [٤٠] كما ورد فى تقرير خطى كتبه ضـــابط الاتصال المصرى العميد قاسم الصاروخ موجهاً للقيادة العربية بصنعاء محذراً إياها من أن الهدوء الذى يسود الجبهة " يعود أساساً إلى المرتبات الشهرية والميزانيات المخصصة للشيخ عـــبد الله الأحمـــر ورفاقه من المشائخ خصوصاً الشيخ مجاهد أبو شوارب والشيخ محمد أحمد الحـــبارى والشيخ أمين أبو رأس والشيخ سنان أبو لحوم وغيرهم ، لا زالوا يتلقوا المساعدات

المادية السخية منى شخصياً على شكل ريالات فضية وجنيهات ذهبية وبنادق أوتوماتيكية من صنع روسى ، كانت عهده فى مخزون القيادة المركزية للجبهة الشمالية . " (٤١) وقد أعرب كاتب التقرير " أن شيوخ القبائل الملتفين حول الشيخ الزبيرى ليسوا راضيين كلية عن الرئيس السلال ، ويخططوا لعزله أو اغتياله.."(٤٢)

وبسبب النجاح الذى حققه القاضى الزبيرى فى أوساط القبائل اليمنية وفى أحياء العاصمة صنعاء، حيث ألتف الأنصار من حوله باعتباره بطلاً من أبطال الإسلام والسلام، منتصراً للذات اليمنية المنكسرة تحت وطأة التدخل المصرى الذى تربو قواته على الخمسين ألف جندى وضابط . (٤٣) وترجع أهميته كزعيم سياسى أثبت مقدرة عالية فى توظيف الدين لصالح القبيلة ، من خلال دعوته إلى تمثيل نسبى للمشايخ فى الوظائف المدنية وفى الجيش النظامى . وكان يعمل بنشاط وهمة على تكوين كتلة سياسية قوية قادرة على تسلم مقاليد الحكم فى البلاد عندما تحين الفرصة ، حيث كانت لديه مقدرة عالية على تعبئة الجماهير من حوله من خلال رفعه لشعار السلام والمصالحة الوطنية . وقد انتقد نظام السلال أكثر من مرة، ودعا إلى حل سياسى للصراع المسلح بين أهل اليمن: "إلى جميع المثقفين والمفكرين .. أى مبدأ فكرى ، أو سياسى ، أو حزبى من مبادئ العصر الحديث ، غير مبادئ الثورة الإسلامية يمكن أن يكون موضع تفاهم بين المواطنين فى المدينة والقرية فى الشمال والجنوب ، والشرق والغرب ، بين القبائل والمزارعين ، بين المعممين والمدسملين والمبنطلين. ويجد الداعى إليه تجاوباً مع القاعدة الشعبية العريضة أينما اتجه وأينما ذهب ؟ " (٤٤)

أما الشيخ الأحمر فقد حاول الاحتفاظ بشعرة معاوية ليس مع نظام السلال فحسب، بل ومع القيادة المصرية ، وخيار التراجع عن تقديم تأييده المطلق للنظام الجمهورى بالنسبة له ، كان أشبه ما يكون بعملية انتحارية ، إذا ما تذكرنا أن والده (الشيخ حسين بن ناصر الأحمر) وأخيه (الشيخ حميد الأحمر) قد ذبحا وهما أسرى ، أو بالأحرى رهائن لدى الإمام أحمد . (٤٥) ورغم اختلاف الدوافع لدى زعامة حزب الله وزعامة كتلة خمر من أجل تغيير واجهة الحكم ، فإنه من المتفق عليه ، أنهم قبلوا التحالف مع بعض الشخصيات المدنية والعسكرية المتذمرة من القيادتين اليمنية والمصرية ، حتى يتمكن الجميع الخلاص من نظام السلال . فالشيخ الأحمر زعيم قبيلة حاشد كان يتطلع بدوره ليس لزعامة تحالف حاشد وبكيل فحسب ، بل لرئاسة الجمهورية التى عمَّدها والده وأخيه بالدم ، عندما أعلنوا خروجهم على الإمام أحمد . (٤٦) أما غيرهم من القوى السياسية المتواجدة فى الساحة كالسادة الهاشميين خصوصاً آل الوزير ،

والقضـــاة القحطانيين تحديداً آل الإرياني ، فقد كانوا في مرحلة إعادة ترتيب أوراقهم؛ وكان النعمان والزبيري يشكلا همزة الوصل بين الجميع .

ارتبط نظام الحكم في العهد الجمهوري بالأشكال التقليدية للتنظيم الاجتماعي في اليمن، وهي أشكال احتفظت بحيويتها حتى الآن . تجدر الملاحظة هنا أن معظم أعضاء النخبة الحاكمة – مدنيين وعسكريين – ينتمون إلى وسط قبلي احتفظ الكثير منهم بنفس التصور، حتى أولئك الأشـــخاص الذيـــن لم تعد تربطهم أية رابطة بذلك المحيط الاجتماعي ، فيما لو تذكرنا حالة البيضـــاني . ولا يخفى ما للعشائر والأسر من أهمية سياسية في مجتمع تقليدي ومحافظ كالمجتمع اليمني ، الذي يشتغل معظم سكانه بالزراعة كحرفة رئيسة والعسكرة كحرفة ثانوية في أوقات السلم والحرب . وتضم هذه الشبكات من العلاقات غالبية العناصر القيادية المشاركة في حركة ١٧ شـــباط ١٩٤٨الدســـتورية ، وثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢. (٤٧) على أن الصراع على الســـلطة في المعســـكر الجمهوري أخذ أشكالاً متعددة ، في بعض الأحيان تغلبت فيه المصالح الخاصـــة عـــلى مصلحة الوطن العليا . وتتمثل الوظيفة الأساسية للنخبة في حماية المكتسب ، وبالـــتالي الـــبحث عن الشرعية، مع المحافظة قدر الإمكان على حماية الموروث، حتى لا تحدث القطيعة نهائياً بين القديم والجديد. (٤٨) فالتحالف يتم دائماً عند الأزمات الحادة – الدفاع عن الـــنظام الجمهـــوري والوحدة الوطنية – ، ولكنه سرعان ما ينفض عندما تبرز الخلافات على السطح حول التفسيرات المختلفة لهذين المفهومين . وإذا ما فقدت النخبة تماسكها – عصبيتها – ، فإنها تصبح عاجزة عن حماية النظام الذي يحميها .

وهنا تكمن قصة الصراع على السلطة في اليمن بين الساسة المدنيين والقادة العسكريين. فالقديم والجديد يتعايشان في حالة نزاع ، وهذا عين ما حدث في شهر مارس من عام ١٩٦٥ ، عـــندما قـــرر القاضي محمد الزبيري الخروج علانية – إلى برط – على النظام الجمهوري في صـــنعاء ، أو عـــين ما حدث في أغسطس ١٩٩٣، عندما غادر علي البيض صنعاء إلى عدن مغاضـــباً ، حيـــث فسر خروجه هذه المرة ، بأنه ليس خروجاً عن دولة الوحدة فحسب ، بل خروجاً عن الشرعية والإجماع والوطني . (٤٩) وأحداث الحرب الأهلية في اليمن شماله وجنوبه ، كـــان لهـــا تأثيرهـــا على الحياة السياسية اليمنية التي انبثقت منها تيارات وطنية قومية معتدلة ومـــتطرفة ، قـــادت إلى قيـــام تجربة الجمهورية العربية اليمنية وتجربة جمهورية اليمن الجنوبية الشـــعبية ، ومـــا تـــرتب عليهما من مضاعفات اجتماعية وثقافية في الحياة السياسية اليمنية المعاصرة .

ظهرت الانقسامات فى المعسكر الجمهورى بفعل الدور المصرى الداعم للحركة الثورية فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، ويعود تاريخ هذه المبادرة المصرية إلى الزيارة التى قام بها عبد الناصر إلى اليمن فى شهر مارس ١٩٦٤ . منذ ذلك التاريخ ، أعادت الحكومة صياغة برامجها لمواجهـــة التحديات الجديدة فى شمال اليمن وجنوبه ، إلا أن ظروف الحرب الأهلية وتعقيداتها دفعتها إلى تجنيد أنصار لها من بين العشائر والمناطق الموالية للنظام الجمهورى . فى الوقت نفسه كـــانت القيـــادة المصرية مضطرة إلى توزيع المال والسلاح بسخاء للعشائر المتمردة ، بهدف كسب ولائها للنظام الجمهورى .[٥٠] لهذا الغرض أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً جمهورياً ، بإضافة حقيبة وزارة شؤون القبائل فى ثانى حكومة عسكرية يرأسها السلال فى شهر أكتوبر عام ١٩٦٢. وفى أبريل عام ١٩٦٣، صدر قرار جمهورى بتشكيل اللجنة المركزية لشئون القبائل برئاسة الشيخ غالب بن ناصر الأحمر .[٥١] [انظر الجدول رقم ٥ فى الملحق ٤] كان الهدف مـــن وراء هـــذه القـــرارات السياســـية العليا هو ردم الهوة السياسية والنفسية بين الشمال والجنوب ؛ وبالتالى تزيل الفجوة والتوتر العام الذى ساد بين صفوف القيادة الجمهورية خلال الشهور الأولى من قيام الثورة .

فى هـــذا الاتجاه، ساهم نظام السلال فى تصعيد العمل العسكرى فى جبهات القتال بين الجمهوريين والملكيين، إلا أن ذلك التصعيد لم يكن يتناسب مع حجم المناورة السياسية ، التى كانت ترمى إلى إفشال أية تسوية سلمية لأزمة الحرب الأهلية فى اليمن . وقد احتاج السلال إلى إقامة شبكة من التحالفات بين أتباعه ، بهدف إيجاد قوة قادرة على المواجهة ، تمثلت البداية فى السماح لاتحاد عمال اليمن ونقاباته المهنية المساهمة فى العمل السياسى والتنسيق مع حركة القوميين العرب، وجماعة عبد الله باذيب (حزب الطليعة) ، التى كانت عناصرها متواجدة فى الســـاحة قبل وبعد قيام الثورة .[٥٢] وكانت هناك أرضية مشتركة لهذا الالتقاء، فالجمهوريون المتشـــددون (قوميون وناصريون وماركسيون)، كانوا يتضايقون من تحركات جماعة الإخوان المسلمين – فرع اليمن – ، أى حزب الله المريبة بين القبائل اليمنية ، لاحتكار الشعور الوطنى والعمـــل السياسى المنظم ؛ ويتعلق الأمر بالمناصب الوزارية المتنوعة التى تغذى هذا الصراع . لكـــن المناورة السياسية التى أظهرتها القيادة اليمنية خلال هذه الفترة ، لم تكن كافية للحد من نفوذ المعارضة المتزايد ضد الوجود المصرى فى مرتفعات اليمن الشمالية والشمالية الغربية .

وبالمقابل كان أنصار حزب الله وكتلة خمر يشعرون أنهم قد تركوا على الهامش فى الأعوام الأولى مـــن قيام الثورة . ورغـــم وجود القاضى الزبيرى على رأس وزارة التربية ، والقاضى

الإرياني على رأس وزارة العدل ، والقاضي عبد السلام صبرة على رأس وزارة شئون القبائل ، استطاع الشيخ عبد الله الأحمر الاحتفاظ بحقيبة وزارة الداخلية في تشكيل حكومات متعاقبة (حكومة الجائفي ، حكومة العمرى وحكومة النعمان) ، حتى تاريخ انعقاد مؤتمر خمر في أبريل ١٩٦٥. (٥٣) [انظر الجدول رقم ٦ في الملحق ٤] ومهما بلغ عدد وزراء كتلة خمر في الحكومات المتعاقبة منذ عام ١٩٦٢حتى عام ١٩٦٥، فإن السلال لم يترك لهم فرصة التحرك السياسي بحرية معقولة . وكانت مؤسسة القوات المسلحة والأمن موصدة في وجوه أنصارهم ، الذين فضلوا اللحاق بالمعسكر الملكي .

ومن المفيد أن نتساءل عن أسباب هذه الظاهرة السياسية – حزب الله – في العهد الجمهوري . لقد سبق لبعض الشخصيات المدنية أن شاركت مشاركة فعالة في صفوف حركة المعارضة الوطنية ضد النظام الملكي ، لكنها في فترة الجمهورية العربية اليمنية كان دورها لا يتعدى اتخاذ القرارات السياسية ثانوياً ، بل هامشياً . وكان السلال المدعوم بقوة من قبل القيادة المصرية لا يخفى احتقاره الشديد في خطاباته السياسية لوجهاء المدن من العلماء ، وأعيان الريف من المشايخ ؛ وهم بطبيعة الحال يبادلونه نفس المشاعر العدائية . فهو بالنسبة للكثير من علماء اليمن لا ينتمى إلى أسرة عريقة " فهو على حد قولهم ليس من أبناء الناس ، حيث كان والده يشتغل بالحدادة في سوق صنعاء القديم " (٥٤) ولا تربطه أى رابطة عصبية بإحدى القبائل اليمنية ذات الشوكة القوية . على عكس الزبيرى فهو ينتمى إلى أحد أسر القضاة الصنعانية المتوسطة التى يشتغل أعضاؤها بالعلم والتجارة ، كما يحتفظ هو شخصياً بمصاهرات سياسية مع بعض الأسر الميسورة في الهضبة الوسطى (بيت الحجرى وبيت الذارى) . (٥٥) ثم أن الضباط العسكريين الموالين لنظام السلال (اللواء عبد الله جزيلان ، واللواء محمد قائد سيف ، والعميد عبد اللطيف ضيف الله ، والعميد محمد الأهنومى) ؛ فضلاً عن الساسة المدنيين وغالبيتهم من التجار (عبد الغنى مطهر، وعبد القوى حاميم ، وعلى محمد سعيد ، ومحمد على الأسودى) المتهافتين على كراسى السلطة، كانوا قد أخلوا بشبكات التحالفات السابقة قبل الثورة ، معتمدين في ذلك على الدور المصرى المتحيز لهم ، باعتبارهم يمثلون النواة لرأس المال الوطنى الذى رفد النظام الثورى الجديد بالمال والرجال . (٥٦)

قام البناء السياسي في مرحلة الجمهورية العربية اليمنية على هذا الترتيب الهرمي، واستمر كذلك دون تغيير يذكر حتى سقوط حكومة السلال في انقلاب ٥ نوفمبر من عام ١٩٦٧. (٥٧) كان السلال على قمة السلطة السياسية باعتباره رئيس الجمهورية القائد الأعلى

للقوات المسلحة . وكان مجلس قيادة الثورة يضم في عضويته عسكريين ومدنيين ، وكان الأكثر بروزاً بين أعضائه التسعة العسكريين ، الذين ساهموا في صنع حدث الثورة الملازم علي عبد المغني .[٥٨] [انظر الجدول رقم ١و٢ في الملحق ٤] لكن عضويته بعد استشهاد ذراع الثورة فقدت وزنها ، حيث أصبح العضو البارز في المجلس البيضاني المدعوم بقوة من قبل القيادة المصرية . وكان القاضيان (الإرياني وصبرة) قد شقا طريقهما بصعوبة بالغة إلى مجلس قيادة الثورة ؛ في حين لم يتمكن القاضي الزبيري من اللحاق بهما. وفي معمعة الصراع ، تُرِكَ الشيخ النعمان وحيداً خارج المجلس وخارج الوزارة، حتى جاء موعد تشكيل الحكومة الثانية فعين وزيراً للإدارة المحلية .[٥٩]

ولما كان الزبيري لم يدرج ضمن قائمة تشكيل مجلس قيادة الثورة ، كان قد تم تعيينه في وقت لاحق عضواً في مجلس الرئاسة عام ١٩٦٣ ، والمكتب السياسي في يناير ، ومن ثم نائباً لرئيس الوزراء في حكومة الجائفي في مايو ١٩٦٤ .[٦٠] [انظر الجدول رقم ٣و٤ في الملحق ٤] لم تكن هذه الوظائف والمراتب السياسية والعسكرية تؤهل شاغرها للعب دوراً فاعلاً في صنع القرارات السياسية ، لأن مركز الثقل أصبح عملياً في يد النخبة العسكرية الحاكمة، التي بدورها سلمت زمام الأمور في البلاد نتيجة للتصعيد العسكري للقيادة المصرية والبيروقراطية العسكرية، ممثلة بهيئة الخبراء العرب وجهاز المخابرات. لهذه الأسباب مجتمعة وغيرها ، بدأ الساسة المدنيون (الحرس القديم) يحتجون ضد التدخل المصري في شؤون اليمن الداخلية، ويبحثون عن سند يحميهم من نظام السلال المدعوم بحراب الجيش المصري.[٦١] وظهر حزب الله مؤازراً لتلك المهمة الصعبة ، فقد كانت عناصره تتحرك خطوة في كل اتجاه على رمال متحركة ، وكان معظم المنضويين تحت مظلته ، يشعرون أن الثورة لم تعد ملكاً لهم، وأن الجمهورية كنظام سياسي يقبل الشراكة قد افرغ من محتواه ؛ كما جسدت قرارات مؤتمرا عمران وخمر هذه الحقيقة المرة والواقع الجديد .[٦٢]

ذكرنا في فصول الدراسة ، أن الانتماءات القبلية والمناطقية قد تتداخل تداخلاً كبيراً مع الانتماءات السياسية والاجتماعية. كذلك قد يتلاقى التباين الثقافي بين وجهاء الريف وأعيان المدن ، وقد تتداخل بعد ذلك كله الولاءات الأخرى ، فتتشابك عناصرها تشابكاً لا يقبل الفصل، وتصبح متممة ومقوية بعضها بعضاً . وينطبق هذا بالذات على الاتجاهات السياسية والتيارات الفكرية المتصارعة حيناً والمتعايشة حيناً آخر، وقت الأزمات الحادة ، حينما انقسم القادة الجمهوريون إلى جناحين متعارضين في برامجهما وأهدافهما . ولكن انقسام الجمهوريين

إلى فريقين متناحرين كان أمراً غير مقبول بالنسبة للطرف الأخر – القيادة المصرية المتورطة في الصراع . (٦٣) وقد شكلت أحداث الحرب الأهلية في اليمن بين المعسكرين الجمهوري والملكي،منعطفاً بالغ الأهمية في تاريخ اليمن المعاصر،فيما يتعلق بتغلغل القوى الاجتماعية (الطلاب، العمال، المثقفين، التجار ، الضباط) ذات المصلحة الحقيقية من النظام الجمهوري الوليد، على حساب القوى التقليدية (المشايخ، والوجهاء والأعيان ، علماء الدين ، الضباط الكبار) داخل مؤسسات السلطة . (٦٤) واستفحل الصراع بين الساسة المدنيين والقادة العسكريين ، حيث حرص كل طرف على زرع أنصاره في الحكومة والجيش وفق توجهات فئوية وقبلية . (٦٥)

ولم ينعكس الصراع على السلطة بين صفوف المعسكر الجمهوري على مراكز الدولة العليا فحسب ، بل انعكس على وحدات القوات المسلحة ، الذى أشرفت على تدريبها هيئة الخبراء السوفيت والقيادة المصرية . ومن يراجع تشكيل القيادة العليا للجيش (الدفاع والأركان) والحكومات المدنية المتعاقبة على الحكم في مرحلة الجمهورية العربية اليمنية سيلحظ التمثيل المتزايد للقوى الجديدة في مؤسسات الدولة الحديثة. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يتألق نجم السلال ، الذى حظى بقبول شعبي ، باعتباره رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للقوات المسلحة ، ورئيساً للاتحاد الشعبي الثورى ، التنظيم السياسي الوحيد الذى سمحت له السلطة بممارسة نشاطه الحزبي بصورة علنية ؛ بل يعود ذلك إلى دعم القيادة المصرية، واتحاد عمال اليمن ، والقوميين والناصريين والماركسيين لنظامه . (٦٦) وهكذا لم يبق للمعارضة إلا أن تبحث عن حلفاء جدد محليين وإقليميين يساعدوها في مهمتها التى انحصرت الآن في التصدى للدور المصرى ومن يقف وراءه . هكذا كان الجو مهيئاً في ربيع عام ١٩٦٥ ، لظهور ائتلاف القوى الثالثة التى وقفت عناصره في مواجهة النظام الجمهورى .

تلك هي المسألة الشائكة – الحزب والسلام – التى شكلت أحد العوامل الأساسية في الانشقاق.كان الحراس القدماء من جيل ١٩٤٨ ، يوصون شباب الثورة من جيل ١٩٦٢ بالاعتدال والصبر، والقبول بأنصاف الحلول كمخرج لحل الأزمة اليمنية . ولئن كانت هذه المواقف تميز سلوك النخبة القديمة بصفة خاصة، فإن سلوك النخبة الجديدة كان يتحرر منها بشكل ملفت للنظر . وعمليات الانشقاق – الاستقالة الجماعية – وما رافقها من رفع شعارات – السلام والمصالحة – ، وتحركاتها ولقاءاتها المشبوهة مع أقطاب المعارضة الملكية ، وسلسلة التحالفات لم تخرج عن إطار مفهوم الأسرة والقبيلة . والحياة السياسية لكل فرد من

أفراد هذه الجماعة حزب الله أو كتلة حمر، تسير وفق هذا الاتجاه ، فهى لم تؤد مثلاً إلى ظهور معارضـــة سياســية حديثة – تمتلك أحزاب وبرامج سياسية ، ورأى عام تتفاعل معه وتحركه للصالح العام ضد السلطة .

والقاضى الزبيرى هو على الأرجح ، مصلح دينى ، وشاعر وطنى لا يشق له غبار. لكنه بالــرغم مــن ذلك ، كان يفتقد إلى قاعدة سياسية تحمى ظهره من حراب السلطة العسكرية الحاكمــة ، ومصـــدر قوتـــه المعـــنوية يـــأتى من عناصر حزب الله أو من جماعة كتلة حمر ، وفى مقدمـــتهم الشـــيخين أمين أبو رأس وعبد الله الأحمر . لهذا السبب قابلت السلطة مطالبة المعارضــة بالـــرفض ، نظراً للظرف الدقيق الذى كان يمر به النظام الجمهورى ، وبالمثل كان الموقـــف العسكرى حرجاً للغاية . وكانت القوات الملكية قد شنت حرب عصابات ناجحة فى جـــبال اليمن ضد الجيش المصرى ، الذى بدأ يعانى من سلسلة الهزائم العسكرية فى الغرقوب ومـــأرب وحريب والجوف ورازح . (٦٧) واستجابة لهذا الوضع أعلنت قيادة القوات العربية المرابطــة باليمن بالتنسيق مع حكومة السلال عن تبنيها لاستراتيجية النفس الطويل تحسباً منها لحـــرب استنـــزاف طويلة الأمد قد تدوم بضعة سنوات. (٦٨) وبالتالى تم سحب القوات من العمق ليعاد تجميعها وتوزيعها بكثافة حول العاصمة صنعاء . ورغم ذلك ، ظل القصف الملكى والغارات الليلية تطال بعض المواقع العسكرية والمنشآت المدنية فى ضواحى العاصمة .

لقد دفعت ظروف سنوات الحرب الدامية فى اليمن بالقيادة المصرية إلى القيام بمبادرات سياســية عـــديدة ، أهمهـــا محادثات جدة فى شهر أغسطس ١٩٦٥ ، التى أجراها الرئيس عبد الناصر مع العاهل السعودى الملك فيصل . وقد توصل الطرفان إلى تسوية سياسية مرضية لأطـــراف الصراع المتورطة فى الحرب الأهلية اليمنية . لكن هذه المبادرات الدبلوماسية لم تجد فتيلاً فى ظل التصعيد العسكرى ، والانتهاكات المستمرة للهدنة التى أقرها لجنة السلام المصرية الســـعودية . (٦٩) والمـــرجـــح أن الصقور فى كلا المعسكرين الجمهورى والملكى ، كانوا يفضلون استمرار الحرب نتيجة الدعم الخارجى ؛ فالسعودية أمدت حلفاءها بالذهب الأصفر ، ولم تقصـــر مصـــر فى الإغـــداق على اتباعها بالمال والسلاح. وهكذا تحولت الحرب الأهلية فى الـــيمن مـــن حرب عقائدية إلى حرب للكسب والارتزاق . وإزاء هذه الأوضاع المتردية ، أصـــبح نظام السلال مخلب القيادة المصرية الذى استخدمته فى مناسبات عدة للحد من نفوذ المعارضة .

كان ربيع ١٩٦٥ ، فترة مهمة ، فترة الاختيارات والتحالفات، ويلاحظ أن التحالفات لم تتم على مستوى الأجيال : جيل ١٩٤٨ وجيل ١٩٦٢ ، اللذان حاولا التعايش ، رغم الخلافات العميقة التى أوصلت بعض عناصرهما إلى حالة نزاع دائم وشبه قطيعة . وتساعد هذه الظاهرة التسابق على كراسى السلطة – ، فهم طبيعة الصراع بين القديم والجديد فى اليمن الجمهورى ؛ فالسلال هو الشخص الوحيد من الجيل القديم الذى وقف فى صف القيادة المصرية ، لذلك حاول أن يجعل من نفسه زعيماً وطنياً متعاطفاً مع الجيل الجديد ، الذى رأى فيه أنصار المستقبل . يتجلى ذلك فى المناصب السياسية المهمة التى شغلها الشباب من العسكريين والمدنيين فى الحكومات المتعاقبة وفى قيادة الجيش . لقد شكلت الكلية الحربية وكلية الشرطة جنباً إلى جنب مع كلية بلقيس منجما للأطر المتجددة ، والتى تمركزت فى وزارات الداخلية والدفاع والخارجية والاقتصاد، وفى المؤسسات الحديثة (البنك اليمنى للإنشاء والتعمير والبنك المركزى ، شركة التبغ والكبريت ، وشركة المحروقات ، الشركة اليمنية للتجارة الخارجية ، مصنع الغزل والنسيج) [٧٠] . وتشكل هذه المؤسسات الوطنية الحديثة معقلاً حيوياً للطلائع الشابة التى وقفت فى صف الثورة فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية .

ومهما قيل عن تجربة الثورة اليمنية وتداعياها السياسية ، وبغض النظر عن الأخطاء الفادحة التى ارتكبها نظام السلال ، فان المجتمع اليمنى كان يشهد تحولاً اجتماعياً واقتصادياً عميقاً يصب فى صالح الجديد . ولم يكن أمراً مستغرباً أن يتولى الزبيرى زعامة المعارضة الجمهورية بإعلانه زعامة حزب الله فى العهد الجمهورى ، كما سبق وأن أعلن زعامته للاتحاد اليمنى فى العهد الملكى . ولكن المدهش حقاً أنه كان قد قبل الالتقاء فى منتصف الطريق مع المعارضة الملكية (اتحاد القوى الشعبية) بزعامة آل الوزير ، الذين أعلنوا بدورهم انشقاقهم عن مجلس الإمامة والخروج على الإمام محمد البدر وعمه الحسن. وتأتى غرابة هذا الوضع من أن عدداً من الشخصيات الأثرية كانت تتطلع إلى الزعامة السياسية على الصعيد الوطنى .

إن المعارضة خصوصاً عناصر حزب الله لم يعد يهمها أمر النظام الجمهورى واستمراريته طالما ظل السلال قابعاً فى قمة السلطة ، فقد عقد الجميع عزمهم على إسقاطه مهما كلف الثمن ، حتى ولو استدعى الأمر إلى تحقيق صفقة سياسية مع المعسكر الملكى والحكومة السعودية . وهذا التحرك بالنسبة للمعارضة القبلية خصوصاً عناصر كتلة خمر هدف نبيل، لكن بالنسبة للقوى الجديدة يعتبر ضرباً من الخيانة لمبادئ الثورة . ولفهم إفلاس زعامة المعارضة لابد للباحث المحايد من أن يأخذ بعين الاعتبار أن القيادات التاريخية التى ائتلفت قواها فى ظل

الوجود المصرى الداعم لنظام السلال ، بقدر ما كانت تمتلك نظرة واقعية للمشكلة اليمنية ، كـــانت طموحاتهـــا محصـــورة فى المحافظة على النظام الاجتماعى القديم ، الذى أخذ يتهاوى ولا ســـيما بعد قيام الثورة وإعلان سقوط الملكية . فالجمهورية رغم إعلان قيامها ، لم تسعى إليهـــا قيـــادة الاتحـــاد اليمنى سعياً قوياً حثيثاً ، كما سعى إلى قيامها وضحى من أجلها تنظيم الضباط الأحرار ، وفى طليعتهم الملازم على عبد المغنى ورفاقه الذين قرروا خوض المعركة من أجـــل نصـــرة الـــثورة وبقـــاء الجمهورية . ولكن الساسة المدنيون بعد قيام الثورة وإعلان الجمهورية ، ركبوا موجة المد القومى العربى ، مفضلين مواصلة لعبتهم القديمة " وبدأو يتعاملون مـــع الحدث الجديد من منطق الأمر الواقع ، وهو أنه يوجد على سدة الحكم قيادة عسكرية يرأســـها المشـــير عـــبد الله السلال ، فاشتركوا فى مجلس الرئاسة ومجلس الوزراء ، وأسهموا فى إدارة شـــئون الـــبلاد، بـــرغم خلافات وتباينات فى أمور كثيرة بما فى ذلك الدور المصرى فى إدارة شئون الدولة وإدارة الحرب . " (٧١)

لقد وعى القاضى الزبيرى بأن عملية خروجه على نظام السلال كانت بمثابة بداية النهاية لحياتـــه السياسية الحافلة بالعطاء والحس الوطنى بالمصلحة العامة للبلاد؛ وبأن هذا الوضع قابل للاســـتغلال مـــن أطـــراف داخلية وخارجية معادية للنظام الجمهورى . فهو لم يتوان بدوره فى الدفاع عن موقفه الثابت بعبارات عاطفية : " إن ثورتنا كسائر الثورات مرت بتجارب تلو التجارب، ووقعت فى أخطاء اثر أخطاء ، وهذا شأن التجربة وشأن البداية ولسنا ممن ينكرون الأخطـــاء، أو يدافعـــون عن المخطئين، ولسنا ممن يدعى العصمة والقداسة، ولكنا عاهدنا الله وعاهدنـــا الشـــعب أن نبقى ثوارا أحرارا أوفياء لكل عهودنا ، وأن نصلح من أخطائنا كلما أخطأنـــا، وإن نقوم أخطاء الآخرين، ولو كانوا آباءنا أو أبناءنا ، أو أحب الناس إلينا، وهذا الفـــارق الكـــبير بين النظام الجمهورى الذى نستطيع به أن نغير ونبدل ، وبين النظام الامامى البائد الذى يفرض على الناس أن يبقوا عبيدا لعائلة واحدة طوال حياتهم .. ولكنا لسنا سحرة .. وليـــس عملنا بمعجزة ، ولن يتم فى يوم من الأيام ولا فى شهر ، ولسنا إلهاً نقول للشئ كن فيكون ، وتمطر الجمهورية ذهباً وفضةً .. فأعطونا فرصة عاقلة من الانتظار والصبر.. " (٧٢)

وفى هـــذه المعادلة بين الانتظار والصبر والخروج والمناطحة ، كان الزبيرى يعبر عن فكر شـــائع داخـــل حزب الله أن التفاف العشائر اليمنية المتحاربة ، لا سيما حاشد وبكيل، حول زعامـــته ســـوف تجعل السلطة العسكـــرية فى صنعاء ترضخ لمطالب المعارضة مكرهة . وكما انعكست هذه النظرة فى نشرات الحزب ، التى كانت تصدر بصورة شبه منتظمة داخل صنعاء

وخارجهـــا ؛ وفيهـــا حي الزبيرى ورفاقه (عبد الملك الطيب ، عبد المجيد الزندانى) العشائر اليمنية التى استجابت للدعوة بحضور المؤتمر الشعبى فى مدينة خمر . وكان على رأس الحاضرين الشيخ عبد الله الأحمر ، والشيخ أمين أبو رأس . ولكن الفئة التوفيقية من الساسة المخضرمين (الـــنعمان والإريانى)كسبوا جولة الصراع ، كما سنرى خاصة بعد اغتيال الزبيرى فى مطلع شـــهر إبـــريل ١٩٦٥. (٧٣) وســـنقترح فيما يلى رسم خارطة للقوى السياسية والاجتماعية فى الساحة اليمنية صبيحة انعقاد مؤتمر خمر للسلام. وهذه القوى هى :

أولاً : الجمهوريون الثوريون ، الذين نعتوا بالسلاليين (٧٤) ، وهم يشكلون قوة سياسية واجتماعية ، تحركت بصورة فاعلة لدعم النظام الجمهورى . وقد شكلت نواة هذه القوة جماعة الضباط الأحرار الذين ألتف بعضهم حول زعامة السلال ؛ فضلاً عن التجار والمثقفين والطلبة والعمـــال ، الذيـــن رفدوا النظام الجمهورى بالمال والسلاح ، ولهم دوراً فى تعبئة الجماهير فى مظاهرات وطنية صاخبة ضد مشروع السلام والمصالحة مع الملكيين .

ثانياً : الجمهوريون المعتدلون من دعاة السلام والمصالحة الملتفون حول زعامة حزب الله الديـــنية وزعامـــة كتلة خمر القبلية . وكان لهذا التيار أنصار ومريدين داخل وخارج صنعاء ، وغالبيتهم ينحدرون من الوجهاء والأعيان فى الريف والحضر ، يتعاطف معهم عدد لا بأس به مـــن كـــبار ضباط الجيش والشرطة وموظفى الدولة . فهم رغم انتماءهم للنظام الجمهورى ، كـــانوا مســـتعدون للالـــتقاء مع المعارضة الملكية المنشقة عن مجلس الإمامة ، بهدف سحب البساط من تحت أقدام السلال ، تمهيداً للتخلص منه ، وإجبار القوات المصرية الانسحاب من اليمن . (٧٥)

ثالثاً : الإماميون الدستوريون ، المنضوون تحت مضلة اتحاد القوى الشعبية بزعامة عائلة الوزيـــر (الأخوة إبراهيم وعباس وزيد) ، الذين أعلنوا انشقاقهم مبكراً عن مجلس الإمامة، ونفضـــوا أيديهم عن الإمام المنصور محمد البدر ، معتبرين أن بيعته باطلة . وكان أنصار هذا الـــتيار ممـــن أصـــبحوا يعرفون باسم القوى الثالثة ، يعتنقون الإمامة عقيدة ومبدأ ، مناديين بالتخـــلص من حكم أسرة بيت حميد الدين ، ورفضهم المطلق للحكم العسكرى الجمهورى ؛ وبالتالى المطالبة بجلاء القوات المصرية من اليمن . وهم أول من رفع شعار دولة اليمن الإسلامية كمخرج للأزمة ، هذا الشعار التى تلقفته زعامة حزب الله بهدف انتزاع المبادرة السياسية من كل أطراف الصراع بالساحة اليمنية .

رابعــاً : المــلكيون الإماميون ، بزعامة الإمام المنصور محمد البدر وعمه الأمير الحسن ، وابــن عمه الأمير محمد بن الحسين ، جميعهم ينتسبون للسلالة القاسمية (بيت حميد الدين) ، عارضــوا بقـــوة النظام الجمهورى معتمدين فى ذلك على مناصرة القبائل الشمالية (حاشد وبكيل) لهم ضد الوجود المصرى . وكانت آخر محاولة لهم هى تلك الحملة العسكرية الرامية لمحاصرة العاصمة صنعاء فى ديسمبر من عام ١٩٦٧. وعندما فشل الملكيون فى إسقاط النظام الجمهورى، فقد الإمام البدر الأمل فى استعادة عرشه، مما أضطر الحكومة السعودية الاعتراف بالنظام الجمهورى فى صيف عام ١٩٧٠. (٧٦)

وتــرتب على المشاكل السابقة – انقسام المعارضة الجمهورية والملكية إلى عدة تيارات جلها كانت تؤمن بالحل العسكرى ، باستثناء تيار القوى الثالثة ، الذى ظلت عناصره ترى أن المخرج الوحيد للأزمة اليمنية هو السلام والمصالحة . فمنذ قيام المملكة المتوكلية اليمانية لم يكن لجـــناح بيـــت الوزيـــر هدف سواء حكم اليمن والخلاص من حكم بيت حميد الدين . وإذا لم يتمكن من تحقيق هدفه فى حركة ١٩٤٨ الدستورية ، فإن هذا يرجع إلى تنامى دور المؤسسة القبـــلية ، وخـــريطة توزيـــع القوى فى المجتمع اليمنى فى العهد الجمهورى . كما شرع علماء المعارضـــة وفى مقدمتهم القاضيين الزبيرى والإريانى يعدون العدة لتحقيق أهدافهم ، واضعين نصـــب أعيـــنهم إزاحـــة السلال من السلطة ، وعدم السماح بعودة الأسرة المالكة إلى سدة الحكـــم . وقد أتيحت لهم الفرصة فى العهد الجمهورى ، المشاركة فى الحياة السياسية بشكل أفضل من ذى قبل . وكان أقوى المرشحين لرئاسة الدولة هو القاضى محمد الزبيرى ، لولا تلك المؤامرة التى أودت بحياته قبل انعقاد المؤتمر بأيام معدودة .

وكان منطقياً أن يرحب الزبيرى بمشروع دولة اليمن الإسلامية الذى اقترحه تنظيم اتحاد القـــوى الشعبية ، والذى ترى قيادته أن التناقض الرئيسى فى حرب اليمن يكمن بين المعارضة عـــلى اخـــتلاف مشـــاربها السياسية والوجود المصرى . والثابت تاريخياً أن زعامة حزب الله باخـــتيارها هذا الخط المعادى للنظام الجمهورى ، ممثلاً بنظام السلال تكون قد حصرت نفسها فى مهمـــة فكرية واحدة ، وهى توجيه الجهود للسلام والمصالحة مع المعسكر الملكى ، وليس إلى تثـــبيت أركـــان النظام الجمهورى . ولم يتقدم الحزب خطوة واحدة على أساليب الدعوة إلى عقـــد مؤتمـــرات شـــعبية ، وتقديم عرائض احتجاج تطالب بسرعة تعجيل سحب الجيش المصـــرى مـــن أنحاء البلاد . كما لم تسجل تجربته القصيرة أية محاولة لتنظيم الجماهير ودعوتها

الانضـــمام إلى مساندة نظام السلال ، فقد ظلت زعامته تتمسك بالنقيضين معاً : تأييد النظام الجمهورى ومعارضة القائمين عليه .

أدبيات مؤتمر خمر للسلام :

ســاهمت ظروف الحرب الأهلية فى تعميق الخلاف بين السلطة والمعارضة ، التى أصبح بإمكانهــا أن تعقد مؤتمرات ولقاءات جماهيرية احتجاجاً منها على الأوضاع المتردية فى البلاد ، وتــأكيد مطالبها الملحة بالسلام والمصالحة ، فكلاهما أمران لا ينفصلان . كما أبدت زعامتها دائمــاً تحفظهــا الشديد ، تجاه التصعيد العسكرى ، مطالبة القيادتين اليمنية والمصرية بتعليق العمـــليات العسكرية والاحتكام لمنطق العقل والحوار . هذا الخلاف كان له تأثيره على الحياة السياسية اليمنية بكاملها ، وعلى حزب الله نفسه ، الذى كانت زعامته تحمل هماً مزدوجاً تجاه الحكومـــة اليمـــنية والقيـــادة المصرية ، حيث حشد الزبيرى ورفاقه كل الطاقات والجهود ، استعداداً منهم لمواجهة جديدة ، حتى ولو استدعى الأمر تحقيق تقارب مع المعارضة الملكية .

لقـــد طـــرحت مسألة الحليف الممكن بشكل ملح ضد المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صـــنعاء ، والـــتحالف مع عناصر القوى الثالثة المنشقة أيضاً عن مجلس الإمامة ، هو التحالف الوحيـــد الممكـــن ، ولنضيف أنه الإجبارى . واختار القاضى الزبيرى الخروج من صنعاء إلى خولان وريدة محتجاً على التصعيد العسكرى والقصف الجوى المستمر لبعض القرى المتمردة . ولم تـــنجح الحمـــلة النفسية التى شنتها سلطات صنعاء ضده بثنيه عن قراره ، رغم تلقيه عدة تهديـــدات باعـــتقاله ، فقـــد كـــان ينتقل من قبيلة إلى أخرى ، يخطب فى الناس فى الطرقات والمساجد ، مستشهداً بالآية القرآنية : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) .

أما أقطاب المعارضة (الإريانى والنعمان) فقد اختاروا خط المواجهة السلمية من داخل الـــنظام ، وانتهى بهم الأمر إلى السفر إلى القاهرة لتوضيح موقفهم من نظام السلال ، فألقت السلطات المصرية القبض عليهم ، وأجبرتهم على الإقامة الجبرية لمدة عامين . (٧٧) وبينما كان الشعب اليمنى كله يتابع بفضول عملية خروج الزبيرى إلى جبل برط وحزب الله كقوة سياسية معارضـــة من واقع السلطة ، كانت سياسية الحكومة تخضع لتوجيهات القيادة المصرية . وكان مـــن المنتظر أن تشكل قيادة كتلة خمر رأس الحربة فى مواجهة محتملة ضد الحكومة ، والسلال ســـيكون فى وضـــع مهزوز إذ لم نقل فى وضع الخاسر . وكان القلق على مستقبله السياسى

قد دفعه إلى شن حملة اعتقالات ضد عناصر المعارضة الناشطة فى العاصمة صنعاء . كما سقط صـــرعى عدد من زعماء المعارضة الملكية والجمهورية الذين ظلوا أوفياء لحزب الله فى مواجهة مـــتفرقة ضد الحاميات المصرية المرابطة فى اليمن . ثم جاءت اعتقالات ١٩٦٦ ، لتنقص من صلابتهم ، وهذا الأمر تعكسه سلسلة الإعدامات ضد من تبقى من عناصر المعارضة الجمهورية داخل صنعاء ، حيث تعرض عدد من العسكريين والمدنيين لعقوبة الإعدام دون محاكمة عادلة ، وفى مقدمتهم العميد محمد الرعينى نائب رئيس الجمهورية فى أكتوبر عام ١٩٦٦ . (٧٨)

كـــانت هناك أيضاً مسألة تتعلق بالمنهج فى بناء قاعدة عمل إسلامى منظم ليس فى اليمن فحسب ، بل فى أنحاء الجزيرة العربية . فقد كان للزبيرى شخصية وطبع قائد معارضة سياسية مـــنظمة ، لا يعتبر السياسة غاية فى حد ذاتها ، بل وسيلة لبلوغ الأهداف بسرعة . بينما كان تكويـــن الـــرجال الذين وجد نفسه معهم فى عدن والقاهرة وصنعاء ، تكويناً نشأ عن حركة الأحـــرار اليمـــنيين فى قـــلب مـــناورات وأحـــابيل السياسة . فكل أولئك الذين رافقوه فى رحلته المضنية – من صنعاء إلى جبل برط ، نوهوا بمواقفه السياسة المبدئية التى لا تقبل أنصاف الحلول . (٧٩) وهذا الاتجـــاه السياسى يؤكد لنا بروز ائتلاف القوى الثالثة التى أخذت زعامتها تبشر بقرب موعد قياد دولة اليمن الإسلامية ، لتصبح ورقةً سياسية رابحة فى يد المعارضة . (٨٠)

أما بالنسبة للحكومة، فقد بلغ السيل الزبى، عندما لاحظ السلال التقارب الشديد بين مطـــالب زعامـــة حزب الله ومطالب اتحاد القوى الشعبية . بهذا الخصوص ، يذكر الطيب أن القيادتين اليمنية والمصرية تظاهرت " فى بادئ الأمر بعدم التدخل حينما رأت احتشاد المواطنين والـــتفاهم ، وتضامنهم حول المؤتمر والحكومة الوطنية والموافقة على قرارات المؤتمر ومسايرة الـــتيار والانحناء للعاصفة ، ريثما يتم تدبيرهم وتؤدى أعمالهم التخريبية ثمارها ، فيجهزوا على المؤتمر وعلى الحكومة الوطنية فى الوقت المناسب .. " (٨١)

بالرغم من كل الصعوبات والمضايقات التى اعترضت مسار المؤتمر ، كانت بيانات حزب الله تندد بالحكومة ؛ فضلاً عن البرقيات والرسائل التى صاغها الزبيرى لجهات عربية مختلفة ، نورد هنا رسالة أخرى حررها لرئيس الجمهورية ، فى ٢٩ شوال عام ١٣٨٤هـــ، هذا نصها : " سيادة المشير عبد الله السلال –رئيس الجمهورية – حياك الله.. منذ عامين ونصف والحرب دائرة رحاها فى أرض اليمن ضد ثورتنا وجمهوريتنا وحقنا فى الحياة ، وهذا بعد أن اعترفت هيئة الأمـــم ، ودول العالم بالجمهورية العربية اليمنية ووقفت إلى جانبنا الجمهورية العربية المتحدة ،

وقدمت من التضحيات مالم يعرف له التاريخ مثيلاً .. كما قدمت الدول الصديقة عونها العظيم مشـــكورة .. ولكن هذا العون العربي والدولى والعطف العالمى على ثورتنا كان يقابله عدوان استعمارى على جمهوريتنا وتدخل فى شئون بلادنا ، وتدعيم للذين طردهم الشعب من آل حميد الدين بالذهب والأسلحة الإجرامية . " (٨٢)

أما الغرض من وراء صياغة هذه الرسالة أو البرقية الطويلة ، التى يوحى فيها الزبيرى إلى احتمال عرض القضية اليمنية على منظمات عربية ودولية فى حال عدم حصول المعارضة على اســـتجابة معقولـــة من قبل حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، باعتبارها الطرف المتورط فى الصـــراع ، فالقاضـــى يبســـط وجهة نظرة بصراحة متناهية " .. أنه ما دام التدخل الأجنبى والإغراء بالذهب والسلاح موجوداً فى ظل الأوضاع الحكومية الفاسدة ، فإن الحرب ستستمر وتطول ولاسيما أن الجهاز الحاكم قد برهن على أنه عاجز كل العجز، وأنه دون مستوى هذه الظروف الخطيرة ، ولا يحظى بأى تأييد شعبى .. والإصرار على فرضه يهدد النظام الجمهورى بأكملـــه ، فقـــد كان وما يزال من الأسباب الرئيسية لطمع العدو فى بلادنا ، وتمرد كثير من فئات الشعب .. لذلك كله شعرنا بالخطر الداهم الذى يهدد مصير جمهوريتنا وشعبنا ، وبما أننا مســـئولون عن هذا الشعب الذى يتعرض للدمار ، ومسئولون عن شرف الوفاء للحق العربى فقد قررنا نحن المجتمعين بأن نعمل على توحيد كلمة الشعب لإنقاذ اليمن من الحرب والدمار ، وأن نتصـــل بـــالدول والشعوب العربية والجامعة العربية ، والدول الصديقة ، والدول المحبة للسلام ، وهيئة الأمم المتحدة . " (٨٣)

لا توجد كلمة واحدة فى الخطاب تشيد بدور القيادتين اليمنية والمصرية ، بل يتم التنديد بهمـــا ، كمـــا يحـــذر الزبيرى مجدداً من أن الاستمرار فى التصعيد العسكرى وتجاهل مطالب المعارضـــة ، سيعرض النظام الجمهورى للخطر . فالقاضى ينتقد السلال كأداة طيعة تقع تحت نفوذ القيادة المصرية ، وهو يرمى إلى أبعد من ذلك " التدخل الأجنبى وحقن الدماء فى اليمن ولإيجـــاد علاقات حسنة بين الجمهورية العربية اليمنية وبين جميع الدول العربية ، فإننا فى هذه المناسبة نعلن أننا سنظل أوفياء لشعب الجمهورية العربية المتحدة ، ولحكومته الشقية ، ومعترفين بفضلها وفضل زعيمها العظيم جمال عبد الناصر ، كما سنظل أوفياء لكل الدول الصديقة التى أزرت ثـــورة الشعب اليمنى ونعلن أيضاً تصميمنا على إنقاذ شعبنا من الموت ، وإنقاذ جمهورية الـــيمن من الانهيار ، ومساعدة الجمهورية العربية المتحدة على إنجاح جهودها العظيمة فى حماية

ثـورة اليمن ، وذلك بوسائل شعبية سلمية فى الداخل والخارج ، بعد اليأس من نجاح الجهاز الحاكم فى صنعاء .. " (٨٤)

تشير الفقرة السابقة إلى أن أزمة النظام الحاكم فى صنعاء تكمن فى التدخل الأجنبى الذى يقـف حائلاً دون التوصل إلى تسوية سياسية لأزمة الحرب الأهلية فى اليمن . وتظل المشكلة قائمة بالنسبة للحكومة اليمنية التى تجد نفسها عاجزة عن اتخاذ أى خطوة سياسية لحل الأزمة بدون موافقة مسبقة من قبل حكومة الجمهورية العربية المتحدة . فكل ما يطلبه القاضى الزبيرى فى رسالته من المشير السلال ، تسهيل مهمته فى ناحيتين :

" الـناحية الأول داخـلية : وهى بكل الإمكانيات الكافية لتجميع أكبر عدد ممكن من المشائخ وأهل الحل والعقد فى البلاد فى مؤتمر كبير لإيجاد حلول لمشكلة البلاد وإنها الحرب.

الـناحية الثانية خارجية : وهى تسهيل سفر وفد كبير من المشائخ والعلماء وغيرهم إلى الخارج لنقوم بمهمتنا فى المجالات العربية والدولية .

ومن هاتين الناحيتين ، يحدد الزبيرى فى رسالته رفضه المطلق للنظامين الإمامى الاستبدادى والجمهـورى العسـكرى . فالمعالجة هنا لقضايا سياسية مزمنة تبدو جريئة فى طرحها ، تكاد تلامس جوهر المشكلة اليمنية ، حيث يقول :

– لا نريد حكماً ملكياً إمامياً وراثياً يتحول الشعب فيه إلى قطيع من الأغنام ترثه عائلة مالكة أباً عن جد وينتقل من فرز الأب إلى فرز ابنه .

– لا نريد حكماً طاغياً يأخذ مقاليد الأمور بالقوة ويحكم الشعب بالحديد والنار فحوله إلى شعب من العبيد الأذلاء .

– وهذا هو الهدف الرئيسى من كفاح أحرار اليمن طوال ثلاثين عاماً والذى يدعو الآن إليه (حزب الله) . " (٨٥)

تعكـس مقـترحات الـزبيرى أفكاره المناهضة للعسكريين والحلول العسكرية الجاهزة للمشـكلة اليمنية . فالقاضى كما ألمحنا يصف واقع الحال فى العهد الجمهورى أكثر مما يسعى لتحـليل هـذا الواقـع ، فهو بحكم خبرته وتجربته يعلن آرائه بل ويحدد موقفه بوضوح دون مواربـة . وبالرغم من تحامله على الأوضاع ، يذكر السلال بكفاح المعارضة طوال ثلث قرن من الزمن ، لكنه يبدو حريصاً على إظهار روح الود تجاهه ، وهو يخاطبه بعبارات لينة يستهلها

بهذه العبارة المحببة لنفس رئيس الجمهورية " يا سيادة المشير إننا نبحث إليك بهذه البرقية لبقية أمل في ضميرك ووفائك للشعب الذى وضعك فى أرفع المناصب ، وبذل آلاف الضحايا بأوامرك .. فإن استجبت لإخوانك المجتمعين فوراً بدون تسويف فقد أنصفت وإلا فإن هذه وثيقة تاريخية سيحاسبك الله عليها ويحاسبك الشعب ، ويسجل التاريخ على أنك آثرت المنصب وفضلته على مصلحة الشعب الذى يعانى أقسى وأمر الآلام ، اللهم إنا بلغنا .. اللهم أشهد . " (٨٦)

لن نعلق على خاتمة الرسالة ، فعباراتها لا تخلو من الوعظ والخطابة المألوفة التى غالباً ما يسديها الفقيه للسلطان . فالسلطة والحكم عند القاضى الزبيرى هى الرئيس السلال ، والأزمة هى من صنعه وحلها بيده . لكن المخاوف والقلق العميق التى ولدتها سنوات الحرب لم تثنى السلال عن موقفه المؤيد للحل العسكرى ، بالرغم من إصرار المعارضة على الحل السلمي. ونجاح الزبيرى فى تأليب شتات المعارضة القبلية تحت مظلة حزب الله ، يعبر عن واقعين سياسيين – اجتماعيين . فالعشائر اليمنية التى تقطن الهضبة الشمالية والشمالية الغربية التى يشير لها مراراً بعبارة (الشعب) ، تُكوّن مجموعات سكانية لا تتجاوز المليون والنصف نسمة (٨٧) ، لها طابعها الخاص فى الحياة ، فهى تقطن تضاريس قاحلة لا تفى بحاجة قاطنيها ، الذين يميلون للعزلة والاستقلال ، ومصدر رزقهم هو الزراعة والحرب . ويصف لنا زيد الوزير وضع هذه القبائل فى مكان تواجدها الحالى " وفى إطار هذه القوى الهائلة تلتقى المتناقضات ، فاليد التى تمسك بالمحراث لتحيل الأرض بساطاً أخضر، هى نفس اليد التى تمسك بزناد البندقية فيحتل الأرض شعلة نار .. والدرع الذى حمى اليمن من كل مغير ، هو نفس السيف الذى عبث بجسد الأمة أحياناً . " (٨٨)

وإذا كان للمؤسسة القبلية دوراً إيجابى فى حماية اليمن من الغزو الخارجى فى مراحل حرجة من تاريخ اليمن القديم والحديث ، فإن لها دوراً سلبى فى تفتيت الوحدة الوطنية ، باعتبار النظام القبلى أحد المعوقات السياسية الرئيسة لقيام المجتمع الأهلى نواة الدولة الوطنية الحديثة . (٨٩) لكن زعامة حزب الله لم تعِ هذه المسألة من خلال تأليبها المعارضة القبلية ضد المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، سواء كانت القيادة اليمنية أو المصرية. وعلى هذا الأساس كان تقويمها للدور المصرى لا يختلف كثيراً فى طرحه للمشكلة اليمنية، عن الخطاب السياسى للمعارضة الملكية ، التى حشدت كافة قواها المادية والمعنوية فى سبيل نجاح مشروع دولة اليمن الإسلامية ، لأن الدعوة إلى عودة النظام الإمامى لسدة الحكم فى صنعاء أصبح أمراً مفروغ منه

فى ظل الوجود المصرى ، والمعارضة الشعبية لأسرة حميد الدين من قبل قطاع واسع من سكان اليمن . لذلك آثر الزبيرى الخروج بصورة نهائية عن الشرعية من خلال اعتماده على ذلك التحالف الهش مع القوى الثالثة . (٩٠)

كيف يمكن انطلاقاً من ذلك ، وضع حد للحرب ؟ الخيار الأول ، تخلى القيادتين اليمنية والمصرية عن خيار الحل العسكرى ، بالاستجابة لمطالبة المعارضة ، اتخاذ مثل هذا القرار حتماً سيؤدى إلى سقوط نظام السلال ، وبالتالى نهاية الوجود المصرى فى اليمن . والخيار الثانى ، هو الذى مالت إليه صنعاء والقاهرة ، تهدئة الوضع العسكرى ، وإتاحة الفرصة للمعارضة عقد مؤتمر خمر ، واستعادة نفوذها على المنطقة الشمالية التى أصبحت خاضعة لنفوذ مشائخ القبائل المتمردة ، والإبقاء على هذا الوضع عسكرياً دون حل المسألة السياسية . كانت " استراتيجية النفس الطويل " هى السياسة المفضلة بالنسبة للقيادة المصرية ، والسلام والمصالحة بالنسبة للمعارضة ، كان الخيار البديل لتحديد مستقبل نظام الحكم فى اليمن ، والنموذج المفضل لديها هو نظام دولة اليمن الإسلامية . وهذا الموقف قد عبر عنه خير تعبير بعض عناصر المعارضة بالقول " .. أن الشعار الجمهورى المستورد ما هو إلا ستار لاستعمار مصرى متأخر قذر ، والقضاء على كل رجال اليمن من مشائخ وعلماء وشباب . " (٩١)

إن تصريحات من هذا النوع هى الأكثر شيوعاً فى أوساط العسكريين والمدنيين المنخرطين فى صفوف المعارضة الجمهورية المنشقة عن نظام السلال ، حيث أبدى هؤلاء الأشخاص استياءهم الشديد من الوجود المصرى الذى أخل بميزان التحالفات لصالح الجديد. ومن المحتمل أن يكون الانتماء المشترك إلى مدينة صنعاء فى عمق الهضبة الشمالية ، قد دفعهم إلى اتخاذ مواقف مؤيدة ، لزعامة حزب الله أو كتلة خمر ، رغم افتقارهم لموقف سياسى محدد . وأصحاب هذا الخطاب سواء عسكريين (المقدم عبد الله بركات والمقدم عبد الله الراعى) ، أو مدنيين (المهندس عبد الله الكرشمى والمهندس ناصر المعافا) ، لا يحضون بخلفية قبلية ، أكثر من تحصنهم بثقافة جامعية أو ما يعادلها ، حصلوا عليها من المعاهد العلمية فى مصر واليمن؛ لكنهم بحكم التجربة والمعاناة فقدوا ثقتهم بالقيادة اليمنية، التى أصبحت حكومة ظل فى ظل القبضة الحديدية التى فرضتها القيادة المصرية وأجهزة المخابرات العسكرية على البلاد . وكان تحركهم المعارض للوجود المصرى بمثابة رد فعل عنيفة تجاه إقدام السلطات فى صنعاء على تسريح عدداً كبير من العسكريين والمدنيين من أجهزة الدولة . (٩٢) ولم يكن من العسير على السلال وأنصاره استغلال شعور انعدام الثقة بين سكان العاصمة والوافدين الجدد إليها من

الهضبة الوسطى (إب) والسهول الجنوبية (تعز) ، الذين أصبحوا يشكلوا قوة بشرية مؤيدة لنظامه .

تظهر المقارنة بين الانتماءات المناطقية والتمثيل القبلي لأعضاء الوزارات المُشكلة فى عهد السلال منذ عام ١٩٦٢ حتى نوفمبر ١٩٧٦، حقائق وأرقام تؤكد بما لا يقبل الشك التمثيل المتوازن لسكان الهضبة الشمالية والهضبة الوسطى والسهول الجنوبية فى الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، على عكس ما يذهب إليه الظاهرى فى الجداول المرفقة بدراسته من محدودية التمثيل لقطاع من السكان فى الدولة . [انظر الجدول ٣ و٥ فى الملحق ٤] وإذا كان التمثيل فى الحكومة والمجلس يرتكز على أسس قبلية أو مناطقية ، فإن المنافسة على كراسى السلطة كان يتم وفقاً لآلية الصراع والغلبة بين أنصار السلال ومعارضيه . علماً بأن الحقائب الوزارية أصبحت فى الغالب مخصصة لحملة الشهادات الجامعية أو ما يعادلها من الضباط العسكريين رجال الثورة من خريجى الكلية الحربية وكلية الشرطة .

فمن الثابت لدينا أن القيادة المصرية – إذا صح القول – تحيزت لصالح قطاع من السكان، وهذا التحيز لم يكن مبنياً على أسس مذهبية محضة ، وإلا كيف نفسر وجود السلال فى قمة السلطة، وهو يؤكد " إنه ينتمى إلى أسرة متوسطة الحال من سنحان." (٩٣) فالنظام الجمهورى لم يعد ملكاً لأسرة أو فئة من الناس، بغض النظر عن مغزى النتائج التى تحاول التوصل إليها بعض الدراسات اليمنية المفسرة للأحداث والوقائع التاريخية التى رافقت الحدث التاريخى . هذه النتائج التى تنشرها بعض مراكز الأبحاث لتغذى بها آراء الناس ومواقفهم وتصرفاهم ، تمتد لتشمل شتى مطالب وأنشطة المجتمع فى مرحلة الجمهورية اليمنية ، بشكل أو بآخر ، تعكس النظرة العقائدية للتاريخ من زاوية دولة القبيلة . " فالطائفة أو القبيلة، ونمو جهازها أقوى وأسرع من نمو المجتمع المدنى، الذى يحتمى به المواطنون ، وتتكون فيه أسس وقواعد الرأى العام ، الذى يستطيع وحده الدفاع عن المؤسسات القانونية .. اعتماد الحكم على المؤسسة القبلية يتضح فى حكم الأقلية المغلقة ، التى لا تحاور أحداً ، ولا تفتح قنوات اتصال بكيان خارجها ، وإن كانت تحاول دائماً الاستفادة من خدمات التكنوقراط ، وذوى الخبرة عموماً ، ولكن دون إشراك أحد فى اتخاذ القرار . " (٩٤)

لقد اعتبرت الثورة فى اليمن النظام الجمهورى بديلاً للنظام الملكى الاستبدادى . لكن أحداث الحرب الأهلية وتعقيداتها المحلية والإقليمية خلقت ظروفاً جديدة، ساهمت فى تفاقم

الأزمـــات السياسية فى البلاد فى عهد السلال. وكانت هذه المسألة (من نحن؟ وماذا نريد؟)، نقطة خلاف حادة بين المركز (صنعاء) والأطراف (تعز وعدن) المعنية بالصراع ، بالإضافة إلى تـلك التناقضـــات السياسية القائمة بين النخبة . وقد عبر على محمد عبده عن هذه المشكلة بقولـــه: " أمـــا بالنســـبة لبعض شباب صنعاء .. أخذ شبابها يكونون لأنفسهم ومن أنفسهم مجتمعات خاصة بهم ، وخاصة فى الآونة الأخيرة ، سواء كانوا فى صنعاء أو فى الخارج ، وسواء كانوا فى الجيش أو خارجه .. وقد أدى هذا التضامن الحزبى بين أبناء المدينة الواحدة والمذهب الدينى الواحد إلى حذرهم من التعاون مع الآخرين إلا على أساس حزبى ، بما باعد بينهم وبين الوطـــنيين والمثقفين من أبناء اليمن الأسفل . وقد أدى ذلك كله إلى أن يأخذ نشاطهم الحزبى طابعاً طائفياً بصفتهم أبناء مدينة واحدة ، ومنتمين إلى مذهب دينى واحد . " (٩٥)

والتساؤل عن أسباب ظهور تجمعات فئوية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، يضعنا مرة أخرى وجهاً لوجه إزاء ظاهرة الطائفية ، باعتبارها رد فعل تبناه بعض الساسة اليمنيين تجاه الدور المصرى وقطاع من السكان . وإذا كانت جماعة حزب الله الضاغطة فى صنعاء قد نجحت فى إزاحة البيضانى ومن بعده عبد القوى حاميم من موقع السلطة ، فقد واجهت صعوبة بالغة فى التخـــلص من السلال نفسه . (٩٦) وكان السبب وراء عدم سقوط المشير ، تمسك القيادة المصرية به ، باعتباره الخيار الأفضل من كل الخيارات المتاحة فى الساحة اليمنية . وبالرغم من الـــنقد الذى وجه إلى دراسات كل من على محمد عبده (الطائفية فى اليمن) ، ومحمد أحمد نعمـــان (الأطـــراف المعنية فى اليمن) ، فى هذا المجال ، إلا أن المعايير الأساسية التى عالجها الباحثان، تتسم بالموضوعية والشفافية البالغة . فالعزلة السياسية التى فرضها النظام الملكى بين سكان اليمن الأعلى والأسفل ، والعداء المستفحل بين الريف والمدينة ، والأخطاء التى وقعت فيهـــا زعامـــة الاتحاد اليمني، هى التى مكنت " .. الدكتور (الثائر) ، وأمثاله [المشير] ممن يعتبرون من دعائم العهد البائد وصنعه أن يملأوا هذا الفراغ ، وأن يبعدوا كثيراً من الوطنيين والمـــثقفين . لقـــد كان لاستلام هؤلاء السلطة وتصرفاتهم على النحو الذى ذكرنا ردود فعل متفاوتة . فقد أصيب الوطنيون بالدهشة وبخيبة الأمل." (٩٧)

وحول هذه المسألة وغيرها ، بعث القاضى الزبيرى بعدة رسائل وبرقيات مماثلة للسفراء العـــرب المقيمين بصنعاء ، وجهات خارجية كجامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامى ، موضـــحاً فيـــه وجهة نظر المعارضة ، سواء كانت مواقف سياسية مؤيدة للنظام الجمهورى ، أو نـــاقده للحكم العسكرى . لكننا هنا نكتفى بإيراد نص البرقية التى بعثها إلى الرئيس جمال

عبد الناصر ، يحثه فيها السماح للمعارضة الجمهورية التعبير عن وجهة نظرها ، تفادياً للتعقيدات المحلية والإقليمية التى قد تنعكس سلباً على الدور المصرى فى اليمن . وقد أحسن القاضى الاستفادة من الأخطاء التى ارتكبتها حكومة السلال والقيادة المصرية فى اليمن ، إذ كتب يقول : " .. يا رائد العروبة يا جمال .. لقد جاءت قواتك إلى اليمن لمساعدة الشعب اليمنى ، ولم تأت لمساعدة الأفراد ، ولقد علمت بالخلاف بين علماء ومشائخ وأحرار الشعب من جهة ، والحكومة العسكرية من جهة ، ولقد أعلنت عن هذا الخلاف أنت أمام العالم فى بور سعيد ، وأعلنت أنك لن تتدخل فى هذا الخلاف . فإذا كنت حريصاً على تنفيذه ومعرفة إرادة الشعب اليمنى ومعونته ، فإنه لابد من أن تأمر القيادة العربية أن تساعد على عقد المؤتمر ، أو تأمرها بعدم التدخل . هذا إذا كانت القوات العربية جاءت لمساعدة الشعب اليمنى .. " (٩٨)

وإزاء ذلك ، فقد حاولت الحكومة تطبيق ما سمى بـ " سياسة النفس الطويل " ، ليس على مستوى مسرح العمليات العسكرى فحسب ، بل على مستوى المسرح السياسى ، دون السماح للزعامات الدينية والقبلية أهل الحل والعقد استجماع قواها فى جبهة موحدة . وقد أفتتح مؤتمر خمر فى مطلع أبريل من عام ١٩٦٥ ، ليرسم خارطة جديدة لليمن ، وليرسى الأسس الجديدة للسلام والمصالحة الوطنية ، وسط جو من التفاؤل بقرب موعد انتهاء الحرب الأهلية . إلا أنه سرعان ما تبددت الأوهام عندما كشفت الحكومة والقيادة المصرية عن عدم ارتياحها لقرارات المؤتمر وتوصياته التى جاءت متطابقة تماماً مع قرارات وتوصيات مؤتمر عمران المنعقد فى سبتمبر من عام١٩٦٣. (٩٩) ولم يشارك الساسة المدنيون القيادة اليمنية فى الميل إلى الانحناء أمام سياسة الجمهورية العربية المتحدة وأهدافها المرسومة فى جنوب شبه الجزيرة العربية . بل إن الرئيس السلال رأى أن العكس هو الصحيح .

لقد كان واضحاً أن المعارضة الدينية (حزب الله) والقبلية (كتلة خمر) ، تتمتع بمركز قوى جداً فى المؤتمر يؤهلها لتحقيق مآربها كافة . غير أن القيادتين اليمنية والمصرية أبدتا استعدادهما بالالتزام بقرارات المؤتمر وتوصياته فيما لو كفت الحكومة السعودية عن إمداد حلفائها الملكيين بالمال والسلاح ، والحصول على ضمانات أكيدة تضمن استمرار النظام الجمهورى فى جنوب شبه الجزيرة العربية. وقد حضر المؤتمر اللواء حمود الجائفي رئيس الحكومة وعدد لا بأس به من الخبراء والمستشارين العرب ، وواجه المشاركون فى المؤتمر مضايقات من قبل أجهزة المخابرات المصرية التى كانت عيونها ترصد وقائع المؤتمر ساعة بساعة . (١٠٠)

ومـــن جهـــة أخرى كان الرئيس السلال أسير القيادة المصرية التى كانت تمول حكمه بصورة منتظمة. وقد ضغط عليه هؤلاء من أجل التسليم ببعض قرارات مؤتمر خمر، التى قد تؤدى إلى وقف الحرب وإعلان الهدنة العسكرية تمهيداً للحوار السياسى . [(١٠١)]

تداخـــلت ثلاثة عوامل رئيسة فى انعقاد مؤتمر خمر للسلام فى أبريل عام ١٩٦٥ . أولها، خروج الزبيرى من العاصمة صنعاء إلى مدينة ريدة ، تحت حماية عشائر ذو محمد وذو حسين . ثانيها ، رفض الحكومة الالتزام الحرفى بقرارات وتوصيات مؤتمر عمران المنعقد فى سبتمبر عام ١٩٦٣ . إذ لعـــب العـــامل الأول دور لفت نظر الحكومة من أن المعارضة لن تقف موقف المتفرج من جراء التصعيد العسكرى . لهذا قرر الزبيرى الخروج من صنعاء إلى مناطق الصراع العســـكرى وطاف معظم مدن وقرى الهضبة الشمالية بهدف الحصول على تأييد ودعم شعبى يساعده فى الضغط على القيادتين اليمنية والمصرية للاستجابة لدعوة السلام . وقيل أن القاضى كـــان يدعو لنفسه باعتباره فقيهاً محتسباً على رئيس الجمهورية . وليس هناك من مصلحة أو قناعة تربط زعامة كتلة خمر بأهداف جولة زعامة حزب الله ، من أجل تنصيبه رئيساً للدولة ، وجعل عمران أو ريدة عاصمة لهذا الدولة الإسلامية المزمع قيامها .

أما العامل الثالث ، فهو فى الأصل يعود إلى ذلك الصراع المكشوف بين تيارى القحطانية والعدنانيـــة ، إذ كان يستهدف شق المعسكرين المتصارعين –الجمهورية والملكي إلى أجنحة متعارضـــة . ولمزيد من استنـــزاف القوات المصرية المرابطة فى اليمن ، ظهر تيار القوى الثالثة ليس كقوة سياسية مناهضة للحل العسكرى فحسب ، بل وللنظامين الجمهورى والملكى . وفى لقـــاء الطـــائف كشـــف أنصار هذا التيار عن توجهاتهم السياسية المقاربة لتوجهات الحكومة السعودية فى إقليم شبه الجزيرة العربية .

ومثـــلما صادف انعقاد مؤتمر الطائف، لقاء الرئيس عبد الناصر بالعاهل السعودى الملك فيصل فى مباحثات جدة، صادف انعقاد مؤتمر خمر بمضاعفات خطر الانفجار الشامل للحرب الأهلية فى اليمن عقب اغتيال القاضى الزبيرى . لهذا السبب عمدت سلطات صنعاء إلى تهدئة الموقف ، فعقدت مساومة من موقع ضعيف مع زعامة المعارضة ، حيث سمح للنعمان بتشكيل حكومة غالبية أعضاءها ينتسبون لتجمع حزب الله وكتلة خمر .

إن ممثـــلي المعارضة المنشقة عن النظام الجمهوري المجتمعين فى خمر لبحث الحلول المناسبة للمشـــكلة اليمـــنية ، طرحوا تصوراتهم العامة للأزمة من كل جوانبها السياسية والعسكرية . حيث أعلنوا أربعة مبادئ أساسية ، كانت بمثابة ميثاق مصالحة وطنية :

أولاً- تشـــكيل هيئة دائمة للسلم الوطني، وتتولى الاتصال بشتى الطرق والوسائل ببقية المغـــرر بهـــم [المـــلكيين] ، سواء بالاتصال المباشر أو المراسلة ، للتوصل معهم إلى التفاهم الأخـــوى الـــتام الـــذى يـــؤدى إلى إقرار السلام والوئام ووحدة الكلمة ، كما تتولى تقديم الاقـــتراحات اللازمـــة إلى الحكومـــة لـــلقيام بالإجـــراءات اللازمـــة لتساعدهم على نجاح مهمتهم.وتتألف الهيئة من تسعة أعضاء ، خمسة من المشايخ وأربعة من العلماء .

ثانياً – يمنح مؤتمر السلام اليمنى الثقة للوزارة القائمة .

ثالـــثاً – يـــؤكد المؤتمر على رئيس الوزراء الالتزام بالبرنامج الذى أعلنه رئيس الوزراء مع الاهتمام بما يلى :

(أ) العمل بمختلف السبل والوسائل لإنهاء حالة الحرب وإقرار السلام .

(ب) تنظيم يحدد العلاقـــات مع الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة على هدى قرارات المؤتمر وروحه .

(جـــ) السعى لإيقاف حالة التوتر فى العلاقات مع الجيران .

(د) إنشاء جيش وطنى ودعم قوى الأمن .

(هـــ) تنمية ودعم الاقتصاد الوطنى .

(و) العمل على تصحيح الأوضاع فى جميع الأجهزة والدوائر الحكومية باختيار الأكفاء المخلصين ذوى النـــزاهة والاستقامة .

رابعـــاً – يؤكد المؤتمر ضرورة المبـــادرة بإرسال وفود إلى الدول العربية جميعا من اجل التعاون على إنهاء الحرب واقرار السلام .

لم يكن فى مقدور المعارضة أبداً كشف أوراقها حول هذه المسألة   السلام والمصالحة – ، لأن قطاعات واسعة من الشعب اليمنى حتى ذلك التاريخ ، كان يؤيد الوجود المصرى الداعم للـــنظام الجمهورى . فقد قدمت وسائل الإعلام الرسمية قصص رائعة عن التضحيات البطولية

جنود الجمهورية العربية المتحدة فى أرض البطولات والأمجاد (اليمن) ، منها تلك القصة الشهيرة لاستشهاد النقيب نبيل الوقاد والرائد عبد المنعم سند ، وغيرهم من ضباط الجيش اليمنى من أمثال الملازم على عبد المغني، والملازم مثنى الحضيري، والساسة المدنيين من أمثال أحمد محمد الأحمدى والشيخ محمد على نعمان ، الذين قدموا أرواحهم رخيصة فى سبيل نصرة الشعب اليمنى وتحريره من جبروت حكم بيت حميد الدين . ولهذه الحملة النفسية أثرها البالغ فى إلهاب مشاعر وحماس قطاع واسع من السكان، الذين أيدوا الوجود المصرى ، ووقفوا معه فى معارك الدفاع عن الثورة والجمهورية. وإزاء ذلك اكتفت المعارضة فى حصر نشاطها فى إطار مدن الهضبة الشمالية، وفى إطار مدينة صنعاء؛ ولم تتمكن من توسيع قاعدتها بتحويلها إلى حركة شعبية لتشمل اليمن كله – شماله وجنوبه .

ويبدو أن سلسلة المؤتمرات الشعبية خصوصاً (عمران وأركويت وخمر والطائف) ، لم تحقق فكرة السلام ولا المصالحة الوطنية المرتقبة بين الجمهوريين والملكيين ، لسبب بسيط هو أن الغالبية العظمى من المشاركين كانوا يمثلون سكان الهضبة الشمالية ، تحديداً عشائر حاشد وبكيل . ولم يكن ثمة تمثيل يذكر فى هذه المؤتمرات لسكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية ، الذين قاطعوا هذه المؤتمرات القبلية ، باستثناء مؤتمرى حرض والجند . وبالتالى لم تتح الفرصة لوجود ممثلين رسميين عن الحكومة فى معظم هذه المؤتمرات التى عقدت داخل اليمن وخارجه ، فى حين سمح لمعظم العناصر المتمردة عن النظام الجمهورى المشاركة فى صياغة القرارات والتوصيات، ومن ثم إملاءها على القيادتين اليمنية والمصرية. ومن هنا ، اكتسب ائتلاف القوى الثالثة صبغة شرعية ، الأمر الذى يضع نظام السلال بين مطرقة حزب الله وسندان حزب الشورى .

بالإضافة إلى المشاكل والتحديات التى تمت الإشارة إليها بلغة محورة، وهى قضايا تتعلق بالوجود المصري، حاول المؤتمرون تجنب الخوض فيها . ولم يعد خافياً أن الوجود المصرى فى اليمن أصبح مصدر تذمر لدى قطاع واسع من الساسة اليمنيين بوجه عام، والقادة العرب بوجه خاص ، الذين عبروا صراحة عن استحالة قيام جبهة عربية مشتركة فى مواجهة العدو الصهيونى فى مؤتمرات القمة العربية المنعقدة فى الجمهورية العربية المتحدة خلال النصف الأول من عقد الستينيات . [١٠٢] فضلاً عن ذلك ، ندد العديد من المشاركين فى مؤتمر خمر وبعضهم يحتلون مناصب عليا فى أجهزة الدولة بالوصاية المصرية المفروضة بالقوة العسكرية على الشعب اليمنى ، وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية من العناصر الناشطة برئاسة النعمان . وعهد إليها

الأشــراف على تنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر . واختتم المؤتمر بيانه بثلاثة قرارات ، عبرت بأشكال مختلفة عن مواقفهم السياسية تجاه الأوضاع العامة فى الساحتين اليمنية والعربية :

– يحـيى المؤتمـر نضال الجنوب اليمنى فى سبيل الحرية والخلاص من أغلال الاستعمار، ويهيب بالمنظمات الشعبية والقوى الوطنية لتوحيد كلمتها وضم صفوفها .

– يشـكر المؤتمـر باسـم الشعب اليمنى الجمهورية العربية المتحدة ما قدمته من عون للثورة اليمنية ولشعب الجمهورية العربية اليمنية ، ويقدسون الدماء الزكـية وأرواح الشهداء الطاهرة التى حققت المعانى السامية للأخوة العربية .

– يرحب المؤتمر فى تقدير وامتنان بالقرار الأخوى الذى أصدره المؤتمر الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة ، وذلك بالسعى لإقرار السلام فى اليمن " . (١٠٣)

لقـد واجهـت المعارضة المنشقة عن النظام الجمهورى أزمة سياسية عويصة مماثلة لتلك الأزمـة الشرعية التى يعانى منها النظام نفسه ، وكان بقاء السلال فى السلطة مرهوناً بوجود القـوات المصـرية فى اليمن . هذه الأزمة الشرعية يحدد أبعادها سعيد محمد باديب من خلال تطرقه للصراع السعودى المصرى حول اليمن فى ثلاث نقاط رئيسة :

أ – أن النـظام الحاكم الجديد فى اليمن اعتمد إلى حد كبير على الدعم المصرى ، وأقر التدخل العسكرى المصرى العلنى فى اليمن .

ب– أن الإمـام البـدر الحاكم الشرعى لليمن ليس على قيد الحياة فقط ، وإنما ما زال داخل اليمن مدعوماً من قبل مجموعة كبيرة من رجال القبائل ، وبالتالى فإن الحكومة الشرعية لليمن ما زالت قائمة وموجودة .

جـ– أن أول عمل قام به النظام الجمهورى الجديد هو إعدام أى شخص يتمتع بمكانة سياسية فى البلاد . (١٠٤)

فى هـذا الاتجـاه ، سـعت الحكومـة السـعودية إلى اسـتخدام فصـائل المعارضة الجمهورية المنشقة ، من أجل توجيهها وفق مصالحها . وهذا عين ما حصل فى مؤتمر الطائف ، الـذى ضـم (٥٤١ عـالم وشـيخ) مـن ذوى الاتجاهات المتناقضة ، والمعروف أن بعض الشخصيات الجمهورية التى شاركت فى الحكم مع الرئيس السلال ، قبلت الانضمام إلى صف المعارضة الملكية . (١٠٥) وبقبولهم فى وقت لاحق التحالف مع قوى إقليمية (السعودية والأردن

وإيــران) ، قبــلوا التحالف أيضاً مع قوى دولية (بريطانيا وأمريكا) فى مواجهة الاتهامات الــرسمية لهم بخيانة الوطن . وقد أعلنت المعارضة فى ١٠ أغسطس ١٩٦٥ / الموافق ١٣ ربيع الــثانى ١٣٨٥هــ توصيات وقرارات ، جاءت مناقضة تماماً لما سبق الاتفاق عليه فى كل من عمران وخمر ، وهى :

١- إقامــة دولــة اليمن تحت اسم ((الدولة اليمنية الإسلامية)) ، وتقوم على أحكام الشريعة الإسلامية الغراء ، ويسير أعمال هذه الدولة بصورة مؤقتة :

أ - مجــلس دولــة يقوم باختصاص رئيس الدولة ، ويتألف من سبعة إلى ثمانية أعضاء ، وتمثل فيه جميع الفئات اليمنية .

ب- مجلس وزارى يقوم باختصاص السلطة التنفيذية ، ويتألف من ثمانية عشر إلى أربعة وعشرين وزيراً ، وتمثل فيه العناصر الواعية من مختلف الفئات اليمنية .

جـ مجلس شورى يوجه ويشرف على أعمال مجلس الوزراء، ويساعده فى أداء مهمته، ويتألف من ثمانين عضواً ، وتمثل فيه جميع الفئات اليمنية . (١٠٦)

من جهة أخرى ، بحث المؤتمرون فى لقاء الطائف أسباب فشل المؤتمرات الشعبية فى إنجاز مهامها على الوجه المطلوب ، فتوصلوا إلى أن المشكلة اليمنية تكمن فى التدخل الأجنبى الذى أشــعل نــار الحــرب الأهلية فى البلاد . وبعد مناقشات طويلة وافقوا على البيان الذى ألمح إلى ضــرورة " انســحاب القــوات المســلحة لــلجمهورية العــربية المــتحدة ، وإيقاف المساعدات السعودية .. " ؛ وكان مبرر رفضهم للدعم المصرى للنظام الجمهورى هو " إفساح المجــال أمــام الشــعب اليمنى ليعلن إرادته الحرة فى تعزيز مصيره واختيار نظام الحكم الذى يرتضــونه .. " (١٠٧) وكان الاتفاق على شكل المصالحة الوطنية بين الجمهوريين المنشقين عن نظــام السلال مرهوناً باللقاء مع المعارضة الملكية المنشقة عن مجلس الإمامة ، ليشكل الجناحين ائتلاف القوى الثالثة. وهكذا شطب المؤتمرون فى الطائف اسم (الجمهورية العربية اليمنية) من جــدول أعمالهم ، ليحلوا محله اسم (الدولة اليمنية الإسلامية) ، وهذا الاتجاه الأخير يشكل نكسة سياسية للنظام الجمهورى بالنسبة للمعارضة ، التى قبلت التصالح مع الملكيين والحكومة السعودية بدلاً من التصالح مع الرئيس السلال والقيادة المصرية .

قضية الزبيرى وملابساتها :

تحتل قضية الزبيرى فى دراستنا هامش محدود من المناقشة لسبب بسيط هو أن عملية تصفيته جسدياً تمت فى نطاق الصراع على السلطة داخل المعسكر الجمهورى ، وخارجه فى نطاق الحرب الأهلية وتداعياتها السياسية ، حيث اكتشفت كل من مصر والسعودية أن الترتيبات التى اتخذت عشية انعقاد مؤتمر خمر للسلام لم تكن فى مصلحة الطرفين ، فقرر الجميع الخلاص منه . لكن ما يهمنا هنا الإشارة إلى أن اغتيال الزبيرى كان السبب المباشر فى سقوط حكومة العمرى ، فربحت المعارضة جولة حاسمة لصالحها . وبقيت البلاد نحو ثلاثة أسابيع بدون حكومة ، وما رافق ذلك من أعمال عنف تبنتها سلطات صنعاء ضد ناشطى حزب الله وكتلة خمر . [١٠٨] وحينئذ كان لابد لزعماء المعارضة من إثبات صدق تمثيلهم للبلاد فشنوا حملة سياسية لهذا الغرض لكى يكسبوا التأييد الشعبى العام لقيادة المؤتمر وتوصياته . وكانت أعمال التحريض والنشرات الصادرة باسم حزب الله والاجتماعات التى اقترنت بجماعة كتلة خمر ، كفيلة بتأجيج المشاعر تجاه نظام السلال من جهة، وضد القيادة المصرية من جهة ثانية .

وإذا كان مؤتمر خمر للسلام قد أنعقد فى ظروف استثنائية تزامنت مع اغتيال القاضى محمد الزبيرى فى بداية شهر أبريل ١٩٦٥ ، فإن محاولة إفشال قيامه من قبل الحكومة بآت بالفشل . [١٠٩] فقد نقل بعض أنصار المعارضة من قيادة الجيش وأجهزة الدولة العليا إلى مواقع اقل أهمية ليتمكن من فرض إرادته على خصومه السياسيين، إذ بدا أن المؤتمر سينتهى فى غير صالح الحكومة . كما أمر بتشكيل لجنة خاصة للبحث والتحقيق فى قضية اغتيال القاضى الزبيرى ، لكن اللجنة على ما يبدو لم تصل إلى نتائج حاسمة نظراً لفرار العناصر المشتبه بهم بقتل أبى الأحرار من سجن المهلهل بمدينة خمر ، الأمر الذى يضفى مزيداً من الغموض حول هذه الحادثة . [١١٠]

وفى غضون شهر أبريل كتبت دائرة الاستخبارات العسكرية المصرية تقول إن المشاعر المناوئة للمصريين آخذة فى التصاعد و"أن مؤامرة تم اكتشافها بواسطتنا ، وهى تخطط لاغتيال المشير السلال فور وصوله إلى مدينة خمر " [١١١] لكن السلال لم يفكر بالمرة بزيارة عمران وخمر ، وكانت مدينته المفضلة من مدن الجمهورية العربية اليمنية هى مدينة تعز العاصمة الثانية كما كان يحلو له أن يطلق عليها فى خطاباته السياسية التى كان يعرض فيها دوماً بأقطاب المعارضة الجمهورية. ففى مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الرئيس الأسبق السلال ، عبر فيها

عن مشاعره تجاه المعارضة بقوله: "لم أكن أخشى خطر المعارضة الملكية الإمامية وقوامها جماعة السادة الهاشميين أذناب الرجعية المتواجدين فى صنعاء ، فهؤلاء محاصرون ولا يجرؤ أحدهم على البنس ببنت شفة ، ولكنى كنت أخشى كيد أولئك الفقهاء القحطانيون الأوصياء الجدد على الثورة والجمهورية .. "(١١٢)

ومــع ذلـــك ، فإن قطاعاً من الرأى العام اليمنى لم يفاجئ باغتيال الزبيرى ، فقد كانت المواجهـــة بـــين السلطة والمعارضة متوقعة . كما أبدى نظام السلال قلقه على مستقبل الدور المصـــرى فى الـــيمن ، كما كانت أجهزة الاستخبارات تراقب عن كثب التطورات السياسية والعســـكرية فى أنحـــاء متفرقة من الجبهة الشمالية ، ورصد تحركات ناشطى حزب الله وتجمع كتلة خمر بهدف التعرف على ردود فعلهم تجاه الحكومة . فالقاسم المشترك بين المعارضة الدينية (حزب الله) والمعارضة القبلية (كتلة خمر)، هى حالة الاستنفار الكامل تحسباً لهجوم السلطة. وقد كان الزبيرى بارعاً عندما نصب نفسه فى هذا المركز – وصاية الفقيه المحتسب – ، يتطلع بـــدوره إلى إســـقاط نظام السلال ؛ لكن القيادة المصرية لم تتح أمامه فرصة لإحراز مزيد من المكاســـب السياسية على حساب الجميع . وكانت عملية اغتياله قد تم التخطيط لها بإحكام ، وخيل لمدبرى المؤامرة أنه بمجرد القضاء عليه ، تحل مشكلة المعارضة .

غـــير أن الخلاف ظل حاداً وقائماً ، خصوصاً فيما يتعلق بمطالب المعارضة من الحكومة الوفـــاء بعهدها بتطبيق قرارات وتوصيات مؤتمر خمر للسلام . فالنقاط الثلاث المثارة فى المؤتمر تمحورت حول السلام والمصالحة وتقرير مستقبل الحكم فى اليمن ، خاصة بعد انسحاب الجيش المصـــرى مـــن البلاد ، شكلت بمجملها حالة من الانشقاق الهامشى بين قبيلتى حاشد وبكيل ومواقفهما المتناقضة تجاه الحكومة . وثنائية المعارضة القبلية أو الدينية، أصبحت معروفة بالنسبة لـــلقيادتين المصـــرية واليمنية ؛ فقد بدأ الجمهوريون المتشددون فى مواقفهم السياسية فى إثارة الشكوك حول مغزى المعارضة ، التى أخذت بعض عناصرها تدعو نهاراً وجهاراً لمشروع دولة اليمن الإسلامية .

تشـــير وثائق القيادتين المصرية واليمنية أنه بالرغم من عمق الخلاف بين أنصار حزب الله وكتلة خمر من جهة ، والحكومة والقيادة المصرية من جهة أخرى ، ظلت معظم عشائر حاشد مواليـــة للـــنظام الجمهورى ، وكانت زعامتها تبنى قوتها بما اكتسبته من موارد مالية وشهرة سياســـية خلال سنوات الحرب ؛ كما أضحت مدينة خمر منطقة جذب لكل عناصر المعارضة

المنشقة الفارة من صنعاء . [113] بهذا الخصوص ، عبر ضابط الاتصال المصرى (العميد قاسم الصـــاروخ) عن قلقه العميق ، فى أحد تقاريره المرفوعة إلى قائد القوات العربية فى صنعاء ، مـــا يلى : " .. إن الخطر يحيط بنا من كل جانب فى المواقع المجاورة لكل من عمران وريدة ، ولم يعد باستطاعتنا التمييز بين القبائل المجمهرة والقبائل المميلكة .. وجنودنا يتساقطون صرعى فى كمائن ليلية ، والبعض يتعرض للقنص من قبل المتمردين فى وضح النهار ، علماً بأن معظم الســـلاح الذى يوجه إلى صدورنا قد تأكد لنا أنه من صنع روسى ، صرفناه للمشايخ والنقباء والعرائف .. بل أن هناك خطر أعظم من ذلك يهدد النظام الجمهورى ، والجميع يتحدثون هنا فى حاشد عن قرب موعد إعلان قيام دولة اليمن الإسلامية .. " [114]

لقـــد أيقظـــت المقاومة المسلحة المتزايدة فى مرتفعات اليمن الشمالية مخاوف وهواجس القيادة المصرية، مثلما أزعجتها تلك الاضطرابات السياسية التى شهدتها مدن السهول الجنوبية المعروفة بولائها المطلق للنظام الجمهورى . وتذكر المصادر أن القلاقل التى ظهرت بوادرها فى مدينة تعز كان مصدرها مشايخ لواء تعز بزعامة الشيخ أمين عبد الواسع نعمان محافظ اللواء ، الذى رفض ورفاقه الشيخين (محمد على عثمان وأحمد سيف الشرجبى) قرار الحكومة بتعيين الشيخ صالح الرويشان محافظاً جديداً للواء . [115] ولما كان أقطاب المعارضة (القاضى الإريانى والشيخ الأحمر) لم يرغبا فى تعزيز مكانة ونفوذ الشيخ أحمد نعمان فى إطار مدينة تعز وما حولها ، فقـــد حاولا الإيقاع بينه وبين بعض الشخصيات السياسية الطامحة فى اللواء ، من أمثال عبد القوى حاميم وقاسم غالب أحمد ، الذين أزعجهم ظهور آل النعمان واستئثارهم بمناصب عليا فى الدولة . حول هذه النقطة بالذات نورد هنا نص موضوع من برقية متحاملة على النعمان ، بعثتها بعض الجهات المتضررة من محافظ لواء تعز إلى الشيخ الأحمر وزير الداخلية ، هذا نصها :

" الشـــيخ عبد الله بن حسين الأحمر .. ما كنا نعتقد أن الحاقد نعمان قد صور معارضة الـــلواء ، وأحـــرار الرأى إلى جانب الرأى العام ضد أسرته بالمخالفة والخروج عن الإسلام . ومؤتمـــر الســـلام ، كل الناس تؤيد السلام ، ولكنهم لا يؤيدون الحقد والانتقام .. وإننا أول رعية عرفتنا اليمن نكشف ظلم الإمام .. وسنبقى ندافع عن آرائنا وأهدافنا ، ونكشفها للناس حتى نلقى الله . ولو كان أبو الأحرار [الزبيرى] حياً ، الذى لبس الحاقد قميصه ميتاً ، وأكل الأمـــوال باسمه حياً لفضحه أمام الجميع ، وقد فضحه أيام الاتحاد اليمنى ، وبين بعض الإخوان وثائق الشهيد . أما ما قلتم عن اسم الوظيفة والوطنية ، فنحن نستغرب منكم هذا الكلام . إننا استقلنا عندما عرضت لنا ، وما زلنا ما دام نعمان هو الإمام الجديد .. " [116]

من جهة أخرى ، يذكر أحد المقربين من زعامة المعارضة – العقيد محمد على الأكوع مدير المباحث العامة بتعز – عمق الخلافات والمشاكل الإدارية المتفاقمة فى مدن السهول الجنوبية، خصوصاً إب وتعز والراهدة ، التى أظهرت سلطاتها المحلية بوادر عصيان مسلح ضد القرارات الإدارية والمالية الصادرة عن السلطة المركزية فى صنعاء ولما كانت صورة اليمن الأسفل لم تلطخ بالتآمر ضد الثورة والنظام الجمهورى ، فقد نجحت المعارضة المتضررة من هذا الموقف المؤيد لنظام السلال من خلق بؤر صراع طائفية ، بهدف إلهاء السلطة بأكثر من جبهة . وقد أشار كاتب تلك التحليلات (التقارير) إلى المشاركين فى (قضية إبراهيم حاميم) إلى تمرد الشيخ المذكور ، حيث وسمه بخيانة الوطن ، عندما أقدم على " .. خفض علم الحكومة من على سطح جمرك الراهدة ومزقه ، وداس صور المشير السلال بقدمه ، وآخر نهبه وسرقه أخذ حاصلات صندوق الجمرك مع مدرعة وعليها رشاش قرنوف من سلاح الجمهورية اليمنية هدية إلى أسياده الاستعمار . " [١١٧] ثم يخلص الكاتب رؤيته : " الموقف بتعز يحتاج إلى ضباط ومسئوولين حازمين ، وأكثر منهم واعين بالنسبة للمنطقة ، وأكثر ضباط الأمن يضجوا منهم الأهالى بأخذ الرشوة كمحمد الأنسى وعلى صلاح وعلى اليناعى ، وبصفة خاصة محمد الشريف ، بجانب مساعدته لحاميم ، وبعد فرار حاميم من فساد الضابط الشريف لم يتخذ أى إجراء . " [١١٨]

ويتناول نفس الكاتب بالتفسير الأسباب الموضوعية المؤدية إلى إثارة مثل هذه القلاقل السياسية المفتعلة ، منوهاً بدوره إلى بعض الممارسات غير المسئولة لبعض المشايخ الذين يتمتعون بحصانة أقاربهم فى السلطة: " أما لواء إب فالفوضى والمهزلة – بدأت تنمو فيه سبب المسؤولين، وبصفة خاصة عامل ناحية إب الشيخ على عنان ، كون له عصابة من (٢٠٠) نفر ، ويحبس من يريد ويبطش بمن يريد .. وعنان يتصرف لأنه صهير وزير الداخلية . " [١١٩] هذا النموذج السلوكى لمثل هؤلاء الأشخاص المحسوبين على جهاز الدولة ، ساهم فى إذكاء روح الكراهية لكل موظف حكومى تربطه صلة بالسلطة الحاكمة فى صنعاء ؛ فضلاً عن الخلافات القائمة بين مشايخ اليمن الأسفل التى تغذيها مصالح الأسر المتنفذة فى المنطقة، وفى مقدمتها آل عثمان وآل نعمان ، التى اكتسبت مواقع مهمة فى السلطة فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية .

ولم يكن هذا الانقسام والتناحر محصوراً على مشايخ اليمن الأسفل ، فقد كان لمشايخ اليمن الأعلى أيضاً خلافاتهم الخاصة حول من يقف فى صف الجمهورية (مجمهر) ، ومن يقف فى صف الملكية (مميلك) . وكان شيوخ القبائل الشمالية خصوصاً بكيل ، أول من ثار ضد

حكومــة صــنعاء وعارض النظام الجمهورى . لكن القلة القليلة منهم (الشيخ أمين أبو رأس والشيخ مطيع دماج) ظل يحتفظ بعلاقة جيدة بالقيادتين اليمنية والمصرية . وخلال هذه الحقبة، اكتســب شيوخ المؤسسة القبلية خبرة سياسية تتعارض مع قيم المجتمع القديم ، حيث فقدت الهجرة كمستوطنة زراعية خاصة بأتباع المذهب الزيدى دورها المؤثر فى الحياة الدينية . (١٢٠) فالهجــرة (الجمع هجر) لم تعد مكاناً آمناً للمقيمين بها ، حيث تعرض عدد كبير من العلماء النازلين ضيوفاً على زعاماتها القبلية للقتل، وفى مقدمتهم أبي الأحرار محمد الزبيري، الذى سقط مغدوراً به فى هجرة رجوزة المحاذية لجبل برط . (١٢١)

وقد رصد أبو غانم بعض مظاهر هذا التحول السياسى والاجتماعى ، وثيق الصلة بالبنية القبلية في اليمن، بقوله : " وبتوضيح وتحديد أكثر فإن مفهوم ((الهجرة)) المعروفة اليوم ليس مرتبطاً بأماكن وعائلات دينية معينة أو بأماكن عبادة ومقامات روحية محددة لذاتها كما كانت فى الأصــل ، أى فى بدايــة ظهور الإسلام عند بعض القبائل العربية .. وبحيث تصبح وظيفة ((الهجرة)) سياسية وقانونية أكثر منها وظيفة دينية ، وذلك يتضح من خلال تطبيق العقوبة والجزاء دنيوية (عرفية) ، وليست عقوبة دينية (غيبية) ، كما هو الحال بالنسبة لشعور الفرد عند انتهاكه حرمة مسجد أو أى مكان دينى مقدس . " (١٢٢)

بالرغم من محاولة المؤلف تخصيص وتحديد عنوان جانبى لنظام الهجرة ، لم يقدم لنا إجابة شــافية لمغزى هذا التحول السياسى والاجتماعى العميق فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . فــأبو غانم يرى أن الهجرة لا تتقيد بقانون الشرع ، وإنما تسوسها أعراف القبيلة وتقاليدها ، خارج نطاق نظم وقوانين الدولة . وقد كان لهذا التوجه المستقل عن نفوذ الدولة أو بتعبير أكثر دقة حالة اللادولة ، أثره البالغ " فى النظام القبلى بعداً جديداً يتمثل فى البعد الأمنى الذى من خلاله يمكن معالجة الفوضى السياسية شبه المستمرة . " (١٢٣) وبما أن الهجرة تمثل صمام الأمان للــنظام القــيمي للقبيلة لا الفوضى ، فكيف نفسر هدر دم داعية السلام والمصالحة الوطنية القاضــى الزبيرى فى كنف قبيلة بكيل ، وفرار القتلة من سجن المهلهل بمدينة خمر معقل قبيلة حاشد ؟

وإذا كانت عملية اغتيال أبو الأحرار فى برط ، قد حملت تبعاتها كل من النظامين الملكى والجمهــورى ، فإن المؤسسة القبلية الراعى الأول للهجرة من وجهة نظرنا تتحمل جزءاً مــن المســئولية التاريخية ، كون عملية الاغتيال قد تمت فى حدود بكيل ، كما أن فرار القتلة

من سجن المهلهل بمدينة خمر ، قد تم على وجه التحديد فى أرض حاشد . وإزاء ذلك ، شهدت شوارع مدينة صنعاء احتجاجات ومواجهات مع قوات الأمن ، وهجمات مسلحة على مرافق الدولـــة فى ضـــواحى العاصمة . وفى غضون أياماً قليلة امتدت الاضطرابات إلى مدن أخرى كذمار وجحانه وعمران وريدة ، مع فارق وحيد هو أن المقاومة المسلحة ضد الحاميات المصرية كســرت حاجــز الخــوف من انتقام السلطات بشن غارات جوية ضد المدن والقرى الآهلة بالسكان .[١٢٤] وفى هذه المناسبة ألقيت الخطب التأبينية فى الجموع الغفيرة المحتشدة فى أحياء العاصمة ، وتساءل الناس فى أنحاء اليمن : من هم قتلة الزبيرى ؟

وجــاءت الأجوبة متفاوتة . فبينما كانت إذاعة الملكيين تلقى باللوم على نظام السلال والقيادة المصرية، كانت إذاعة صنعاء توجه أصابع الاتهام لفلول الأسرة الطريدة بيت حميد الدين . شكل اغتيال الزبيرى آخر حلقة فى مسلسل تفسخ حركة المعارضة الجمهورية ، وقد تمثلت المراحل الرئيسة لذلك المسلسل الدرامى فى احتواء المعارضة ، وابتعاد شخصيات كثيرة عــن الحياة السياسية. وإذا تركنا جانباً الشعــارات الثورية والوطنية الجاهزة التى استعملتها الحكومة والمعارضة فى سياق الصراع على السلطة، نجد أن رفاق الزبيرى فى النضال لم يروا فى الحــزب سوى وسيلة إلى كراسى السلطة. لذلك لم يجرؤ أحدٌ منهم على توجيه أصابع الاتهام لنظام السلال باغتيال الزبيري، أو المخاطرة باتخاذ مواقف متصلبة من الحكومة. وظلت عناصر المعارضـــة المــتواجدة فى خمــر، تعلن عن قرب وقوع المواجهة مع حكم السلال العسكرى الديكتاتورى ، وهى بذلك تخفى عجزها عن تحديد سياسته إزاء النظام الجمهورى الذى تشارك فيه ، وفى الوقت نفسه – تعارضه .[١٢٥]

إن خلفية اغتيال الزبيرى تقع على هامش قصة الصراع على السلطة المحتدم بين المؤسسة القبــلية والمؤســـة العســكرية ، باستثناء أن الشخصيات الجمهورية المنشقة ، الذين أعلنوا تضامنهم مع أبى الأحرار ، كانوا قد تشتتوا بفعل الصدمة . فالأزمات الطويلة تفرغ المشاكل المعــلقة من مضمونها العقائدى والانفعالى ، وبذلك تقوى نزعة المصالحة على نزعة المواجهة . وقد شغلت المعارضة نفسها بالسؤال الذى قمعته السلطة العسكرية : كيف يمكن تحقيق السلام والمصـــالحة الوطنية بين أهل اليمن المنقسمين على أنفسهم إلى معسكرين – معسكر جمهورى يؤمن بالثورة والجمهورية قدراً ومصيراً ، ومعسكر ملكى يريد العودة بالإمام إلى سدة الحكم فى صـــنعاء تحــت مسميات جديدة ؟ وكانت المحاور الرئيسة للحوار على امتداد الساحة اليمنية تنحصر فى قضايا جوهرية : جمهورية بهوية ثورية يتربع قمتها العسكر ؟ أم دولة اليمن الإسلامية

فى إطـــار الـــنظام الجمهـــورى الشـــوروى الذى يخضع بدوره لتوجهات أحد فقهاء الزيدية المتسننيين ، وذلك طبقا لمعادلة وصاية الفقيه المحتسب فى زمن الغيبة للإمام الفاضل والمفضول ، تـــلك العقيـــدة المختزنة فى ذاكرة زعامة المعارضة ؟ وإن كان لابد من التمسك بهوية النظام الجمهورى ، كيف يمكن حمايته ، وما هى الوسائل فى غياب الدعم الخارجى ؟

كانت تلك التساؤلات المحيرة هى التى برزت على مستوى السطح صبيحة انعقاد مؤتمر خمر للسلام فى أبريل ١٩٦٥ . وثمة أسئلة أخرى تجول فى أذهان قادة المعارضة الجمهورية حول مستقبل نظام الحكم فى اليمن . فقد نظروا جميعهم إلى نظام السلال على أنه ضرب من الحكم العسكرى المقتبس من تجربة الجمهورية العربية المتحدة . فالجمهورية بالنسبة لهم أصبحت مجرد شعار مفرغ من محتواه، يرفعه العسكريون فى وجه المعارضة الدينية والقبلية، التى رفعت شعار السلام والمصالحة . وقد استقر رأيهم على " تنفيذ المطالب الأساسية التى وضعها شهيدنا العظيم أبو الأحرار اليمنيين الأستاذ محمد محمود الزبيرى ورفاقه المستقيلون فى ٢ديسمبر سنة ١٩٦٤، وهذه المطالب الأساسية التى يجب أن تقوم الدولة على أساسها:

١- تعديل الدستور .

٢- إقامة المجلس الجمهورى .

٣- تأليف مجلس الشورى .

٤- إعلان قيام تنظيم شعبى شامل .

٥- تكوين جيش وطنى قوى .

٦- تأليف مجلس دفاع وطنى .

٧- تشـــكيل محكمـــة شـــرعية عليا تتولى محاكمة العابثين بأموال الدولة ومقـــدرات الشعب. " (١٢٦)

لقـــد سقطت حكومة العمرى لأنها اتهمت بالتقصير فى قضية اغتيال الزبيرى وملابساتها، وعدم الوفاء بما تعهدت به من إصلاحات مالية وإدارية شاملة لأجهزة الدولة. وبناءً عليه ، فقد أمسكت المعارضة الآن بزمام المبادرة ، عندما قبل أحمد نعمان تشكيل حكومة جديدة فى ٢٠ إبريل من نفس العام ، عملاً بمبدأ توسيع قاعدة الحكم، ووضع تصور عام لإصلاح أداة الحكم،

كانت الحكومة مضطرة للقبول " بتشكيل مجلس للرئاسة يتولى تخطيط سياسة الدولة والإشراف عليها وتوجيهها برئاسة السلال وعضوية أربعة أعضاء ، أحدهم عبد الرحمن الإرياني . " (١٢٧) وقد انحصرت مهمة النعمان فى الحكومة منع العسكريين من احتكار السلطة ، لكي يعود الجيش مجدداً إلى ثكناته ، ويترك السياسة لأربابها .

ومن المفيد هنا أن انقل ما كتبه الطيب ؛ وهو واحدٌ من الأعضاء الفاعلين فى تنظيم حزب الله ، حول طبيعة الصراع بين السلطة والمعارضة عشية انعقاد مؤتمر خمر ، قائلاً : " إن العمل فى صنعاء والقاهرة ضد المؤتمر على قدم وساق ، والمخاوف من المؤتمر لا حدود لها، وتوقعات لا مبرر لها، رغم التأكيد بأن المؤتمر سيكون لصالح النظام الجمهوري، والعلاقات اليمنية المصرية، ولن يفرط فى شيء، وأن أهم أهدافه السلام، إخراج بيت حميد الدين من البلاد". (١٢٨) وقد اعتمد الطيب تصوير هذا الخلاف تصويراً نفسياً وأخلاقياً على مستوى المواقف والأشخاص بقوله : "وكنت استعيد أوصاف المجموعة ، وأقيِّم شخصياتها : عبد الرحمن الإرياني سياسي وبعيد النظر ، ولكنه يقبل نصف المطالب ويقنع بأنصاف الحلول دائماً . "

أما الشيخ أحمد محمد نعمان فيصفه الطيب بأنه: "سيئ الظن بالجانب الآخر (المصري)، فقد جربهم أثناء لجوئه إلى القاهرة ، وحرمانه من العودة إلى اليمن بعد الثورة ، بل وتهديده بالاعتقال فى القاهرة قبل الثورة وبعدها، وهو أحزم من القاضي [الإرياني] ، ولكنه يقبل الحلول التى يرى نفسه كاسباً فيها." (١٢٩) وبذلك نجح النعمان فى استخدام ورقة المعارضة لانتزاع مزيداً من المكاسب من القيادتين اليمنية والمصرية . ووضع المعارضة أمام ظروف موضوعية جديدة ، واختار قادة المعارضة خيار المصالحة ، فى حين اختار القادة الميدانيون خيار المقاومة المسلحة..

بقدر ما راهن القاضي الإرياني والشيخ الأحمر على جهود النعمان فى التفاهم السعودى اليمني، كخط احتياط ، وكواجهة تختفى خلفها جهود المعارضة للحد من النفوذ المصرى ، فقد كان الطرفان يخشيان نفوذ الشيخ ويسعيان إلى إقصاءه . وما أربك خطط الطرفين ، أن النعمان ، استغل حادث اغتيال الزبيرى لتثبيت مركزه المهزوز مع القيادة المصرية . وكان طبيعياً أن يفسر الطيب ما حدث على أنه موقف سياسى يتسم بالانتهازية .

كانت نظرة المعارضة إلى الأزمة اليمنية حاسمة وصارمة ، كما لخصها النعمان فى ثلاث نقاط رئيسة : " إعلان الهدنة العسكرية وانسحاب الجيش المصرى من اليمن ، وفترة انتقالية

يقـــر فيهـــا علماء البلاد ومشايخها الحلول المناسبة لتقرير مستقبل الحكم فى اليمن . " (١٣٠)
فالـــزبيرى عندما قرر الخروج عن نظام السلال كان يعتمد بدرجة أساسية على تأييد أقطاب المعارضـــة (القاضـــى الإريانى والشيخ النعمان) ، فى تأكيد دوره المناهض للوجود المصرى ، خاصـــة وأن الأخير كان يمثل صمام الأمان لهذا الائتلاف القائم بين المعارضة الدينية والقبلية . وقد استمر هذا التماسك السياسى للمعارضة قائماً فى حياة الزبيرى ، لكن بعد رحيله حدث نكوص ملحوظ لدى زعامة المعارضة كما يتضح ذلك فى سياق قرارات وتوصيات مؤتمر خمر للسلام . حيث تعارضت الاتجاهات الإصلاحية لحكومة النعمان مع مصالح السلطة الحاكمة ، فأصبح شيوخ القبائل هم القوة الفاعلة فى توجيه سياسات الحكومة والمعارضة . ولم يعد النعمان هو الشخص المرغوب من قبل السلطة والمعارضة بعد رحيل الزبيرى ، نظراً لأن الجميع كانوا يفضـــلون الـــتعامل مـــع القاضى الإريانى ، كونه أقل تشدداً فى مواقفه السياسية من الشيخ النعمان .

أرادت المعارضـــة الجمهورية باتجاهيها أن تستغل حادثة اغتيال الزبيرى سياسياً وتحويلها إلى قضـــية مشـــابهة لقضـــية قميص عثمان ، وبذلك تزاح العراقيل أمام الشخصيات الطامحة فى السلطة . ويعلق على هذه الحادثة أحمد يوسف أحمد بالقول: ".. ولابد للمرء أن يسلم بأن الاتجـــاه الـــذى مثله النعمان والإيريانى والزبيرى لابد وأنـــه كان يحظى بتأييد قطاعات قوية داخـــل الجمهوريين فى أعقاب اغتيال الزبيرى على الأقل ، ذلك أن التطورات التى تلت هذا الاغتيال لم تدع مجالاً للشك فى هـــذا ، فقد أتت إلى قمة الحكم بشركاء الزبيرى فى الاستقالة الجماعية فى ديسمبر ١٩٦٤ ، وباتجاهات تقترب كثيراً إن لم تكن تتطابق مع ما طالبوا به، ومع ما كان الزبيرى يعمل له فى (حزب الله) بعد ذلك . (١٣١)

لقـــد كان النعمان أكثرهم وزناً سياسياً ، ولكنه أقل نفوذاً سياسياً بحكم خلافه الشديد والمـــزمن مـــع لقيادة المصرية، وكان مرتاباً بشأن ادعاءات فقهاء الزيدية المنخرطين فى خدمة الـــنظام الجمهـــورى ، وعـــلى رأسهم القاضى الإريانى الذى كشف فى وقت مبـــكر ، عن طموحات سياسية لا حدود لها فى أن تتربع أسرته سدة الحكم فى اليمن ، كمـــا عبر عن ذلك صـــراحة فى مطارحاته السياسية مع رفاقه فى سجن نافع بمدينة حجة ، التى حفظها لنا النعمان الابن – محمد أحمد نعمان ، فى كتابه (من وراء الأسوار). وفى أكثر من مقابلة صحفية ومقالة أعـــترف الإريانى بأنه قصد بعبارة " عبدة الأصنام " ، أولئك البسطاء السذج من أبناء عشائر حاشد وبكيل المتشيعين عن اعتقاد دينى للأئمة العلويين . مثل هذا الطرح أثار لغطاً فى أوساط

الأحرار قبل وبعد قيام الثورة ، لا سيما عملية مشاركته مع الشيخ أحمد نعمان في أعداد البيعة لــولي العهــد محمد البدر ، في أعقاب فشل انقلاب مارس ١٩٥٥. (١٣٢) فالقاضي الإرياني بحكــم نشأته الاجتماعية والثقافية المحافظة ،كان فقيهاً مجتهداً واسع الإطلاع والحيلة ، جهوياً ينــتمي لحصــن إريان بالمنطقة الوسطى، وهي منطقة جغرافية عازلة بين عالمين – عالم (اليمن الأعــلى) وعــالم (اليمن الأسفل) ، وهو كأسلافه من آل الإرياني اختاروا الهجرة إلى إمام صنعاء ، حيث تلقى عدد كبير من أعضاء الأسرة ثقافة فقهية زيدية، لكنهم ظلوا أمناء محافظين بل ومتأثرين بتيار الشوكانية من جهة ، وتيار القحطانية من جهة أخرى . (١٣٣) هــذه السيرة قــد تســاعدنا على الأقل في رسم الخطوط العريضة لبعض مواقف رجال المعارضة الجمهورية المنخرطين في صفوف حزب الله وتجمع كتلة خمر .

خــلال ثلاثــة أسابيع من تــاريخ اغتيال الزبيري ، قبل الشيخ النعمان بتشكيل وزارة جديــدة ، وقــبل أيضاً القاضي الإرياني بفكرة الانضمام إلى مجلس الرئاسة المزمع تشكيله في المستقبل القريب . وفي اتجاه المطالبة الملحة بالإصلاح السياسي عن طريق توسيع قاعدة الحكم ، جعــلت المعارضــة الجمهورية من الهوية اليمنية – يمننة الصراع موضوعاً ملازماً لها. وقد طالب النعمان والإرياني فتح الباب على مصراعيه لمشايخ القبائل المشاركة في الحياة السياسية ، بــل وضــرورة دمجهم في مجتمع النخبة السياسية الجديدة، كما زادت قضية اغتيال الزبيري مــن حــدة هذه النــزعة . وفي إجابة خطية للمؤلف دافع القاضي الإرياني عن دور مشايخ القبائل في الثورة قائلاً: " شكل أبناء مشايخ اليمن الأعلى قوة سياسية لا يستهان بها ضد النظام الإمــامي ، بل وضد النظام الجمهوري ، عندما شعروا أن خطر الغزو الخارجي يقرع أبواب العاصــمة صنعاء . " وبالمثل تعرض لسيرة للقاضي الزبيري ، مشيداً بخصاله الوطنية الحميدة ، ونفى عنه صفة الانهزامية السياسية والالتقاء بعناصر بيت حميد الدين ، والإشاعة الحاقدة ضده التي روج لها من أسماهم بــ " السلاليين " . (١٣٤)

لم تكــن الاتهامات التي أطلقها الإرياني ورفاقه على الحكم العسكري في صنعاء بالفساد والفوضــى نابعــة من فراغ. فمنذ مؤتمر عمران حتى مؤتمر خمر، وعناصر المعارضة الجمهورية تحشــد قواها تحسباً لمواجهة مكشوفة ضد السلال وأنصاره من القوميين والناصريين . وحيال الميــل العــام الــذي يميز سلوك العسكريين، والذي يتمثل في النــزوع إلى اتخاذ القرارات التعسفية ، وفرض السلطة عن طريق العنف ، يصعب معه القيام بالتمييز عقائدياً بين ما هو يمين جمهــوري معتدل ، وما هو يسار جمهوري متطرف . إنهم جميعاً جمهوريون ثوريون بالممارسة .

فى نفس الوقت ، يعجز الباحث المحايد عن التعبير عنهم بصورة ملائمة ، نظراً لأن سلوكهم يبدو كسلسلة من التقلبات المفاجئة ، يغلب عليها النزعة الذاتية ، إذ لا تأخذ بعين الاعتبار مذهباً عقائدياً أو برنامجاً سياسياً معيناً .

وإذا كان العسكريون يفتقرون إلى التجربة السياسية والفصاحة الخطابية ، فإنهم اثبتوا مهارتهم فى استعمال بنادقهم أحسن استعمال فى الدفاع عن النظام الجمهورى ، وبالتالى البقاء فى كراسى السلطة . وفيما يلى نورد التساؤل الذى أثاره الشيخ أحمد نعمان ، أثناء إجابته للمؤلف عن الصراع بين جماعة حزب الله وأنصار السلال ، حيث قال : "إذا أراد العسكر أن يثبتوا وجودهم فى الدفاع عن الثورة والجمهورية ، أليس من مصلحتهم أن يتركوا السياسة لأهلها ؟ " (١٣٥) هذا الوضع الذى يسبق كل محاولة سياسية تبنتها المعارضة للحط من شأن المؤسسة العسكرية ، والشيخ النعمان بقوله هذا يعبر عن موقف سياسى معارض لحكم العسكر .

لقد ساهم اغتيال الزبيرى فى تأجيج العداوة بين السلطة والمعارضة ، فاختفاؤه من المسرح السياسى أثار موجة غضب شعبية عارمة ؛ لكنها لم تؤد إلى سقوط نظام السلال المتهم بالضلوع فى تدبير هذه المؤامرة . وفى ١٢ أبريل من عام ١٩٦٥ ، أصدر الشيخ أمين أبو رأس شيخ مشايخ بكيل ، والشيخ عبد المجيد الزندانى منشوراً سياسياً أوضحا فيه ملابسات المؤامرة :

" يا أبنا الشعب، يا رجال القبائل ، يا مشايخ البلاد ، يا علماء اليمن ، يا ضباط يا جنود اليمن . أين الزبيرى ؟ العالم المجاهد الذى عاش من أجل الشعب ، من أجل كل فرد منا ، من اجل أطفالنا ، من أجل سعادتنا وحريتنا وكرامتنا .قالوا إن الملكيين قتلوه بالذهب والسلاح وأرسلوا المجرمين لاغتياله،ولكن قولوا لهم : من الذى أخرج الزبيرى من صنعاء ، من أفسد الثورة واستذلها ؟ من أرسل عبد الله جزيلان بثلاثين ألف ريال إلى برط؟ من أرسل على الشعبى بخمسين ألف ريال إلى ذو حسين؟ قولوا لهم من قرر خمسين ريالاً كل يوم لبعض المشايخ من برط ليشتروا بها معارضين للزبيرى وأبو رأس ، وقولوا لهم من زرع خمسة وسبعين بندقاً [بندقية] قبل أسبوعين فى برط، قولوا لهم ماذا كان يفعل درهم الفلاحى قاتل الزبيرى فى صنعاء قبل عشرة أيام ، وكم أخذ أخوه عندما أستلم مقرر شهداء ذو حسين . "

وفى هذا النداء ، هاجم أنصار حزب الله الحكومة ، التى اتهمت بالضلوع فى اغتيال القاضى الزبيرى ، تمهيداً لضرب قاعدة المعارضة القبلية ممثلة بكتلة خمر ، وقد ورد فى أحد

مقاطعه هذه التساؤلات : " قولوا لهم كيف دبروا قتل الزبيرى قبل عــقد المؤتمر الوطنى الذى دعا إليه الشهيد ، قولوا لهم كيف قتل الزبيرى بعد يومين من وصول البرقية إلى صنعاء، وهى البرقية التى كشفت فيها المؤامرة . يا عاراه ، يا عاراه ، يا عاراه ، يا رجال اليمن ، يا مشايخ القــبائل ، إن الــزبيرى هجــركم وواحد منكم ، فأين الزبيرى ؟ يا عيباه فعلوها ، " قتلوا المقــتول ومشــوا فى جنازته " . والآن ماذا أنتم صانعون بعد الزبيري، اغسلوا العار يا رجال الشعب ؟ " (١٣٦)

وهــناك رأى مخالف لذلك حول اغتيال الزبيرى يورده أحمد يوسف أحمد بالقول: " وفى أول أبــريل اغــتيل الــزبيرى فى برط بشمال شرقى البلاد واتهمت الحكومة اليمنية الملكيين باغتياله ، وأعلنت فى اليوم التالى القبض على اثنين اعترفا بأنهما كلفا بذلك من عملاء البدر، ولكــن المــلكيين ردوا باتهــام مضاد للجمهوريين باغتيال الزبيرى لاتجاهاته السياسية السابق بيانها ، بل لقد نشرت إشاعات تورط المصريين فى العملية . " (١٣٧) وحتى هذه اللحظة لا تتوفر أدلــة قوية تؤكد هذا الرأى الأخير . لكن من المؤكد لدينا أن المعارضة وجهت أصابع الاتهام ضد القيادتين اليمنية والمصرية ، باعتبارها القوتين الفعليتين فى البلاد وراعيتا مؤتمر خمر للسلام. والمعــروف أن قتلة الزبيرى قد تم إلقاء القبض عليهم من قبل السلطات الجمهورية ، وأودعوا سجن المهلهل بمدنية خمر ، استطاعوا الهرب من السجن ، بعدها بأيام معدودة . (١٣٨)

وكنتــيجة مباشــرة لاغتيال الزبيرى وقرارات وتوصيات المؤتمر الشعبي، جاءت قيادة المعارضــة إلى الحكومة لتحدد سياساتها الرامية إلى إحلال السلام والمصالحة الوطنية . ولم تخف الحكومــة السعودية ارتياحها من هذا التطور السياسى فى جنوب الجزيرة ، حيث أرسل الملك فيصل ببرقية لرئيس الحكومة ، أكد فيها حرص بلاده على إحلال الأمن والاستقرار فى المنطقة، بمعــزل عن أى مؤثرات خارجية . (١٣٩) وقد أوضح رئيس الوزراء الشيخ أحمد نعمان فى بيان الحكومــة أن الجمهوريين المتواجدين سواء فى صف السلطة ، أو فى صف المعارضة ، سيظلوا أوفياء لفكر الزبيرى ومبادئه ، لا يرغبون التورط فى مغامرة عسكرية جديدة ، وهم يعارضوا بقوة كل محاولة ترمى إلى التصعيد العسكرى . كما أنهم حسب قوله : " .. لم يكونوا مقتنعين بالخطوات التى سلكتها الحكومة فى التحقيق والبحث عن قتلة أبى الأحرار الشهيد محمد محمود الزبيرى .. " (١٤٠)

لقــد أراد خــلفاء الزبيرى إثارة الرأى العام ضد الحكومة ، لكن احتجاجهم لم ينجح فى إثــارة مظاهــرة ضــخمة ضد النظام ، ولم تنجح مناشدهم للقبائل اليمنية بالقصاص لدم القاضـــى ، عــلماً بأن القتلة الذين ألقت السلطة القبلية القبض عليهم أودعوا سجن المهلهل بمديــنة خمــر ، كانوا قد تمكنوا من الفرار من يد العدالة . وهكذا أهدر دم الزبيرى فى أرض حاشد وبكيل . (١٤١) ويعلق الطيب على أبعاد المؤامرة والمحاكمة الصورية التى شكلت لمحاكمة قتــلة الزبيرى ، قائلاً : " نعم شكلت محكمة لمحاكمة القتلة وأذيعت من الإذاعة تحت الضجة الهائــلة تــباكياً على الزبيرى وتهديداً وتوعداً لقاتليه والمتآمرين عليه، وكان العارفون بالأمور يضحكون ويتساءلون : لماذا لم تؤمن سجون صنعاء العاصمة على قتلة الزبيرى ؟ لماذا لم يؤمن القضاء الرسمى على محاكمة الجناة ؟لماذا لم تشكل محكمة بأسلوب لا عهد بمثله ؟ (١٤٢)

هــذه التســاؤلات وغيرها ظلت لزمن طويل بدون إجابة . وبالطبع يصعب فى الوقت الحاضر على الباحث المحايد إصدار حكمه القاطع بهذا الخصوص، لأن ملفات القضية ما زالت مجمــدة ، وهــى تســتحق بحثاً مستقلاً بذاته . يتحمل الشيخ احمد نعمان مسئولية كبرى مع القاضى الإريانى فى وقائع انقلاب مارس ١٩٥٥ بمدينة تعز ، وفى وقائع إبريل ١٩٦٥ بمدينة ريــدة ، ولا يتضح دورهما إلا فى وقائع جلسات مؤتمر حرض (أكتوبر ١٩٦٥) ضمن سلم القيــادة السياســية الجمهوريــة ، حيــث أبديا مواقف سياسية متصلبة تجاه الطرف الملكى المفاوض . (١٤٣) وواضــح هنا أن الاختلاف لا يدور فى جلسات مؤتمر حرض حول مواقف تكــتيكية ثانويــة ، بل حول مسائل استراتيجية لا تتعلق بمستقبل النظام الجمهورى فى اليمن فحســب، بل بمستقبل النظام الملكى فى شبه الجزيرة العربية. (١٤٤) كان النعمان يتوقع تعيينه خلفا للزبيرى، بحكم الرفقة والخبرة السياسية التى اكتسبها بصفته زعيماً أسبق لحزب الأحرار الــيمنى ، ومنظرا سياسيا للاتحاد اليمنى ، بل " الصانع الأول لقضية الأحرار " ، كما عبر عن ذلك الزبيرى . (١٤٥) وكان واضحا أن النعمان اخذ يتطلع لمواصلة هذا الدور القيادى بالرغم من وجود عدد من المنافسين ، أبرزهم القاضى الإريانى المشهود له بحنكته السياسية وهو ند له ، كونــه يحظى بدعم المؤسستين العسكرية والقبلية ، فيما يتعلق بتوليه منصب رئاسة الدولة فى المستقبل .(١٤٦) ورغم أحجامه بادئ الأمر عن التمسك بلقب شيخ الإسلام، فقد اكتفى بلقب فخامــة القاضــى العلامة رئيس المجلس الجمهورى ، كناية عن نزعته العصرية المواكبة للعهد الثورى الجديد .

ساهم القاضي الإرياني ، بقدر مساهمة الشيخ النعمان ، في خلق الشروط الموضوعية للانشقاق، والدفع بالزبيري إلى اتخاذ مواقف سياسية عدائية ضد القيادتين اليمنية والمصرية. كما تقمص القاضي الزبيري شخصية الفدائي في مارس ١٩٦٥ ، تماما مثل ما فعل المقدم الثلائي في انقلاب مارس ١٩٥٥، وكان يعبر من خلال معارضته للسلطة من داخل السلطة عن تذمره الشديد إزاء القادة الجمهوريين الذين قبلوا المشاركة في الحكم تحت زعامة الرئيس السلال .[١٤٧] وربما تأثر بكون السلال لم يقترح عليه المشاركة في عضوية مجلس قيادة الثورة . على أية حال ، فإن القاضي حاول أن يغير فرس الرهان في منتصف الطريق ، عندما قرر الخروج من صنعاء إلى جبل برط ، علماً بأن موقعه كان قد أهتز منذ مطلع عام ١٩٦٣ ، سواء داخل القيادة الجمهورية أو خارجها - خلافاً لما يظن البعض ؛ بل أن تأثيره على قرارت المجلس العسكري والمكتب السياسي كانت محدودة للغاية . وظل وزنه في الحكومة هزيلاً طوال عام ١٩٦٤ عندما قدم استقالته من كرسي وزارة المعارف، ضمن الاستقالة الجماعية .[١٤٨] وبعد أن مهد للانشقاق ، ظل يتذبذب بين التيارات المتصارعة على السلطة دون أن يحظى بثقة أي واحد منها .

ولم يكن مستغربا بأن تجرف الأحداث عناصر حزب الله المنشقة عن النظام الجمهوري، وكذلك قاعدة المعارضة الملكية المقيمة في بيروت، وتحديداً القوى الثالثة المنشقة عن مجلس الإمامة ،بزعامة السيد إبراهيم الوزير ، الذي اظهر تنظيمه اتحاد القوى الشعبية معارضة ضمنية للنظامين الجمهوري والملكي . ومن ثم طرح الطرفان مجدداً مشروع دولة اليمن الإسلامية ، بديلا للنظامين .[١٤٩]كان من المنتظر أن يشكل مؤتمر خمر للسلام مظاهرة سياسية ضد نظام السلال ، لا سيما بعد اغتيال زعيم حزب الله ، إلا أن قرارت المؤتمر جاءت معتدلة بالمقارنة بقرارات مؤتمر عمران ، الذي اشرف على عملية الإعداد لهما شخصياً القاضي الزبيري قبيل رحيله . وكان رهانه كبيراً ، فيما لو عمل على توفير اكبر عدد من الأوراق الرابحة لحزبه ، وعلى احتلال افضل موقع داخل السلطة . وهذا الأمر لم تكن لتسمح به الحكومة والقيادة المصرية ، فقررتا التخلص منه ، رغم نفيهما رسمياً القيام بتلك العملية الإجرامية في حقه .[١٥٠]

إن أهم أسباب عدم الاستقرار السياسي في اليمن خلال الفترة الأولى من مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، تحديداً منذ عام ١٩٦٢حتى نهاية عام ١٩٦٧، هو الصراع المسلح بفعل تدخل قوى إقليمية ودولية كطرف في النزاع القائم آنذاك بين الجمهوريين المدعومين

سياســياً وعسكرياً من قبل الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى من جهة ، والملكيين المدعومين على كافة المستويات من قبل المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية مــن جهــة أخــرى. (١٥١) وكان من بين العوامل التى حددت هذا الموقف ، نفور المعارضة الجمهوريــة من الحكم العسكرى ، وتصورهم الخاص للتصعيد العسكرى على جبهات القتال ضــد الملكيين بوصفه جهداً بلا طائل . هذا الإجماع الشعبى فى مؤتمر خمر الذى حصلت عليه المعارضــة ، ذو دلالــة ، لأن الزبيرى أعترض على الحكومة لأنها لم تكن مخلصة فى استجابتها لمطــالب المعارضة . فتصرفات بعض القادة العسكريين الميدانيين مصريين ويمنيين كان يتم التنديد بها ، عبر نشرة حزب الله وعبر تصريحات أقطاب المعارضة المتواجدة فى بيروت . (١٥٢)

كان التصعيد العسكرى الذى تبنته القيادة السياسية المصرية معقوداً على توسيع قاعدة الكفاح المسلح فى اتجاه الجنوب اليمنى المحتل ، عــلى أمل أن تتسع قاعدة العمل الثورى هناك بصــورة موازيــة ضد قوات الاحتلال البريطانى وحلفائه من سلاطين محميات عدن الشرقية والغــربية . وقد أدى العمل الفدائى المسلح بقيادة الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل أول الأمر إلى حدوث مجابهة عسكرية مع حلفاء الملكيين من السلاطين والمشايخ ، وعلى رأسهم شــريف بــيحان حسين الذى كان يتلقى دعما بريطانياً وسعودياً .(١٥٣) وقد أدى هذا العمل المسلح إلى تقوية مركز السلال. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يتألق نجمه مجددا، بعد أن كانت أســهمه قد انخفضت إلى حد الصفر عشية انعقاد مؤتمر خمر للسلام فى أبريل عام ١٩٦٥. أما الــزبيرى فقــد ظــلت روحه تحلق فى سماء مدينة خمر وخياله ظل كابوسا ملازما للمشاركين والمراقــبين معــا لوقــائع مؤتمر خمر للسلام. فبعد رحيله المفاجئ كــان طبيعياً أن يحمل لواء المعارضــة القاضــى عبد الرحمن الإريانى ، لانه على حد تعبير الشاعر البردونى ، كان " افقه واثقف " من الشيخ أحمد نعمان .(١٥٤)

ولعــل التقلــبات السياسية التى عاشها اليمن المعاصر ، تظهر بجلاء مدى عنف السلطة ومدى محنة المعارضة لدراسة الواقع السياسى فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . لقد عرف حــزب الله نجاحاً ملحوظاً فى مدن الهضبة الشمالية (صنعاء ، عمران ، خمر ، برط) بعد عام ١٩٦٧ ، فى حين شهدت الأحزاب القومية ذات التوجه الناصرى والبعثى تراجعاً ملحوظاً فى مدن الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية (يريم ، إب ، تعز ، الحديدة) ، وذلك لسببين : أولهما، موقعها المؤيد أو المعارض للسلطة المركزية فى صنعاء ؛ وثانيهما، تمسك زعامات هذه الأحزاب بــبرامج سياسية متعارضة ، غالباً ما تصطدم بالسلطة . ورغم إدراك القاضى الإريانى خطورة

دوره باعتباره فقيهاً محتسباً فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، فقـــد جرى استغلال المجلس الجمهـــورى بحنكة سياسية لصالح تثبيت أعوانه وأقاربه فى السلطة .[١٥٥] وكانت تجربة حزب الله بمثابة مرحلة جرى استغلالها لصالح أنصار ولاية الفقيه المحتسب ، ليثبت للجميع أن الهيمنة الدينية على المؤسستين العسكرية والقبلية هى أفضل ضمان لانتقال السلطة بصورة سليمة من الســـلف إلى الخلف . وحرى بنا الانتقال الآن إلى الفصل السابع لنقرأ معاً قصيدة (القانون والفرس والميدان) ، باعتبارها وثيقة أدبية وسياسية مهمة ، تساعدنا على تقديم تفسير منطقى لظاهرة وصاية الفقيه المحتسب، باعتبارها امتداداً طبيعياً لظاهرة حزب الله فى اليمن المعاصر .

هوامش الفصل السادس

(١) كـانت الطموحـات السياسـية من جملة العوامل التى ساهمت فى تعميق الخلاف بين القادة العسكريين والساسة المدنيين ، لكن الصراع لم يحسم لصالح أحدهما على الأخر بصورة حاسمة حتى نهاية عهد السلال ، وانسـحاب القوات المصرية من اليمن فى نوفمبر عام ١٩٦٧ . انظر الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ؛ ص ٢٩٥- ٢٩٦ .

(٢) أدت عمـلية تركيـز السـلطة السياسية فى أيدى الضباط العسكريين إلى إحداث تغيير عميق فى البناء السياسـي فى مرحـلة الجمهورية العربية اليمنية ، حيث وصل أشخاص بسطاء من عامة الشعب إلى قمة السلطة ، بما فى ذلك منصب رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش ورئاسة الحكومة . ومثل هذه المناصب العليا الـرفيعة كـانت محصورة على شريحة السادة العلويين والقضاة القحطانيين خلال فترة المملكة المتوكلية اليمانية. الطيب : التاريخ يتكلم، سبق ذكره ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٣) زرتوقة : أنماط الاستيلاء على السلطة فى الدول العربية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٣ .

(٤) أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ٢٩٨ .

(٥) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٩٢.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٩) الزبيرى : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ، سبق ذكره ، ص ٦ .

(١٠) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢٥٦ .

(١١) الرحومى وآخرون : أسرار ووثائق الثورة ، سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

(١٢) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٢٠ .

(١٣) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٠ .

(١٤) المصدر نفسه .

(١٥) المصدر نفسه .

(١٦) أحمد : الحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٥١ .

(١٧) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٥٧ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

(٢٠) الزبيرى : مأساة واق الواق ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦ .

(٢١) زرتوقة : نمط الاستيلاء على السلطة ، سبق ذكره ، ص ٢٦٩ .

(٢٢) أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ٢٨٨ .

(٢٣) المخابرات العامة : التقرير الشهرى لشهر فبراير ١٩٦٤ ، ص ٦١ .

(٢٤) انظر :

Tom. Op. cit. p. 103.

(٢٥) ناجى : التاريخ العسكرى لليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٣٥ .

(٢٦) باستدوة : قضية الجنوب اليمنى المحتل فى الأمم المتحدة ، سبق ذكره ، ص ٥١١ ، وانظر أيضاً :

Monare. Britain's Moment in the Middle East, p. 215.

(٢٧) المخابرات العامة : الموضوع نصوص الحرب النفسية التى ترددها الإذاعة الملكية من إشاعات مغرضة ضد الثورة والجمهورية ، سبق ذكره ، ص ١ - ٢ .

(٢٨) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ١٥٩ .

(٢٩) بهذا الخصوص انظر شهادة الشيخ العميد حسين الدفعى فى وقائع ندوات مركز الدراسات والبحوث اليمنى المضمنة فى كتاب حصار صنعاء ، سبق ذكره ، ج١ ، ص ٢٩٧ .

(٣٠) حول هذه الأحداث قارن بين الذات القارئة لمرحلة الجمهورية العربية اليمنية فى كتاب أحمد فرج : رجال فى خنادق الثورة ، سبق ذكره ، ٣٥٢ - ٣٥٣ ، والذات المقروءة فى كتاب أحمد الصياد : السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصرة ، سبق ذكره ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٣١) انظر البيان الصادر عن مجلس الدفاع الوطنى وقيادة وحدات القوات المسلحة فى ٢٣ أغسطس ١٩٦٨ .

(٣٢) انظر البيان الصادر عن قيادة المقاومة الشعبية، بمدينة الحديدة فى ٢٢ مارس ١٩٦٨.

(٣٣) الريس : رياح الجنوب ، سبق ذكره ، ص ٣٢٥ .

(٣٤) الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٣٥) الريس : رياح الجنوب ، سبق ذكره ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٣٦) ناجى : التاريخ العسكرى ، سبق ذكره ، ص ٢٢٠ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ .

(٣٨) الأكوع : حياة عالم وأمير ، سبق ذكره ، ص ٣١٠ .

(٣٩) المخابـرات العامة : رسالة موجهة من ضابط الاتصال فى المحور الشمالى العميد قاسم الصاروخ للقيادة العربية بصنعاء ، سبق ذكره ، ص ٨ .

(٤٠) المصدر نفسه .

(٤١) وفـوق ذلك كله كان هناك نفر غير قليل من مشايخ مذحج أمثال : أحمد ناصر الذهب ، وعلى ناصر طريق ، وعبد الله الأحرق ، وعبد الله زيد عامر ، وغيرهم من مشائخ حاشد وبكيل ، الذين قطعت القيادة المصـرية مقرراتهم الشهرية (الميزانية) ، كانوا بدورهم قد أعلنوا انضمامهم إلى المعسكر الملكى لتعويض مـا خسـروه بشـكل يتناسب مع حصتهم فى المشاركة بالمجهود العسكرى . المخابرات العامة : رسالة موجهـة مـن العميد قاسم الصاروخ إلى اللواء طلعت حسن بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٩٦٥ ، سبق ذكره ، ص ٢ - ١ .

(٤٢) المصدر نفسه .

(٤٣) ناجي : التاريخ العسكرى ، سبق ذكره ، ص ٢٣٢ .

(٤٤) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١١٦ .

(٤٥) عبده : مسار الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤٦) انظر كتاب اليمن فى ١٠٠ عام - ذاكرة القرن العشرين ، ص ٧٥ .

(٤٧) ناجي: "رأى الزبيرى فى المعارضة" ، الكلمة ، العدد ٣٩ ، سبق ذكره ، ص ٢١.

(٤٨) من إجابات القاضى الإريانى ، سبق ذكره .

(٤٩) انظـر كل من عبد العزيز الكميم : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩، وأبو طالب : الوحدة اليمنية : دراسة فى عمليات التحول من التشطير إلى الوحدة، سبق ذكره ، ص ٢٨٩ .

(٥٠) الظاهرى : الدور السياسى للقبيلة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٢٦ .

(٥١) كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية فى ربع قرن ، سبق ذكره ، ص ١٠١ .

(٥٢) ذكـر أحمـد الصياد فى كتابة : السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر أن مسيرة الثورة اليمنية اعترضتها عقـبات عديدة ، وكانت أخطرها عناصر حزب الله وكتلة خمر الممثلة لمصالح القوى التقليدية فى المجتمع الـيمنى فى مواجهـة الجديد الجمهورى الذى أخذ بدوره يتطلع إلى السلطة ، انظر المبحث الثالث - من الثورة المضادة إلى انقلاب ١٣ يونيو ١٩٧٤ ، سبق ذكره، ص ٢٩٤ -٢٩٥ .

(٥٣) استأثر العسكريون (أنصار السلال) والساسة المدنيون (أنصار البيضانى) بنصيب الأسد فى أول وثانى تشـكيل وزارى لحكومة الجمهورية العربية اليمنية . وعلى الرغم من ذلك ، استطاع عدد غير قليل من العـلماء (أنصار الزبيرى) والمشايخ (أنصار الأحمر) الوصول إلى مناصب وزارية هامة . وكان القاضى

الزبيرى يتطلع بدوره إلى منصب رئاسة الوزراء ، وقيل إنه كان يتطلع لمنصب رئاسة الجمهورية ، لولا أن القيادة العربية (المصرية) أبدت تحفظها الشديد تجاهه باعتباره عنصراً جمهورياً مناهضاً للمؤسسة العسكرية . راجع كتاب صالح سميع : أزمة الحرية السياسية فى الوطن العربى ، سبق ذكره ، ص ٣٨٦ .

(٥٤) من إجابات القاضى الإريانى ، سبق ذكره . وانظر أيضاً تعليق الباحث البريطانى ، فريد هاليداى على شخصية المشير عبد الله السلال فى كتابه :

Halliday. Arabia without Sultans, p. 101.

(٥٥) حميد : أحاديث فى التاريخ ، سبق ذكره ، ص ٣٠٠ .

(٥٦) حول هذه المسألة يدافع عبد الغنى مطهر بصفته عضواً مستجداً فى مجلس قيادة الثورة حول وطنية التجار – رأس المال الوطنى ، والاتهامات الموجهة إليه ورفاقه بالإغارة على المناصب والأموال بالقول معقباً على حديث الشهيد الملازم على عبد المغنى (عقل الثورة): " غير أننى اندفعت أشرح له – حتى يطمئن قلبه – دور البرجوازية الوطنية، أو ما أطلقوا عليه تعبير (تجمع التجار)، وما قامت به من أعمال بطولية وفدائية (الشهيد سعيد حسن إبليس) ، وما ضحت به من أموال طائلة منذ عام ١٩٤٠ ، وعلى الأخص فى حركتى ١٩٤٨و١٩٥٥، ودورها الوطنى الفعال الذى ما زالت تـؤديه بكل أمانة وشرف فى تعبئة الفلاحين والمدنيين (الحرس الوطني) والقبائل (الجيش الشعبي) والعسكريين ((تنظيم الضباط الأحرار)) فى الإعداد للثورة .. " مطهر : يوم ولد اليمن مجده ، سبق ذكره ، ص ١١٣ .

(٥٧) ظلت السمة الطائفية – المناطقية هى الصفة الملازمة للتركيبة السياسية فى عهدى المشير السلال والقاضى الإريانى ، حيث تعزز هذا التوجه السياسى فى أعقاب قيام حركة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ . راجع الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص٢٩٢ .

(٥٨) البيضانى : مصر وثورة اليمن ، سبق ذكره ، ص ٨٧ .

(٥٩) كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٩٥ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

(٦١) انظر على سبيل المثال مقالة عبد العزيز المقالح تحت عنوان:((عبد الناصر وثورة يوليو فى وثائق الشهيد الزبيرى)) ، كثيراً ما يشير إلى أعمال مخطوطة – وثائق الشهيد الزبيرى – ذاكراً إياها بالاسم فى صفحات كتابه : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص ٩٧ وص ١٨٣ . وبالنسبة لرجل فى موقعه هذا كانت اقتباساته عن الزبيرى قد أصبحت موضع شك عدد كبير من الأدباء والكتاب اليمنيين ؛ فى الوقت الذى بدأ كتابة الأخر : الزبيرى ضمير اليمن الثقافى ، سبق ذكره ، بإدانة كل محاولة علمية لكتابة تاريخ اليمن الحديث والمعاصر – يخالف وجهة نظره.

(٦٢) من إجابات القاضى الإريانى ، سبق ذكره .

(٦٣) أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٦٤) يتحدث عن هذا التحول الاجتماعى العميق المقرمى في دراسته: التاريخ الاجتماعى للثورة اليمنية (ص ٣٥٢) قـائلاً : " فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ مات الإمام بعد أن أطلق عليه ثلاثة من الضباط النار فى العام السابق ؛ وفى ٢٦ من الشهر نفسه قامت الثورة ، فقلبت البناء الاجتماعى الاقتصادى رأساً على عقب . " ومـثل هـذا الطرح يتكرر ذكره فى رسالة أحمد جابر عفيف الموجهة للدكتور البيضانى خلال الأسبوع الأول من قيام الثورة . انظر صيغة الرسالة فى كتاب البيضانى : أوجاع اليمن ، سبق ذكره ، ص ٦٠١ .

(٦٥) الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص ٢٩٣ .

(٦٦) عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، سبق ذكره ، ص ١٨٢، وسلطان الثورة اليمنية وقضايا المستقبل ، سبق ذكره ، ص ٣٢ .

(٦٧) أوبالانس : اليمن الثورة والحرب ، سبق ذكره ، ص ١٣٩ .

(٦٨) أحمد : الدور المصرى فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٣٦ .

(٦٩) انظر :

Schmidt. Op. cit. p. 237 - 238.

(٧٠) شكلت سنوات الثورة الأولى ١٩٦٢ - ١٩٦٧ منعطفاً بالغ الأهمية فى تاريخ اليمن الحديث فيما يتعلق بالهجرة الواسعة من الريف إلى مدن اليمن الرئيسة (عدن ، تعز ، صنعاء ، الحديدة)، حيث انخرط عدد هائل من عامة الشعب فى مؤسسات الدولة الحديثة. وقد شكل الجيل الجديد الجمهورى الذى يضم عناصر الشـريحة المتوسـطة (طلبة ، تجار ، عمال ، ضباط وجنود) الدرع الواقى للنظام الجمهورى . فعند قيام الـثورة انخرط آلاف من الطلبة والعمال والتجار فى صفوف الحرس الوطنى ليشكلوا فى وقت لاحق نواة الجيـش اليمنى الذى يعود له الفضل فى الدفاع عن العاصمة خلال فترة حصار السبعين يوماً وما بعدها . راجـع منجزات الثورة اليمنية فى عامها الخامس . وزارة الإعلام : الجمهورية العربية اليمنية - الكتاب السنوى ١٩٦٧ .

(٧١) ناشـر صادق : " يحيى المتوكل فى شهادة يمنية استثنائية " ، فى صحيفة الأيام ، العدد ٣٢٥٧ ، ٦ يناير ٢٠٠١ ، سبق ذكره ، ص ٦ .

(٧٢) من خطابات القاضى الزبيرى فى كتاب العمرانى : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٤٧ .

(٧٣) انظر :

William Brown. " The Yemen Dilemma," The Middle East Journal, Vol. XVII (fall, 1963), p. 360.

(٧٤) تعبير سياسي شاع استخدامه في فترة الجمهورية العربية اليمنية لكل عنصر جمهوري يهتف بحياة الثورة ، أو يبدى تعاطفاً ملحوظاً تجاه النظام الجمهوري ، ممثلاً بشخص المشير عبد الله السلال . وثمة تعبيرات مرادفة لهذا التعبير شاعت في عهد القاضي عبد الرحمن الإرياني ، نورد منها على سبيل الذكر ، نعت " لغالغة " و" بُرغال " .

(٧٥) أحمد : الدور المصري ، سبق ذكره ، ص ٣٠١ .

(٧٦) لورنس : اللعبة الكبرى ، سبق ذكره ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٧٧) محجوب : الديمقراطية في الميزان ، سبق ذكره ، ص ١٥٩ .

(٧٨) كتاب الرأى العام : أبرز الأحداث اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٣ .

(٧٩) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

(٨٠) من إجابات العنشي ، سبق ذكره .

(٨١) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٣ .

(٨٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .

(٨٣) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٣٦ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

(٨٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(٨٧) انظر :

Richard F. Nyrop., ed. Area Handbook for The Yemens, p. 170.

(٨٨) زيد : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٤٩ .

(٨٩) نحيل القارئ لبعض الأحكام الجاهزة التي أوردها المقالح في مقدمة دراسته (قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة) تحت عنوان جانبي (الزيدية والسلطة – ص ٣٤) ، حيث يلقي باللوم على البيئة الجغرافية تارة والمؤسسة الإمامية تارة أخرى ، فكلتيهما ساهمتا في خلق هذا الوضع الشاذ، " في بعض المناطق ، والمحافظة عليها في مناطق أخرى لا بوحي من المذهب الذي لم يعد قائماً ، وإنما بوحي من المصلحة الذاتية وحماية النظام من خطورة التجانس الفكري، وزوال أسباب الخلاف بين القبائل والمناطق ." وهذا قول ينطبق تماماً على واقع الحال في مرحلة الجمهورية اليمنية .

(٩٠) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٦٨ .

(٩١) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره، ص ١٣٦ .

(٩٢) يـورد الطيـب في كتـابه الـثورة والـنفق المظلم ، ص ١٢٢ - ١٣١ ، خمس قوائم بأسماء المدنيين والعسكريين الذين تم تسريحهم من الخدمة في أجهزة الدولة ، وعددهم جميعاً لا يتعدى المائة شخص ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أسماء بعض الأشخاص الذين يرد ذكرهم (أحمد جابر عفيف وحمود بيدر وغيرهم) أكثر من مرة . علماً بأن العدد الذى تم تسريحه من الخدمة فى عهد القاضى عبد الرحمن الإريانى بلغ ثلاثة ألـف ومـائتى شـخص ، غالبيـتهم من الكوادر المدنية والعسكرية المؤهلة ؛ فضلاً عن عشرات القادة العسـكريين والشخصيات السياسية الذين تم تصفيتهم جسدياً من قبل أجهزة الأمن الوطنى (السياسي) حينذاك . انظر الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٩٣) الريس : رياح الجنوب ، سبق ذكره ، ص ٣٢١ .

(٩٤) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ٧٧ .

(٩٥) عبده : الطائفية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٧ .

(٩٦) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٩ .

(٩٧) عبده : الطائفية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٢ .

(٩٨) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٩٩) جلوبوفسكايا : التطور السياسى للجمهورية العربية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٧٥.

(١٠٠) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٧٥ .

(١٠١) انظر :

Arnold Hottinger. " The War In Yemen," Swiss Reviews of World Affairs, Vol. XV (September 1965), p.19.

(١٠٢) انظر :

Halliday: Arabia with out Sultans, p. 111-112.

(١٠٣) انظـر البـند الثامن من قرارات مؤتمر خمر للسلام فى كتاب على محمد العلفى : نصوص يمانية ، ص ١٣٦ .

(١٠٤) باديب : الصراع السعودى المصرى حول اليمن الشمالي، سبق ذكره، ص ١١٠.

(١٠٥) عفيف : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٤٤.

(١٠٦) المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

(١٠٨) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٢٥٠ .

(١٠٩) من إجابات الشيخ أحمد نعمان ، سبق ذكره .

(١١٠) يذكر الطيب أن السلطات الجمهورية ألقت القبض على القتلة ، وهم درهم حمود الفلاحي وناجي الصلاحي وحسين وعلي الشتوي ، الذين تلقوا المال والسلاح من سلطات صنعاء . الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(١١١) المخابرات العامة : التقرير الشهري لشهر إبريل ١٩٦٥ ، سبق ذكره ، ص ٥٤ .

(١١٢) من إجابات المشير السلال ، سبق ذكره .

(١١٣) أوبالانس : اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧٨ .

(١١٤) المخابرات العامة: تقرير مفصل عن أحوال الجبهة الشمالية، سبق ذكره، ص ١٠.

(١١٥) أوبالانس : اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٢٢ .

(١١٦) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٥١ .

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

(١١٨) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(١١٩) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

(١٢٠) تعرف الهجرة في مرتفعات اليمن الشمالية بأنها أشبه ما تكون بمجتمع مغلق يقطنها الآلاف من السكان ، الذين يقعون تحت حماية القبيلة ، وكان السادة والقضاة هم الذين يسوسونها بالتعاون مع شيخ القبيلة في أوقات السلم والحرب ، باعتبارهم المرجعية الدينية للسلطة المركزية ممثلة بإمام صنعاء . لكن هذه السلسلة من المستوطنات الزراعية في بلاد اليمن الأعلى ، بدأت تفقد قيمتها الاجتماعية والدينية في العهد الجديد . لمزيد من التفصيل حول موضوع الهجرة انظر كلاً من سالم : وثائق يمنية ، سبق ذكره ، ص ١٩٨ – ١٩٩ ، وأبو غانم : البنية القبلية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(١٢١) انظر ترجمة مطهر الإرياني لمحمد الزبيري في الموسوعة اليمنية ، سبق ذكره ، ج٢ ، ص ٨٣٥ .

(١٢٢) أبو غانم : البنية القبلية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(١٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ .

(١٢٤) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ٤٦ .

(١٢٥) الجناحي : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص٢٧٣ .

(١٢٦) جاءت قرارات وتوصيات مؤتمر خمر (١٩٦٥) متطابقة تماماً مع قرارات وتوصيات مؤتمر عمران (١٩٦٣) . وكان القاضي الزبيري يرى بأن انعقاد مثل هذا المؤتمر الشعبي القبلي يمكن له أن يضع حداً للحرب الأهلية في البلاد ، تمهيداً لانسحاب القوات العربية من اليمن ، ويشاركه في هذا الرأي عدد

كبير من الساسة اليمنيين المنخرطين فى كتلة خمر وحزب الله . راجع أبو القصب الشلال وفاطمة الشريف : قاموس الأحداث السياسية ، ص ٧٨ .

(١٢٧) انظر بيان المعارضة تحت عنوان : هذا استقلنا ، ص ٢ ، نقلاً عن كتاب أحمد : الدور المصرى فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٩١ .

(١٢٨) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

(١٢٩) المصدر نفسه .

(١٣٠) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(١٣١) أحمد : الدور المصرى فى اليمن ، سبق ذكره ،ص ٢٩٠-٢٩١ .

(١٣٢) لعله من المفيد فى مثل هذه القضايا الإشارة إلى أحداث مشابهة فى بداية عهد حكم الإمام يحيى ، رفض شيخ الإسلام محمد جغمان تقديم بيعة للإمام يحيى محتجاً بأن فى عنقه بيعة للسلطان عبد الحميد ، فأمر إمام صنعاء أعوانه بقتل جغمان . راجع الشماحى : اليمن الإنسان والحضارة ، سبق ذكره ، ص ١٦٥ ، فى حين كان القاضى عبد الرحمن الإريانى فى مقدمة علماء اليمن الذين قدموا البيعة الناجزة لولى العهد (محمد البدر) ، رغم اعتراض عدد لا بأس به من أهل الحل والعقد . انظر الشامي: رياح التغيير فى اليمن، سبق ذكره، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

(١٣٣) احتضنت عشائر ذو محمد وذو حسين جماعة حزب الله ، مثلما احتضنت عشائر بنى صريم وخارف جماعة كتلة خمر . انظر ملاحظات القاضى محمد بن على الأكوع فيما يتعلق بتلك الصلة بين المعارضة الدينية والقبلية فى مؤلفه : حياة عالم وأمير ، سبق ذكره ، ص ٦٤ وما تليها ؛ وراجع أيضاً القاضى إسماعيل بن على الأكوع : هجر العلم ومعاقله فى اليمن (٥ أجزاء) ، وأحمد المعلمى حول تاريخ أسرة الإريانى فى كتابه : الصديقان الإريانى والمعملى على طريق النضال ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(١٣٤) من إجابات القاضى الإريانى ، سبق ذكره .

(١٣٥) من إجابات الشيخ أحمد نعمان ، سبق ذكره .

(١٣٦) ندب الشيخ عبد المجيد الزندانى أبا الأحرار محمد بن محمود الزبيرى بلغه تنضح بالأسى والمرارة حول اغتيال القاضى ، وبالمثل حاول الشيخ أمين أبو راس شيخ مشائخ بكيل تحريض العشائر اليمنية ، وعلى وجه التحديد (عشائر ذى محمد وذى حسين) للثار من قتلة الزبيرى دون جدوى .

(١٣٧) أحمد : الدور المصرى فى اليمن ، سبق ذكره، ص ٢٩٠ .

(١٣٨) فيما يتعلق بملف قضية اغتيال القاضى محمد الزبيرى وغيره من علماء اليمن أخبرنى الزميل محمد الشعيبى أنه يحتفظ به كامل . ويقال أنها تحتوى انتقادات لاذعة لعناصر ذات نفوذ وسطوة فى المجتمع . وقد

حـــاولت إقـــناعه بأهمية نشرها ، لكنه أبدى تحفظه عملاً بنصيحة عبد الله بركات - الذى يحتفظ بصورة مطابقة للأصل - الاحتفاظ به حتى يحين الوقت المناسب لنشره على الملأ مع غيره من الملفات . (المؤلف)

(١٣٩) انظر جواب الملك فيصل على برقية الشيخ أحمد نعمان فى صحيفة البلاد السعودية، فى عددها الصادر فى ١١ مايو ١٩٦٥ ، فى كتاب أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ٢٩٤ .

(١٤٠) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(١٤١) من إجابات الشيخ أحمد نعمان ، سبق ذكره .

(١٤٢) هذه التساؤلات فى حاجة لإجابة شافية ، والمؤلف يرى أن الوقت قد حان للنظر فى قضايا كثيرة تتعلق بســـقوط رموز الثورة اليمنية والنظام الجمهورى ، ويتحمل مركز الدراسات والبحوث اليمنى وغيره من مراكز الأبحاث التى لم تول عنايتها لمثل هذه المسائل المهمة المتعلقة بالســلطة والمعارضة فى اليمـــن المعاصر . راجع الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٧٠-١٧١ .

(١٤٣) هـــذا الموقـــف تعكسه مباحثات مؤتمر حرض المبثوثة فى كتاب السيد عبد الله الحسني: مؤتمر حرض ووثائق ، سبق ذكره ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(١٤٤) كيير : الحرب العربية الباردة ، سبق ذكره ، ص١٤١ .

(١٤٥) يجـــب ذكر استثناء مهم وملاحظات مفيدة تساعد القارئ على فهم المزيد من هذه الملابسات المتعلقة بالســلطة والمعارضـــة ، وردت فى كتاب العينى : معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٠٥ وما بعدها .

(١٤٦) فضل أبو غانم : البنية القبلية فى اليمن بين الاستمرار والتغيير ، ص ٢٢٣ .

(١٤٧) من إجابات العنسى ، سبق ذكره .

(١٤٨) الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٤ .

(١٤٩) راجع أوبالانس : اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢١٥ ، وانظر :

Dana Adams Schmidt. Yemen the Unknown War, p. 95.

(١٥٠) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره ، ص ٤٨٢ .

(١٥١) زرتوقة : أنماط الاستيلاء على السلطة فى الدول العربية ، سبق ذكره ، ص ٢٧٤.

(١٥٢) نشـــر هذا التصريح الصحفى أول مرة فى صحيفة النهار اللبنانية فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٤ . ثم أعيدت طباعته ثانية فى كتاب الطيب : التاريخ يتكلم، سبق ذكره، ص ٩٣.

(١٥٣) راجع كلاً من الجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٢٥١ ، وانظر أيضاً:

David Ledger.Shifting Sands: The British in South Arabia, p.81.

(١٥٤) البردوني : " البشير والختام " ، صحيفة ٢٦ سبتمبر (صنعاء) ، مقالة أعيد نشرها في كتاب (الأستاذ) في ذكرى الأربعين لتأبين المناضل أحمد محمد نعمان ، سبق ذكره ، ص ٢٢٠.

(١٥٥) نحيل القارئ إلى مقالة الشاعر محمد سعيد جرادة : " محمد محمود الزبيري حياته نضاله وشعره " سبق وأن نشرت هذه المقالة في مجلة الحكمة ، عدن ، وأعيد نشرها ثانية في كتاب: الزبيري شاعراً ومناضلاً الصادر في بيروت عن دار العودة، ١٩٧٧: ٧٧ - ٩١ .

الفصل السابع

قـراءة فى قصيدة الكـارثة

القصيدة اليتيمة :

من بين الأعمال الكاملة للزبيرى ديوانين وروايتين ، ومجلدات عدة من النثر غير الروائى؛ فضـلاً عـن مجموعـة مـن الخطب والمقالات . لكن ما يثير الدهشة حقاً هو جملة القصائد القديمـة المادحـة للإمـام أحمد ، والقصيدة الأخيرة غير المنشورة القادحة للمشير السلال ، الموسـومة بـ (القانون والفرس والميدان) أو (الكارثة) [1] ، ومدى صحة نسبتها إليه . فالقصـيدة اشـتهرت ولاكـتها الألسنة ، لكنها رغم ذلك لم تنشر ضمن أعماله الشعرية ، لأسـباب غـير معروفة ، رغم أنها القصيدة الوحيدة التى نظمها فى العهد الجمهورى ، وهى تعكـس بوضـوح موقفه السياسى المناهض للنخبة العسكرية الحاكمة ؛ ومطالعتنا لأبياتها قد تساعدنا فى إزاحة الستار عن الغموض الذى يكتنف طبيعة المؤامرة التى أودت بحياته . [2]

يجـدر الملاحظة هنا أن هذه القصيدة السينية المؤلفة من (٣٢ بيتاً من البحر المتوسط)، رسـخ فيها الزبيرى نغمته الشعرية القديمة التى ارتبطت بأسلوبه المتميز بشعر الرثاء والهجاء، الذى اشتهر به ليس ضد حكام العهد الملكى البائد فحسب ، بل وضد حكام العهد الجمهورى الجديـد . فالـلغة الشـعرية التى استخدمها الشاعر فى هذه القصيدة بالذات لغة شعرية شبه مسـتهلكة ، تشكل معظم أبياتها عنصر الاحتجاج والمعارضة ضد نظام السلال ومن يناصره ويواليه . وقد صدمت قصيدة الكارثة المتحاملة على رموز النظام الجمهورى جمهوره المعاصر ، ممـا دفع بالبعض من الأدباء والنقاد المقربين أو المعجبين بشعر الزبيرى ، عدم الاعتراف بهذه القصيدة ، واعتبارها موضوعة عليه .

قد يكون من المفيد أن نفهم الأسباب الموضوعية والذاتية التى حملت الشاعر على هجاء القـادة العسـكريين اليمنيين والمصريين ، علماً بأن ما قاله فى السلال وحاشيته ، لم يكن شيئاً بالقيـاس إلى مـا قاله فى أئمة بيت حميد الدين . فالزبيرى على حد قول عبد الله البردونى ،

موصوفاً بالتشدد الحزبي ، سريع الانفعال لا يقبل المساومة ، وقد برهنت قصائده على ذوبان ذاتـــه فى الموضوع الوطنى من وجهة حزبية . [٣] كما وسمت سينية الزبيرى بـــ (الكارثة) ، نسبة إلى البيت السابع من القصيدة ذاتها . فنظام السلال من وجهة نظره ، كان كارثة سياسية محقـــة بالـــيمن أرضاً وشعباً ، حيث قمعت السلطة العسكرية الحاكمة كل الأصوات المنادية بالإصلاح . وهكذا بعد أن داخل الشاعر اليأس من إصلاح الأوضاع المتردية فى البلاد ، أفرغ مـــا فى جعبـــته مـــن سهام حارقة صوبها جميعاً تجاه خصمه اللدود المشير السلال ، الذى كان يستثقل رئاسته بل وظله .

ولعل معارضته لقصيدة أبى الطيب المتنبى الميمية (السيف والرمح والقرطاس والقلم) ، خلعت عليها طابعاً خاصاً ، والمعارضة عادة يسهل نفاذها إلى القلب ، إذ تكون القصيدة (الأم) قد مهدت للناس تذوق ما ألفوا سماعه من الشعر القديم بلغة معاصرة . ولم تحفظ كتب السير والـــتراجم لنا من شعر الزبيرى خلال الثلاث السنوات الأخيرة من حياته سواء هذه القصيدة اليتـــيمة ، الـــتى جســـدت تجربته السياسية العاصفة فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية أبلغ تجســـيداً ؛ فهـــو أشـــد ما يكون سخطاً على نظام السلال الذى أفقده الثقة بنفسه وبالنظام الجمهورى ، الذى كان محط آماله وتطلعاته . والمرجح أنه نظمها سلفاً ، لكنه احتفظ بها حتى تهـــدأ ثورتـــه ، ولم يكن من مصلحته أن ينشرها حفظاً لكبريائه وكرامته ، كونه يمثل حزب المعارضة غير المعلن من داخل السلطة . [٤]

وحـــول هذه المسألة ، يجمع الأدباء والنقاد على أن هذه القصيدة اليتيمة ، تمثل كل ما نظم من شعر خلال الثلاث السنوات الأخيرة من حياته . [٥] فقوافى هذه القصيدة السينية فى قياس الذوق الأدبى شعر مألوف ، غير مستساغ فى الوقت الحاضر لدى معظم الأدباء والنقاد ، لا ســـيما وأن الكثير منهم قد عزفوا عزوفاً شديداً عن نظم القصيدة العمودية وقراءتها . بل وأعتبرها البعض منهم ضرباً من ضروب المحافظة الثقافية ، أو التعلق بتراث الماضى . [٦] وتكاد تكون قصيدة (القانون والفرس والميدان) بأبياتها الـــ (٣٢) ، شبه مستهلكة ليس فى معانيها وألفاظهـــا فحسب، بل وفى بحورها وتفعيلاتها . والأهم من ذلك، هو أن سهام قوافيها كانت أساســـاً موجهـــة ضد القائمين بأمر الجمهورية ، الأمر الذى يصعب على الدارسين والباحثين المعـــنيين بســـيرة الزبيرى السياسية والثقافية، استيعابها ومناقشتها مناقشة موضوعية فى الزمن الحاضر .

وإذا كان نفر من الكتاب والأدباء اليمنيين ، وفى مقدمتهم (عمر الجاوى وعبد الرحمن فخـرى وعـبد الرحمن العمرانى) ، يشاركون الشامى الرأى حول ملابسات هذه القصيدة ونسبتها للقاضى الزبيرى ، فإن شعراء آخرين أمثال (عبد الله البردونى وعبد العزيز المقالح) ، يذهـبون إلى القـول بأنهـا موضوعة عليه . ومع ذلك لم يعدم هذا التقييم من خروج رياض القرشي بهذا الرأى المستقل فى دراسته فيقـول : " فمما لاحظته فى دراستى أن هذه القصيدة ذات قافية لم تستخدم إلا نادراً فى شعر الزبيرى ، فالسين فقيرة فى استخداماته سوى ما أشار إليه البردونى من أبيات من شعره غـير المنشور- أما البحر فهو من البحور التى كان الزبيرى يسـتخدمها بكـثرة فى مرحلته الاولى ، ثم قلت فى الثانية والثالثة ، ولم يستخدمه فى المرحلة الـرابعة حتى هذه القصيدة فقط سنة ١٩٦٤.كما بدأ أسلوبه الصياغى متشابهاً مع ما فى هذه القصـيدة ، وبخاصة فى ختام الأبيات- الذى قد ذكرناه – من عطفه للأفعال والأسماء مع ما يـدل على الاستغراق،أو باستخدام أدوات النفى المكررة فى الشطر الأخير ، والعطف القائم على تداعى المعانى .. " [٧]

ولهذه القصيدة قصة وحادثة ، ذكرها الشاعر الشامى فى كتابه (من الأدب اليمنى نقد وتاريخ – ١٩٧٤) ، مشيراً إلى أن القاضى محمد الزبيرى ألقاها بين يديه فى لقاءهما العابر فى مؤتمـر أركويت بالسودان ، فى خريف عام ١٩٦٤ . كما يذكر أنه حصل على نسخة منها بطريقـته الخاصة ، ولما علم صاحبها بذلك طالبه بتمزيقها ، لكنه لم يفعل ، فاستحلفه بالله ألا ينشـرها . وقـد طوى الشامى القصيدة زمناً طويلاً احتراماً لتلك اليمين الزبيرية – كما هو العـرف عند أهالى صنعاء – ولم ينشرها إلا بعد وفاته بأعوام . ويذهب الشامى إلى القول إن هذه القصيدة السينية هى التى قتلت الزبيرى ، والسبب أن المشير " تفرد بالسلطة والحكم ؛ وكان يساعده على ذلك جماعة من جلساء الإمام محمد البدر ، الذين احتفظ بهم السلال عوناً له فى العهد الجمهورى ، وكانوا يبالغون فى الكيد للقاضى الزبيرى . " [٨]

ومهمـا يكن أمر هذه القصيدة (الكارثة) ، فإنها كانت بمثابة القشة التى قسمت ظهر الـبعير ، كونهـا حافلة بالهجو والنظم المتهكم المقذع ، أراد بها الشاعر الرد على حظه العاثر فى عهـد السـلال . فمـنذ توليه السلطة والحكم فى اليمن ، خيم على الحياة السياسية جو من الإرهاب ، واحتجاجاً على الأحكام العرفية قدم الزبيرى استقالته من كرسى الوزارة أكثر من مرة . ولكن عملية الخروج هذه المرة ، كانت أقصى عمل يستطيع القيام به ، وهو الإعلان عـن ميلاد حزب الله ، حتى لا تضيع الجهود الجبارة التى بذلها فى سنوات ربيع عمره من أجل

القضية اليمنية – الحكم الشعبي – تذهب سدى ، وأن يكون نصيبه فى العهد الجمهورى حشفاً وسوء كيله منصب وزير المعارف ؛ بينما راحت القيادتين اليمنية والمصرية تبدد المال العام على حاشـية الإمام المخلوع محمد البدر ، التى أصبحت عناصرها تتربع أعلى المراكز فى الدولة ، وهم أدنى منه منـزلة وجاهاً وعلماً وثقافة .

إن مقاربة حدث الثورة اليمنية (٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢) من زاوية حدث الحركة الدستورية (١٧ شباط من عام ١٩٤٨) ، ومن زاوية تجربته الشخصية كداعية وشاعر ملتزم ربـط مصـيره بـالوطن . وقضية الأحرار اليمنيين ، تساعدنا فى اكتشاف سر ظاهرة تكرار خروجه على الحكام المستبدين والتنديد بهم فى العهدين الملكى والجمهوري. لكنا ما يستلفت انتباهـنا أن عملية خروجه الأخير على عسكر النظام الجمهورى ، تحتاج إلى توضيح ما ألتبس حـول هـذا الأمر . ففى حين يؤكد المقالح بأن خروج القاضى من صنعاء إلى ريدة ، لم يكن خـروجاً عـن النظام الجمهورى ، إذا ما تذكرنا " المتاعب التى أثارتها الرجعية فى وجه النظام الجديـد ، وتسـترها وراء الديـن يدرك سبب ذلك " . [9] فهل هذا التبرير يشفع للزبيرى معارضته للسلال والوجود المصرى ، ومن ثم خلخلة وحدة الصف الجمهورى من الداخل ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال الاستئناس بجملة من الدراسات والأبحاث العلمية المهتمة بشعر الزبيرى ونثره ، وفى مقدمتها ذلك العمل المتميز للقرشى (شعر الزبيرى بين النقد الأدبى وأوهام التكريم) . يذهب الكاتب فى خاتمة بحثه إلى توضيح الأسباب الموضوعية لخروج القاضـى مـن صنعاء إلى جبل برط ، بالقول : " خرج الزبيرى على الجمهورية المنحرفة التى زيفـت مع الذين يدعمونها حقيقة الثورة اليمنية ، وأفرغتها من محتواها وجعلتها مجازر دموية لا إنسانية " . [10] وهكذا يتبين لنا التعارض بين مختلف الشهادات الأدبية المتعلقة بمسيرة حزب الله وزعامـتها السـتاريخية ، فكثر حولها اللغط . فمن قائل أن الزبيرى ليس " شاعراً فحسب ولا هو مناضل فحسب ، بل هو كذلك صحفى وزعيم وطنى وروائى وكاتب وشهيد " . [11] ومن قائل إنه " رائد الأدب الحديث فى بلاده نثراً وشعراً " . [12] ، وقائل إنه " شاعر فى أمة ، وأمة فى شاعر " . [13]

وقـد حدثنا الزبيرى عن نفسه بعبارات مقتضبة أقرب ما تكون لتلك الخطرات العابرة والاعـترافات العفويـة ، التى تكشف لنا بصدق عن صفحات مجهولة من حياته : " وشعرى أو معظمه تطغى عليه السياسة سواء ما كان مدحاً ، وما كان رثاء ، وما كان ثورة ، وما كان

شـــكوى ، أو ما كان شيئاً غير ذلك . وهذا هو المنطق الواقع ، فإن حياتي كلها ليست حياة شخصية منفكة عن الحياة العامة بأى حال من الأحوال " . (١٤) هذه النقطة بالذات تكاد تصل بـــنا إلى سبر عمق شخصية الزبيرى وفك رموزها المعقدة ، وهو يبوح لنا بالسر كله فى تلك المقدمـــة النثرية التى ضمنها فى مقدمة ديوانه ثورة الشعر ، حين قال : " كنت أحس إحساساً أسطورياً بأنى قادراً بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد ، والظلم ، والطغيان ؛ لســـت أدرى أذلـــك من تخريف الخيال الشعرى الجامح ، أم هو ومضة من ومضات الذخر الصوفى السجين فى أعماقى . " (١٥)

نستشـــف مـــن سياق هذا النص وغيره " فروحانيتى جنى عليها الأدب ، وأدبى عوقب بالسياســـة " ، (١٦) مغزى اختيار الزبيرى هذا العنوان (ثورة الشعر) لديوانه ، أو دلالة المعنى لعنوان ديوانه الآخر (صلاة فى الجحيم). يعترف الشاعر فى مقدمة ديوانه الأول بولعه الشديد بـــالمدح ، والرثاء ، والشكوى ، بل والثورة على الأوضاع الفاسدة تحديداً منذ ألف عام ، وهو التاريخ الفعلى للدول الزيدية الثلاث التى حكمت اليمن منذ نهاية القرن الثالث الهجرى حـــتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى . ومثلما نذر الزبيرى نفسه وعمره لحل هذا اللغز اليقين الثورى ، لجأ الشاعر إلى معارضة الأوضاع الفاسدة فى العهد الجمهورى ، بعد أن تحقق حلمه القديم الحكم الشعبى .

ونلاحظ هنا ظاهرة تكرار خروج الزبيرى على الحكام المستبدين والتنديد بهم فى العهدين الملكى والجمهورى ، لكن ما يستلفت انتباهنا أن عملية خروجه هذه المرة على عسكر النظام الجمهـــورى ، كانت بمثابة ردة فعل بعد أن أدركه اليأس وأيقن فشل مساعيه الحميدة بإقناع الســـلال وحاشـــيته العـــدول عن سياستهم المنحرفة عن أهداف ومبادئ الثورة. فعندما قرر الخـــروج إلى جـــبل بـــرط ، كان يعلم علم اليقين أن الأوضاع هناك ليست أفضل بكثير من العاصمة ، كما أفصح عن ذلك " .. خرجنا من صنعاء متجهين إلى الله .. ما خرجنا من صنعاء لطـــلب وظيفة ولا منصب ، فإننا قد تركنا المناصب فى صنعاء .. " (١٧) فبعد هذه الحادثة – الخـــروج – انتشرت القصيدة بين الناس ، وقيل أنها نشرت مطبوعة بالآلة الكاتبة فى صحيفة صوت اليمن لسان حال حزب الله . (١٨)

إن قصيدة القانون والفرس والميدان – من وجهة نظرنا – تعتبر وثيقة أدبية سياسية ذات قيمة تاريخية جديرة بالدراسة ، وذلك بصرف النظر عن القصور الفنى الكامن فيها . فهى تثبت

وجود معارضة سياسية قوية لنظام السلال ، كما تجسد أبياتها احتجاجاً صاخباً ضد المؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء ، أو كما تبدو فى صياغتها أقرب ما تكون للمنشور السياسى منها إلى القصيدة الشعرية المحبوكة النظم والصياغة . والبحر البسيط فى هذه القصيدة يوحى بركاكتها، فهو البحر الذى اعتمده الشاعر فى بداية حياته الأدبية.(١٩) فالقاضى فى هذه القصيدة لم يرتفع إلى مستوى الأحداث الجسام والتحديات الداخلية التى واجهت النظام الجمهورى ، والمؤامرات الخارجية التى كادت تؤدى به وهو فى المهد. وهو فى معارضته لنظام السلال يكون قد تجاوز فى ذلك كل حد معقول ، بما فى ذلك الخروج عن النظام الجمهورى من خلال دعوته إلى قيام دولة اليمن الإسلامية .

فقد كان نفرٌ غير قليل من أقطاب المعارضة ، يفضلوا رؤية أحد الوجوه التقليدية من الفقهاء المعممين الذين خدموا أئمة العهد البائد ، أو أحد القيادات التاريخية المنخرطة فى حركة الأحرار اليمنيين فى كرسى الرئاسة ، على أن يروا أصحاب البزات العسكرية فى قمة السلطة . ولو جردنا الزبيرى فى سياق هذه القصيدة من كفاءته الشعرية، لبقى بكل المقاييس شاعراً مجيداً من شعراء اليمن المعاصرين ؛ ولكن طغيان العاطفة الثورية على نفسه وشعره ، بل واحتدام الصراع على السلطة بينه وبين السلال ، أضاع شاعريته وأفقده صوابه ، فكانت الكارثة عندما أنشد بسخرية لاذعة لحكام عصره الذين تربعوا كراسى السلطة ، حيث خاطبهم متحدياً :

١- هذا هو السيف و الميدان و الفرس ... و اليوم من أمسه الرجعى ينبجس

٢- و البدر فى الجرف تحميه حماقتكم ... و انتم - مثلما كنتم له حرس

٣- أحالت الحَمَلَ المسكين خطتكم ... ذئباً يزمجر فى زهو و يفترس

٤- لولاكم لم يقم بدر و لا حسن ... و لم يعش لهما نبض و لا نفس

٥- هم الاولى غرسوكم محنة و أذى ... يا ليتهم اخذوا للجزف ما غرسوا

يرسم الزبيرى فى هذه الأبيات ، صورة قاتمة لعهد السلال لا تخلو من المفارقة، حيث اعتبر رئيس الجمهورية الزعيم السلال ، عاد ليزاول وظيفته السابقة كقائداً للحرس الملكي؛ فبدلاً من أن يحمى الإمام المخلوع البدر فى قصر البشائر بصنعاء ، أصبح يحرسه الآن هو وحاشيته فى إحدى الكهوف النائية بعيداً عن أنظار الناس . لكن الأدهى والأمر من ذلك أن

حكام العهد الجديد وغالبيتهم من العسكريين ، أصبحوا مصدر أذى ومحنة لمن حولهم من الثوار الذين تعرضوا للذل والمهانة فى عهدهم ، أكثر مما تعرضوا له فى العهد البائد . ويبالغ الشاعر فى قوله متمنياً لو أن حكام العهد البائد عند هروبهم من صنعاء ، أخذوا معهم خدمهم وحرسهم إلى كهوف الجبال ؛ ولكان ذلك الأمر أهون عليه من رؤية السلال يتربع كرسى الرئاسة .

والمعــلوم لدينا أن قصيدة الكارثة ، قد نالت شهرة واسعة أكثر من قصائده الأخرى ، بحيــث أصــبحت ظاهرة سياسية أكثر منها ظاهرة أدبية ، وذلك يعود إلى أنها تعبر عن رأى الشــاعر فى حقيقة ما آل إليه الحكم بعد قيام الثورة. [٢٠] فالزبيرى من خلال هذه القصيدة، يدعــو هــذه المــرة المعجبين بشعره ، حتى أولئك الذين لم يقبلوا الانضمام لحزب الله ، إدانة الأوضــاع القائمــة فى عهــد الســلال . كما تعكس القصيدة أيضاً تصوره الخاص لمفهوم " الجمهوريــة " ، تلك المدينة الفاضلة المختمرة فى ذهنه منذ زمن بعيد ؛ كانت هذه الصورة لا تتعدى ذلك التصور المثالى لمفهوم الحكم الشعبى ، الذى رسم معالمه الأولى فى مقدمة ديوان (ثورة الشعر) . فمعظم إنتاجه الأدبى ، كان يوحى بإمكان خلق عالم أو مجتمع جديد ، يختلف تمامــاً عــن الواقــع المرير الذى عاشه شعب اليمن فى مملكة الإمام يحيى . هذا المجتمع العربى فى جــنوب شبه الجزيرة العربية كان يريده أن يكون مجتمعاً فاضلاً تربطه أواصر القربة والمحبة والسلام ، لا الحرب والصراع وإراقة الدماء . لكن هذا المجتمع أو المدينة الفاضلة الذى كان ينشــد إقامته قد تحول فى ظل الوجود المصرى إلى كابوس مرعب بالنسبة له ، حيث أصبحت الكراهية والفرقة أحد مظاهر الحياة السياسية فى عصره .

أسس الزبيرى من أجل هذه الدعوة الإصلاحية تنظيم أو خلية حزب الله ، الذى يقف فى مواجهــة حــزب الشيطان ، وفى برنامجه يدعو الشعب إلى الخروج والثورة ضد نظام السلال وأعوانــه. [٢١] وكنتــيجة حــتمية لسلسلة من العوامل الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والأحداث التاريخية المترابطة فى العهد الثورى الجديد ، كانت تجربة الجمهورية العربية اليمنية بالنسبة له تجربة فاشلة يعتورها القصور والتخطيط والتنفيذ منذ انطلاقتها الأولى ، كما عبر عن ذلك فى خطاباته ومقالاته . فعندما يبحث القاضى فى الثورة اليمنية (٢٦) سبتمبر و(١٤) أكتوبر ، يرتكز تفكيره على مصرع الابتسامة (١٧) شباط ، ويستخلص نتائج عامة لا تأخذ بالاعتبار جدياً الدور المصرى كحليف سياسى .

كـــان الـــبحث عن الذات أو " الخصوصية اليمنية " المسلوبة في ظل الوجود المصرى ، يـــنهض على شروط ومقومات مختلفة عن شروط ومقومات دعوة القومية العربية ، التي تأخذ بعـــين الاعتبار الأرض والشعب والدين واللغة والعادات المشتركة، دون أن تخرج عن الماهية العامة لشعوب المنطقة من المحيط إلى الخليج. فهذه الروابط المعنوية على أهميتها في توحيد الأمة العربية ، لا تكفي وحدها لإقامة مجتمع أهلي متجانس في إقليم شبه الجزيرة العربية. فلكل جهة أو زاويـــة من جزيرة العرب خصوصياتها وأولياتها، وعندما تخلفت القبيلة عن مواكبة الركب الجمهـــورى الثورى ، لم يسعها سوى التراجع والانكفاء عن الذات إزاء المد القومى . وهكذا عاد الزبيرى إلى سيرته الأولى ، " التي قال لنا إنه جنى عليها الشعر فعوقب بالسياسة.. ورأى الزبيرى ذو الطفولة الصوفية الإيمانية الوديعة أن الطريق إلى السلامة هي طريق الله ، وأن حزب الخلاص هو حزب الله .. وأصبح يتزعم اتجاها جديداً نابعاً من اليمن له أنصاره من الجمهوريين والملكيين ، عرف هذا الاتجاه بالقوى الثالثة . " (٢٢)

والمرجح أن البحث عن الذات أو الخصوصية اليمنية ، قد بدأ يتكون لدى الزبيرى منذ مرحلة الإتحاد اليمنى ، أى قبل قيام ثورة سبتمبر عام ١٩٦٢ بعدة سنوات؛ وربما وعى الأبعاد الخطـــيرة لهـــذا الدور مع مجيء أول جندى مصرى إلى اليمن برفقة الدكتور البيضاني ، ذلك الظهير الناصرى المحسوب على رجال الثورة ، فهو في نظره " .. من الأذناب الأذلاء ، أول ما عرفته بعد عام ٤٨ ، وأنا في الباكستان ، وهو يعقد المؤتمرات الصحفية لحساب الإمام ، ويبرر ذبح الأحرار ويرميهم بالخيانة .. " (٢٣) إذن كل توقعاته صدقت ، فالبيضاني استطاع اختراق صفوف رجال الثورة المتراصة ، ليصبح بين ليلة وضحاها رجل الدولة الثاني .

أما قيم الثورة وأهدافها الإصلاحية المرسومة ، سواء كانت دينية أو أخلاقية ، قد أفرغت مـــن محـــتواها . فالـــثورة اليمنية الجمهورية – التي قامت على أنقاض النظام الملكى السلالى –، بخلاف حركات التمرد القبلية (انتفاضة خولان وغيرها)، كانت لا ترمى إلى بناء دولة المؤسسات والقانون فحسب بل تدشين مشروع حضارى لمجتمع يمنى حديث، متحرر من النـــزعات المذهبية والقبلية والجهوية . فالملاحظ تاريخياً أن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لم تتوفر الشـــروط الموضـــوعية لقيامها ، إلا بعد سلسلة من الانقلابات العسكرية الفاشلة (١٩٤٨ و ١٩٥٥) ؛ فضلاً عن الانتفاضات الفلاحية التي باءت جميعها بالفشل، لأنها كانت عبارة عن حـــركات سياســـية تتســـم بالإحباط المنفعل، ويعوزها التخطيط والدعم الخارجى المطلوب لنجاحها .

استحوذت تجربة ١٧ شباط ١٩٤٨ - مصرع الابتسامة على فكر الزبيرى ووجدانه، وكـان البحث المضنى عن اليقين الثورى والحكم الشعبى فى مرحلة الاتحاد اليمنى ، هو الدليل النظرى لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ . فكل محاولة خارج هذا الإطار أو المنهج من وجهة نظره قفز على الواقع ، بل وانتحار ، " نحن مدعوون لإنقاذ الثورة ، والثورة لا ينقذها التآمر ضدها، ولا تـنقذها ثـورة أخرى مضادة : فإن من يفكر فى ذلك ليس إلا فى عداد المجانين .. " (٢٤) فـالمحور الـذى يدور عليه فكر الزبيرى ونهج حزب الله هو " جوهر العقيدة وجوهر التقاليد القبلية فهى لا زالت سليمة ، ولا تزال القبائل مستعدة للموت فى سبيلها .. " (٢٥)

وإذا كانت ثمة سلبيات عدة قد ظهرت فى تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، فإن أخطرها كـان ذلك الانطلاق الجارف وراء المغريات المادية والسباق على كراسى السلطة . فإذا كان رجـال الـثورة قـد تم تهميشهم من قبل القيادة المصرية ، فمن يحمى الثورة والجمهورية من الانحـراف ؟ هـذه النظرة النقدية للأوضاع المستجدة فى عهد السلال ، دفعت بالقاضى إلى معارضـة الحكام الجمهوريين والخروج عليهم . وتأتى دعوة الزبيرى للسلام والمصالحة وفشله الذريع فى مسعاه ، قد دفع به إلى تبنى مشروع دولة اليمن الإسلامية ، لأن الجمهورية ورموزها بالنسبة له كانت أشبه ما تكون بالكارثة :

٦- ما أشبه الليلة الشـنعاء، ببارحة — مرت ، و أشنع من يهوى وينتكس

٧- كأن وجه الدجى مرآة كارثـة — يرتـد فيها لنا الماضى و ينعكس

٨- و كل من رام قهر الشعب متجه — لها ، يريـد الهدى منا و يقتبس

٩- يقلـدون أفاعيل الإمـام فلو — رأوه يرفس من صرع به رفسوا (٢٦)

يعـبر الشاعر فى هذه الأبيات عن مدى انحراف الحكام الجدد عن مبادئ الثورة ودرب الجمهورية . فالتحول السياسى والاجتماعى الذى شهده اليمن المعاصر فى عهد السلال ، رغم مظاهره البراقة ، بالنسبة له جرماً يرقى إلى مستوى الردة ، يستنكر حدوثه ؛ بل ويدين القائمين عليه . وقد علق الزبيرى على هذا السلوك المنحرف بتقليد حكام العهد الجديد لأفاعيل الأئمة. وبالـتالى اعتـبر المقـلدين لهم مرتدين عن عقيدة الثورة ، وإن لم يعلنوا تنصلهم عن النظام الجمهورى . وكان يخشى القاضى على أنصاره الذين قوى إيمانهم بالحكم الشعبى ، الوقوع فى مـزالق الهـوى فيصـيبهم ما أصاب الحكام من غى وفساد ونكوص وتراجع عن الأهداف

والمـبادئ . فالثورة اليمنية إذا أرادت أن تحقق النصر على أعدائها يجب أن تنتصر أولاً على رمـوز العهـد الملكى البائد المندسين فى الصفوف الذين يتظاهرون أنهم من أخلص المخلصين لمبادئها وأهدافها .

وهكـذا ضاق صدر الشاعر غيظاً وحنقاً ، حتى أنه لم يعد يطق البقاء فى صنعاء ، فقرر الخروج هذه المرة إلى الشعب ، بعد أن أصابه اليأس من إصلاح الحكام . وعندما جعل الزبيرى مفهوم الذات اليمنية الأساس الذى أقام عليه مجده السياسي، فإنه بهذه القصيدة يكون قد قبل أعظـم تحد يواجهه طيلة حياته بعد مصرع الابتسامة . فبعد مضى نحو خمسة عشر عاماً على سقوط تجربة الحكومة الدستورية ، كان اليمن قد حقق بالفعل ثورته وجمهوريته ، لكن بالرغم من ذلك الإنجاز الكبير ، فإن الزبيرى لم يكن راضياً كل الرضى عن الوضع الجديد .

علينا أن نتذكر أن خصوبة شعر الزبيرى كانت مقرونة بتجربته المرة التى جسدها مصرع الابتسامة ، أى سقوط الحكومة الدستورية ورجالها صرعى فى محراب الإمامة الدستورية . وسر النهاية أو لحظة الإبداع الفنى للشاعر مرتبطاً بأهم الأحداث التى اعترضت مسار حياته وفكره، فوقائع حركة شباط ١٩٤٨ ، أثرت بدورها على " مادة شعره من آخر الأربعينيات إلى مطلع الستينيات ، التى تحول فيها إلى سياسى مباشر فى مقالات .. ولأن استكناه الجذور يكشف لنا سـر السـيرورة الأدبية والفكرية ، لأن الفنون والأفكار لا تنقرض ، وإنما تتحول فى أشكال أخرى وفى مرايا مختلفة ، فكما أن استبطان الحاضر يبصر بالماضى ، فإن معرفة الماضى تهدى إلى أغوار الحاضر " . [٢٧] وما الحياة بالنسبة للزبيرى سوى الشعر ، لا شيء سواه . فكيف يقبل الـزبيرى التخلى عن إمارة الشعر التى تتوجها منذ مطلع عقد الأربعينيات فى المقام الشريف بمدينة تعز ؟

إن مقام (إمارة الشعر) هو مقام رفيع اصطفاه إمام اليمن أحمد حميد الدين للقاضى محمد الـزبيرى ، ليجعله فى مقام مقرب منه ودولته ؛ وبالرغم من أن القاضى قبل عن طيب خاطر هذا المقام الرفيع ، إلا أنه رفض التخلى عن مواقفه السياسية المناهضة للأسرة الحاكمة. ومثلما حاول المشير السلال إسكات الزبيرى بمنصب وزارة المعارف وعضوية المكتب السياسى للجهاز الحـاكم ، كـان الـزبيرى يأبى التنصل عن دعوته وجنده رجال حاشد وبكيل ، محط أمله ورجاءه فى رواية مأساة واق الواق . فمقام الدعوة إلى حزب الله بالنسبة له مقام علم وحكمه، ترقى بصاحبها إلى مستوى الحديث الشريف "العلماء ورثة الأنبياء" [٢٨] ، ليس بالعلم والتقوى

فحسب ، بل فى قيادة المجتمع فى مسيرة النهضة والتقدم والرقى . وكانت قصيدة القانون والفرس والميدان ، تمثيل واقعى للمشهد السياسى المتكرر لصلاة الشاعر فى جحيم الجمهورية .

وهكذا ، حين صمت الزبيرى عن مدح الجمهورية أو التغنى بأمجادها ، رفد معاصروه من الشعراء ، أمثال لطفى جعفر أمان وعبد الله البردونى بقصائد مادحه ، منتشين بقدومها إلى حد الهيام والذوبان فى أعماقها . فقصائد البردونى المترنمة بها ، تحتل الصدارة فى ديوان (من أرض بلقيس) ، وقصيدة إبراهيم صادق (أنا يمنى واسأل التاريخ عنى أنا يمنى)، تعبر أصدق تعبير عن الذات اليمنية، ولكن من وجهة نظر وطنية قومية . فى حين نجد مرثية يوسف الشحارى (قتلوها وأمعنوا فى البكاء) ، تندب حظ الثورة والجمهورية فى عهد وصاية الفقيه المحتسب القاضى عبد الرحمن الإريانى . (٢٩) فكل هذه القصائد والأهازيج الشعبية غالباً ما كانت تدور وتجول حول هذه المعانى – الثورة والجمهورية، التى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانهم ووجدانهم .

فهل كان صمت الشاعر محمد الزبيرى يعنى تراجعاً محسوباً له أو عليه ، هذا أمر يتعلق بالنقاد ، أما المؤرخ فما عليه إلا أنه يرصد الأحداث والوقائع ويحللها بشيء من الإنصاف والموضوعية . يبدو واضحاً أن القاضى كان مهموماً بمسألة الحرب والسلام ومشروع قيام دولة اليمن الإسلامية ، وهو فى مسعاه هذا أضحى شغله الشاغل تنظيم وإعداد الطليعة الثورية لحزب الله فى مواجهة حزب الشيطان . هكذا تبدو الأمور خلال الفترة الممتدة من سبتمبر عام ١٩٦٢ حتى إبريل عام ١٩٦٥، فشعره أصيب بحالة من الجدب والضمور ، حيث تم اختزاله فى خطابات حماسية يغلب عليها روح التحريض والدعوة إلى الخروج عن نظام السلال ؛ وهى فى مجملها عبارة عن مواعظ دينية تثير فى الناس من حوله الحماس وحمية الروح القبلية. تلك النزعة التى تأخر التعبير عنها بصورة منتظمة حتى قيام دولة الوحدة ، ونعنى بها تلك الاتجاهات الدينية والقبلية المهيمنة على الحياة السياسية اليمنية المعاصرة .

وإذا توغلنا مع الشاعر فى قصيدة الكارثة إلى البيت العاشر ، فسنجده فى خروجه الأخير شقياً باليأس، حيث كان يؤثر الموت على الحياة فى ظل الأحكام العرفية والقوانين الجائرة . ولابد من عرض المقطع الثانى من القصيدة ، لأن أبياتها تغنى عن كل شرح أو تفسير لرفضه التزام الصمت والسكوت عما يدور فى العاصمة صنعاء ، صارخاً بأعلى صوته :

١٠– هذى (القوانين) رؤياها تعاودهم قد ألبسوها نفاق العصر و التبسوا

١١- روح الإمامة يسرى فى مشاعرهم و إن تغيرت الأشكال و الأسس

١٢- متى حكمتم (بقانون) و قد قتل الآلاف أو سحقوا كالدود أو كنسوا؟

١٣- عار على صانع (القانون) يكتبه و حكمه فى بحار الدم منغمس

١٤- كفى خداعاً فعين الشعب صاحيةٌ و الناس قد سئموا الرؤيا و قد يئسوا

١٥- لِمَ (القوانين) فن الموت فى يدكم و الحقد رائدكم و الحق مر تكس

١٦- و انتم عودة للأمس قد قبر الطغاة فيكم و عادوا بعد ما اندرسوا

١٧- و انتم طبعة للظلم ثانية تداركت كل ما قد أهملوا و نسوا.

هنا فى منتصف القصيدة ، يفصح الشاعر أن حكام العهد الجمهورى ، بغض النظر عن الشعارات والمسميات والقوانين الجديدة ، تظل مسلكيتهم ومنهجهم فى الحكم ، لا يختلف كثيراً عن حكام العهد البائد ، ذلك لأن روح الإمامة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانهم وثقافتهم السياسية . وتكرار مثل هذا القول فى معظم أبيات القصيدة ، يقصد بها تذكرهم بالظروف الكئيبة العصيبة والإرهاب المنظم ضد كل من يجرؤ على رفع صوته ، حتى أصبحت طباعهم تتمثل فى الحقد والخداع ، بل والتعطش لسفك دماء الأبرياء عن طريق استخدام آلة الحرب التى تسحق فى طريقها الناس كالحشرات . وطالما ظلت لغة المدفع والدبابة والغاز السام والصاروخ هى اللغة المفضلة للعسكر ، فإن القاضى ، يتساءل بدوره ، ما جدوى اللوائح والقوانين التى لا تؤدى إصدارالها إلا زيادة حدة المشاكل ومعاناة الشعب ؟

هذه النظرة النقدية للأوضاع العامة فى عهد السلال ، تحوى بين سطور أبياتها إدانة ورفض لأخلاقيات المؤسسة العسكرية الحاكمة الضحلة ، لا سيما عندما توضع فى محك التطبيق ، فهى لا تعدو أن تكون نوع من العبثية السياسية فى إدارة دفة الحرب والخراب – فكلها لا تخدم مصلحة اليمن ولا الناس ، لأنها لا تعتمد إلا لغة الموت والدمار . ثم بعد هذا نراه يبعد أكثر فأكثر فى التنديد بالرئيس السلال وحاشيته ، ويعرب عن تبرمه الشديد من تفرد العسكريين بالسلطة ، بما فى ذلك الخبراء والمستشارين المصريين ، أولئك الضيوف الثقلاء الذين أصبحوا يمثلوا السلطات الثلاث دون رقيب أو حسيب . ونظراً لظروف الحرب الاستثنائية فى اليمن ، لم يجر أحد على مسائلة المسئولين ، وفى مقدمتهم القيادة المصرية ، صاحبة الأمر والنهى .

فهـــذا الـــنوع من الشعر ، يعكس لنا شخصية الزبيرى وثقافته السياسية ، التى تأثرت بشـــكل أو آخر بعقيدة الإخوان المسلمين المناهضة لتيار المد القومي الناصرى . وكانت بيئته الأولى التى نشئ فيها هيئته أكثر على التمسك بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والخروج على كل سلطة جائرة ، لا تلتزم ذلك المبدأ القرآنى . فمن الواضح أن أبيات القصيدة كانت لا تزال صالحة لمواجهة كل سلطة عسكرية مغتصبة للحكم . فالحضور المصرى جاء وفق خطة سياســية مدروســة لدعم النظام الثورى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبالتالى ضرب كل محاولـــة معادية تحاول المساس بالنظام الجمهورى . [٣٠] وقد كان على الزبيرى أن يحدد موقفه أولاً تجـــاه الـــنظام فقبل به دون تحفظ، لكنه فى وقت لاحق نهج خطاً معارضاً لنظام السلال ، حيث قدم استقالته عن كافة مناصبه السياسية أكثر من مرة، وفى كل مرة كان يقدم استقالته ، كـــان يغـــادر صنعاء مغاضباً ليقوم بزيارات ميدانية مكثفة للقبائل اليمنية المتمردة ضد النظام الجمهوري، تحديداً قبيلة خولان وأرحب؛ والمكان هناك آمن ومناسب لعقد لقاءات ومؤتمرات شعبية، تندد بياناتها بالحكومة والقيادة المصرية.[٣١]

وكـــل نهضـــة أى خروج يسبقها دعوة ، تحدد فيها أبعاد الصراع بحيث تعبئ المعارضة طاقـــات المجـــتمع ضد السلطة الجائرة ، التى غالباً ما تجد فى الدين والثورة غطاء تحتمى به . فالـــثورة اليمـــنية والدعوة إلى قيام الجمهورية كانت ثورة فى حد ذاتها ضد حكم سلالة حميد الدين ، الذين انحرفوا بزاوية حادة عن مفهوم الإمامة فى الإسلام . وقد أخذ القاضى الزبيرى بهـــذا التفســـير لأنه بحكم معايشته للتجربتين كان أقرب رجال الثورة إلى فهم أبعاد المشكلة اليمنية .

ويـــبدو لـــنا بهذا الصدد أن الزبيرى رغم أنه والى الثورة والجمهورية فى بداية انطلاقتها الأولى ، لكـــنه ســـرعان ما أظهر كغيره من جيل (٤٨) فى تلك الحقبة الناصرية ذات الطابع القومـــى الـــتحررى من قيود المجتمع القديم ، استهجانه الشديد لمسلكية المؤسسة العسكرية الحاكمـــة . والمســـألة هنا ليست متعلقة بالتعمق فى البحث فى يقينه الثورى ، ومدلول الحكم الشعبى ، فهذه قناعات كما نعلم هزته تجربة الجمهورية العربية اليمنية . حيث نجد الزبيرى فى مرحلة حزب الله ، فيما يشبه التحول المفاجئ من عالم دين مستنير يؤمن بالثورة قدراً ومصيراً ويعتنق الجمهورية كنهج سياسى اختطه لنفسه فى مرحلة الاتحاد اليمنى . لكنه يتحول فى عهد الســـلال إلى داعية لمشروع دولة اليمن الإسلامية . فهل كان الزبيرى يريدها جمهورية عربية

إســـلامية عـــلى غرار تجربة جمهورية إيران الإسلامية ؟ هذه مسألة لا يعلمها إلا الله والزبيرى نفسه !

وبالـــرغم من يقظة السلطات الجمهورية فى رصد تحركات زعامة المعارضة ومواقفها من خلال تتبعها لنشاط المؤتمرات الشعبية المحلية (عمران وخمر) ، إلا أنها كانت فى الوقت نفسه تولى اهتماماً متزايداً لتلك المؤتمرات الخارجية المشبوهة (أركويت والطائف) . وتقارير القيادة المصـــرية تؤكـــد فى هذا الاتجاه أن دعوة حزب الله كانت قد تحولت بمرور الوقت إلى تكتل سياسى لمعارضة دينية وقبلية فاعلة ، تحاول إضفاء شرعية سياسية لنشاطاتها على حساب النظام الجمهورى . واختيار مدينة ريدة مركزاً لنشاطها له دلالته التاريخية ؛ فمدينة ريدة هى مسقط رأس أبـــو الحسن الهمدانى الذى أظهر معارضة قوية للنخبة العلوية الإمامية الوافدة من شمال الجزيـــرة العـــربية قبل ألف عام ، باعتبارها نخبة غريبة عن أهل اليمن . (٣٢) وزعامة المعارضة كـــانت بدورهـــا ترفض الانصياع لمشيئة القيادة العربية ، فالدور المصرى كما يصفه لنا أحد أقطاب المعارضة ، لا يعدو أن يكون مجرد حكماً عسكـــرياً ديكتاتورياً " .. أبعد ما يكون عن الدين والشورى والديمقراطية ، والذين قدموا [إلى] اليمن باسم مساعدتها ، وهم فى الواقع يحمـــلون معهم أطماعهم الكبيرة فى التوسع والاســـتغلال ، ومخططاتهم السياسية والاقتصادية والعســـكرية التى رسمتها الفلسفة الناصرية بإزاء البلدان العربية ، وتحاول تطبيقها فى كل بلد عربى تستطيع أن تتسلل إليه .. " (٣٣)

وإذا كـــان الخلاف بين السلطة –نظام السلال– والمعارضة –حزب الله وكتله خمر– ، انحصـــر حول السلام والمصالحة الوطنية ، فإن مثل هذا الخلاف من منظور السلطة كان أمراً مقـــبول وقائم ، شريطة ألا تخرج زعامة المعارضة عن أهداف الثورة الستة . لكن الخلاف من وجهـــة نظر المعارضة ، كان يعنى بالدرجة الأولى ظهور زعامات دينية وقبلية من بين صفوف الشعب ، تجعل من الاختلاف حول ماهية النظام الجمهوري، أو الدعوة إلى حكم الشورى فى الإسلام ، منطلقاً لظهور تجمعات وتكتلات سياسية ، تهدف من وراء ذلك الوصول إلى كرسى الرئاسة . (٣٤) فالانقسامات فى صف القيادة الجمهورية المتولدة عن عملية التسابق على كراسى الحكـــم ، أظهـــر بصورة جلية أن العسكريين كانوا ينـــزعون إلى التفرد بالسلطة. فالقاضى الـــزبيرى المهمـــوم بقيادة زمام المعارضة ، كان يتطلع بدوره لمعاقرة المنايا، ومواجهة الموت فى سبيل تحقيق هدفه المنشود ، فهو لا يتوانى فى تحديه لهم بالقول :

١٨- إن شـئتموا فاقتلوا من ليس يعجبكم أو مـن ترون فى قربكم دنس

١٩- وأحرقونا (بغاز)كلما اجتمع الأحرار و فكروا فى الرشد أو حدسـوا

٢٠- وحاسبوهم متى شئتم حسابكم الطاغى إذا سعلوا فى النوم أو عطسوا[٣٥]

ويشعر المـرء بالإغراء يدفعه إلى متابعة أبيات القصيدة بيتاً بيت ، كما يدفعه إلى تأمل الأسـلوب الذى رأى به الزبيرى تمادى السلطات العسكرية الحاكمة فى عنفها ، ومحنة عناصر المعارضـة فى عـنادها ورفضها التسليم بالأمر الواقع . فهو رغم توقفه عن الكتابة فى الثلاث السنوات الأخيرة من حياته ، وهى تمثل السنوات الحرجة من تاريخ الثورة اليمنية ، نراه يخرج مـن صمته هذه المرة ؛ لكن كانت لديه كلمات حادة لاذعة ضد جبروت السلطة العسكرية وصـواريخها ، بل وغازاتها السامة ، التى تسلط ضد كل من يفتح فاه بعبارة ناقدة ، أو كلمة صادقة ناصحة. فالقوانين أصبحت مصدر سخرية مثيرة للاحتقار، وحتى الموت ، والحياة سيان بيـنهما فى ظل دولة بوليسية تلجأ إلى أسلوب القمع والتجسس لرصد كل شاردة أو واردة لتحاسـب بها الناس محاسبة عسيرة ، حتى فى حال سعالهم وعطسهم أثناء نومهم . والشاعر بـدوره يـرفع صوته مكرراً بأن حقوق الشعب يجب أن تبقى محفوظة مصونة ، وهى ليست موضوع مساومة .

يظهـر تأثير تراث معتزلة اليمن فى فكر الزبيرى بشكل خاص على صعيد التنظير ، من مـنظور ديـنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - ، وعلى صعيد الممارسة ، أى الخروج والـثورة . تنطلق دعوة الزبيرى من هذين المنظورين ، حيث يحاول فرض منهجه فى الإصلاح عـلى خصـومه من منظور قبلى . يدافع الطيب عن موقف القاضى فيما يتعلق بذلك الترابط الوثيـق بـين الدين والقبيلة ، بمعزل عن الدين والثورة : "ومهما قيل فى جهل القبائل للدين وإقدامهـم عـلى المخالفات التى يرتكبونها ، فليست تلك إلا نزوات شاذة ، وجهلاً لبعض التفاصيل الدينية " .[٣٦] ما يمكن إضافته هنا إلى منهج الزبيرى فى الإصلاح والحكم ، هو أن حـزبه ومـن والاه يتصـدى للدفاع عن الشريعة المغيبة والأعراف القبلية فى ظل الأحكام العسكرية ؛ وهو لا يتوانى فى استخدام مختلف الحجج والبراهين لإثبات شرعية مشروع دولة الـيمن الإسـلامية . ورغـم دعوته الحارة إلى تطبيق قانون الشرع ، فهو يحث الشباب على التمسـك بالـتقاليد والأعراف القبلية ، علماً بأن بعض هذه الأعراف والتقاليد تتعارض مع تعاليم الدين المشددة على نبذ العصبية والفرقة . فدعوة حزب الله وإن لبست رداءً إسلامياً ،

فـإن قـوام بـرنامجها السياسي وأدبياته تكشف بوضوح سافر عن نزعة قبلية متأصلة ترفض التعايش مع فكرة الوطن والدولة ، دون النظر والغوص فى بواعثها المذهبية .

ولعل محمد عبد السلام كان من أدق الكتاب اليمنيين الذين عبروا عن هذه الازدواجية الفكـرية للتركيبة السياسية فى اليمن المعاصر بقوله : " إن حداثة المصطلح فى كلام الزبيرى وزيد ، وهذا التوحد بالقبيلة الشعب ، تعبير عن نزعة شعبوية مناسبة لهدف كل واحد منهما . فالدرس الذى وعاه الاثنان من انقلاب عام ١٩٤٨ كان منصباً على ضرورة كسب القبيلة إلى صف المعارضة للإطاحة بالإمامة .. كل على طريقته . أحدهما بالزيدية الصريحة بعد دفعها إلى مصاف رسالة دينية خالدة ألصق بها مبدأ الحاكمية . والآخر بإلغاء شرط النسب الهاشمى ، مع الاحتفاظ بالمرتكزات الأخرى فى (حزب الله)، يوحدهما الموقف من الوجود المصرى . " [٣٧]

قطعـت زعامة حزب الله المسافة بين جسر الدعوة الزيدية ومبدأ الخروج ، معتمدة فى ذلـك عـلى التناقضات القائمة بين سكان الجبال (اليمن الأعلى) وسكان السهول (اليمن الأسـفل) ، وهـذا الاتجاه يؤكده على محمد عبده فى قوله : " إن حياة القبائل كلها خشونة وجفاف وتناحر وصراع ومواردها شحيحة بل تكاد تكون منعدمة عند بعضها .. والقبائل هى القبـائل سـواء كانت زيدية أو شافعية ، سكنت الجبال أو الصحراء ، انتمت إلى الجمهورية اليمنية أو إلى الحجاز أو سوريا " . [٣٨] ولعل الزيارات الميدانية التى قام بها الزبيرى لمواطن هذه القـبائل ، خصوصـاً خولان وأرحب ، كانت سبباً مباشراً حفزه على الخروج ، حيث يوجد الأنصار والمريدين . أيبقى الزبيرى قابعاً فى صنعاء مقتنعاً بكرسى وزارة المعارف ، الذى تحمل منه ما تحمل من ضيق وعناء وتهديدات العسكر المستمرة ، وتوجيهات الخبراء العرب الخرقاء ؟ أم يشد الرحال إلى المهجر ثانية عساه ينال فى هجرته وغربته فى وطنه ما قد حرم منه فى العهد الجديد ؟ هذه المرة يلوذ القاضى إلى مدينة ريدة ، فى الشهر الكريم (٢٨ رمضان سنة ١٣٨٥ هـ / الموافق ١٢ مارس ١٩٦٥م) ، ليؤذن فى الناس من ذروة جبل برط معلناً ميلاد حزب الله . فمـاذا يعمل بعد أن تغيرت الأمور فى صنعاء الثورة والجمهورية ، ولم يعد الشاعر يطيق الإقامة فيها ، ولو ليوم واحد ! [٣٩]

وإذا كان الزبيرى قد كشف عن تجربته فى التحول الدرامى من عالم دين مستنير ، "أقرب زملائـه الأحرار إلى فكرة ثورة ٢٣ يوليو الناصرية " [٤٠] ، إلى فقيه مغرق فى سلفيته يعارض الوجـود المصـرى فى اليمن ؛ كما تكشف لنا قصيدة الكارثة مغزى هذا التحول . فالقاضى

لم يعـــد قادراً على المداجاه والسكوت عما يجرى فى البلاد ، وحجب الحقائق عن الشعب فى عهد الحرية والعدالة والمساواة ؟ فهل آن لشمس الحرية أن تشرق مجدداً فى سماء اليمن ثانية ، فتعرى الحكام الظلمة على حقيقتهم ، وتكشف عورهم :

٢١- من حظكم أن هول الأمر مستتر — عنكم و أن شعاع الشمس منطمس

٢٢- و أن صوت الخراب ألفظ أغنية — ترتـــاح أنفســـكم منها وتأتنـــس

٢٣-هناءة الحكـــم أن أطغاكم بـــله — عن الكوارث و أســـتغواكم حرس

٢٤- أوراقكم لشراء الشعب تنكر ما — باعـــه قس بالصـــك واختلســـوا

٢٥- أتنكرون عليـــهم بيع جـــنتهم — يا قوم لا تخدعونا كلكم قســـس

وفى الـــبيت الأخـــير من مقطع هذه القصيدة ، نرى الشاعر يشبه حكم السلال بسلطة الكنيســـة ورجال الدين من القساوسة ، الذين كانوا يخادعون المؤمنين بمنحهم صكوك غفران زائفـــة ، وهم فى واقع الأمر ما يخدعون إلا أنفسهم . فالزبيرى كان يعتقد بأن المواطن اليمنى لا تنقصـــه القدرة على التزام النظام واحترام القوانين ، رغم أنه كان يرفض الإذعان للسلطة الجائرة ، ذلك لأنه شعب أبى يرفض الضيم والهوان ، وهو بحكم العادة مارد متمرس شرس . لهـــذا يستوجب على كافة فئاته مقاومة الأحكام العرفية والقوانين العسكرية ، التى لا تعدو أن تكون مستلهمة أساساً من تراث قانون العبيد فى مصر المملوكية ، أو قل مجازاً مصر الناصرية . واعتبر القاضى من يقبل التسليم بهذه القوانين ملحداً أو باغياً كافراً ؛ كما هاجم فى آخر هذه القصيدة كل شكل من أشكال الحكم العسكرى ، الذى يعتمد فى نصوص أحكامه لغة المدفع والدبابة والصاروخ ليس إلا، كوسيلة وغاية لاغتصاب الحكم وإرهاب الشعب . لهذا السبب فالكل يرفضه ويقاومه :

٢٦- (قانونكم) لاغتصاب الحكم مهزلة — كتـــرهات إمام مســـــه الهوس

٢٧- و الحكم بالغصب رجعى نـــقاومه — حتى و لو لبـــس الحكام ما لبسوا

٢٨- و الظلم يعـــلنه القانون نفهـــمه — ظلماً و إن زينوا الألفاظ واحترسوا

٢٩- و الموت من مدفع حـــــر نقول له — موتاً، وإن أوهـــمونا إنـــه عرس

٣٠- و(المستشارون)فى القانون لو حضروا — حـــرباً لما كتبوا سخفاً و لا نبسوا

٣١- يلفقون قوانين العبيد لنا ‏ و نحن شعب أبي مارد شرس

٣٢- ليت الصواريخ أعطتهم تجاربها ‏ فإنها درست أضعاف ما درسوا [٤١]

ولكي تقرب لأذهاننا معنى نظرية العسف والقوة التي استلهمها الشاعر في قصيدته ، فهو عادة ما يلجأ إلى استخدام كلمات ذات دلالات شائعة ، لكنها ذات مغزى عميق مثل (اغتصاب الحكم) (قوانين العبيد) (القانون نفهمه) . فكل بيت من أبيات القصيدة تعبر عن رفضه المطلق للحكم العسكرى ، الذى لم تستفد قياداته من دروس الحرب وعبرها ، علماً بأن الصواريخ المكونة من أسلاك وبارود وحديد ، استفادت مراراً من تجاربها الفاشلة (أضعاف ما درسوا) . فالسخرية والمأساة يمكن أن تجد لنفسها هيكلاً منظماً يدعم وجودها فى القصيدة ، لكن كان كل هذا على حساب القيمة الفنية لها ، بكل ما تحمله من ألفاظ طنانة سبق وأن استهلكها فى معظم قصائده المعروفة لدينا جميعاً . فالألفاظ القوية فى نفس القصيدة (الخراب) (المدفع) (الظلم) ، ألفاظاً لا يمكن للشاعر الاستغناء عنها ، كونها أصبحت ملازمة لشعره ، وحاجته الماسة إلى ترديدها وتكرارها كانت العامل المؤثر فى منحه دفعة قوية إلى إعلان خروجه عن صمته ؛ هذه المرة كان خروجه بطبيعة الحال عن المألوف - النظام الجمهورى الثورى الجديد وشعاراته التى لم تكن غريبة على مسمعه ، لكنه ملها وسئم منها .

وهكذا يتبين لنا سبب معارضة القاضى الزبيرى لنظام السلال العسكرى بوجه عام ، وللنموذج الناصرى بوجه خاص . فالجمهورية فى نظره ليست هدفاً فى ذاته ، وإنما هى وسيلة للتخلص من حكم بيت حميد الدين . فالحكم الشعبى الذى ينشد الشاعر قيامه فى اليمن ، يرتكز أساساً على ذلك المفهوم التاريخى القديم لحكم القبيلة الشعب ، الذى ينبغى أن تكون الدولة خادمة له . [٤٢] ولعل مقولة " كلنا قبائل " من وجهة نظر أحد الباحثين المعاصرين فى المشكلة اليمنية ، تبرير غير مقنع ؛ فكل دولة أو بناء سياسى يرتكز على هذا الأساس ، تصبح هيكليته ناقصة ، بل وتفتقر للشرعية . [٤٣] فالسلطة السياسية فى العهد الجمهورى ، كانت عملياً تخضع لنفوذ النخبة العسكرية الحاكمة من ضباط الثورة ، وعلى رأسهم المشير السلال ، الذى احتكر السلطة العليا فى البلاد لمفرده ، ضارباً عرض الحائط بنصائح العلماء ومشورتهم. [٤٤] بهذا المعنى ، فإن التواصل الثقافى بين جيل ١٩٤٨ وجيل ١٩٦٢ كان ضعيفا للغاية ، إذا لم يكن معدوماً .

فى هـــذا السياق التاريخي، لابد من اعتبار الفروق بين مفهوم السلطة للنظام الجمهوري، ومفهوم المعارضة للحكم الشعبى ، أو نظرة القوى الثالثة لمفهوم دولة اليمن الإسلامية ، كبديل أمثل للنظامين الجمهورى والملكى . هذه مسألة واضحة بينة لمن أراد التعمق فى طبيعة الصراع بين المعسكرين الجمهورى والملكى ، حيث حاول تيار القوى الثالثة استقطاب عناصر حزب الله المنشقة عن النظام الجمهورى إلى صفوفه ، بعد أن تبين له استحالة إسقاط النظام ذاته عن طريق المواجهة المسلحة . هذه الفروق الشكلية تختفى عادة وراء القواسم المشتركة التى تجمع عناصر المعارضـــة فى جبهة متحدة ، ضد تجربة الجمهورية العربية اليمنية، باعتبارها تجربة مقتبسة من النموذج الناصرى . كل هذا يتحدد معناه إسقاطاً، بحسب المقصود بمصطلح جمهورية، وبحسب المقصود بالحكم الشعبي، حيث استخدم فى حالات كثيرة مصطلح دولة اليمن الإسلامية ، مما فتح الباب لحدوث لغط كثير حول هذا الشعار. (٤٥)

إن هـــذا الصراع الأهلى داخل كيان الجمهورية العربية اليمنية لا يمكن فهمه وتفسيره بمعـــزل عن عاملين وثيقا الصلة بالمشكلة اليمنية . تقدم الثورة اليمنية لنا فى هذا المجال واقعتين تاريخيتين ، نختارهما من سياق ظهور معارضة حزب الله بزعامة القاضيان (الزبيرى والإريانى) ، ومعارضـــة كتـــلة خمر بزعامة الشيخان (الأحمر والنعمان) ، خلال النصف الأول من عقد الســـتينيات، وســـياق وقائع مؤتمر عمران وأركويت وخمر والطائف . حيث وظفت المعارضة الديـــن والأعـــراف القبلية ، فى كسب الاعتراف بالحاجة إلى الإصلاح السياسى ، باستخدام مـــنطقاً معسولاً فى جدله كمثل القول ، بضرورة تطبيق مبدأ الشورى تأكيداً منها لمبدأ الحكم الجماعى ، أى صيغة المجلس الجمهورى . لكن فى واقع الأمر هذا الجدل السابق للمعارضة من واقع السلطة ، تحول بمرور الوقت إلى سلطة مطلقة ، بحيث تحولت صيغة المجلس الجمهورى فى عهد ولاية الفقيه المحتسب القاضى عبد الرحمن الإرياني، إلى ملك عضوض . (٤٦)

يتحصل من هذا كله ، أن المعارضة المنشقة عن نظام السلال ، انحصرت مهمتها بعد نجاح الثورة اليمنية واشتداد عود النظام الجمهورى ، فى إعادة تقييم الأوضاع المستجدة فى الساحة اليمـــنية طبقاً لحساباتها القديمة . ومن الطبيعى أن يختلف الأعداء باختلاف المراحل التاريخية . ففى فترة الجمهورية العربية اليمنية ، نختار واقعتين تاريخيتين فى سياق ظهور معارضة حزب الله وكتـــلة خمر . فالواقعة الاولى : تتمثل فى وقائع مؤتمرا عـــمران وخمر وقراراتهما وتوصياتهما ، التى تعبر عما آلت إليه الأوضاع السياسية فى البلاد من فساد وفوضى إدارية ، تفاقمت حدتهما بفعـــل أزمـــة الحـــرب الأهلية فى اليمن ، وكيف تمثلت عملية الانقسام السياسى فى الصف

الجمهوري في ظل المنافسة المحمومة على السلطة بين القادة العسكريين والساسة المدنيين ، فلجأ كل طرف إلى استخدام كل ما لديه من أسلحة مادية ومعنوية ضد خصمه ؛ بما في ذلك لجوء المعارضة الجمهورية إلى المعسكر الملكي في مؤتمر أركويت (نوفمبر ١٩٦٤) ، وإلى الحكومة السعودية في مؤتمر الطائف (أغسطس ١٩٦٥) . وهذا اللجوء لم يقتصر على الحوار في البحث عن حلول عملية لإيقاف الحرب الأهلية في اليمن ، بقدر ما كان انحرافاً بزاوية حادة عن مسار الثورة اليمنية ونظامها الجمهوري ، وذلك من خلال رفعها شعار دولة اليمن الإسلامية .

أما الواقعة الثانية : تتمثل في احتكار السلطة والحكم من قبل مجلس قيادة الثورة ، الذي كان رئيسه يرفض الاستجابة لمطالب المعارضة في البحث عن حلٍ سلمي للمشكلة اليمنية، خارج نطاق منظومة الحلول العسكرية المقترحة أساساً من قبل القيادة المصرية . وقد استحكمت الخلافات التي قمنا بوصفها وتحليلها في سياق الدراسة لمظاهر الحياة السياسية في اليمن الجمهوري ، وكان قوامها تنظيم الضباط الأحرار ، الذي شكل أعضائه جماعة سياسية واجتماعية متجانسة فكرياً ، تميل إلى استخدام السلطة بشكل دفاعي – هجومي ، ولا تشعر بالاطمئنان للمعارضة ، إلا عندما تكون موازين القوى لصالحها . [47] فالمنطلق من عقيدة القومية العربية الناصرية لا يمكن له أن ينظر بعين الرضا والإعجاب بتجربة حزب الله الدينية ، أو كتلة خمر القبلية ، التي ترفض زعامتها الاعتراف بشرعية النظام الجمهوري . فالمسألة الجوهرية في الصراع على السلطة ، ليست خلافاً حول الشكل، وإنما حول مضامين الثورة السياسية والاجتماعية ، كما جسدها نظام السلال في مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . وفي هذا الاتجاه لجأت السلطة إلى استخدام العنف المفرط ضد عناصر المعارضة إلى حد التصفية الجسدية . وكواقعة من واقعات – عنف السلطة ومحنة المعارضة – كان مقتل القاضي الزبيري في مطلع شهر أبريل ١٩٦٥ ، على إثر خروجه من صنعاء إلى برط وإعلانه من هناك تأسيس تنظيم سياسي معارض للمؤسسة العسكرية عرف باسم حزب الله . [48]

وإذا كان الاتجاه الأول حزب الله قد بلور ظهور حركة معارضة سياسية ، اتخذت من الدين والقبيلة منطلقاً عملياً لتحركها المناهض للمؤسسة العسكرية الحاكمة ، كما هو واضح من وقائع مؤتمرا عمران وخمر وغيرهما – أركويت والطائف ؛ وظهر نجاحها المحدود في الحد من نفوذ وهيمنة القادة العسكريين في أعقاب قيام انتفاضة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ [49] ، فإن الاتجاه الثاني قد تبلور في قيام سلسلة من الانقلابات العسكرية الناجحة والفاشلة ، التي أظهرت مدى مقدرة النخبة الجديدة على انتزاع المبادرة السياسية من القوى التقليدية الشيوخ والعلماء

فى المجتمع اليمنى . وقد عبر عن هذا الاتجاه خير تعبير كـــل من الزعيم عبد الله السلال والمقدم إبراهيم الحمدى . وفى المقابل تصدى كل من القاضيـــين (الزبيرى والإريانى) لنفوذ الضباط العســكريين ؛ وبالمـــثل حاول الشيخان (النعمان والأحمر) تحجيم دور هذه المؤسسة الوطنية والحد من هيمنتها السياسية على مقاليد الأمور فى البلاد . (٥٠)

تقـــدم لـــنا أدبيات الحركة الإسلامية فى اليمن المعاصر وجهة نظرها الإصلاحية للحكام والـــرعية بشكل منهجى مؤطر ، كما نلمس ذلك فى عمل عبد الملك الطيب (منهج الزبيرى فى الإصـــلاح والحكـــم - ١٩٧٤) ، نلمس ذلك أيضاً فى عمل آخر للزبيرى (مأساة واق الواق - ١٩٨٧) ، حيث يبرز فى فصول روايته السياسية دور القبيلة فى صنع التاريخ ، بل وقدرتها على إقامة دول وسلالات حاكمة . وإذا كنا نعرف الأسباب الموضوعية والذاتية التى جعـــلت القاضى يضع مصلحة القبيلة فوق كل اعتبار ، فهذا يمكن استنتاجه بشكل واضح فى كـــتاباته الشعرية ، التى غالباً ما تمحورت حول النقاط الست التالية : الحكم الشعبى ، اليقين الثورى ، السلام ، المصالحة ، الخروج ، الدعوة لقيام دولة اليمن الإسلامية .

أمـــا النقطـــتين ، الأولى (الحكم الشعبى) ، والثانية (اليقين الثورى) ؛ فقد جسدتها مطالب حركة الأحرار اليمنيين فى نصوص الميثاق الوطنى المقدس لحركة ١٩٤٨ ، وفى مطالب الشعب التى اندرجت ضمن برنامج الاتحاد اليمنى خلال عقد الخمسينيات . وما يستتبع ذلك مـــن شعارات ورؤى سياسية رفعت فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، مثل شعارا السلام والمصالحة الوطنية ؛ لكن مشروع دولة اليمن الإسلامية ، كان الخطاب السياسى المفضل لدى معارضة حزب الله وتجمع كتلة خمر .

هكذا ، تنبه باحثون ودارسون إلى إشكالية السلطة والمعارضة فى العهد الجمهورى ، من واقـــع تجربة الزبيرى الشـــعرية، بمعزل عن تجربته السياسية النثرية والخطابية . فكان لهـــذه الدراســـات والأبحاث إجابات متنوعة ، ومنها دراسة القرشى لشعر الزبيرى بمعزل عن نثره السياســـى . فلنتابع الزبيرى عسانا نتلمس آثار عملية الخروج فى كتاباته ، سيما وأن الرؤئ السياسية المناهضة للحكم العسكرى قد تحركت ، وبدأت تتململ فى شعره ونثره السياسى فى عهد الثورة والجمهورية . والزبيرى فى قصيدة الكارثة ، يذكرنا بتلك القصيدة الهائية (خرجنا مـــن السجن شم الأنوف) ، التى أنشدها فور إطلاق سراحه من سجن الأهنوم فى بداية عقد الأربعينيات . (٥١) لكن شتان بين عملية خروجه الأول عن النظام الملكى (حكم الإمام يحيى)،

وعمـــلية خروجه الثاني عن النظام الجمهوري (حكم المشير السلال) . ففي الخروج الأول ، قـــرر الانضـــمام إلى صف حركة الأحرار اليمنيين ، التي اتخذت من مدينة عدن قاعدة ثورية لنشـــاطها المناهض لحكم بيت حميد الدين . أما في خروجه الثاني ، قرر الالتحاق بتيار القوى الثالثة ، الذي كانت عناصره ترفض الاعتراف بالشرعية السياسية للنظام الجمهوري .

هكذا تقدم لنا ثقافة القاضي محمد الزبيري وممارساته الشعرية والسياسية كفقيه مرجعي نموذجاً لنفر غير قليل من العلماء المنخرطين في خدمة النظام الجمهوري ، الذين حاولوا التكيف مـــع الأوضاع المستجدة في اليمن المعاصر بدرجات متفاوتة من المرونة السياسية ، مع المحافظة على خط استقلاليتهم الثقافية عن مظـــاهر السلطة العسكرية، وفقاً لقناعاتهم الخاصة بالنظام الجديـــد . ويتأكد هذا الخط السياسي المعارض الذي نهجه الزبيري ضد نظام السلال في ضوء تجربته المريرة في مرحلة الاتحاد اليمني مع تنظيم الضباط الأحرار بمصر خلال عقد الخمسينيات، وصـــدى تلك التجربة في وجدانه السياسي كما جسدته تجربته الأخرى مع مجلس قيادة الثورة اليمـــنية خلال عقد الستينات .[٥٢] فالقصيدة (هذا هو السيف والميدان والفرس) تعبر تعبير صـــادق عن تلك الكناية والتورية الفقهية التي يحتاجها الفقيه في مجتمع تقليدي لمواجهة الواقع الحافل بكل التناقضات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وفي ظل مؤسسات الدولة الحديثة الـــتي استعارتها التجربة الثورية في اليمن من تجربة ثورة (٢٣) يوليو المصرية ، كان يتبلور في الاتجاه المعاكس فقه سياسي معارض جسدته شاعرية الزبيري في تجربة حزب الله ، كما جسدته تجربة كتلة خمر .

وهذا الغرض العام للقصيدة اليتيمة للزبيري هو محاولة موضوعية نحدد من خلالها موقف زعامـــة حـــزب الله مـــن الوجود المصري فيما يتعلق بمدى التزامها المبدئي بالنظام الجمهوري أو الخروج عليه . واخترنا قصيدة (الكارثة) باعتبارها آخر عمل شعري نظمه الزبيري قبيل رحيله ، كونها محل تسليم عند معظم الدارسين والباحثين المهتمين بشعره وأدبه . فكيف تغيب مـــثل هـــذه القصيدة (القانون والفرس والميدان) عن عين السلطة الجمهورية الساهرة على المكاسب الثورية، يرفدها جهاز إعلامي متضخم يضاهي في أدواره الدعائية النفسية والسياسية أحـــدث الأجهزة الإعلامية في العالم الحديث ؟ ثم كيف تترك المؤسسة العسكرية الحاكمة أديباً شاعراً وسياسياً محترفاً بوزن الزبيري حراً طليقاً يتنقل في أوساط القبائل الملكية المتمردة كداعية للسلام والمصالحة الوطنية دون محاسبته ؟

إن هــذه الاســتفهامات والتساؤلات تهدم دعوى بعض الدارسين والباحثين أن قصيدة الكارثة موضوعة على الزبيرى ، مع اعترافهم بأنها وجدت مكتوبة بخط يده . [٥٣] لأنه لو كان الحال كذلك ، لاسيما وأنهم يجمعون على أنه نظمها خلال عام ١٩٦٤ ، أى قبل عام خروجه من صنعاء إلى ريدة . فهل يعقل أن يسكت القاضي عن مثل هذا الافتراء المحض فى حقه ، وهو يــتربع مناصب سياسية مهمة فى العهد الجمهورى ؟ أقول كان سيكتفي على الأقل بتكذيبها فى حياتــه عبر وسائل الإعلام الرسمية الجــمهورية (إذاعة صنعاء) ، أو عبر نشرة (صوت اليمن) لسان حزب الله .

ومهما يكن من شيء ، فإن هذه الملاحظات التى نوردها هنا فى سياق الدراسة ، إنما يراد بهــا التذكير أن النظام الجمهورى كان ماضياً فى عامه الرابع ، رغم العواصف والأنواء الجامحة الــتى اعترضت مساره. أما مسألة انخراط عدد لا بأس به من العلماء فى خدمة النظام الثورى الجديد، كواقع لمجتمع سياسي قائم، وتأجيل مسألة وصاية الفقيه المحتسب واستتباعاتها السياسية كجزء من معتقد قديم مختزل فى تراث الشوكانية ، فهذا أمرٌ وارد جسدتها تجربة حزب الله من خــلال الدعــوة إلى قيــام دولة اليمن الإسلامية ، كبديلٍ أمثل للنظام الجمهورى فى أحسن الأحوال . [٥٤]

وفى حدود معرفتنا ، فإن هذه الدعوة الدينية الإصلاحية ، التى حملت مسميات وشعارات مختلفة – حكم الشورى أو دولة اليمن الإسلامية ، كان برنامجها السياسي يتمحور نظرياً حول المطالــبة بمبدأ الحكم الجماعي وتطبيق الشريعة ؛ والإشادة بالأعراف والتقاليد القبلية ، بحجة المحافظة على الخصوصية اليمنية . من هذا المنطلق ، شنت المعارضة هجوماً سافراً ضد السلطات العســكرية الحاكمــة فى صنعاء ، لا سيما تلك القوانين الحديثة التى حاولت الإدارة المصرية تطبيقها فى البلاد فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية . وكان القاضي الزبيرى فى مقدمة علماء السلطة ، الذى ظل اسمه لصيقاً بتجربة حزب الله ، رغم أنه كان يطمح لتسلم السلطة لسبب بســيط أن الرئيس السلال لم يكن راغباً فى أن يشاركه أحد مقاليدها من العلماء المنخرطين فى خدمة النظام الجديد .

ولأن الأمــل فى إصــلاح الخلل فى النظام القائم ، قد دفع بالمعارضة إلى استخدام شتى الوسائل المتاحة لديها من أجل إحداث التغيير المطلوب فى دواليب السلطة ، وفق تصور خاص لمفهــوم اليقــين الثورى والحكم الشعبي ، الذى أرتاه زعيم حزب الله . وفى حين أن قصيدة

الزبيرى حققت شهرة واسعة ، ربما تكون مثار دهشته هو شخصياً عن حق ، فقد ظل الرجل رهين الفترة السابقة – مصرع الابتسامة . وإذا كانت هذه الدهشة قد أوصلته إلى قبرة ، فقد رحـــل القاضـــى فى إبريل ١٩٦٥ ، مخلفاً وراءه ، جيل من الدعاة الناشطين ، الذين أخذوا يبشروا بموعد قدوم وصاية الفقيه المحتسب ، من دون مزيد من الانتظار التاريخى لخروج الإمام الفاضل ، أو عودة الإمام المفضول طبقاً للعقيدة الزيدية الهادوية . كانت هذه المعادلة السياسية تمثل حلاً سياسياً واقعياً لأزمة الشرعية التى عانى منها النظام الجمهورى فى بداية فترة الجمهورية العربية اليمنية .

وبقدر ما أثارت تجربة حزب الله نقداً لاذعاً موجهاً لها من قبل أنصار الزبيرى وخصومه ، بقدر ما أظهرت التجربة وجهة مبدئية مثالية ، يطمح صاحبها العودة باليمن الحديث إلى صدر الإســـلام ، أو بالأحرى إلى فترة الخلافة الراشدة . واستحضار القاضى هذه المقارنة والمفارقة المنـــبهة بقولـــه " حـــزب الله يريد لليمن حكماً إسلامياً جمهورياً شوروياً يمنياً لا حكماً إمامياً ولا كمـــاً عســـكرياً " (٥٥) ، دليل نظرى فى حد ذاته على تأكيد تلك المقولة أن الإسلام هو الحـــل. هكذا تتصل التجربة بحاكمية الله عز وجل وحاكمية الإنسان، فشرع الله هو الحدود الثابـــتة التى لا تحيد عنها المعارضة المنشقة عن نظام السلال قيد أنملة . وسواء نظرنا إلى هذه الدعـــوة والخـــروج عن النظام الجمهورى ، فإنها تبدو مستغربة حقاً فى نظر الكثير من علماء اليمن ، الذين أنكروا على الزبيرى خروجه من صنعاء إلى برط ، حيث وصل به الأمر إلى حد القطيعة والمفارقة للجماعة .

وإذا كان نظام السلال قد حقق نجاحاً ملموساً فى تثبيت أركان النظام الجمهورى كنظام سياسى بديل للنظام الملكي، فإنه قد أخفق فى تحقيق السلام الاجتماعى والمصالحة الوطنية خلال فترة حكمه . والـــدليل على هذا الإخفاق السياسى ما حدث فى بداية عهد القاضى الإريانى ، حيـــث شـــهدت البلاد اضطرابات دموية عنيفة دارت رحاها فى ضواحى العاصمة صنعاء فى أحـــداث٢٢ و٢٣ أغسطس من عام ١٩٦٨ . (٥٦) والبحث عن حل مرضٍ لكل الأطراف المعنية فى اليمن ، يتطلب من السلطة تجاوز النهج الأبوى فى إدارة الصراع مع المعارضة، وهذا أمر مرتبط بالمرحلة القادمة عندما تضطر السلطة اضطراراً إلى توسيع قاعدة الحكم لامتصاص النقمة الشعبية المتزايدة فى فترة الجمهورية اليمنية .

إن تـاريخ الحياة السياسية فى المجتمع اليمنى المعاصر ، تحديداً منذ عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٩٠ ، يكمن إلى حد بعيد فى التوفيق بين السلطة والمعارضة فى تقديم حلول وسطية توفيقية يرتضيها الجميع، طبقاً لمقاييس وقواعد البناء السياسى فى العهد الجمهورى، الذى يرتكز على أسس طائفية ومناطقية وتوازنات أخرى ، يراعى فيها مصالح الأطراف المعنية بالنـزاع ، وفى مقدمـتهم شيوخ قبائل اليمن الأعلى .[٥٧] والمعارضة السياسية خارج نطاق حزبى الائتلاف الحاكم (المؤتمر الشعبى العام والتجمع اليمنى للإصلاح) ، ترتكز على شعور بالغبن والدونية ؛ وبالتالى تبقى مطالبها قائمة المشاركة فى السلطة والثروة . ويبقى التعارض بين الطرفين شديداً مـا دام حزبا الائتلاف الحاكم، يطرحا بقوة فكرة أن (كلنا قبائل) . علماً بأن المجتمع اليمنى ينقسـم إلى قسمين: قبائل ورعية . فاليمن نصف سكانه رعية ينتمون إلى كيانات قروية شبه مسـتقرة أو مدنيـة، أقرب ما تكون للمجتمع الأهلى ؛ على عكس الحال فى مجتمع الهضبة الشـمالية والشمالية الشرقية ، فالغالبية العظمى من السكان هناك تشكل مجتمعات قبلية شبه مغلقة ، خارج منظومة مؤسسات الدولة الحديثة والمجتمع الأهلى [٥٨]

وعلى الرغم من وحدة الأهداف العامة – التمسك بالنظام الجمهورى ، فإن تجربة حزب الله وصـيغة المجـلس الجمهورى ، تقدم نموذجاً حياً للعمل السياسى من واقع السلطة ، ومن واقـع لمعارضـة، يمكـن استخلاص العبر والدروس المستفادة منهما فى التجارب المستقبلية أو لراهـنة .[٥٩] وكل ذلك ربما يساهم فى واقع الأمر فى الاحتفاظ بتوازن المجتمع السياسي، وإعادة تشكيلة عند الضرورة فى مواجهة تحدى النخب الصاعدة ومشاكل الركود الاقتصادى والشـعور المتزايد لدى قطاعات واسعة من الشعب بقهر السلطة وعسفها . وكان اللجوء إلى السلطات العليا يتم وفق معايير متعارف عليها فى مجال الإدارة، كما هو الحال فى مجال القضاء . ففى كلتا الحالتين غالباً ما تراعى السلطة الحاكمة الأعراف القبلية والتقاليد الاجتماعية ، أكثر مما تراعى الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية فى العهدين الملكى والجمهورى .[٦٠]

وبعـد كـل ما قدمناه ، يبقى السؤال قائماً : لماذا التركيز على هذه الظاهرة بالذات " ظاهـرة الـزبيرى " ، وظاهرة " حزب الله " ؟ والإجابة على جملة التساؤلات التى أثرناها فى سياق الدراسة ، المراد بها شحذ همم الباحثين لإعادة النظر ليس فى تجربة حزب الله فحسب ، بل وفى تجربة الزبيرى الأدبية والسياسية سلباً وإيجاباً . وكذلك الحال التأمل والبحث فى نطاق تجربة المؤتمر الشعبى العام من جهة، وتجربة التجمع اليمنى للإصلاح من جهة أخرى . وفى نطاق تجـربة الوحدة السياسية بين شطرى اليمن شماله وجنوبه ، وتداعياتها السياسية والاقتصادية فى الوقت الحاضر ، كما سنبرهن على ذلك فى مداخلات الفصل الأخير من الدراسة .

هوامش الفصل السابع

(١) يطلق رياض القرشي في كتابه : شعر الزبيري ، سبق ذكره (ص ١٠٦) على القصيدة السينية للشاعر الـــزبيري تسمية (قصيدة الكارثة) ، في حين يتمسك عبد الملك الطيب بتسمية مقاربة (القانون والفرس والميدان) . راجع الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٤٣ .

(٢) انظر كل من عمر بهاء الدين الأميري : مع الشهيد الزبيري ، ص ١٠٧ ، والقرشي : شعر الزبيري ، سبق ذكره ، ص ١٦ - ١٧ .

(٣) البردوني : من أول قصدية لآخر طلقة ، سبق ذكره ، ص ١١٩ .

(٤) المقالح: الزبيري ضمير اليمن، سبق ذكره، ص ٤٩.

(٥) عمر الجاوي : الزبيري شاعر الوطنية ، ص ٤ .

(٦) المقالح : قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة ، ص ١٠ .

(٧) القرشي : شعر الزبيري ، سبق ذكره ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٨) أحمد محمد الشامي: من الأدب اليمني نقد وتاريخ، ص ١٠٦.

(٩) المقالح : الزبيري ضمير اليمن الثقافي ، سبق ذكره ، ص ١٤٧ .

(١٠) القرشي : شعر الزبيري ، سبق ذكره ، ص ١٠٦.

(١١) انظر مقدمة المقالح لديوان الزبيري ، ص ٣ .

(١٢) العمراني : الزبيري أديب اليمن الثائر ، سبق ذكره ، ص ٥ .

(١٣) الحلوجي : الزبيري شاعر اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣ .

(١٤) الزبيري : ثورة الشعر ، سبق ذكره ، ص ٨-٩ .

(١٥) المصدر نفسه .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(١٧) الطيب التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢١ .

(١٨) عمر بهاء الدين الأميري : مع الشهيد الزبيري ، ص ١٩ - ٢٠ .

(١٩) القرشي : شعر الزبيري ، سبق ذكره ، ص ١٠٩ .

(٢٠) المصدر نفسه .

(٢١) كان لحزب الله برنامجٌ سياسي موسومٌ – الكتاب والسنة – واتجاهات كثيرة كالوعظ والإرشاد ، وهو ينطلق من مفهوم الإسلام هو الحل ، مستهدفاً إقامة دولة اليمن الإسلامية من وحي نظام الشورى ، وليس النظام العسكرى الجمهورى ، الذى يرتكز على مبدأ القوة والإكراه .

(٢٢) العمرانى : الزبيرى أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٦٩ .

(٢٣) انظـــر رســـالة الـــزبيرى الخطية الواردة فى مذكرات الشامى : رياح التغيير فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٥٣١ .

(٢٤) الطيب : منهج الزبيرى فى الإصلاح والحكم ، سبق ذكره ، ص ٢٥ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٢٦) القرشى : شعر الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ١٠٧ .

(٢٧) البردونى : من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، سبق ذكره ، ص ٣٣٦ .

(٢٨) حديث شريف ، رواه مسلم والبخارى .

(٢٩) البردونى : رحلة فى الشعر اليمنى قديمه وحديثه ، ص٢٦٥ .

(٣٠) أحمد : الدور المصرى ، سبق ذكره ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٣١) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٦٧ .

(٣٢) زيد : معتزلة اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٤ .

(٣٣) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(٣٤) بهذا الصدد يطرح العمرانى فى كتابه : الزبيرى أديب اليمن، سبق ذكره، ص ٤٧٣، عدة أسئلة يتملص الإجابة عنها بشكل مباشر ، مكتفياً بعبارات عاطفية إنشائية لا تقدم ولا تزيد من قيمة الدراسة .

(٣٥) القرشى : شعر الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

(٣٦) الطيب : منهج الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ٢٤ .

(٣٧) انظر عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٦٤–٦٥ .

(٣٨) عبده : الطائفية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٠ .

(٣٩) ذكرت بعض تقارير المخابرات المصرية أن القاضى الزبيرى كانت له صلات مشبوهة مع بعض القيادات الملكية التى ألتقاها فى مؤتمر أركويت وداخل حدود اليمن ، والمعروف عن الزبيرى أنه كان يميل إلى التنقل والإقامـــة بين ظهرانى القبائل اليمنية تحت شعار إحلال السلام بدلاً من الحرب . استقينا هذه المعلومة من مـــلف المخابـــرات العامة ، التقرير الشهرى لشهر مايو ١٩٦٤ ، ص ١٢ . وهذا القول فيه مبالغة فيما يتعلق باتصال الزبيرى ببعض القيادات الملكية ، فقد كان للقاضى صداقات جيدة مع كافة عناصر الصراع

الجمهوري – الملكي ، وفى مقدمتهم عناصر اتحاد القوى الشعبية ، منذ أيام الطفولة والشباب والاتحاد اليمنى . لكنه فى منتصف عقد الستينيات كان يشعر بضيق شديد من الإقامة فى صنعاء ، وعيون السلطة ترصد كل حركة تحيط بمكتبه فى وزارة المعارف ، وبالمثل كان يحيط بداره الكائن بحى بستان السلطان نفر غير قليل من المخبرين . راجع حميد : الأصبحي يتذكر، ص سبق ذكره ، ص ٣٠٠ .

(٤٠) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤٨ .

(٤١) القرشي : شعر الزبيرى ، سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

(٤٢) ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربي القديم ، ص ٩٣ .

(٤٣) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ٨٠ .

(٤٤) يذكر اللواء عبد الله جزيلان فى كتابه : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، ص ٢٥٤ وما بعدها ، أن الزعيم عبد الله السلال كان يمتلك خبرة سياسية فى المناورات السياسية لما كان يشاهده أثناء عمله كرئيس للحرس الملكى من الصراعات الأسرية فى إطار النخبة الإمامية الحاكمة وخارجها . ويضيف جزيلان قائلاً "وقد استفاد من هذه الخبرة فى الصراع الذى كان يجرى فى الساحة اليمنية . كان هناك خلاف سابق بين الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضانى وبين القاضى محمد محمود الزبيرى وأحمد نعمان وكثير من الوطنيين أثناء تواجدهم فى القاهرة ".

(٤٥) الطيب : الثورة والنفق المظلم ، سبق ذكره ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٤٦) قد يجد القارئ إشارات واضحة إلى تلك الممارسات القمعية والإرهاب السياسى وكبت الحريات العامة، الذى برزته زعامة المجلس الجمهورى وبعض الزعامات السياسية الحديثة ، ذات الارتباطات القبلية، بحيث أصبحت أطروحاتها السياسية لا تخرج عن مفهوم "من تحزب خان". انظر وجهة نظر محسن العينى حول التعددية السياسية فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية فى كتاب القاسمى : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره، ص ١٦٣-١٦٤.

(٤٧) يقصد بذلك السلال وزمرته (السلاليين) من العسكريين والمدنيين، وهو التجمع السياسى لـ(مجلس قيادة الثورة) ويضم فى عضويته – المجلس الثانى الأعضاء التالية أسماؤهم : الزعيم عبد الله السلال ، العقيد حسن العمرى ، المقدم عبد الله جزيلان ، الرئيس عبد اللطيف ضيف الله ، الرئيس محمد قائد سيف، الرئيس حسين الدفعي ، الرئيس محمد الاهنومي ، الملازم محمد مفرح، الملازم سعد الأشول ، والرئيس محمد المساخذى ، والدكتور عبد الرحمن البيضاني، والطيار عبد الرحيم عبد الله ، والقاضى عبد الرحمن الإريانى ، والقاضى عبد السلام صبرة ، وعبد الغنى مطهر ، وعلى محمد سعيد ، ومحمد مهيوب ثابت . والملاحظ أنه قد تم استبعاد عضوية كل من الزعيم حمود الجائفى ، والملازم على عبد المغنى (شهيد)، والملازم صالح الرحبي (شهيد) ، والملازم أحمد الرحومى من عضوية مجلس قيادة الثورة المشكل فى ١٩٦٢/٩/٢٧ – ليحل محلهما جماعة التجار الناشطين فى حركة المعارضة الوطنية قبل الثورة ، وعلى

رأسهم الدكتور البيضاني الذى أضبح يشكل تياراً سياسياً قائماً بذاته يحطب فى أجهزة المخابرات المصرية . بهـذا الشـأن راجع المقالح : عبد الناصر واليمن ، سبق ذكره ، ص ١٢٤ ، وجزيلان : التاريخ السرى للـثورة اليمنية ، سبق ذكره ، ص٢٦٨ ، وعفيف : البيضانى يرد على البيضانى ، سبق ذكره ،ص ٢٠ . وانظر أيضاً وجهة نظر البيضانى فى كتابه : مصر وثورة اليمن ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٤٨) إن ملاحظات عبد الله جزيلان تسدل ستار الغموض على شخص السلال الذى غالباً ما تصوره المراجع اليمـنية بأنه شخص قصير النظر ، مستبد برأيه ، يفتقر للخبرة السياسية ، وهذا القول ما يؤكده خصومه مـن اتباع حزب الله ، وفى مقدمتهم عبد الله بن عبد الإله ، صاحب كتاب نكسة الثورة فى اليمن ، ص ٢٩ وما بعدها . أما الجناحى فى كتابه : الحركة الوطنية اليمنية ، ص ٢٢٧ ، فإن وجهة نظره عن شخص السلال لا تختلف كثيراً عن وجهة نظر جزيلان ، فالمعيار هو الماضى ، حيث يقول " لقد كان المؤشر لمعرفة الوطنيين هو استقراء ماضيهم ، وكانت المعتقلات فى حجة مكاناً لتعرف المعتقلين السياسيين ببعضهم .." . وكان السلال عند كثير من الأحرار واحداً من الشخصيات العسكرية التى ساهمت فى إحداث حركة ١٧ شباط ١٩٤٨ ، تعرض للسجن، وساهم فى المحاورات السياسية فى الكتاب الذى جمعه فى وقت لاحق محمد أحمـد نعمان : من وراء الأسوار – مناقشة سياسية حول مستقبل اليمن . راجع مساهمة السلال فى نفس المصدر ، ص ٨٦ – ٩٤ .

(٤٩) انظر :

Peterson. Op. cit. p. 107.

(٥٠) راجع :

Hudson. Op. cit. p. 344.

(٥١) المقالح : الزبيرى ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ص ٦٩ .

(٥٢) يذكـر الـباحث حميد شحرة فى مقالته " الشهيد الزبيرى والعمل السياسى " المنشورة فى مجلة نوافذ ، العدد التاسع (إبريل – مايو ١٩٩٨) ، ص٤٣ الآتى : " كان موقفه من النظام الناصرى مرهوناً بدعم الحكومـة المصرية للقضية اليمنية التى دعمته بصورة محدودة ومتقلبة .. وكان التعاون مع الزبيرى يخضع لـتقديرات ضـابطين فى المخـابرات المصرية لم يكونا بمثالية وأخلاق الزبيرى رحمه الله ، مما كان يسبب له الشعور بالقهر " .

(٥٣) كـرس المقالح فى محاولته إعادة بناء شخصية الزبيرى عدة فصول كاملة فى أبحاث متفرقة ومنها كتابة : الـزبيرى ضـمير اليمن الثقافى ، وكتابه الآخر : عبد الناصر واليمن – فصول من تاريخ الثورة اليمنية ، وكـتاب آخر وضع باسم الزبيرى : نقطة فى الظلام . والواقع أن ظاهرة الزبيرى ستظل ملازمة لزمن غير قصير لسيل من الأبحاث والدراسات اليمنية ، شأنها فى ذلك شأن الظاهرة الشوكانية . وهذا الخط المشايع لشـيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى وأبى الأحرار محمد بن محمود الزبيرى لا يخدم تراثنا الوطنى . ولن

يظهر المؤرخ الوطني المنصف الذى يؤرخ للأحداث التاريخية وفق أهواء جماعة اجتماعية تحاول فرض وصايتها على تاريخ اليمن وثورته ونظامه الجمهورى . انظر أيضاً مقالة المقالح: " المثقف والسلطة- النموذج اليمنى " . مجلة دراسات يمنية – صنعاء ، العدد ٣٦ ، (رمضان، شوال ، ذو القعدة ١٤٠٨هـ / إبريل ، مايو ، يونيو ١٩٨٩م) ، ص ١٤٣-١٥٥ .

(٥٤) فى برنامج حزب الله كان القاضي الزبيرى أكثر وضوحاً من حيث التشديد على أهمية دور الوجهاء والأعيان (أهل الحل والعقد)وحول وظيفتهم السياسية التى تتجاوز الدين إلى القبيلة والمجتمع السياسى (الأهلى) إلى المجتمع القبلى (دولة القبيلة) . فالحاكم أو السلطان (رئيس الجمهورية) لا تنعقد له الرئاسة الشرعية على الأمة إلا بموافقتهم . انظر رسالة الزبيرى المفتوحة للمشير عبد الله السلال فى كتاب الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره.، ص ١٥٤وما بعدها .

(٥٥) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٣٤ .

(٥٦) لمزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث الدامية التى ساهمت فى تأجيجها الفرقة الطائفية –التى ساهم فى تأجيجها أفراد الطابور الخامس فى صنعاء – ، وعملية الاغتيال السياسى لرئيس الأركان النقيب عبد الرقيب عبد الوهاب ورفاقه من قادة وحدات الجيش اليمنى الذين ساهموا إلى جانب الفريق حسن العمرى القائد العام للقوات المسلحة فى معركة الدفاع عن صنعاء ، سبق ذكره ، ص ١١٩ ، وشهادة الشيخ أحمد على المطرى فى كتاب نصوص يمانية عن حصار صنعاء ، ص ١٧ وما بعدها ، وكتاب مركز الدراسات والأبحاث اليمنى : حصار صنعاء ، يمكن العودة لشهادة العميد حسين الدفعى ، ص ٢٨٤ وما بعدها .

(٥٧) من إجابات الشيخ أحمد نعمان.، سبق ذكره .

(٥٨) الشرجبى : القرية والدولة فى المجتمع ، سبق ذكره ، ص ٢١١ – ٢١٢ .

(٥٩) الوحدة الوطنية وفق حدود المواطنة والمساواة فى الحقوق والواجبات لكافة أبناء الشعب اليمنى دون أية اعتبارات خاصة لقبيلة على أخرى أو منطقة على أخرى . بذلك تكون الخصوصية اليمنية قد تجاوزت أطروحات جيل (١٩٤٨) أسيرة الماضى ، وهذا الانتقال من اليمن القديم إلى اليمن الجديد – لا يتم إلا فى أشكال متميزة تاريخياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً عن فترة المملكة المتوكلية اليمانية .

(٦٠) المعلمى : " الشريعة المتوكلية " ، سبق ذكره ، ص ٧٨ .

الفصل الثامن

رحيل الزبيرى وتركته

تراث الزبيرى :

ثمـة تعارض واضح بين دعوة حزب الله وواقع تجربة النظام الجمهورى . وكون القاضى قد تحول من داعية سلام ومصالحة الوطنية بين الجمهوريين والملكيين ، إلى داعية لمشروع دولة اليمن الإسلامية ، فإن دراسة الخلاصات التى عينتها هذه التجربة بالنسبة لنا تمثل نقطة تحول مهمة فى فكره وحياته . حيث كان أى تفسير لمبادئ الثورة وأهدافها الستة ، بمثابة تعبير سياسى يدل على النكوص والتراجع عن خط النظام الجمهورى . وهذا التحول فى المواقف السياسية لزعامة حزب الله من الصف الجمهورى إلى صف المعارضة الملكية (القوى الثالثة) ، كان يراه مجلس قيادة الثورة جرماً فى مستوى الردة عن مبادئ الثورة وأهدافها .

ومن يرجع إلى أدبيات حزب الله وكتلة خمر ، يجد أن المعارضة كانت تمزج بين مفهوم ثورة ومفهوم جمهورية ، لتحقق مآرب خاصة ، مستفيدة قدر الإمكان من ذلك اللغط حول هذه المسألة . ولنتأمل هذا المقطع من الخطاب المهم الذى ألقاه الزبيرى فى جمع غفير من عشائر حاشد وبكيل : " الجمهورية يا رجال اليمن هى أنتم ، لا تصدقوا من يقول لكم هناك جمهورية وملكية .. إنما أنتم شيء أعظم من هذا كله ، أنتم يجب أن تكونوا مثالاً للخلق الإسلامى ، مثالاً للثورة الإسلامية . " (1) هكذا يختزل القاضى تجربة حزبه فى جماعه من الناس ، بما يدل على أن الأولوية ليست للنظام الجمهورى ولا للنظام الملكى فحسب ، وإنما للمؤسسة القبلية التى تمثل الأرضية الصلبة التى تجسد مفهوم اليقين الثورى ومفهوم الحكم الشعبي. إذن ليس المهم أن تكون القبائل اليمنية جمهورية أو ملكية، ولكن المهم هو أن تعتنق جميعها عقيدة حزب الله ، تمهيداً لظهور وصاية الفقيه المحتسب الذى يدعو لقيام دولة اليمن الإسلامية .

لعل محاولة استخلاص الدروس والعبر من كلتا التجربتين الدستورية والجمهورية فى بدايتهما الرائعة ونهايتهما المحزنة ، تساعدنا على فهم وتقييم تجربة حزب الله ، وذلك من عام

١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٥، حيث تكمن المفارقة الكبرى فى سيرة الزبيرى السياسية، أنه فى الأيام الأخيرة من حياته قبيل اغتياله بأيام قليلة ، كان يأبى أن يتنصل عن مواقفه المؤيدة للنظام الجمهورى ؛ لكنه من واقع معايشته للوجود المصرى كان يرفض التدخل السافر للقيادة العربية فى شئون اليمن الداخلية . فى الوقت نفسه ، كان يأبى التزام الصمت والسكوت عن الممارسات الخاطئة لنظام السلال ، فخرج عن صمته يندد بالمؤسسة العسكرية الحاكمة فى صنعاء . وكانت قصيدة (القانون والفرس والميدان) وأبياتها الـ (٣٢) ، هى السهام الجارحة التى سددها إلى صدر خصمه اللدود الرئيس السلال ، الذى اتهمه فيها بالانحراف عن مسار الثورة والنظام الجمهورى ، وذلك لصالح أنصاره المنخرطين فى حركة المعارضة الدينية (حزب الله) ، والمعارضة القبلية (كتلة خمر) .

لقد أدى القاضى الزبيرى دوره السياسى الفاعل فى صف السلطة والمعارضة ، حيث نجح فى تأسيس حزب الله وترسيخ فكرة الدعوة إلى قيام دولة اليمن الإسلامية فى ذهن أنصاره المتحمسين لهذا المشروع . لكن هذه الشبكة من الحجج، تعود إلى مقاييس متفاوتة لتجربة حزب الله وكتلة خمر، تفرض تغييراً جذرياً لمفهوم الجمهورية أو اليقين الثوري، لأنها تتطلب إعادة النظر فى جذور المشكلة اليمنية، ليس فى العهد الملكى ، بل فى العهد الجمهورى . فمنذ بداية تبلور الحركة الإسلامية فى اليمن المعاصر ونموضها فى منتصف القرن الحالى ، كانت جهود زعامتها تدور إما فى إطار المؤسسة الإمامية الحاكمة وضمن مفاهيمها ، أو خارجها عن طريق إقامة شبكة علاقات واسعة مع حركة الأحرار اليمنيين ، خصوصاً فى مرحلة الاتحاد اليمنى . هكذا كان الإخوان المسلمون – فرع اليمن، المنضويين تحت مضلة حزب الله يسيروا فى الاتجاه المعاكس للوجود المصرى فى اليمن ، وستبلغ هذه الظاهرة أوجها فى وحدة الأحاسيس المشتركة المناهضة لمظاهر الحياة الجديدة ، بحجة المحافظة على الذات اليمنية من التلاشي والضياع فى اليمن الجديد . (٢)

إن دعوة الزبيرى كانت تبشر بقيام معارضة دينية قبلية مناهضة للمد القومى فى إقليم جنوب شبه الجزيرة العربية . ولا يمكننا إغفال انتقال اليمن من العصور الوسطى إلى حضارة القرن العشرين ، حيث حصلت تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية عميقة فى صلب المجتمع اليمنى ، كنتيجة مباشرة للوجود المصرى . على أن تقييم تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، يدعونا ألا نقلل من قيمة زعامة حزب الله واهتماماتها الخاصة بالمشكلة اليمنية . فقد كان هناك التحدى الخارجى الدور المصرى – للخصوصية اليمنية على مستوى الأفكار والعقائد .

وكـــان هناك الفساد المالى والإدارى المستشرى فى أوصال الدولة الوليدة ، التى أبدى جهازها الحـــاكم حماساً منقطع النظير لتطبيق النموذج المصرى فى البلاد . وكانت هيئة الخبراء العرب أشـــبه ما تكون بمنظومة عسكرية بيروقراطية محدودة الفهم والخبرة بواقع المجتمع اليمنى ، غير قـــادرة عـــلى الوصول إلى جماهير القبائل المتمردة بوسيلة أخرى غير المال والسلاح ، بهدف كسب ولاءها للنظام الجديد . (٣)

ثم جـــاء الإخفاق السياسى لنظام السلال فى حسم الصراع عسكرياً ، مما دفع بالزبيرى مجـــدداً الدعوة إلى انعقاد مؤتمر خمر للسلام ، ليؤكد الحاجة الملحة إلى حل سياسى للمشكلة اليمنية . ولم تكن المدن اليمنية (صنعاء وإب ورداع والبيضاء وتعز والحديدة وعدن) المؤيدة للـــنظام الجمهـــورى مهيأة للحوار مع مدن الهضبة الشمالية التى احتضنت المعارضة الملكية . وكـــانت عمـــران وخمـــر وريده أفضل من غيرها من مدن المرتفعات ، قادرة على هذا النوع من التحرك السياسى المتسلح بالأفكار الدينية والقبلية المناهضة للوجود المصري. وقد أنبثق من ذلك التحرك دعوة حزب الله وظهور كتلة خمر ، كقوة سياسية لها وزنها فى الساحة اليمنية .

ومـــنذ الـــلحظة الأولى التى بدأ فيها الزبيرى رحلة الخروج ، لازمته صفتان بارزتان : المعارضة العلنية للوجود المصرى ، والنشاط الدؤوب من أجل إقصاء السلال من منصب رئاسة الجمهوريـــة . وفى حين اقتضت الصفة الأولى تصديه شخصياً لتأدية بعض المهمات الخطرة – الدعوة إلى السلام والمصالحة الوطنية – بين الجمهوريين والملكيين ، استوجبت الصفة الثانية منه المضـــيء قدمـــاً فى مقدمة صفوف المعارضة الدينية والقبلية . ولم يكن القاضى ليقبل ما تمليه القيادتين اليمنية والمصرية من سياسات تتعلق بإلحاق الجيش الشعبى (القبلي) بالجيش النظامى . كل هذه الأفكار الرامية إلى تقوية مكانة القبيلة على حساب الدولة مضمنة فى وثائق وأدبيات المعارضـــة ، كما نلمسها بشكل واضح فى برنامج حزب الله من جهة ، وقرارات وتوصيات مؤتمرا عمران وخمر من جهة أخرى . (٤)

لقد تفاجأت القوى التقليدية فى المجتمع اليمنى المعاصر بالتحولات الاجتماعية والسياسية السريعة فى ظل الوجود المصرى . وكانت الصدمة الكبرى لهذه القوى ، هو أن نظام الجمهورية العـــربية اليمـــنية ، شـــكل تحدياً سافر لمصالحهم التاريخية المكتسبة منذ فترة المملكة المتوكلية الـــيمانية . ولمـــا شرعت الثورة تأكل أبناءها واشتد الصراع على السلطة بين المشير السلال ومؤيديـــه مـــن جهة ، والدكتور البيضانى وأنصاره من جهة ، كان الزبيرى قد تحول من ثائر

متمرد محرض لقيام الجمهورية إلى داعية لقيام دولة اليمن الإسلامية . [٥] من خلال هذه الدعوة لم يكن يعتبر نشاط حزبه عملاً سياسياً مناهضاً للسلطة، بل بالأحرى جزءاً من مساعيه الحميدة لإحـلال السلام فى ربوع اليمن . وكان الهدف الآخر من وراء هذا التحرك بناء قوة سياسية ثالـثة ، تكـون قادرة على التحرك وحسم الأمور لصالحها عندما تحين الفرصة المناسبة.وبهذه المعادلة السياسية ، كان القاضى يساوى بين النظام الملكى المتمسك بالعقيدة الزيدية (الهادوية)، وبين النظام الجمهورى المتمسك بعقيدة القومية العربية (الناصرية)، باعتبارهما وجهين لعملة واحدة -كما افصح عن ذلك فى قصيدة (الكارثة) . [٦] هكذا استهدفت عملية خروجه أى انشـقاقه عن النظام الجمهورى ، ومحاولته الجادة لتبنى مشروع دولة اليمن الإسلامية ، ذلك المشروع السياسى المثير للجدل ، الذى رفضته معظم القوى السياسية والاجتماعية المتواجدة فى الساحة اليمنية .

والزبيرى الطامح فى رئاسة الدولة من واقع المعارضة من داخل السلطة ، عندما ذهب إلى جبل برط ، كان قد حسم أمره بصورة نهائية دون رجوع عن قراره . فالتغيير المنشود - اليقين الثورى - كما يراه كان بمثابة انقلاب على الذات وعلى الآخر ، فى مسيرة يشق فيها أنصاره طـريقهم نحـو السـلطة؛ فكانت عملية الخروج امتحاناً صعباً لهذه الذات الحائرة. وهكذا ، ضـجت السـاحة اليمـنية بالحـركة الإسلامية ، التى تزعمها القاضى فى سبيل تحقيق الحلم والإصـرار عـلى مواجهـة الموت بالشهادة . وعلى هذا الأساس ، تشكل شخصية الزبيرى الـنموذج القيادى الرمز ، بل والقدوة الحسنة لبعض المنخرطين فى العمل السياسى فى اليمن المعاصر، فهو بالنسبة لهم الزعيم الشهيد المؤسس للحركة الإسلامية ، والمجدد لمضمون الدعوة الإصلاحية وأهدافها ووسائلها، وكل ما تتطلبه الحركة من عمل سياسى وفعل اجتماعى . [٧]

ضـمن هذا الإطار - الزبيرى الأسطورة والتاريخ - ، تشهد المكتبة اليمنية منذ مطلع عقـد السبعينيات إصدارات أدبية وتاريخية ، تضع معظمها اسم القاضى على رأس القائمة ، باعتباره ليس (ضمير اليمن الثقافى والوطنى) فحسب ، بل (أديب اليمن الثائر) . ومثل هذه العـناوين بقـدر مـا تثير من التشوش الذهنى لدى القراء العاديين ، بقدر ما تبدو ضرباً من ضـروب العبـثية الـثقافية والسياسـية . فالكل يعلم ويعى داخل اليمن وخارجه أن الثورة والجمهوريـة والوحـدة لم تقم على أكتاف الزبيرى ومريديه ، بل قامت على جماجم وأشلاء عشرات الآلاف من الرجال ، الذين ضحوا بأرواحهم رخيصة فى سبيل إنجاز الثورة السياسية والاجتماعية فى اليمن المعاصر . وباستعادتنا هنا للجزء اليسير من الأحداث والوقائع التاريخية

وثيقــة الصلة بالمشكلة اليمنية ، ليس بهدف كشف الغطاء عن تجربة حزب الله فحسب ، بل نرمى من وراء ذلك إلى تحديد مظاهر التناقضات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية الكامنــة فى صلب المجتمع اليمنى ، الذى يواجه صعوبات عديدة ، تعترض طريقه للانتقال من طور القبيلة إلى طور الدولة ؛ أو بتعبير أكثر دقة الانتقال من مرحلة المجتمع القبلى إلى مرحلة المجتمع الأهلى .

لقد ولدت الجمهورية فى محيط اجتماعى معاد لها ، وجاءت أحداث الحرب الأهلية التى ساهمت فى تحويل بعض رجال الثورة إلى خصوم لمبادئها وأهدافها . وأحداث الحرب الدامية فى الــبلاد ، بفضــل الدور المصرى الفاعل فى الساحة اليمنية ، كان لها تأثير ملموس على جميع القــوى السياسية والاجتماعية التى وقف بعضها فى صف المعسكر الجمهورى ، ووقف البعض الآخــر فى صف المعسكر الملكى ، كلٌ بحسب قناعاته الفكرية . كما أنقسم الجمهوريون على أنفســهم إلى تيارين ثورى ومحافظ . الأول يحاول إقامة مجتمع جديد تسوده المساواه والعدالة الاجــتماعية والحــرية السياســية . بيــنما الثانى يريد المحافظة على النظام الاجتماعى القديم واستمراريته . وما أراد الزبيرى بالتقاطه فى ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، وجده جاهزاً فى صنعاء ومحيطها القبلى ، على شكل دروس مستفادة من تجربه ١٧ شباط ١٩٤٨ الدستورية .

والنتيجة الموضوعية لهذه التجربة الجمهورية اليمنية أو تلك حزب الله– هى الحيلولة دون تغــلب طــرفاً عــن آخر . ولعل هذا ما قصده على محمد عبده عندما تحدث عن ذلك الصراع التاريخى بين الريف والمدينة ، بقوله : " لقد تجمدت الحياة فى صنعاء منذ وقت طويل ولا زالت القيم والمثل ووسائل المعيشة التى كانت سائدة فى القدم لا زالت باقية حتى اليوم .. إن ظاهــرة التخــلف تتمثل فى صنعاء وما حواليها أكثر مما تتمثل فى أى منطقة أخرى . لأنها لم تكن تحمل معنى المدينة ولا ترمز للتقدم والحضارة ، ولكنها تحمل معنى السلطة ، فى الحكومة حكومة القرن الثالث عشر ووسائل سلطته الوحشية . " (٨)

قدمــت تجربة الجمهورية العربية اليمنية بيئة سياسية نموذجية للتناقض الفكرى بين جيل ١٩٤٨ وجيل ١٩٦٢ . المشير السلال أحد رجالات الحركة الدستورية ، أصبح رمز السلطة العســكرية الحاكمة فى صنعاء ، يرمى بثقله لصالح الوجود المصرى ، ثم يغمض عينيه عن كل الممارســات الخاطــئة التى ترتكبها أجهزة المخابرات الملحقة بالقيادة المصرية . فى المقابل كان القاضــى الــزبيرى يــرفض المســاومة مع السلال ، وبالتالى يرفض الخضوع لابتزاز القادة

العسكريين والساسة المدنيين الموالين للقاهرة . وقد تجشم عبء المعارضة والتهميش من السلطة مـــن قبل القيادتين اليمنية والمصرية ، ورغم ذلك كان يأبى التراجع عن مواقفه المناهضة للحل العسكرى .

هكذا كانت تمتزج ملامح رجل الدين المتنور بملامح رجل الثورة ، وهما معاً على تضاد دائـــم مـــع النخبة العسكرية المتربعة قمة السلطة . كان وضع المعارضة الملكية ضعيفاً فى ظل الوجـــود المصرى ، وسيبقى كذلك حتى تاريخ انشقاق زعامة حزب الله عن النظام الجمهورى بإعلانها رسمياً الانضمام إلى تيار القوى الثالثة . (٩) أما سلطات الحكومة الجمهورية فقد كانت مستقرة نسبياً فى العاصمة صنعاء وإقليم الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية . لكن سلطتها على الجـــبال تحديـــداً إقلـــيم صـــعدة وحجـــة وإقليم الجوف ومأرب كانت مهزوزة . حتى أن بعـــض الكـــتاب ينســـبون التعبئة القبلية حول القاضى الزبيرى إلى ظاهرة الخروج فى الفكر الزيدى ؛ (١٠) وهذه مسألة غاية فى الأهمية تستحق الدراسة . لذا نكتفى هنا بهذا الإيجاز ونحيل من أراد التوسع العودة إلى مبحث الخروج فى الفصل الخامس من هذا البحث .

لو أردنا اختيار بعض أحداث التغيير المعروفة فى تاريخ اليمن الحديث والمعاصر لكـــانت ثورة (٢٦) سبتمبر من عام ١٩٦٢ ، واحدة من الأحداث السياسية التى هزت مختلف القيم الموروثة من النظام الملكى ، وحفزت مختلف الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية ؛ وأثارت جدل الدعـــوة الإصـــلاحية فى ضـــوء واقـــع الحال . وإذا كان المثقفون الثوريون قد تعاملوا معها أولاً بأول ، فإن العقود التالية لها هى التى شهدت صرخات الإصلاحيين الإسلاميين ، الداعية إلى الخـــلاص من قيود الثورة السياسية ، ومسايرة التغيير فى الوطن العربى بمرونة ثقافية ، دون السقوط فى مغريات المصالح الضيقة والأعراف القبلية . (١١) ولعل مقالة الطيب (منهج الزبيرى لإصلاح الحكم والشعب)فى عام ١٩٧٤، التى يتذكرها قراء تلك الأحداث، جاءت منسجمة مـــع مقالـــته اللاحقـــة (الثورة والنفق المظلم) فى عام ١٩٩٩، التى تعتبر بمثابة نقد صارم للمؤسســـة العسكرية الحاكمة فى اليمن، بمصالحها وأنانيتها ؛ وكذلك بما يعد سلبياً فى تمسكها بالسلطة والتفرد بها .

فالـــنظـــرة إلى تـــاريخ الـــيمن المعاصر فى نطاق تجربة حزب الله ومشروع دولة اليمن الإســـلامية ، تشـــكل جزءاً جوهرى من تصور خاص يتمسك به الطيب وأضرابه من ناشطى المعارضة الدينية السلفية ، بهدف خلق وعى سياسى مناهـــض للمؤسسة العسكرية، متعاطف

مع المؤسسة القبلية التى تتولى الآن زعامة حزب التجمع اليمنى للإصلاح . [١٢] ويبقى التعارض قائمـاً بين المؤسستين العسكرية والقبلية ، مادامت المعارضة لا تمتلك زمام المبادرة السياسية ، ولا القـوة الاجتماعية التى تمكنها من إحداث التغيير المرجو فى البناء السياسى . وإزاء ذلك لم يجهـل المـثقفون اليمـنيون هذه المسألة، بل إنهم منذ قيام الثورة والجمهورية وإعلان دولة الوحـدة، كانوا فى مقدمة صفوف المعارضة – المطالبة بتطبيق أهداف ومبادئ الثورة اليمنية ، لكى تتوج مختلف الجهود بنـزوع أكثر تجريبية وتجرداً ومخاطرة، حيث الشروع بالتعامل الحر مـع الثوابت والمتغيرات ، دون أن يعنى ذلك أن ما توصل إليه الزبيرى حقيقة مطلقة لا تقبل الدحض .

استمر الصراع الحاد بين القادة الجمهوريين حول تفسير كل فريق بطريقته الخاصة لمبادئ وأهداف الثورة ، منذ عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٧ ، عام النكسة الذى منى فيه الوطن العربى بهزيمة عسكرية فاجعة ، فكانت النتيجة الحتمية لهزيمة مصر ، وضياع سيناء والجولان والضفة الغـربية والقدس ، قرار الجمهورية العربية المتحدة سحب قواها من اليمن . [١٣] ومنذ ذلك التاريخ ، اصبح مستقبل النظام الجمهورى محفوفا بالخطر ، وكانت نهاية نظام السلال متوقعاً ، لا سيما أن القاهرة اتخذت قرارها بالإفراج عن الحكومة اليمنية المحتجزة هناك منذ صيف عام ١٩٦٦، لتعود إلى البلاد فى شهر أكتوبر ١٩٦٧ ، لتثبيت الوضع المتدهور سياسياً وعسكرياً فى العاصـمة صـنعاء. ولتهدئة الأوضاع المضطربة فى البلاد ، أعلنت قيادة الجيش اليمنى فى إحدى بياناتها العسكرية بأن القوات المسلحة حارسة الثورة والجمهورية ، ستكف عن التدخل فى السياسـية ، " حـال وصول قادة البلاد وكافة القوى الوطنية المؤمنة بأهداف الثورة ليتم الوصـول إلى اتفـاق وطنى ، يحفظ لليمن سيادته، ويعيد السلام إلى ربوعه " . [١٤] وكان الشـعور المناهض لحكومة السلال واضحاً فى صيغة (البيان الوفاقى للجنة المصالحة الوطنية)، ممـا زاد كتلة خمر ، اقتناعا بأنه إذا لم يوضع حد نهائى لحكم السلال الفردى ، ستضطر القوى الجـمهورية إلى تكوين جبهة وطنية قادرة على مواجهة التحديات الخارجية .

كـانت الـلحظة الأخـيرة فى فترة الجمهورية العربية اليمنية ، بمثابة رد فعل على قرار السـلال التـنحى عن السلطة ومغادرة البلاد . وكاد النظام الجمهورى أن يسقط عندما قبل التيار المحافظ استقبال وفد اللجنة الثلاثية المنبثقة عن مؤتمر القمة العربى المنعقد فى الخرطوم فى أغسطس عام ١٩٦٧. [١٥] وقبل أنصار هذا التيار فكرة المصالحة مع المعسكر الملكى ، بما فى ذلك تغيير مسمى الدولة من جمهورية عربية يمنية إلى دولة اليمن الإسلامية ، مما أحدث ردة

فعل عنيفة فى أحياء العاصمة فى مطلع شهر أكتوبر ، أسفرت عن سقوط العشرات من القتلى مـــن المدنيـــين والعسكريين الذين أطلقوا صيحة "الجمهورية أو الموت".[١٦] وفسرت القوى الجمهوريـــة المتشـــددة ، على أن هذه الخطة بوحى من تيار القوى الثالثة ، الذى أشتد نفوذه فى ظل الفراغ السياسى من جراء انسحاب القوات المصرية من اليمن .

وحـــتى لا يترك الأمر ملتبساً حول هذه المسألة الحيوية الجمهورية أو الموت تذكر الباحثة جلوبوفسكايا إيلينا فى دراستها الموثقة الموسومة (التطور السياسى للجمهورية العربية اليمـــنية) ، أنـــه منذ بدء حصار صنعاء فى نهاية شهر نوفمبر عام ١٩٦٧ ، " غادر العاصمة أعضـــاء الحكومة والغالبية العظمى من الشخصيات السياسية الفاعلة إلى الحديدة أو الخارج . ورأوا أن مهمتهم تكمن فى العمل على وصول اللجنة الثلاثية إلى اليمن . وكان هذا هو موقف رئيـــس مجلس الوزراء محسن العينى ، ورئيس المجلس الجمهورى عبد الرحمن الإريانى ، ورئيس المجـــلس الوطـــنى عبد الله بن حسين الأحمر . والوحيد حسن العمرى القائد العام للقوات المســـلحة – ، الذى ظل فى صنعاء تحت ضغط من قبل الضباط الصغار المتعاونين مع المقاومة الشعبية ، والذى رفض فى بداية الأمر فكرة التعاون مع اللجنة الثلاثية . " [١٧]

كان قرار القيادة المصرية بسحب قواتها من اليمن فى نوفمبر ١٩٦٧ ، قد عجل بظهور وصاية الفقيه المحتسب . وبالرغم من أن قيادة الجيش اليمنى قد تعهدت بالتزام مبدأ الحياد فى الصراع على السلطة ، فإنها كانت قد اكتسبت مهارة فائقة فى استغلال الرموز السياسية ذات الـــثقل الاجـــتماعى فى المجـــتمع . وهذا ينطبق على دور ضباط الجيش فى انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، الذى ساهم فى إيصال القاضى عبد الرحمن الإريانى إلى سدة الحكم . [١٨] وللحيلولة دون تفـــرد العســـكريين بالســـلطة والحكم ، حرص الإريانى على تطبيق فكرة مبدأ الحكم الجمـــاعي، عـــندما قام بتشكيل مجلس جمهورى بزعامته، وعضوية كل من الشيخ أحمد محمد نعمان ، والشيخ محمد على عثمان، والسيد أحمد محمد الشامى (وزير خارجية المملكة المتوكلية اليمانية الأسبق)، ثم الفريق حسن العمرى بعد استقالة النعمان. [١٩] وكان هذا الحدث التاريخى إيذاناً بنهاية عهد السلال (١٩٦٢ – ١٩٦٧) ، وبداية عهد الإريانى (١٩٦٨–١٩٧٤) ، الذى حافظ على اسم الجمهورية شكلاً لا مضموناً ، بتشكيل مجلس جمهورى ، بدلا من مجلس عسكرى ، تحت مبدأ الحكم الجماعى المدنى .

لقد ولد المجلس الجمهورى مشلولاً منذ البداية بالتناقضات السياسية بين قياداته المدنية، ليتحطم فيما بعد على صخرة المؤسسة القبلية والمؤسسة العسكرية ، اللتان تحديتا صلاحيات وصاية الفقيه المحتسب . وكانت صيغة المجلس الجمهورى معادلة سياسية مقبولة ومفهومة بوضوح بين السلطة والمعارضة المتنامية داخل وحدات القوات المسلحة، التى أخذت قيادتها الجديدة تعارض بقوة فكرة المصالحة مع الملكيين.[20] فالزعامة السياسية للحركة الانقلابية التى قادها الإريانى ، طرحت نفسها كقيادة شرعية تسعى إلى حل المشكلة اليمنية ، وإحلال السلام فى ربوع اليمن محل الحرب بين الاخوة الأعداء فى المعسكرين – الجمهورى والملكى . ولم تكن الحركة التصحيحية تسعى إلى إحداث تغيير شامل فى مؤسسات الدولة ، وإنما كان هدفها فى الأساس هو إسقاط حكم السلال العسكرى ، والدعوة إلى حكم الشورى والدستور . وكان التناقض الأول فى التحرك ضد السلال ، أن الشعب اليمنى يطمح إلى تغيير افضل ، وقادة الحركة الانقلابية يطمحون إلى السلطة .[21]

إن تحليل حركة ٥ نوفمبر الانقلابية ، من زاوية كونها مبنية على إعادة إصلاح الخلل الكامن فى ميزان القوى السياسية فى عهد السلال، يكشف عن اتجاهين سياسيين رئيسيين: الاتجاه الأول ، يضم كتلة خمر ، ويمثله خير تمثيل الرعيل الأول من الساسة المدنيين المخضرمين من جيل عام (١٩٤٨) ، وكبار مشايخ القبائل والضباط ، الذين اظهروا حماسا منقطع النظير للحل السلمى والمصالحة مع المعسكر الملكى والنظام السعودى . والاتجاه الثانى ، يضم خليطا من التيارات السياسية الشابة ذات التوجهات القومية واليسارية (ناصريين وبعثيين وماركسيين) ، التى كانت تلقى دعماً قوياً من الضباط الصغار فى مؤسستى القوات المسلحة والأمن ، فضلاً عن اتحاد عمال اليمن المعارضة لفكرة المصالحة مع المعسكر الملكى ومن يقف وراءه . وقد أدى هذا الاختلاف بين الاتجاهين المتضادين إلى حدوث انقسام سياسى حاد، لا سيما بعد إحراز الشطر الجنوبى من الوطن الاستقلال ، والإعلان عن قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، ككيان سياسى جديد ، اتخذ من عدن عاصمة للحكم ، ودخل تنظيمه الجبهة القومية فى مواجهة عسكرية مكشوفة ضد حكومة صنعاء فى مطلع عقد السبعينيات .[22]

وبالرغم من ذلك فإنه من الضرورى التسليم بثقل الجناح الجمهورى المحافظ فى صنعاء ، بزعامة القاضى الإريانى ، الذى كان يميل إلى استقطاب المعارضة الملكية للانضواء تحت قيادته حتى يتمكن من إقصاء العناصر الجمهورية المتشددة فى الجيش ومؤسسات الدولة.[23] وقد يكون من عوامل نجاح المجلس الجمهورى فى استقطاب عدد كبير من الوجهاء والأعيان نحو

التصـــرف وفقا لمصالحهم ، (٢٤) إذ كان على رأس هذا المجلس ، ساسة محنكون خبرتهم الحياة وخـــبروها ، من أمثال النعمان والإريانى ، اللذين اظهرا مرونة متناهية فى التصالح مع المعسكر المـــلكى والـــنظام السعودى ؛ كما أفضى ذلك إلى توقيع معاهدة السلام مع حكومة المملكة العـــربية السعـــودية ، والتى ترتب عليها العفو السياسى عن الملكيين (المغرر بهم) ، وبالتالى الاعتراف والتمثيل الدبلوماسى المتبادل بين صنعاء والرياض . (٢٥)

كـــانت هـــناك صفات إيجابية فى المرشح الجديد لرئاسة الجمهورية القاضى عبد الرحمن الإريـــانى ، شدت الانتباه فى الساحة اليمنية والعربية ، فهو سياسى مخضرم يميل إلى الاعتدال فى مواقفه السياسية ، بل ويقبل المساومة وأنصاف الحلول مع الأصدقاء والخصوم . (٢٦) وهذا التعيين لرئاسة المجلس الجمهورى كان يحظى بتأييد مطلق من قبل فقهاء الزيدية المنخرطين الآن فى خدمة النظام الجمهورى . وبهذه المناسبة جرى احتفال كبير بالعاصمة صنعاء تم فيه نقل رفاة شـــيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى من مقره السابق بمقبرة خزيمة إلى مثواه الأخير فى باحة جامع الفليحى . (٢٧) كما تم نقل رفاة أبى الأحرار الشهيد محمد بن محمود الزبيرى من مقبرة خزيمة إلى مقبرة الشهداء . ومنذ ذلك التاريخ ، حرص المجلس الجمهورى على إقامة مهرجانات ثقافية سنوية فى ذكرى إحياء تراث الزبيرى ، تعبيراً عن هذا التحول الذى طرأ على البلاد فى ظـــل تلاشى الدور المصرى وبروز الدور السعودى . وكانت الزعامة الجديدة فى اليمن تتوقع هذه المرة أن تتلقى دعماً غير محدود من المملكة العربية السعودية نظراً لأن هيبة مصر العربية قـــد زالت فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وأصبح بوسع السعودية أن تلعب الآن الدور الإقليمى فى المنطقة الذى كانت تلعبه الجمهورية العربية المتحدة . (٢٨)

ولعل ما نجده مناسباً هنا لتفسير هذا التحول من صيغة الحكم العسكرى الفردى فى عهد المشـــير السلال إلى صيغة المجلس الجمهورى الجماعى فى عهد القاضى الإريانى ، تلك الروابط والصلات المتوترة بين الريف والمدينة ، التى أوصى الزبيرى بتوصير روابطها ، مشترطاً الخضوع لهـــا حســـب قوله: " .. ولا قيمة لمن ينحرف من الأفراد عن هذا المسار." (٢٩) فمنذ مصرع الابتســـامة عـــام ١٩٤٨ ، والـــزبيرى ورفاقه يطمحون لتحقيق ذلك اليقين الثورى ، الذى جســـدته تجربة حزب الله خلال فترة ١٩٦٣ – ١٩٦٥ . ولم يأت النجاح إلا مع استخدام مصـــطلحات سياســـية امتزجت تعبيراتها الوطنية بخطاب دينى صوفي: الذات اليمنية ، العقدة اليـــزنية ، وأبـــناء قحطـــان ، بهدف تعبئة جماهير الريف والمدينة حولها ، لتصبح صنعاء مجدداً

عاصمة للسلطة والحكم يتربع قمتها أهل الحل والعقد ، كما كانت عليه فى عهد الدولة القاسمية .

إن موقع الريف والمدينة فى عهد القاضى الإريانى بات موزعاً ولائه بين السلطة المحلية الخاضعة لنفوذ ومشيئة شيوخ القبائل ، وبين السلطة المركزية فى صنعاء الخاضعة لنفوذ ومشيئة المؤسسة العسكرية الحاكمة . وإذا كان الدور المصرى قد ساهم فى تغيير البناء السياسى بشكل أعمق فى عهد السلال ، فإن هذا الدور أخذ يتراجع بشكل ملحوظ فى ظل الدور السعودى المتنامى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، مستفيداً من الخلافات القائمة بين حكومتى صنعاء وعدن . لكن هذه المرة فى ظل المجلس الجمهورى ، ممثلاً بشخص شيخ الإسلام عبد الرحمن بن يحيى الإريانى ، باعتباره عالماً زيدياً متسنناً يرقى لمستوى لعب دور وصاية الفقيه المحتسب فى زمن غيبة الإمام الفاضل والمفضول ، ظل هذا الدور مقصوراً على تلك التناقضات العميقة الكامنة فى المجتمع اليمنى ، أو بتعبير أكثر دقة بين شطرى اليمن شماله وجنوبه . فالريف القبلى – وليس الرعوى – لم ينفتح على سلطة المركز (صنعاء) فحسب ، بل وعلى سلطة أطراف المركز المجاور (الرياض) ، بهدف حماية تواجده وكينونته فى إطار الأنظمة العشائرية المتواجدة فى المنطقة .

وللتكيف مع هذا الواقع الجديد ، اتبع المجلس الجمهورى الحاكم فى صنعاء سياسة مزدوجة. فعلى الصعيد النظرى – استمر التأييد التام للجناح القبلى بزعامة الشيخ عبد الله الأحمر ، وبقيت العلاقات السياسية متوترة مع حكام الجبهة القومية فى عدن ، باعتبارهم طغمة انفصالية مارقة عن الصف الجمهورى . بل إن حكومة صنعاء ، جددت تهديداتها بقيام وحدة فورية دون شروط مسبقة إبان التصفية السياسية لعناصر جبهة التحرير داخل عدن وخارجها. [٣٠] فى الوقت نفسه شجع المجلس الجمهورى انضمام العناصر الملكية الذين أعلنوا تنصلهم عن " مجلس الإمامة " بانضمامهم إلى " المجلس الجمهورى ". ولعل ذلك هو ما وسع هوة الخلاف بين السلطة والمعارضة. [٣١] وللمجلس الجمهورى مبرراته السياسية فى هذا التحول ، فان إغفال السعودية كقوة إقليمية فاعلة فى شبه الجزيرة العربية من شأنه أن يؤدى إلى سد فراغ القوة الناجم عن انسحاب الجيش المصرى من اليمن فى أكتوبر عام ١٩٦٧ . [٣٢] وقد مهدت السعودية لذلك بحملات إعلامية ، ودعم سياسى لشيوخ العشائر اليمنية ، ومساعدات اقتصادية محدودة لحكومة صنعاء . [٣٣]

كانت هذه التوجهات السياسية الجديدة فى عهد القاضى الإريانى (١٩٦٨-١٩٧٤)، تمثل بالفعل بداية النهاية للعهد الثورى الذى شهده اليمن فى عهد المشير السلال (١٩٦٢ – ١٩٦٧). ولم تكن تجربة المقاومة الشعبية ، إلا استثناءً سياسياً فى عهد الرئيس الإرياني، اقتضى تأسيسها الموقف السياسي والعسكرى المتدهور فى أعقاب انسحاب القوات المصرية من اليمن . [٣٤] وبانتهاء معركة الدفاع عن صنعاء عملت الحكومة على إلغاء هذه المنظومة العسكرية الشعبية ، ودمج من تبقى من عناصرها على قيد الحياة فى صفوف القوات المسلحة والأمن العام، التى أصبحت بدورها تقع تحت نفوذ كبار الضباط من ذوى الارتباطات القبلية بتحالف حاشد وبكيل. وفى هذا القرار يكمن الصراع بين القديم والجديد فى اليمن الجمهورى . [٣٥] ويبدأ الواقع المرير الذى عجزت القوى الاجتماعية عن مواجهته ، حيث وجد التيار الجمهورى المحافظ فرصته السانحة لإحكام الحصار حولها تمهيداً للقضاء عليها .

ولقد كان إحلال فكرة (الجيش الشعبى القبلى)محل (الجيش النظامى الحديث) أكبر ضربة توجه إلى مصالح القوى الجديدة فى اليمن الجمهوري، التى احتلت مواقع قيادية متقدمة فى رئاسة هيئة الأركان ومجلس الدفاع الوطنى إبان حصار السبعين يوماً . [٣٦] ويعود أحد عوامل ظهورها وازدهارها ، إلى الدور المصرى فى اليمن ، فقد شجعت القيادة المصرية على انخراط عدد كبير من المتطوعين فى صفوف الحرس الوطنى ، التى انبثقت عنها فيما بعد القوات المسلحة النظامية، لتحل محل القوات السابقة (الجيش الدفاعي والبرانى) ، المعروف بولائه للنظام الملكي . وكان الجيش الجمهورى النظامى الذى تم تدريبه فى مصر تدريبا حديثاً، قد عاد إلى اليمن ليكتسب خبرة قتالية على ارض المعركة ضد فلول المرتزقة من الملكيين . [٣٧] أما ضباطه فقد كانوا يتحلون بقدر من الانضباط العسكرى والوعى السياسي الوطنى ، وهم فى هذا الاتجاه من اكثر الفئات الاجتماعية تمسكا بالنظام الجمهورى . ولم يكن أمرا سهلا على القيادة السياسية (المجلس الجمهورى) إقناع القيادات الشابة فى مؤسسة القوات المسلحة والأمن بقبول فكرة المصالحة الوطنية مع العناصر الملكية ، التى قاتلت ضد النظام الجمهورى .

ويحدد أحد المخضرمين السياسيين ، طبيعة الصراع فى الصف الجمهورى ، بقوله :
" فبينما كان اليسار(الجديد) يرى أن التشدد والحزم الثوريين هما الوسيلة الوحيدة للدفاع عن الثورة والجمهورية وترسيخها ، كان اليمين (القديم) ، يقترح نهجاً يتسم باللين والتساهل ، ويعتمد على المصالحة مع الملكيين ، باستثناء الأسرة المالكة ، وأسلوب كسب المتمردين على الثورة ، وضمهم إلى صفها . " [٣٨] ونتج عن ذلك انقسام سياسى خطير فى الصف الجمهورى

بـين القـديم من جيل(١٩٤٨)، والجديد من جيل (١٩٢٦) ، وقد تركـت التفسيرات الـنظرية لمصطلحات الثورة والجمهورية والوحدة الوطنية ، آثاراً لا تمحى فى انعدام الثقة بين الكـثير من الساسة اليمنيين أنصار الخيار الثورى فى اليمن ، وبين الجمهوريين المنشقين أنصار الدور القبلى فى البلاد ، الذين أصبحوا الآن فى قمة السلطة . ووصل النظام الجمهورى فى عهد الإريـانى إلى حالـة مـن التشـويه المتعمد لمبادئ الثورة اليمنية الستة ، التى اعتبرتها أجهزة إعلام السلطة أفكاراً مستوردة من الخارج يقصد بذلك المؤثرات السياسية والثقافيـة لثورة ٢٣ يوليـو المصرية على تنظيم الضباط الأحرار اليمنيين، قبل وبعد قيام ثورة (٢٦) سبتمبر ١٩٦٢. [٣٩] وقيـل إن المجلس الجمهورى فى عهد الإريانى تحول إلى مجلس وجهاء وأعيان ، أو بتعـبير أدق أصـبح أقرب ما يكون بمجلس إمامة . حيث لم يبق من النظام الجمهورى غير الاسم والعلم والنشيد لا أكثر .." [٤٠]

وكـان الخـلاف بادئ الأمر يدور حول مسائل تتعلق بمستقبل الثورة اليمنية والنظام الجمهـورى ، أكثر مما يتعلق بشئون الزعامة والمصالح الأسرية السلالية . ولكن الخلاف اتسع فيما بعد واكتسى ثوباً طائفياً وعشائرياً، إذ لم تمض ثلاثة أعوام حتى بدأت التجربة الجمهورية تفـرغ مـن محـتواها ، وتحولـت الـزعامة الجمهورية للمجلس الجمهورى إلى قيادة فردية مهزوزة محلياً ، تتقاذفها أهواء الشخصيات المتنفذة ومراكز القوى داخل المؤسستين العسكرية والقبـلية . [٤١] وبهـذا فقد أعضاء المجلس الجمهورى صلاحياتهم، وأصبحوا يشكلون جزءاً مـن المـرجعية السياسـية، بوصـفهم أعضـاء ناشطين فى مجلس الرئاسة، لكنهم مسلوبى الإرادة والمواطنة . فقد أتهم (الشيخ أحمد محمد نعمان) بالخيانة العظمى ، وجرد من جنسيته اليمـنية . [٤٢] أما (السيد أحمد محمد الشامى) ، وهو وزير الخارجية الملكى وعضو نشط فى مجـلس الإمامـة المـنحل ، فلم يرق له الوضع الجديد ، وقد فضل تقديم استقالته من المجلس الجمهـورى ، ليستقر به المطاف فى بيروت ، حيث تعرض هناك لمحاولة اغتيال سياسي. ولقى العضـو الثالث (الشيخ محمد على عثمان) حتفه بمدينة تعز فى ظروف غامضة ، رغم تكليف رئيس المجلس الجمهورى – لجنة قضائية نزيهة برئاسة القاضى غالب بن راجح المقداد ، للنظر فى ملابسات الاغتيال ، وتقديم الجناة لمحاكمة عادلة . [٤٣]

إن ما حصل فى عهد القاضى الإريانى لم يكن إذن ائتلافاً سياسياً فعلياً حول صيغة مجلس جمهـورى ، أى حكـم جماعى ، بل كان لقاء مؤقتاً بين عناصر سياسية طموحة تتبنى أهداف وبـرامج متباينة الأغراض والمقاصد . ففى حين كان الإريانى يتطلع للعب دور وصاية الفقيه

المحتسب ، باعتباره عالماً مجتهد مؤهل للقيام بأمر الرئاسة ، كان السيد الشامى باعتباره علوياً فاطمى يأنس فى نفسه الكفاءة للقيام بأمر الإمامة ، يحاول إلغاء الأدوار الأخرى لمن دونه . أما الشيخان أحمد محمد نعمان ومحمد على عثمان ، كانا بدورهما يتطلعان إلى لعب أدواراً مناسبة لحجمهما فى الحياة السياسية ، حيث لم يقبلا أن يضعا نفسيهما تحت إمرة فقيه قحطانى أو سيد هامشى ، يضطلع بهذا الدور وتكون له الكلمة النافذة . (٤٤) أما الفريق حسن العمرى ، فهو عسكرى محترف ، يتمتع بشعبية فى وسط الجيش ، كان بدوره يرغب أن يحل محل الجميع بالرغم من تعهداته المستمرة باحترام الدستور والقانون . ولربما كانت الشهرة التى اكتسبها فى معارك الدفاع عن الثورة والجمهورية قد زادت من الفرص السياسية لهذا القائد العسكرى أن يتحول حاكماً عسكرى مطلق لليمن . ولكن محاولته الناجحة فى سحق خصومه من الضباط الصغار فى قيادة الجيش لم تؤهله ليصبح سياسياً ناجحاً فى استغلال التناقضات السياسية داخل المجلس الجمهورى ، الذى كان فى طريقه إلى التحول من مجلس مدنى إلى مجلس عسكرى ، بل وقبلى . (٤٥) وبانضمام العمرى إليه ، عاد العسكر إلى السلطة مجدداً هذه المرة للمشاركة فى الحكم بملابس مدنية .

ولهذا ظل ميزان المرجعية السياسية فى البلاد يتأرجح فترة من الزمن ، وظل أعضاء المجلس الجمهورى فى كثير من الحالات يتعاملون مع العمرى بما هو عسكرى ، كما فعلوا مع السلال ، حتى قال رئيس المجلس (القاضى الإريانى) ذات مرة مندهشاً : " طردنا المشير (يقصد السلال) من النافذة ، وجاء لنا الفريق (يقصد العمرى) من الباب، يالها من مفارقة .. ! "(٤٦) وقد ضاق الإريانى ذرعاً بالعمرى حتى جآت المناسبة ، عندما أقدم الفريق على ارتكاب حماقة شخصية (بقتله المصور الحرازى) ، لم يفوتها القاضى له هذه المرة ، حيث أكره العمرى على مغادرة البلاد منفياً إلى القاهرة . (٤٧) وعلى إثر ذلك تم استدعاء الشيخ أحمد نعمان من بيروت إلى صنعاء ، لينضم مجدداً إلى عضوية المجلس ، كما اسند إليه منصب رئيس الوزراء ، بهدف إصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية فى البلاد ، من جراء المجاعة والقحط وشحة الأمطار ، جنباً إلى جنب مع انتشار الفوضى ، وتفشى ظاهرة الرشوة ، والفساد المالى والإدارى والمحسوبية الوظيفية ، وذلك ما أصبح صفة ملازمة لهذه الفترة العصيبة من تاريخ اليمن المعاصر . (٤٨)

إن الدروس المستقاة من تجربة الجمهورية العربية اليمنية تؤكد أن البناء السياسى والاجتماعى من حيث نهجه وتكوينه كان يصب فى إذكاء النزعات العشائرية والجهوية،

الـــتى زادت مـــن حدتهـــا أحداث الحرب الأهلية وملابساتها السياسية بين إقليمين جغرافيين متصـــارعين تاريخياً : اليمن الأعلى (الشمال) ، واليمن الأسفل (الجنوب) . بالإضافة إلى مسلســـل الـــتدخلات الخارجيـــة ، التى ساهمت فى تشكل الوعى الوطنى بالقضية الجمهورية وإنضـــاجه . غير أن هذا الدعم القومى للجمهورية العربية المتحدة رغم ضخامة حجمه ، ظل محـــدوداً مـــن حيـــث مدته واستمراريته . وهذا يعود لأسباب عديدة ، تطرقنا لها فى سياق الدراسة ، ونكتفى هنا بالقول إن الدور السعودى كان سبباً مباشراً فى طمس منجزات الدور المصرى ، نظراً لأن المجتمع اليمنى لم يكن مؤهلاً لاستيعاب ذلك الدور القومى العربى التحررى فى عهد السلال .

وأيـــاً كان حجم الدور السياسى الذى لعبته العناصر المشايعة لزعامة حزب الله فى حل جـــزء مـــن إشـــكالية السلطة ، فقد تم التوصل إلى صيغة المجلس الجمهورى ، مع بداية عهد القاضى الإريانى، التى عمدها الشهيد الزبيرى بدمه . وكان الهدف من وراء تلك الصيغة ، على مـــا يـــبدو إحباط أية محاولة عسكرية أو قبلية ، للهجوم على السلطة واغتصابهـــا من علماء الديـــن، وغالبيتهم ينتمون إلى شريحة القضاة القحطانيين حراس الشـــريعة المطهرة فى العهد الجمهورى . وقد انعكس كل ذلك على الحياة السياسية والثقافية ، بعد أن تحولت مؤسسات الدولـــة إلى واجهات لا تحقق للشعب شيئاً ، كما أصبح مجلس الشورى أشبه ما يكون بسوق عكـــاظ ، أو بتعبير آخر محفلاً للقوى التقليدية من وجهاء الريف وأعيان المدن . (٤٩) وبالتالى تحـــول جهـــاز الأمن السياسى إلى أداة قمعية انحصرت مهمتها فى محاربة كل أشكال ومظاهر الـــثقافة الحديـــثة، ومطـــاردة العناصر الجمهورية وتصفيتها جسدياً.(٥٠) وكان هذا التصرف التعســـفى هو الشغل الشاغل للجهاز والحكومة فى عهد وصاية الفقيه المحتسب ، الذى تحالف مع شيوخ القبائل بهدف تعزيز مكانته ونفوذه . هذه الوضعية يؤكدها القاضى إسماعيل الأكوع ، حيث يشير إلى عملية تعيين القاضى الإريانى بالقول إنه بلغه من أحد المقربين للأسرة المالكة " .. أن الحســـن ابـــن الإمام يحيى حميد الدين قال بعد أن بلغه تولى القاضى عبد الرحمن الإريانى رئاسة الدولة : " الآن يئسنا من العودة إلى اليمن حاكمين . " (٥١)

لقـــد كـــان انتصار المعارضة على السلطة من سلسلة الانتصارات التى تحققت لها منذ منتصـــف عـــام ١٩٦٥ ، التى أجاد القاضى الإريانى استغلالها . فبعد رحيل القاضى الزبيرى أصـــبح الإريانى هو المرشح الأقوى لزعامة المعارضة ، باعتباره شخصية دينية مقبولة لدى أهل الحـــل والعقد ، الذين حرصوا على إلغاء جميع أنواع السلطات العسكرية والقوانين الوضعية

المتعارضة مع خط الشريعة الإسلامية والأعراف القبلية . وفى ظل غياب حرية الصحافة والعمل السياسي العلني، أصبح الشعار السياسى الأثير لدى رئيس المجلس الجمهورى ، ينحصر فى هذه العبارات المؤطرة : "من تحزب خان" ، و"الحزبية سواء جآت بمسوح الرهبان أو قرون الشيطان مرفوضــة" ، و"الحزبية تبدأ بالتأثر وتنتهى بالعمالة" ، و"آخر العلاج بالكي" . (٥٢) وأصبح كــل مظهر من مظاهر الثقافة الجديدة مرفوضاً لكونه مستورداً ، باستثناء السيارات الفارهة، وغيرهــا مــن المواد الكمالية ، فهى لا تدخل فى عداد الأشياء المستوردة . وهى تمثل كذلك وبشــكل حاسم ، ردة فعل المعارضة التى أصبحت فى موقع السلطة ضد تيار الحركة القومية العربية فى جنوب الجزيرة .

إن عمــلية وصف السياسة اليمنية واستقصاء بعض خصائصها عملية فى غاية الصعوبة، ويخشــى الباحث ألا تخلو الكثير من الملاحظات المتعلقة بتجربة حزب الله عن الواقع السياسى المعــاش على ضوء تجربة التجمع اليمنى للإصلاح ، الذى يشكل امتداداً طبيعياً لما سبق — مع مــراعاة الفارق الزمانى للتجربتين . ومع ذلك يمكن أن نقدم الآن باستجلاء بعض الملاحظات العامة. إن عدد أبناء الوجهاء والأعيان فى مجلس النواب فى مرحلة الجمهورية اليمنية يفوق عدد ممثــلى البرجوازية الحضرية — من تجار وموظفين ، وضباط ومثقفين وسياسيين محترفين . وإذا كــان بعــض الأعيان المسنين (القاضى عبد الله العرشى والشيخ عبد الله الأحمر) ، يحتفظون بــبعض النفوذ ، فإن سلطتهم هى الآن فى طريقها إلى الزوال باضمحلال سلطة المجتمع القبلى عــلى الدولــة فى المســتقبل القريب . ولا يتوقع أن يخوض التجمع اليمنى للإصلاح عملية التحريض السياسى أو المناطحة العسكرية مع السلطة ويضحى بأوراقه الرابحة فى الائتلاف .

ومهمــا يكن الأمر ، فإن تجربة حزب الله ، رغم أنها لم تعمر أكثر من ثلاثة أعوام — من أكــتوبر ١٩٦٢ حــتى إبريل عام ١٩٦٥ ، فإن المعارضة الدينية والقبلية للسلطة العسكرية الحاكمــة فى صــنعاء ، ظلت صفة ملازمة لتنظيم الإخوان المسلمين — فرع اليمن ، حتى قيام دولة الوحدة فى ٢٢ مايو ١٩٩٠ . (٥٣) وكان هدف السلطة منصباً على تحجيم دور العلماء فى الحياة السياسية ، حيث طورت تقليداً دينياً يقضى بالخضوع لها ، عملاً بذلك المبدأ القرآنى الذى ينص على طاعة أولى الأمر . ومن ثم ، فإن السلطة الحاكمة فى دولة الوحدة استطاعت بمهــارة احتواء المعارضة الدينية فى إطار تنظيمات سياسية ، تضفى على الدولة شرعية سياسية أكثر مما تضفى على الأحزاب .

شـــكل اندحـــار المعارضـــة الدينية (حزب الله) آخر حلقة فى مسلسل تفسخ الحركة الإسلامية ذات الطابع العقائدى فى اليمن الجمهورى . وتمثلت المراحل الرئيسة لذلك المسلسل فى احـــتواء الـــتجمع الـــيمنى للإصلاح ، وابتعاد شخـــصيات كثيرة من زعاماته عن الحياة السياسية . وبهذا الشكل ، أطبقت المؤسسة العسكرية والمؤسسة القبلية على مقاليد الأمور فى الـــبلاد، إلى حًد دفع بأحد الباحثين اليمنيين إلى القول "إنه يصعب التمييز فى اليمن بين دولة القبيـــلة وقبيلة الدولة." (٥٤) لقد تلقت كلا النخبتين العسكرية والقبلية تربية عسكرية وقبـــلية متشابهة فى تصورها السلطوى للحكم ، وفى احتقارها الشديد لقيادات المجتمع المدنى ولاسيما التكنوقراط والمثقفين الذين كثيراً ما يراعون قواعد اللعبة السياسية فى البلاد . وليس أدل على ذلك من تعليق رئيس الوزراء اليمنى الدكتور عبد الكريم الإريانى على محاولة اغتيال الدكـــتور حسن مكـــى رئيس الـــوزراء الأسبق – من قبل الشيخ ناجى عبد العزيز الشايف بهذه العبارة :" يوم ذبحت الثيران ذبحت الدولة !" (٥٥)

وعـــلى هامش المعارضة السياسية للنظام القائم ، كانت مهمة تنظيمات المعارضة ، وفى مقدمـــتها الحزب الاشتراكى اليمنى مقاربة لمهمة حزب الله ، الذى كانت قيادته تقف مكتوفة الأيدى فى مواجهة نظام السلال المـــدعوم سياسياً وعسكرياً من قبل الجيش المصرى المرابط فى الـــيمن حيـــنذاك . ومثـــلما اتهمت قيادة حزب الله بالخروج على الثوابت الوطنية أهداف ومـــبادئ الثورة الستة – ، اتهمت قيادة الحزب الاشتراكى بالخروج على الشرعية السياسية والدعـــوة إلى الانفصـــال . وإذا كانت هذه المقارنة لا تحمل فى طياتها عدة مفارقات ، فـــإن المفارقـــة الكبرى تكمن فى شخص الزبيرى ، الذى حاول المحافظة على صلات طيبة مع كافة الأطراف المعنية فى الحرب الأهلية فى اليمن – من جمهوريين وملكيين وقوى ثالثة ؛ لكنه لم يحظ بثقة إحدى هذه التجمعات السياسية المتعارضة ، التى كانت تنظر بعين الريبة لمشروع حزب الله فى اليمن . (٥٦)

وهكـــذا كـــانت الكتابات اليقظة التى تبحث فى شعر الزبيرى الوطنى وفكره السياسى الجمهـــورى ، تمـــزج بين الواقع (حزب الله) والأسطورة (القاضى الزبيرى) ، لكى لا تقع فريســـة فى لائحـــة المحظـــور من الكتابة العلمية الموضوعية ؛ ولم تكن مجمل تلك الدراسات والأبحاث خالية من المداخلات الجادة ، فيما لو تذكرنا تلك الملاحظات النقدية ، التى أطلقها أحد الباحثين اليمنيين فى مجرى تعليقه على– ظاهرة الزبيرى : " إننا نناقش الزبيرى كما عاش ونحاول فهم دوره ، منذ أن غير موقفه فى عام ١٩٦٢ ، وقال إنه يعود إلى جذوره ويتحد بها.

ومنذ تلك اللحظة كف، عن أن يرى الوشائج التى تربطه باليمن الجديد . وليس وحيداً فى تغيير موقفه . فهو والنعمان وصلا إلى نفس النقطة وإن كان من دروب مختلفة . سكن الزبيرى فى (حزب الله) ، ولجأ النعمان إلى السعودية . انه المصير التاريخى لحركة الأحرار ، التى وصل أحد أعضائها إلى رئاسة الجمهورية بعد انقلاب الخامس من نوفمبر [١٩٦٧] . وصورت رئاسة الجمهورية الجديدة وكأنها تصحيح لخطأ أسهم فيه عبد الله السلال أحد رجال انقلاب عام ١٩٤٨ .. ومهما كان نجاح الأسطورة المؤقت، فإنما تحول الإنسان الحى إلى شبح ، عندما ينقشع الضباب وتبرز ملامح الصورة الحقيقة . فما أجدرنا بالإسراع فى تقديم الصورة الحقيقة بإنصاف ومحبة ، يستحقها رجل سقط شهيداً فى سبيل أفكاره . " (٥٧)

ماذا نستخلص من هذه الملاحظات حول القاضى الزبيرى وحزب الله ؟ يجب علينا ألا نتحرى الكمال فى سيرة الزبيرى الأدبية والسياسية ، رغم إصرار خلفاؤه المنخرطين فى خدمة الحزبين الحاكمين (المؤتمر والإصلاح) على مصداقيته وقدسيته؛ وهم فى مسلكيتهم ينهجون نهجاً مخالفاً لذلك النهج الذى خطه بدمه ، باعتباره رجل مبادئ وأهداف . فشخصية الزبيرى تستدعى من الدارسين والباحثين المهتمين بسيرة القاضى أو تجربة حزب الله ، التعرف عن كثب على الوسط الأسرى والقبلى ، ومكانة التكوين الثقافى الدينى الذى حصل عليه من ناحية ، فى وعى الاستلاب الذى فرضه النظام الملكى (الإمامى) عليه وعلى أقرانه من جيل ١٩٤٨ . ومن ناحية ثانية معرفة الأسباب الموضوعية التى دفعت القاضى لمعارضة النظام الجمهورى (العسكرى) ، ومن ناحية ثالثة معرفة الدور الإصلاحي الذى كان يتطلع للعبه فى عهد السلال .

إن إشكالية تقييم تجربة الجمهورية العربية اليمنية ، فى ضوء الصراع المحتدم على السلطة بين الرئيس السلال ، وزعيم المعارضة القاضى الزبيرى ، يجعلنا نستنتج الأسباب الموضوعية التى عمقت الخلافات بين الرجلين ، كونهما كانا يختلفان جذرياً فى تكوينهما الثقافى والسياسى والاجتماعى . فالأول عسكرى مغامر أكثر منه ثورى محترف ، والثانى فقيه متدين ينتسب لتنظيم الإخوان المسلمين مغرقاً فى صوفيته إلى حد الانفصام مع الواقع فى العهد الجمهورى ، الذى كان يزعم الانتماء إليه . (٥٨) وظاهرة حزب الله – من وجهة نظرنا – تعج بالتناقضات بين مفهومى الثورة والدولة ، أى على حد تعبير الزبيرى نفسه اليقين الثورى والحكم الشعبى ؛ فهو لم يجد أمامه سوى الخروج ، أى الثورة على الثورة ، أو الانقلاب على الذات وعلى

الآخـــر ، محـــاولاً بذلك تقديم حلول سريعة لمشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية عصية فى المجتمع اليمنى .

لهذا كله فانه من الصعوبة بمكان إصدار حكم جاهز مفاده أن خروج الزبيرى عن نظام الســلال كــان خروجاً مطلقاً عن النظام الجــمهورى . فالجمهورية كنظام سياسى كان قد اســتوعبه فى ذهنه وفق تصور فقهي لماهية الولاية العامة ، أى الرئاسة ، يسير دفتها أهل الحل والعقد ، لكنها لم تكن تتطابق تماما مع تصور الطليعة الثورية الجديدة من العسكريين والمثقفين والـــتجار من ذوى الميول القومية، الذين استوعبوا فى ذهنهم التجربة الناصرية. (٥٩) فمفهوم القاضـــى الـــزبيرى للـــنظام الجمهـــوري، كما عبر عنه اصدق تعبير فى برنامج حزب الله ، لا يتعارض مع أهداف ومبادئ الثورة الستة، من حيث أنها تتساوى فى أطروحاتها الفكرية مع مبادئ الكتاب والسنة والقياس والإجماع والرأى ودليل العقل والنقل. فالخطوة الأساسية التى باشرها الزبيرى فى بداية حياته حيث بدأ أديباً صوفياً "فروحانيتى جنى عليها الأدب" ، ثم اصبح شاعراً وطنياً " وأدبى عوقب بالسياسة " (٦٠) وكان مثله الأعلى فى الحكم قريباً من المثل الأعلى لذى فقهاء القرون الوسطى،فهو لم يَحِدْ قيد أنملة عن مقولة الحديث الشريف للرسول صلى الله عـــليه وسلم " الأئمة من قريش" . فاعتبر نظام السلال خروجاً عن إجماع أهل الحل والعقد ؛ لكـــنه لم يكـــن يعـــتقد أن خـــروجه عن نظام السلال كان بمثابة خروجاً مطلقاً عن النظام الجمهورى .

وإذا كان الزبيرى قد نجح إلى حد ما فى أداء دوره كمعارض سياسى للنظام الجمهورى ، فـــإن هـــذا الدور بالنسبة لقيادة التجمع اليمنى للإصلاح يبدو غير وارد فى الوقت الراهن . فالإصلاحيون رغم اقترابهم من نار السلطة وتزلفهم لها غير موثوق بهم سياسياً ، ومشاركتهم فى الائتلاف الحاكم لا يتعدى وزارات محدودة (العدل ، والأوقاف ، والتموين) . وحكومات حـــزب المؤتمـــر الشعبى العام رغم عدم اكتراثها بالقيادات الدينية لحزب التجمع ، وقيادات التنظـــيمات والأحزاب القومية الأخرى (البعث والاشتراكى والناصرى) من جهة أخرى ، قد أعطت عنايتها الخاصة للمؤسسة القبلية ، حيث عينت الشيخ الأحمر فى أعلى مركز الدولة – رئاسة مجلس النواب .

رغم ما تطرحه هذه المعادلة السياسية لكل شكل من أشكال التناقضات العميقة الكامنة فى صلب المجتمع اليمنى فى عهود مختلفة من تاريخ اليمن الإسلامى والحديث ، إنها لا تستطيع

إخفاء التعبير الفعلي لدور المؤسسة القبلية فى الحياة السياسية سلباً وإيجاباً . فالمجتمع اليمنى من أساسه مجتمع قبلي متماسك ، بل وحاذق فى إدارته للصراع مع الطرف الخارجي والداخلي ، مستعداً لتقديم التنازلات والانحناء أمام العواصف القوية ؛ لكنه يعود بعد ذلك للظهور على السطح بقوة محتفظاً بحيويته ومقدرته على الصمود والبقاء . فعندما تكون الدولة قوية ، تخضع القبيلة لموظفيها ومأموريها ، حيث يتم التعايش على مستويات مختلفة بين الشريعة الإسلامية وأعراف القبيلة ؛ وعندما تضعف الدولة تحاول القبيلة تمثيل بعض أدوارها ، وهنا يلعب الأذواء والأقيال (الشيوخ والنقباء) دوراً مهماً فى الحياة السياسية . وهكذا يصعب التفريق أحياناً بين قبيلة الدولة (حالة الدولة) وبين دولة القبيلة (حالة اللادولة) . وهكذا تشكل القبيلة لبعض الباحثين من مثل فضل أبو غانم ومحمد الظاهرى نهاية التاريخ بالنسبة للمشكلة اليمنية . (٦١)

إن التخطيط الثورى الكلي والمتكامل لم يكن له نصيب فى التجربة الثورية فى اليمن ، كما تؤكد ذلك أدبيات حركة المعارضة الوطنية . ولهذا فإن دراسة واقع السلطة والمعارضة فى اليمن الجمهورى لا يمكن أن يثبت عبر سلسلة من المفارقات الواقعة بين الأطراف المختلفة ، واختلافات بين النظرية والتطبيق الفعلي لاهداف ومبادئ الثورة. (٦٢) ولعل وقائع مؤتمرات عمران وخمر وحرض وقراراتها وتوصياتها، تعكس هذا الواقع السياسى الحافل بالتناقضات ليس بين صفوف المعسكر الجمهورى فحسب ، بل بين صفوف المعسكر الملكى ، أى القوى الثالثة ، التى أخذت تروج لمشروع دولة اليمن الإسلامية فى مؤتمر الطائف (٦٣)، وفى مؤتمر القمة العربي المنعقد فى الخرطوم . (٦٤) كما بقى الصراع على السلطة مستمراً وحاداً بين القوى السياسية والاجتماعية فى الساحة اليمنية ، حتى بعد الإطاحة بحكومة السلال فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، ظل الخلاف قائماً بين رئيس المجلس الجمهورى القاضى الإريانى ورئيس مجلس الشورى الشيخ الأحمر ، حول سياسة الحكومة الداخلية تجاه المؤسسة القبلية من جهة ، وسياسة الحكومة الخارجية تجاه المملكة العربية السعودية من جهة أخرى . (٦٥)

لقد عايش اليمن الجمهورى تحولات سياسية واجتماعية عميقة ، أفصحت عن تساؤلات المجتمع ورغباته الاستمرار فى قبول صيغة المجلس الجمهورى ، سواء فى عهد القاضى الإريانى أو فى عهد أسلافه من الحكام العسكريين . غير أن التحول الدرامى فى مجريات السياسة اليمنية المعاصرة، لا سيما بعد قيام دولة الوحدة، كشف الائتلاف الحاكم (المؤتمر الشعبى العام والتجمع اليمنى للإصلاح) عن توجهاته الدينية والقبلية ، حيث تقاسما الأدوار بينهما ، مثلما تقاسماها تماماً فى مرحلة الجمهورية العربية اليمنية ، عندما وقف مشائخ حاشد وفقهاؤها

فى صف المعسكر الجمهورى ، وقفت بكيل وأشرافها فى صف المعسكر الملكي. وكانت القوى الإقليمية - مصر والسعودية - المتورطة فى الصراع، بدورها تتحمل أعباء هذه الحرب المكلفة مـــن المال والرجال . وكان المستفيد بالدرجة الأولى من مجمل هذا الصراع المؤسسة القبلية ، الـــتى ظـــلت لقرون طويلة من الزمن تعيش على هامش السلطة ، بحيث أصبحت فى الوقت الحاضـــر تتمثل دور المركز (السلطة) ودور الطرف (المعارضة) فى آن واحد . وهنا تكمن إشكالية السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر ، حيث تتقمص القبيلة دور الدولة . وهكذا تظل الحيـــاة السياســـية تتمحور حول مفهوم دولة القبيلة ، ومن ثم يتلاشى دور دولة المؤسسات والقانون لصالح أعراف القبيلة وتقاليدها .

هوامش الفصل الثامن

(١) العمراني : الزبيري ، سبق ذكره ، ص ٤٤٠.

(٢) شحرة : مصرع الابتسامة ، سبق ذكره ، ص ٤٦ .

(٣) أحمد : الدور المصري ، سبق ذكره ، ص ٥٠٦-٥٠٧ .

(٤) أحمد : الحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٤١ .

(٥) نشأت منذ عهد الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) ، وحتى عهد القاضي عبد الرحمن الإرياني (ت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) ، شريحة واسعة من العلماء ، ملأت وظائف الدولة العليا ، وقامت بمناصب القضاء والفتيا ، وكادت تبسط قبضتها على رئاسة الدولة . ونحن نتطرق هنا إلى علمين من أعلامها (الزبيري والإرياني) ، اللذان كانا يتطلعا إلى منصب رئاسة الجمهورية . وهذا الطموح تعكسه مطارحات الإرياني في كتاب محمد أحمد نعمان : من وراء الأسوار ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٦) القرشي : شعر الزبيري ، سبق ذكره ، ص ٨٨ .

(٧) راجع مقالة : " من قياداتنا التاريخية " الصادرة عن القطاع الطلابي لتنظيم التجمع اليمني للإصلاح بجامعة صنعاء ، العدد الأول إبريل ١٩٩٩ ، ص ٣ .

(٨) عبده : الطائفية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٦-٢٧ .

(٩) العمراني : الزبيري أديب اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٦٦ .

(١٠) دافع المقالح بحرارة متناهية عن خروج الزبيري من صنعاء إلى ريدة ، دون أن يخطر في باله أن القاضي كان يعد العدة للدعوة والخروج عن نظام السلال باعتباره فقيهاً وصياً على النظام الجمهوري ، بل ومحتسباً على رئيس الجمهورية . قارن بين قراءة المقالح لسيرة أبي الأحرار في كتاب : الزبيري ضمير اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٤٧ ، وملاحظته النقدية للمؤسسة الإمامية في كتاب : قراءة في فكرة الزيدية، سبق ذكره ، ص ٤٣ .

(١١) مقالة : " من قياداتنا التاريخية " الصادرة عن القطاع الطلابي لتنظيم التجمع اليمني للإصلاح بجامعة صنعاء ، العدد الأول إبريل ١٩٩٩ ، سبق ذكره ، ص ٣ .

(١٢) الجناحي : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص٢٥٤ .

(١٣) مانع : الأحزاب والتنظيمات السياسية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦ .

(١٤) انظر :

Little: South Arabia, Arena of Political Conflict, p. 176.

(١٥) حـول ملابسـات اللجـنة الـثلاثة وعضويتها انظر محجوب : الديمقراطية فى الميزان ، سبق ذكره ، ص ١٦٠ وما يليها .

(١٦) الجاوى : حصار صنعاء ، سبق ذكره ، ص ٢٦ .

(١٧) جلوبوفسكايا : التطور السياسى للجمهورية العربية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١١٢-١١٣ .

(١٨) انظـر الـبيان الأول الحركة ٥ نوفمبر البيضاء التصحيحية فى صحيفة الثورة الصادرة فى صنعاء فى ٥ نوفمبر من عام ١٩٩٧ ، ص ١-٢ .

(١٩) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٨٣ .

(٢٠) الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٢١) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة ، سبق ذكره ، ص ٥٦ .

(٢٢) قـارن ما ذكر عن تفاصيل هذا الصراع السياسى بين حكومتى صنعاء وعدن فى كتاب عبد الرحمن بن يوسـف بن حارث : الوحدة اليمنية ، ص ١٢٢- ١٢٤، وما ذكره أحمد عطية المصرى : النجم الأحمر فوق اليمن ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢٣) القاسمى : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٦٣ .

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) فى شـهر إبريل من عام ١٩٧٠ اعترفت الحكومة السعودية بالنظام الجمهورى ، وبهذا الاعتراف يكون الـيمن الجمهـورى قد ختم فصل الحرب الأهلية التى دامت رحاها نحو ثمان سنوات ؛ وكان من ثمارها الانـتقال بالبلاد من عصور الظلام إلى مشارف العصر الحديث وحضارة القرن العشرين . انظر باديب : الصراع السعودى المصرى حول اليمن الشمالى ، سبق ذكره ، ١٦١ .

(٢٦) إلى جـانب شـهادة عـبد الـملك الطيب فى التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ٢٤٣ ، نستشهد هنا بشـهادة أخـرى وردت فى كتاب حصار صنعاء شهادات للتاريخ ، إعداد مركز الدراسات والبحوث الـيمنى، ج٢ ، ص ٨٠ ، عـلى لسان أحد المشاركين فى الندوة (يحيى حسين الكوكبانى) مشيداً بدور القاضى الإريانى الذى أقترح الآتى : " تشكيل وفداً إلى المملكة العربية السعودية، للتفاهم معها ، ونسبق البدر المخلوع ، قبل أن يسبقنا إليهم، وبالتفاهم معهم لابد أن يعترفوا بالثورة ، بدون حرب وسفك دماء، فإرسال الوفد خير من الدبابة . " !

(٢٧) مـن المسـاجد العامـرة فى الجهـة الشمالية من صنعاء ، وهو من أحسن المساجد وأنفسها ، شارك فى تشـييده ، الحاج أحمد بن عبد الله الفليحى (ت ٦٦٥ هـ) ، والإمام المتوكل على الله شرف الدين يحـيى بـن شمس الدين فى القرن العاشر من الهجرة ، جنباً إلى جنب مع الإمام المهدى عباس بن المنصور .

وفى محيطه يقع قبر الإمام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى صاحب كتاب الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار ، وقبر الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة ، ورفاة الإمام محمد بن على الشوكانى . انظر محمد بن أحمد الحجرى : مساجد صنعاء وعامرها وموفيها ، ص ٩٠ – ٩١ .

(٢٨) لمزيد من التفاصيل ، راجع كتاب أحمد : الدور المصرى فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٤٧٩ – ٤٨٣ ، و :

Hudson. Op. cit. p. 345 - 346.

(٢٩) الطيب : التاريخ يتكلم ، سبق ذكره ، ص ١٥٠ .

(٣٠) انظر :

Ledger. Op. cit. p. 167-168.

(٣١) الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص ٣٠٥ .

(٣٢) للإطلاع على التغيير المفاجئ فى السياسة اليمنية ننصح بالرجوع إلى كتاب الأسودى : حركة الأحرار اليمنيين ، سبق ذكره ، ص ٤٠٤–٤٠٥ ، ومطهر : يوم ولد اليمن مجده ، سبق ذكره ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

(٣٣) لورنس : اللعبة الكبرى ، سبق ذكره ، ص ٢٠٨ .

(٣٤) انظر كلٍّ من الأسودي: حركة الأحرار اليمنيين، سبق ذكره ، ص ٤٠٤–٤٠٥، ومطهر : يوم ولد اليمن مجده ، سبق ذكره ، ص ١٩٢ – ١٩٣ ، والجناحى : الحركة الوطنية اليمنية ، سبق ذكره ، ص ٤٣٣ .

(٣٥) أسهمت عوامل سياسية وتاريخية عدة فى احتكار وظائف الدولة المهمة لعناصر معينة من سكان الهضبة الشمالية فى العهد البائد . منذ إعلان قيام المملكة المتوكلية اليمانية عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٦١ ، كان تمثيل سكان الهضبة الوسطى والسهول الجنوبية محدوداً للغاية فى أجهزة الدولة . وبعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ، حدث انقلاب جذرى فى البنية السياسية ، فقد أفسح المجال أمام أبناء الشعب اليمنى للانخراط فى سلك الخدمة المدنية والعسكرية ، دون أية اعتبارات مذهبية أو مناطقية . وفى هذا التحول السياسى والاجتماعى والاقتصادى يكمن الصراع بين القديم الإمامى والجديد الجمهوري. راجع جار الله عمر : القيمة التاريخية لمعركة حصار السبعين يوماً ، ص ١٢٢ – ١٢٣ . وأحمد أحمد فرج : رجال فى خنادق الدفاع عن الثورة ، ص ٢٣٩ .

(٣٦) الجاوى : حصار صنعاء ، سبق ذكره ، ص ١٩ – ٢٠ .

(٣٧) الأشول : الجيش والحركة الوطنية ، سبق ذكره ، ص ٢٥١ .

(٣٨) عفيف : الحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٨ .

(٣٩) من إجابات العنسي ، سبق ذكره .

(٤٠) عفيف : الحركة الوطنية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٣٨ .

(٤١) سلطان : الثورة اليمنية وقضايا المستقبل ، سبق ذكره ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٤٢) في شهادة تاريخية استثنائية أدلى بها العميد يحيى المتوكل لمحرر صحيفة الخليج الإماراتية في عددها رقم (٧٨٧٣) الصادر يوم الخميس ١١ رمضان ١٤٢١هـ / الموافق ٧ ديسمبر ٢٠٠٠ ، حول هذه المسألة معلقاً : " كان الجميع مرحباً بالاتفاق وعلى رأسهم القاضي الإرياني .. بالإضافة إلى الأستاذ النعمان . ومن المفارقات الغريبة والتصرفات المحزنة في تاريخ الثورة أن دعوة النعمان هذه كانت سبباً في تجريده من الجنسية اليمنية .. وقد أدت معارضته تلك إلى أن يصدر الفريق العمري مرسوماً بحرمانه من الجنسية اليمنية ، وهو قرار انفعالي صدر خلال حرب السبعين ، ولم يعمل به . " انظر تفاصيل المقابلة في صحيفة الأيام ، العدد ٣٢٥٨ ، ٨ يناير ٢٠٠١ / الموافق ١٣ شوال ١٤٢١هـ ، سبق ذكره ، ص ١٠ .

(٤٣) انظر كتاب الرأي العام: أبرز الأحداث اليمنية في ربع قرن ، سبق ذكره ، ص ٣٧.

(٤٤) من إجابات النعمان ، سبق ذكره .

(٤٥) كانت فرصة المجلس الجمهوري محدودة في محاولته الحد من نفوذ العسكريين عن العمل بالسياسة ، ولكن هذا الاتجاه لم يقدر له النجاح في عهد القاضي الإرياني ، المشهود له بالكفاءة في إدارة الصراع طبقاً لتلك الموازنات القبلية والمناطقية الموروثة من العهد الملكي البائد . انظر الريس : رياح الجنوب ، سبق ذكره، ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٤٦) من إجابات الشيخ نعمان ، سبق ذكره .

(٤٧) كان أطراف الصراع- الملكي والجمهوري - ، قد تخلصوا من شخص محمد الزبيري عن طريق الدعوة إلى حزب الله ، مما دفع الشيخ أحمد نعمان اللجوء إلى السعودية تحت ظروف قهرية ، لا سيما بعد اغتيال نجله محمد أحمد نعمان بمدينة بيروت في صيف عام ١٩٧٤ . حيث أتاحت هذه الحادثة ، الفرصة للفريق العمري أن يشق طريقه إلى عضوية المجلس الجمهوري ، باعتباره قائداً عسكرياً ساهم في حركة ١٩٤٨ ، مثلما ساهم بشكل مباشر في قيادة القوات المسلحة في حرب السبعين يوماً . انظر :

Hudson. Op. cit. p. 346.

(٤٨) فشلت سبع حكومات ابتداءً بحكومة محسن العيني ، وانتهاءً بحكومة حسن مكي خلال هذه الفترة ١٩٦٨-١٩٧٤، في الوصول إلى حل يحقق لليمن استقراره ، ويصون سيادته . كما شهدت البلاد هجرة جماعية واسعة النطاق للعمالة اليمنية، التي ضاق بها العيش في الريف والمدينة ، في اتجاه دول وإمارات شبه الجزيرة العربية المنقوعة بالثروة النفطية ، ليؤمنوا لليمن دخلاً اقتصادياً جيداً بالعملة الصعبة (الدولار

الأمـــريكي)، ســـاعد في تخفيف حدة الأزمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي عانت منها البلاد طوال فترة حكم القاضي عبد الرحمن الإرياني . أنظر :

J.C. Swanson: Emigration and Economic Development: The case of the Yemen, p. 55.

(٤٩) الريس : رياح الجنوب ، سبق ذكره ، ص ٣١٥ .

(٥٠) القاسمي : الوحدة اليمنية ، سبق ذكره ، ص ١٦٣ .

(٥١) الأكوع : هجر العلم ومعاقله ، سبق ذكره ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٥٢) راجع خطاب رئيس المجلس الجمهوري القاضي عبد الرحمن الإرياني في صحيفة الثورة (صنعاء) ، العدد (٥٩١) ، سبق ذكره ، ص ١ – ٢ .

(٥٣) مانع : الأحزاب والتنظيمات السياسية في اليمن ، سبق ذكره ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧. (٥٤) برزت إلى الوجـــود تكتلات حزبية وأسرية عديدة ارتبط أعضاؤها مع بعضهم برابطة مناطقية أو عشائرية أكثر من ارتـــباطهم بالمبادئ العقائدية . وكانت آثار ذلك خطيرة على مستقبل الحياة السياسية والثقافية في اليمن المعاصـــر ، فقـــد أضعفت مثل هذه التكتلات الولاء الوطني لدى قطاع واسع من أبناء الشعب . راجع أبو إصبع : النخبة السياسية الحاكمة في اليمن ، سبق ذكره ، ص ١٥٩ .

(٥٥) المـــراد بعبارة " ذبحت الدولة " ، مرتبط بتلك الحادثة التي جرت في إحدى ضواحي العاصمة صنعاء في إبـــريل عـــام ١٩٩٤ ، بعد مشادة كلامية بين رئيس الوزراء الأسبق الدكتور حسن مكي وشيخ مشايخ بكيـــل عبد العزيز الشائف داخل مقر اللجنة العليا للمؤتمر الشعبي العام . ورغم انتهاء المشادة بسلام ، ترصـــد الشيـخ المذكور ورفاقه للدكتور خارج المقر ، وفور خروجه صوبت تجاهه نيران المدافع الرشاشة ، ممـــا أسفر عن مقتل اثنين من مرافقيه وجرحه شخصياً . وقد حلت المشكلة بطريقة قبلية (الهجر) ، أي ذبـــح ثوريـــن مـــن الماشية في عقر دار الشخص المتضرر من الحدث ؛ وفي ذلك إشارة واضحة للاعتذار والإقرار بالخطاء ، وطلب الصفح والمعذرة . انظر استطلاع شوقي رافع : " مفاتيح اليمن ديمقراطية تقاتل على خطوط التماس " ، مجلة العربي ، العدد ٤٦٦ (سبتمبر ١٩٩٧) ، ص ١٢٨ .

(٥٦) انظر :

Al-Msaudi: "The Islamic Movement in Yemen", Middle East Affairs Journal, Vol. 2 No. 2-3 (Winter / Spring 1995), p. 32-33.

(٥٧) عبد السلام : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة في اليمن ، سبق ذكره،ص ١٠٠–١٠١ .

(٥٨) انظر مقالة مطهر الإرياني في الموسوعة اليمنية ، سبق ذكره ، ج٢ ، ص ٨٣٥ .

(٥٩) الصياد : السلطة والمعارضة ، سبق ذكره ، ص ٢٩٩ وما تليها .

(٦٠) الزبيري : ثورة الشعر ، سبق ذكره ، ص ٦.

(٦١) انظر الملاحظات السوسيولوجية الواردة فى مقالة بول دريش حول العلاقة الشائكة بين الدولة والقبيلة فى العهدين الملكى والجمهوري." الأئمة والقبائل : كتابة وتمثيل التاريخ فى اليمن الأعلى ، مترجم عن كتاب اليمن كما يراه الأخر ، سبق ذكره ، ص ٢١٥ – ٢٥١ ، وانظر أيضاً كلّ من أبو غانم : القبيلة والدولة . القاهرة : دار المنار ، ١٩٩٠ ، والظاهرى : الدور السياسية للقبيلة فى اليمن . القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٩٠ .

(٦٢) يجب الإشارة هنا إلى الملاحظات النقدية التى ضمنها الراحل محمد أحمد نعمان فى كتابه : الأطراف المعنية فى اليمن تحت عنوان (والمخرج ص ٩٧ وما بعدها) ؛ وهى ملاحظات سياسية وثقافية تحليلية تشكل من وجهة نظرنا تحليلاً عقلانياً لأبعاد المشكلة اليمنية تتناول النظام الاجتماعى فى اليمن المعاصر .

(٦٣) راجع تفاصيل البند السادس الواردة فى قرارات وتوصيات مؤتمر الطائف فى كتاب على محمد العلفى : نصوص يمانية ، سبق ذكره ، ص ١٤٥ .

(٦٤) محجوب : الديمقراطية فى ميزان ، سبق ذكره ، ص ١٦٤ .

(٦٥) الريس : رياح الجنوب ، سبق ذكره ، ص ٣٢١ – ٣٢٢ .


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

ملاحــق الكتــاب



كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

الملحق الأول

مـؤتمر عمـران ١٩٦٣ م

(القسم العظيم)

نحن معشر اليمانيين القادمين من كل أنحاء اليمن ، الممثلين لكل مناطقها وفئاتها وقبائلها ، والمعبرين عن شـــرفها وكرامتها ، المتطلعين إلى مستقبلها الصاعد المشرق ، والمودعين لظلام ماضيها العاجز الحزين . نقسم بـــالله العلى العظيم وبكل مقدساته ، أنّا قد صممنا بعد هذا المؤتمر التاريخى الأكبر أن نصبح إخوة متعاونين ، وأن نحافظ على وحدة الوطن ، ونحارب كل أنواع الانقسام والتمييز ، وأن نحتكم إلى شريعة الله ، وإلى المؤتمر الشعبى فيما شجر بيننا ، وأن نجعل الدين الإسلامى أساساً لحياتنا الخاصة والعامة ، ومصدراً للتقنين والتشريع ، ومعيـــاراً للسلوك الفردى والجماعى ، ونوراً فى طريقنا الثورى التقدمى الصاعد ؛ وأن نلتف حول جمهوريتنا حـــتى آخر قطرة من دمائنا ، وأن نكون متضامنين فى سبيل تنفيذ كافة قرارات المؤتمر الشعبى ، وأن ندافع عن كـــل من يتعرض لأى أذى من الأعداء بسبب حضوره وعمله فى المؤتمر ، وأن نقوم بكل واجب وجهتنا إليه قرارات المؤتمر الشعبى . ونحن المؤتمرين نقرر على بركة الله وبهدايته وتوفيقه ، أننا شعب يدخل أبواب التاريخ من جديد ، وهو متحمل تبعات جسام من أجل التطور والتقدم الثورى ، وأنه إذا كان قد أرغم على التوقف عـــن أعمال الحياة دهراً طويلاً ، فإنه يشعر بأن عليه أن يعوض ما فاته من تقدم ورقى وأن يلحق بركب الحياة مســتمداً قوتــه من ماضيه العريق وطاقاته الكامنة ، ومن سر الأنظمة الجماعية التعاونية التى جاء بها الإسلام وأقـــرتها الأمم التقدمية الحديثة . وسوف يعمل المؤتمر على إرشاد الجماهير الشعبية وتوجيهها لكى تبنى الحياة الاجـــتماعية والاقتصادية والزراعية والتعليمية والصحية والدفاعية بناءً جماعياً تعاونياً ، يساعد الحكومة على تحقيـــق أهدافهـــا الثورية فى أوساط الشعب بيد الشعب، كما يساعد الشعب ، على تنفيذ أهدافه فى أوساط الأجهزة الحكومية . ونحن المؤتمرين قد قررنا القرارات الآتية :

١- يؤكد المجتمعون فى المؤتمر إيمانهم بالجمهورية وتمسكهم بها كنظام فى اليمن لا بديل له ، بل ولا محيص عنه ، حتى تتبدل الأرض ومن عليها ، لأنها هى النظام الذى جاء به الإسلام ، ولأن الملكية مرفوضة فى كتاب الله وشـــريعته ، ولذلك فإنهم يعاهدون الله على نصرة النظام الجمهورى وتدعيمه إلى آخر قطرة من دمائهم ، يوالون من يواليه ويعادون من يعاديه ، ويعتبرون أعداءه اليهود والاستعمار والرجعية وكل من يصر على إفســـاد الـــنظام الجمهورى وتشويه عظمته بالاستغلال والانحراف أو التمييز بين المواطنين أو حرمانهم من حقهـــم فى العدل والحرية والشورى ، وإذا كان الشعب سيحارب الأعداء والمتسللين من الخارج فكذلك يعاهد على صيانة النظام الجمهورى من كل زيغ قد يحدث داخل الأجهزة الحكومية عملاً بقوله عز وجل : ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)) .

٢- يقـــرر المجتمعون بأنهم وجميع من يمثلونهم من جماهير المدن والقرى والقبائل متضامنون فيما بينهم ، فالعدل لهم جميعاً وهو حق مقدس . فهم متناصرون على هذا الحق ويد واحدة على كل من خالفه ، وعند الخلاف عليه فيما بينهم كفئات أو قبائل أو الخلاف فيما بينهم وبين أى مسئول حكومى ، فإنهم يعاهدون الله على ألا يـــلجؤوا إلى سلاح ولا إلى الخيانة ، وإنما يرجعون إلى تحكيم شريعة الله بواسطة الهيئة الدائمة للمؤتمر وهى بدورها تتصل بالجهات المختصة فى الدولة .

٣- يضـــمن المؤتمـــر لإخوانهـــم الفارين والشاردين الذين غرر بهم أعداء الشعب ، الأمان وصيانة أعراضهم وأموالهـــم وعـــدم مؤاخذة أى فرد منهم بما أقترف من قبل عقد المؤتمر ، وإعلان الأمان لهم . وهذا عهد يعـــاهد المؤتمـــر عليه الله عهداً أكيداً لا ينقض ولا يحل ، وعلى إخواننا الشاردين الاستجابة لنداء المؤتمر بعودتهم إلى بلدهم ووطنهم آمنين مطمئنين لا يمسهم سوء ولا مكروه ، ولا ينالهم أذى ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وليكونوا عند حسن الظن بهم من احترام المواثيق والعهود وألا يحدثوا حدثاً ؛ ولا ينقضوا عهداً، وليعملوا بإخلاص فى سبيل تدعيم جمهوريتهم العادلة المتمشية مع كتاب الله وسنة رسوله، والمقيمة لشريعة الإســـلام العامـــلة من أجل إسعاد الشعب ورخائه . ومن نقض هذا العهد والميثاق فهو خائن لله ولرسوله ولوطنه ويستحق العقوبة بحسب ما يقترفه ، والمؤتمر يقوم باسم الشعب ضد من يخون أو يغدر بهذا الميثاق .

٤- قـــرر المؤتمر تكوين جيش شعبى قوامه ثمانية وعشرون ألف مقاتل من جميع أبناء الشعب تحت قيادة شعبية يقوم بمواجهة كل متمرد لا يستجيب لنداء المؤتمر الشعبى ، وذلك بجانب القوات المشتركة الرسمية ومقره الرئيسى مدينة (عمران) الخالدة .

٥- طـــالب المؤتمر إعادة النظر فى المرتبات من أول مسؤول إلى آخر مسؤول ما عدا من مرتبه ثلاثون ريالاً ، ونقرر أن يكون الخصم كالآتى :

(أ) من فوق (٣٠) ريال إلى (١٠٠) يخصم (١٥) .

(ب) مـــن (١٠٠) إلى (١٥٠) يخصـــم (٢٥) والوزراء وأعضاء مجلس الرئاسة يخصم ما فوق (٢٠٠) وتبقى لهم ثابتة .

(جـــ) لا يجوز أن يزيد مرتب أعلى موظف فى الدولة عن (٢٠٠) ريال .

وهذا مؤقت ينتهى بانتهاء المشاكل العسكرية .

٦- إن المؤتمر يعلن استنكاره الشديد للعدوان البريطانى الاستعمارى على بلادنا فى حريب ويؤيد الحكومة فيما اتخذتـــه وتـــتخذه ضد بريطانيا من إجراءات سياسية فى المجال الدولى أو حربية للدفاع عن المناطق المعتدى عليها ، وإننا نحن معشر المجتمعين بقبائلنا وعلمائنا وضباطنا وجنودنا وشبابنا ، لنشهد الله والعالم أجمع وهيئة الأمـــم بأنـــنا لن نقف مكتوفى الأيدى ضد العدوان البريطانى، وإننا نتابع جهود حكومتنا الثورية ، فإن أجدت وسائلها السياسية لوقف هذا العدوان ، وإلا فإننا سنقاتل العدوان بالمثل عملاً بقوله تعالى ((ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)) وبالكلمة العربية الخالدة نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا .

٧- إن شعبنا اليمني الوفي الذي يستفزه العدوان البريطاني السعودي لينظر في إعجاب وإكبار إلى موقف الجمهورية العربية المتحدة من ثورته ووقوفها إلى جانبه للدفاع عن حدوده وبذلها التضحيات الغالية في سبيل حريته ونهضته وهو يعاهد الله على الوفاء لهذا الدم العربي الغالي ، وسوف يربط مصيره بمصير هذا الشعب العربي الشقيق لتحقيق الأخوة العربية الإسلامية عملاً بكتاب الله وسنة رسوله .

٨- يوجه المؤتمر بمناسبة انعقاده تحيته الصادقة وثقته البالغة إلى الرئيسين العظيمين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس عبد الله السلال ويؤكد للعالم تأييدهما والسير وراءهما ، ويحتقر الدعايات المعادية وسخافاتها وإشاعاتها ، ويرجو للرئيس السلال الشفاء العاجل لكي يعود إلى ممارسة واجباته ويبذل أقصى جهوده لإصلاح الأجهزة الحكومية ، كما يرجو منه العناية الكاملة بتنفيذ ما يتعلق بالحكومة من قرارات المؤتمر وتوصياته .

٩- يراقب المؤتمر في قلق بالغ ما تذيعه محطة عدن الاستعمارية ، وتروجه عن الدعوة الانفصالية المذهبية التي يروج لها المدعو عبد الرحمن البيضاني ، وعن الدس الوضيع بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة ، ويناشدون كل محطات الإذاعة بالقاهرة وكل وسائل الإعلام فيها أن ترد على هذه الدعوة المسمومة ، وتدين المدعو عبد الرحمن البيضاني بما يستحق حتى تطمئن خواطر أبناء الشعب .

١٠- يناشد المؤتمر ضمائر كل دول العالم وشعوب العالم وهيئة الأمم وكل المنظمات التابعة لها ، ويلفت أنظار الجميع إلى الفظائع المنكرة والاعتداءات الظالمة والمؤتمرات الإجرامية ، التي يقوم بها الاستعمار البريطاني والرجعية ضد جمهوريتنا العربية وضد وحدة الشعب وأمنه وسلامته وكل ذلك من أجل أن يستنزفوا دمه وثروته ويعطلوا حركته ويعوقوا تقدمه ويحرموه من حقه الطبيعي في اختيار المصير الجمهوري الذي ارتضاه .

كما يؤكد المؤتمر أن الجمهورية العربية المتحدة ، إنما جاءت بقواتها إلى اليمن لكي تحمي حدوده من العدوان السافر ، وتساعد شعبنا على أن يأخذ حقه في الحياة حراً مطمئناً آمناً من كل عدوان خارجي ، وهي بذلك تعبر عن الضمير الإنساني الشريف وعن كل القيم الإنسانية الفاضلة .

١١- يطالب المؤتمر جميع الشعوب العربية الشقيقة وكل المنظمات العربية والإسلامية الحرة ، أن تؤازر الجمهورية العربية اليمنية على نيل حقها وصيانة حريتها ووحدتها ، وأن تساعدها بكل الوسائل ضد كل أنواع العدوان ، ضد كل المؤامرات الاستعمارية والرجعية ، وأن تطالب حكوماتها على الأقل بقطع العلاقات مع الحكومة البريطانية والسعودية إذا كانت جادة في نصرة حقنا نحن عرب اليمن في الحرية والتقدم والرخاء لتستطيع اليمن السير في ركب الحياة الحديثة جنباً إلى جنب مع شعوب الأمة العربية الناهضة ، وللمساهمة في الخطى النضالية نحو الوحدة العربية الشاملة ولاسترداد حقوق عرب فلسطين المغتصبة .

١٢- يتابع مؤتمر عمران بفخر واعتزاز موقف المؤتمر العمالي وحزب الشعب الاشتراكي في جنوبنا اليمني ، في نضاله المتواصل ضد الاستعمار والانفصاليين ؛ راجياً لهما النجاح ومؤيداً كل مساعيهما الوطنية .

١٣- يؤيد مؤتمر عمران قرار الحكومة الذى اتخذته ضد المدعى عبد الرحمن البيضاني، من سحب الجنسية اليمنية ومنعه من دخول أرض الجمهورية العربية اليمنية ، كما يقر المؤتمر إدانته وكل من يتعاون معه بأى شكل من الأشكال بالخيانة العظمى للشعب اليمني.

١٤- بناء على أن الثورة قد رسخت واستقرت، وأن الجمهورية قد أصبحت فى ضمان القوى الشعبية التى لا تقهر ولاتقهقر ولا تخون ولا يعجزها تعقب الخائنين ، فإن من حق هذه الجماهير أن تحترم الجمهورية رغبتها فى تحويل محكمة الشعب العسكرية بصنعاء إلى محكمة شرعية يختار لها مجموعة من علماء الشرع الأحرار من كافة المناطق يتولون محاكمة جميع المتهمين الذين لم تصدر ضدهم أحكام أو من يتهم فيما بعد ، ويجب أن يكون حكم هذه المحكمة الشرعية نهائياً متحرراً من كل نفوذ غير نفوذ الشريعة السماوية المطهرة لضمان حق الإنسان الأساسى من أن لا جريمة إلا بنص ولا عقوبة إلا بعد محاكمة عادلة .

١٥- يطالب المؤتمر برفع القيادات العسكرية من المناطق التى لا تحتاج عمليات عسكرية فى القضوات والنواحى ، وأما المناطق التى يلزم بقاؤها فيجب أن تنحصر مهمتها فى الشؤون العسكرية فقط على أن يتحمل إدارة شؤون هذه المناطق العمال والحكام والشرطة .

١٦- يطالب المؤتمر أعضاء مجلس الرئاسة بأن يؤدوا الأمانة التى فى أعناقهم نحو شعبهم وبلادهم ، وسيحاسبهم على كل تقصير ، كما يطالب المؤتمر باعتبار مجلس الشيوخ الأعلى هو المجلس الشعبى الذى يمثل الشعب ، على أن تضم إليه اللجنة المركزية ومجموعة أخرى من العلماء العاملين وذوى الرأى الصالح باختيار مجلس الشيوخ نفسه ويسمى مجلس الشورى اليمنى ، ويتولى مناقشة وتوجيه المسؤولين فى أجهزة الدولة على أن يكون مجلساً دائماً للبلاد ، ويبقى أعضاءه الحاليون ومن سينضم إليهم بصورة مؤقتة حسب الدستور إلى أن يتم الانتخاب العام فى البلاد ، كما يطالب المؤتمر بتحديد المسؤوليات وتكوين جهاز لمراقبة الموظفين الذين يخلون بواجبات وظائفهم ومحاكمة كل من ينحرف عن واجبه أو يثبت عنه محسوبية أو رشوة أو ظلم أو أى شيء يضر بمصالح الشعب .

١٧- يجب على الحكومة تنفيذ رغبات الشعب اليمنى المتمثلة فى القرارات الصادرة فى مؤتمر عمران الخالد .

١٨- نطالب بتخصيص معتقلات سياسية .

١٩- إلغاء عقوبات العهد البائد وأساليبه المنافيه لشريعة الإسلام العادلة .

٢٠ - إعادة النظر فى الرتب العسكرية التى منحت منذ قيام الثورة ولا يجوز منحها إلا لمستحقيها عن جدارة وذوى الماضى الشريف .

٢١- تنتخب الهيئة العامة للمؤتمر أمانة عامة للمؤتمر تتولى التعقيب على تنفيذ قرارات المؤتمر سواء ما كان منها واجباً حكومياً أو شعبياً ، وتتألف الأمانة العامة من العلماء والمشايخ والشباب المستقيم ويكون مساعد الرئيس والسكرتارية ضمن أعضائها .

٢٢- يؤكد المؤتمر أن أعضاءه جميعاً ، ومجلس شورى المؤتمر ، والأمانة العامة ، ورئاستها ، كلها مؤقتة تنتهى صلاحياتها بعد إجراء الانتخابات ، يحل محلها فى الجلسة القادمة للمؤتمر ولا يمنع هذا أن يرشح الجميع أو البعض أنفسهم للانتخابات مرة أخرى .

٢٣- يعقـد المؤتمـر جلساته الدورية كل ستة أشهر ويجوز للأمانة العامة استدعاء مجلس شورى المؤتمر فى أى وقت تراه عند الضرورة .

٢٤- على الأمانة العامة أن تصدر خلال ستة أشهر قانوناً للمؤتمر ومشروع ميثاق دائم ليتم إقراره فى المؤتمر القادم بعد مناقشته .

٢٥- للأمانـة العامـة أن تستعين لتنفيذ قرارات المؤتمر بتأليف لجان من كافة الفئات وعليها أن تنشر تعاليم المؤتمـر على جميع المواطنين ، وأن تساعدهم على تطبيقها بصورة ثابتة منظمة وأن تضع القوانين واللوائح التى تساعدها على التنفيذ .

٢٦- نعاهد الله على أن ينصح كل منا فى العمل لله ولرسوله وللحكام الجمهوريين الإسلاميين وعامتهم ، وأن نكـون يداً واحدة مع الحق آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر أينما كان ، وممن كان ، مقيمين لكتاب الله وسنة رسوله وأن يحمى كل منا الآخر مما يحمى منه نفسه وولده وأهله مهما كان ، مستقيماً على كتاب الله وسنة رسوله عن طريق الحق ، ومن خان العهد هذا فكلنا حرب عليه فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام .

٢٧- نطـالب رئيـس الجمهورية بالدستور وأن يكون لنا مجلس الوزراء بدلاً من المجلس التنفيذى ويعين له صلاحيات كاملة وعلى أبى الأحرار أن يتعين مجلس الوزراء ونحن نحمله هذه المسؤولية بالنيابة عنا ونشدد بسرعة التنفيذ . (*)

(*) عفيف : الحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٣٩ - ٣٤٥ .

الملحق الثانى

مؤتمر (خمر) للسلام ١٩٦٥

نص القسم الذى أقسمه المؤتمرون

((نقسم بالله العظيم ثم نقسم بشرفنا وشرف شعبنا وشرف قبائلنا وشرف جيشنا . أن نحافظ على وحدة الوطن . ووحدة الكلمة . ووحدة الصف . ووجدة القلوب اخوة متعاونين . وأن ننفذ قرارات مؤتمر السلام . وأن نجند أنفسنا ومن نمثلهم لتحقيق وتنفيذ هذه القرارات مهما كانت التضحيات والله على ما نقول شهيد .)) ١٩٦٥/٥/٥

من أجل اليمن العزيزة .

وفى سبيل شعبها العظيم .

وإذعاناً لقداسة الشريعة الإسلامية الغراء التى تدعو إلى حقن دماء المسلمين على أساس الحق والعدل . وحياطة لكرامة هذا الشعب، والحفاظ على مقوماته كشعب حى يبنى ويعمر .

وإيقافاً لعوامل التخريب والتدمير فى ربوع اليمن ، والتمزق والتناحر بين أبناء الشعب. وسعياً وراء المودة والإخاء والصداقة الشريفة النبيلة مع الأشقاء والجيران .

ووفاء لدماء الشهداء الذين سقطوا صرعى بأيدى المخربين والمعتدين وهم يعملون للسلم فى بلادهم .

وحسماً لأسباب المآسى التى تثكل النساء وتيتم الأطفال وتشوه الرجال ..

من أجل هذا كله قامت الدعوة لعقد مؤتمر سلام بين أبناء اليمن يضعون فيه الحلول السليمة للخلافات القائمة بينهم ، ويمدون يد المودة والصداقة لجيرانهم حتى يعيش أبناء اليمن فى سلام يعمرون أرضهم ويبنون بلادهم .

ولضمان هذا السلام المأمول ودوام استمراره وحياطته من عوامل التخريب والإرباك، تحددت الوسائل التى تكفل ذلك السلام وتصونه وتحميه فى مطالب محددة دقيقة واضحة.

ومن أجل تنفيذها والالتزام بها فى الداخل والخارج ، انعقد مؤتمر السلام الذى حضره كل رجالات اليمن من كل قبيلة ومنطقة فى مدينة خمر ، بين يومى أول ورابع محرم الحرام عام ألف وثلاثمائة وخمسة وثمانين هجرية الموافق ما بين الثانى والخامس من مايو سنة ١٩٦٥م، وهو المؤتمر الذى دعا إليه أبو الأحرار وشهيد اليمن القاضى محمد محمود الزبيرى .

اليوم ونحن نجتمع فى هذا المؤتمر الكبير ، يطل علينا الله سبحانه وتعالى من علياء سمائه لينظر ما ذا نحن صانعون بأنفسنا وبلادنا ..

تقرر ما يلى :

أولاً – تشـكيل هيئة دائمة للسلم الوطنى ، وتتولى الاتصال بشتى الطرق والوسائل ببقية القبائل المغرر بها ، سواء بالاتصال المباشر أو المراسلة ، للتوصل معهم إلى التفاهم الأخوى التام الذى يؤدى إلى إقرار السلام والوئـام ووحـدة الكلمة ، كما تتولى تقديم الاقتراحات اللازمة إلى الحكومة للقيام بالإجراءات اللازمة لتساعدهم على نجاح مهمتهم . وتتألف الهيئة من تسعة أعضاء ، خمسة من المشايخ وأربعة من العلماء .

ثانياً – يمنح مؤتمر السلام اليمنى الثقة للوزارة القائمة .

ثالثاً – يؤكد المؤتمر على رئيس الوزراء الالتزام بالبرنامج الذى أعلنه رئيس الوزراء مع الاهتمام بما يلى :

(أ) العمل بمختلف السبل والوسائل لإنهاء حالة الحرب وإقرار السلام .

(ب) تنظـيم يجـدد العلاقات مع الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة على هدى قرارات المؤتمر وروحه .

(جـ) السعى لإيقاف حالة التوتر فى العلاقات مع الجيران .

(د) إنشاء الجيش الوطنى ودعم قوى الأمن .

(هـ) تنمية ودعم الاقتصاد الوطنى .

(و) العمل على تصحيح الأوضاع فى جميع الأجهزة والدوائر الحكومية باختيار الأكفاء المخلصين ذوى النـزاهة والاستقامة .

رابعـاً – يؤكـد المؤتمر ضرورة المبادرة بإرسال وفود إلى الدول العربية جميعاً من أجل التعاون على إنهاء حالة الحرب وإقرار السلام فى اليمن .

خامسـاً – قـرر المؤتمر تنفيذ المطالب الأساسية التى وضعها شهيدنا العظيم أبو الأحرار الأستاذ محمد محمود الـزبيرى ورفاقـه المستقيلون فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٦٤م وهذه هى المطالب الأساسية التى يجب أن تقوم الدولة على أساسها :

١- تعديل الدستور .

٢- إقامة مجلس جمهورى .

٣- تأليف مجلس الشورى .

٤- إعلان قيام تنظيم شعبى شامل .

٥- تكوين جيش وطنى قوى .

٦- تأليف مجلس دفاع وطنى .

٧- تشكيل محكمة شرعية عليا تتولى محاكمة العابثين بأموال الدولة ومقدرات الشعب .

سادساً – تكوين لجنة متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر تتولى المهام الآتية :

(أ) مراقبة الحكومة والتعاون معها لتنفيذ قرارات المؤتمر .

(ب) العمـــل عـــلى اتخاذ الخطوات الكفيلة بانتخاب مجلس الشورى فى أسرع وقت ممكن لا يتعدى ثلاثة أشهر .

(جـــ) مزاولة اختصاصات مجلس الشورى المنصوص عليها فى الدستور المعدل حتى يتم تشكيل المجلس

ســـابعاً – يحيى المؤتمر نضال الجنوب اليمنى فى سبيل الحرية والخلاص من أغلال الاستعمار، ويهيب بالمنضمات الشعبية والقوى الوطنية لتوحيد كلمتها وضم صفوفها .

ثامـــناً – يشكر المؤتمرون باسم الشعب اليمنى الجمهورية العربية المتحدة على ما قدمته من عون للثورة اليمنية ولشعب الجمهورية العربية اليمنية ، ويقدسون الدماء الزكية وأرواح الشهداء الطاهرة التى حققت المعانى السامية للأخوة العربية .

تاسعاً – يرحب المؤتمر فى تقدير وامتنان بالقرار الأخوى الذى أصدره المؤتمر الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة ، وذلك بالسعى لإقرار السلام فى اليمن . (*)

(*) عفيف : الحركة الوطنية فى اليمن ، سبق ذكره ، ص ٣٤٩ – ٣٥٣ .

الملحق الثالث

ميثـــاق الطائــف

مـــن أجـــل اليمن العزيزة ، وفى سبيل إسعاد شعبها الأبي ، وإذعاناً للشريعة الإسلامية الغراء ، وتجنباً لاستمرار المأساة التى أنزلت باليمن المحن والكوارث ، وإيماناً بمبدأ حق الشعب اليمنى فى تقرير مصيره واختيار الـــنظام الذى يرتضيه بدون أى مؤثر خارجى ، فقد قرر الموقعون أدناه .. الذين يمثلون مختلف فئات الشعب وقبائل اليمن وعاهدوا الله على الالتزام بالمبادئ التالية :

أولاً – نصرة دين الله وإعلان كلمته ، والتقيد بتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء .

ثانياً – وضع مصلحة اليمن ووحدة أراضيه فوق كل اعتبار .

ثالثاً – التعاون بنية صادقة وتصميم مخلص على وقف المأساة التى تعيشها اليمن ، وإيجاد الحلول لتوحيد جهود الشعب اليمنى للحفاظ على أمن البلاد وسلامتها .

رابعاً – وقد أعطى المجتمعون عهداً أمام الله بأن لا يحمل أحد منهم لا هو ولا من يمثله سلاحاً ، بقصد الاعتداء والتآمر على أخيه اليمنى .

خامساً – نسيان الماضى البعيد والقريب بآلامه وأحزانه ، وشروره وآثامه ، ونبذ الأحقاد التى خلفتها السنون، لينعم اليمن العزيز على قلوبنا جميعاً بشعب موحد متضامن ، تسوده روح المودة والإخاء ، قادر على بناء مستقبله والسير ببلده – بمساعدة شقيقاته العربية – إلى ذرى المجد والتقدم والرقى .

سادســاً – إفســاح المجال أمام الشعب اليمنى ليعلن إرادته الحرة فى تقرير مصيره واختيار نظام الحكم الذى يرتضـــونه ، بعيـــداً عن كل مؤثر خارجى ، وبعد انسحاب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة وإيقاف المساعدات السعودية .

وتحقيقاً لهذه المبادئ فإن المجتمعين يعتقدون جازمين – بعد أن تدارسوا جميع الظروف والملابسات التى أحاطت بالنــزاع القائم فى اليمن – بأنه لا مخرج واقعياً من هذه المأساة إلا بالمرور بفترة انتقال ، تبنى على الأســس الــتالية ، وهــم يــرجون جميع الوسطاء الذين يسعون مخلصين لإحلال السلام فى ربوع اليمن مساعدهم على تحقيقها . وهى :

١– إقامـــة دولـــة اليمن تحت اسم ((الدولة اليمنية الإسلامية)) وتقوم على أحكام الشريعة الإسلامية الغراء ، ويسير أعمال هذه الدولة بصورة مؤقتة :

(أ) مجـــلس دولة يقوم باختصاصات رئيس الدولة ، ويتألف من سبعة إلى ثمانية أعضاء ، وتمثل فيه جميع الفئات اليمنية .

(ب) مجلس وزارى يقوم باختصاصات السلطة التنفيذية ، ويتألف من ثمانية عشر إلى أربعة وعشرين وزيراً، وتمثل فيه العناصر الواعية من مختلف الفئات اليمنية .

(جـ) مجلس شورى يوجه ويشرف على أعمال مجلس الوزراء ويساعده فى أداء مهمته ، ويتألف من ثمانين عضواً ، وتمثل فيه جميع الفئات اليمنية .

٢- مهمة هذه الأجهزة الحكومية المؤقتة هى :

(أ) توطيد الأمن الداخلى والإشراف على سحب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، وإيقاف المساعدات السعودية .

(ب) التهيئة لإجراء استفتاء عام فى اليمن ينبثق عنه تقرير النظام الأساسى للحكم .

والمجتمعون يدعون جميع إخوانهم فى اليمن على اختلاف نزعاتهم ومبادئهم ، إلى الانضمام إليهم للخروج باليمن العزيزة من هذه المأساة ، على أساس المبادئ الواردة فى هذه الميثاق ، وإعلانهم تمسكهم بها ، وموافقتهم على هذا الميثاق لحل هذه المشكلة . وإلى أن يتم تجاوب الفئات اليمنية غير الممثلة فى هذا الاجتماع على ذلك، فإن المجتمعين سينسقون العمل فيما بينهم ، ومع من سينضم إليهم باذلين جهدهم ، متضامنين للتوصل إلى تحقيق ما جاء فى هذا الميثاق . وهم يتطلعون فى فترة الانتقال وما بعدها - بعد تمام الاتفاق بين جميع الفئات اليمنية المختلفة - إلى المساعدة المادية التى تقدمها الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وجميع دول الجامعة العربية ، وذلك ليتمكن الشعب اليمنى من بناء بلده وتطويره .

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يوحد كلمة العرب والمسلمين لما فيه صلاح دينهم ودنياهم والله ولى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الطائف : ١٠ آب ١٩٦٥م - ١٣ ربيع الثانى ١٣٨٥هـ

التواقيع

٥٤١ توقيعاً يمثلون مشايخ وعلماء ورجالات اليمن من الملكيين والجمهوريين وكتلة الوسط

الملحق الرابع

جداول الكتاب

الجدول رقم (١)

أعضاء مجلس قيادة الثورة ـ التشكيل الأول (٢٧ سبتمبر ١٩٦٢)

الاسم	الرتبة العسكرية	محل المولد	الانتماء الاجتماعي	ملاحظات
عبد الله السلال	عقيد	صنعاء	عائلة حرفية	شارك فى حركة ٤٨ واعتقل فى سجن حجة حتى عام ١٩٥٢.
حمود الجائفي	زعيم (عميد)	صنعاء	عائلة قبلية	مدير ميناء الحديدة وقائد المنطقة العسكرية
عبد اللطيف ضيف الله	نقيب	النادرة–إب	عائلة فلاحية	كبير المعلمين بالكلية الحربية
عبد الله جزيلان	نقيب	برط – بكيل	عائلة قبلية	شغل منصب مدير الكلية الحربية
على عبد المغني	ملازم ثان	المسقاة–إب	عائلة فلاحية	الذراع العسكرى لثورة ٢٦ سبتمبر
سعد الأشول	ملازم ثان	بنى الحارث– صنعاء	عائلة فلاحية	استشهد فى معركة الدفاع عن صنعاء (حصار السبعين)
أحمد الرحومي	ملازم ثان	صنعاء	عائلة حرفية	ضابط شرطة وعضو ناشط فى تنظيم الضباط الأحرار
صالح الرحبي	ملازم ثان	الرحبة– صنعاء	عائلة فلاحية	كان قائد المجموعة التى حاولت اقتحام قصر السلاح ، استشهد ثالث يوم بعد الثورة
محمد مفرح	ملازم ثان	عمران – صنعاء	عائلة فلاحية	ضابط جيش وعضو ناشط فى تنظيم الضباط الأحرار

الجدول رقم (٢)

أعضاء مجلس قيادة الثورة ـ التشكيل الثاني (٣١ أكتوبر ١٩٦٢)

الاسم	الرتبة العسكرية	محل الميلاد	الانتماء الاجتماعي	ملاحظات
عبد الله السلال	عميد	صنعاء	عائلة حرفية	أصبح رئيساً للجمهورية والمجلس والحكومة
د/ عبد الرحمن البيضاني	دكتوراه في الاقتصاد	القاهرة – مصر	عائلة مهاجرة	عضو ناشط في الاتحاد اليمني ونائب رئيس الجمهورية
عبد الله جزيلان	عقيد	برط – بكيل	عائلة قبلية	رقي إلى رتبة العقيد
محمد قائد سيف	نقيب (رئيس)	القبيطة – تعز	عائلة تجارية	شارك في انقلاب مارس ١٩٥٥
عبد الرحيم عبد الله	طيار نقل عسكري	ذبحان – تعز	عائلة فلاحية	عضو في تنظيم الضباط الأحرار – فرع القاهرة
عبد اللطيف ضيف الله	عميد	النادرة – إب	عائلة فلاحية	عضو في الحكومة وزيراً للداخلية
عبد الرحمن الإرياني	قاضي	يريم – إب	عائلة دينية	شارك في حركة ١٩٤٨ وانقلاب ١٩٥٥
عبد السلام صبرة	قاضي	صنعاء	عائلة موظفين	شارك في التحريض لقيام ثورة ٢٦
حسن العمري	عقيد	الحداء	عائلة موظفين	شارك في حركة ١٩٤٨ الدستورية
سعد الأشول	ملازم أول	بني الحارث– صنعاء	عائلة فلاحية	استشهد في حي الإذاعة بصنعاء في معركة السبعين في يناير ١٩٦٨ من جراء القصف المدفعي الملكي للمدينة
محمد مفرح	ملازم أول	عمران – صنعاء	عائلة فلاحية	عضو ناشط في حركة الضباط الأحرار

محمد الماخذي	نقيب (رئيس)	صنعاء	عائلة موظفين	شارك فى حركة ١٩٤٨ الدستورية
محمد الأهنومي	نقيب (رئيس)	الأهنوم	عائلة موظفين	رئيس محكمة أمن الدولة فى عهد السلال
حسين الدفعي	نقيب (رئيس)	صنعاء	عائلة موظفين	رميل مخلص للعميد هادى عيسى
عبد الغنى مطهر	مدني	الأعروق – تعز	عائلة تجارية	عضو فى تنظيم الضباط الأحرار – فرع تعز
على محمد سعيد	مدني	الأعروق – تعز	عائلة تجارية	ساهم فى التمويل المالى لتنظيم الضباط الأحرار
عبد القوى حاميم	مدني	القبيطة – تعز	عائلة فلاحية	اغتيل من قبل جماعة مدير جمرك الراهدة الشيخ هزاع البدوي
محمد مهيوب ثابت	مدني	الأعروق – تعز	عائلة تجارية	عين وزيراً للمغتربين فى حكومة السلال الثانية

الجدول رقم (٣)

الاسم	المنصب السياسي	محل الميلاد	الانتماء الاجتماعي
العميد عبد الله السلال	رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة	صنعاء	عائلة حرفية
العقيد حسن بن حسين العمري	وزير المواصلات	الحدا – ذمار	عائلة موظفين
النقيب عبد اللطيف ضيف الله	وزير الداخلية	السدة – إب	عائلة فلاحية
النقيب محمد أحمد الأهنومي	وزير التموين	الأهنوم – الحديدة	عائلة فلاحية
النقيب محمد قائد سيف	مستشار رئيس الجمهورية	القبيطة – تعز	عائلة تجارية
الكابتن عبد الرحيم عبد الله	وزير الطيران	ذبحان – تعز	عائلة فلاحية
الملازم صالح على الأشول	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	بنى الحارث–صنعاء	عائلة فلاحية
الملازم محمد مطهر زيد	رئيس هيئة الأركان	بيت الخذلاني– شهارة	عائلة فلاحية
الملازم عبد الله الجائفي	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	همدان – صنعاء	عائلة فلاحية
الملازم على قاسم المؤيد	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	العبسية – شهارة	عائلة فلاحية
الملازم أحمد بن أحمد الرحومي	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	وادى ظهر – صنعاء	عائلة حرفية
الملازم حسين شرف الكبسي	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	خولان – صنعاء	عائلة موظفين
الملازم أحمد على الوشلي	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	الأهنوم – شهارة	عائلة موظفين

الملازم عبد الله المؤيد	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	ذهبان – صنعاء	عائلة موظفين
الملازم عبد الكريم الحوري	عضو فاعل فى تنظيم الضباط الأحرار	حورة – حجة	عائلة فلاحية
القاضي عبد الرحمن الإرياني	عضو مجلس قيادة الثورة	إريان – إب	عائلة موظفين
القاضي محمد محمود الزبيري	عضو المكتب السياسي	صنعاء	عائلة موظفين
القاضي عبد السلام صبرة	عضو مجلس الرئاسة	صنعاء	عائلة موظفين
الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر	وزير الداخلية	عمران – صنعاء	عائلة مشايخية
الشيخ مطيع دماج	عضو مؤسس لحزب الأحرار اليمني	برط – بكيل	عائلة مشايخية
الشيخ أمين حسن أبو رأس	شيخ معارض للنظام الملكي	برط – بكيل	عائلة مشايخية
الشيخ أحمد سيف الشرجبي	شيخ معارض للنظام الملكي	شرجب – تعز	عائلة مشايخية
الشيخ أمين عبد الواسع نعمان	شيخ معارض للنظام الملكي	ذبحان – تعز	عائلة مشايخية
الشيخ يحيى منصور نصر	شيخ معارض للنظام الملكي	العدين – إب	عائلة مشايخية
الشيخ على بن ناجى القوسي	شيخ معارض للنظام الملكي	الحدا – بكيل	عائلة مشايخية
الشيخ محمد عبدالله مناع	شيخ معارض للنظام الملكي	صعدة – صعدة	عائلة مشايخية
الشيخ جار الله القردعي	شيخ معارض للنظام الملكي	قيفة – مأرب	عائلة مشايخية
الشيخ سنان أبو لحوم	شيخ معارض للنظام الملكي	نهم – صنعاء	عائلة مشايخية
الشيخ نعمان بن قائد بن راجح	شيخ معارض للنظام الملكي	همدان – حاشد	عائلة مشايخية
الشيخ هزاع البدوي	مدير جمرك الراهدة	دمنة خدير – تعز	عائلة تجارية
الشيخ عثمان محجب	من كبار ملاك الأرض	حرض – الحديدة	عائلة موظفين
الاستاذ محمد على الأسودي	عضو مجلس قيادة الثورة	دبع – تعز	عائلة تجارية

جدول رقم (٤)

عضوية المكتب السياسي (يناير ١٩٦٤)

الاســـم	المنصب الشاغر	محـــل الميلاد	الانتماء الاجتماعي
عبد الله السلال	رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة	صنعاء	عائلة حرفية
حسن العمري	وزيراً للمواصلات	الحدا - بكيل	عائلة موظفين
محمد مطهر زيد	رئيس هيئة الأركان	بيت الخذلان- شهارة	عائلة موظفين
عبد الرحمن الإرياني	وزيراً للعدل	يريم - إب	عائلة دينية
محمد محمود الزبيري	وزيراً للمعارف	صنعاء	عائلة دينية - تجارية
عبد السلام صبرة	وزيراً لشئون القبائل	صنعاء	عائلة موظفين
محمد علي عثمان	عضو مجلس الشيوخ - لواء تعز	جبل صبر - تعز	عائلة فلاحية
محمد أحمد نعمان (الابن)	عضو ناشط فى الاتحاد اليمني	ذبحان - تعز	عائلة فلاحية
عبد القوى حاميم	عضو مجلس قيادة الثورة	القبيطة - تعز	عائلة فلاحية

جدول رقم (٥)

اللجنة المركزية لشئون القبائل

الاســـم	الانتماء الاجتماعي	الانتماء القبلي	ملاحظـــات
إبراهيم حاميم	شــــيخ	دمنة خدير – تعز	
أحمد حسين ضبعان	شــــيخ	مرهبة عرام – عمران	
أحمد عبد ربه العواضي	شــــيخ	قيفة – مأرب	أيد الوجود المصرى ، تعرض للتصفية الجسدية من قبل قيادة المجلس الجمهورى عام ١٩٧٢
درهم أبو لحوم	شــــيخ	بكيل – نهم	
سالم عبد القوى الحميقاني	شــــيخ	البيضاء – رداع	
عبد الولي القيري	شــــيخ	بكيل – خولان	
عبد الوهاب دويد	شــــيخ	بكيل – خولان	
علي بن ناجي الشايف	شــــيخ	برط – بكيل	
علي صغير شامي	شــــيخ	الزهرة – علك	
علي بن علي الرويشان	شــــيخ	بكيل – خولان	
غالب بن ناصر الأحمر	شــــيخ	عمران – صنعاء	
محمد أحمد الحبارى	شــــيخ	بكيل – أرحب	
محمد حفظ الله الزوم	شــــيخ	الشعر – مذحج	
مشلي القايفي	شــــيخ	خارف – حاشد	
منصور بن راجح	شــــيخ	عيال سريح-بكيل	
ناصر علي البخيتي	شــــيخ	السبلات – الحداء	

فهرس المصادر والمراجع

(أ) الكتب باللغة العربية :

- أباضـــة ، فاروق عثمان : الحكـــم العثماني فى اليمن (١٨٧٢-١٩١٨) . القاهرة : المكـــتبة العربية ، ١٩٧٥ .
- إبراهـــيم ، سعد الدين وآخرون : مصر والعروبة وثورة يوليو . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٢ .
- أبو زهرة ، محمد : الإمام زيد ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه . بيروت : دار الندوة الجديدة ، ١٩٥٩ .
- نفسه : تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية . القاهرة :دار الفكر العربى ، د . ت .
- أبـــو طالب ، حسن : الوحدة اليمنية دراسات فى عمليات التحول من التشطير إلى الوحدة بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٤ .
- أبو عز الدين ، نجيب : عشرون عاماً فى خدمة اليمن . بيروت: دار الباحث ، ١٩٩٠.
- أبو غانم ، فضل : البنية القبلية فى اليمن . دمشق : مكتبة الكتاب العربى ، ١٩٨٥ .
- نفسه : القبيلة والدولة فى اليمن . القاهرة : دار المنار ، ١٩٩٠ .
- أبونتي، سلفاتور: مملكة الإمام يحيى (ترجمة طه فوزي). القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٤٧.
- أحمد ، حسن خضيرى : قيام الدولة الزيدية فى اليمن. القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٩٦.
- أحمد ، رفعت سيد : الدين والدولة والثورة . القاهرة : الدار الشرقية ، ١٩٨٩ .
- أحمد ، يوسف أحمد : الدور المصرى فى اليمن . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ .
- أدهل، عبده حسين سليمان : الاستقلال الضائع الملف المنسى لأحداث اليمن الجنوبية القاهرة : دار العهد للطباعة والنشر ، ١٩٩٣ .
- الأسودى ، محمد على : حركة الأحرار اليمنيين والبحث عن الحقيقة الغائبة . القاهرة : ١٩٨٧ .
- الأشـــول ، نـــاجى على : الجيش والحركة الوطنية فى اليمن . صنعاء : مطابع دار الشئون العامة والتوجيه المعنوى ، ١٩٨٥ .
- الأكـــوع ، إسمـــاعيل بن على : هجر العلم ومعاقله فى اليمن (٥ أجزاء) . بيروت : دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٥ .
- نفسه : الزيدية نشأتها ومعتقداتها . بيروت : دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٣ .
- الأكوع ، محمد بن على : حياة عالم وأمير يحيى بن محمد الإريانى وإسماعيل بن محمد باسلامة الكندى وصفحة مجهولة من تاريخ اليمن المعاصر . صنعاء : مكتبة الجيل الجديد ، ١٩٨٧ .

- نفسه : المدارس الإسلامية فى اليمن . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٠ .
- الأنصارى ، محمد جابر : تكوين العرب السياسى ومغزى الدولة القطرية . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٥ .
- أوبالانس ، إدجار : اليمن الثورة الحرب حتى عام ١٩٧٠ (تحقيق دكتور عبد الخالق محمد لاشين) . القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٨٥ .
- ايلينا ، جلوبوفسكايا ك : التطور السياسى فى اليمن ١٩٦٢ - ١٩٨٥ مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، ١٩٩٤
- نفسه : ثورة ٢٦ سبتمبر فى اليمن . بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٨٢ .
- باديب ، سعيد محمد: الصراع السعودى المصرى حول اليمن الشمالى ١٩٦٢-١٩٧٠. دار الساقى ومركز الدراسات الإيرانية والعربية ، ١٩٩٠ .
- باسندوه ، محمد سالم : قضية الجنوب اليمنى المحتل فى الأمم المتحدة . القاهرة : مطابع الأهرام ، ١٩٩٠ .
- بايندر ، ليونارد: الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط . (ترجمة خيرى حماد) القاهرة :دار القلم ، ١٩٦٦ .
- بحيرى ، مروان وآخرون : الحياة الفكرية فى المشرق العربى ١٨٩٠ - ١٩٣٩ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٣ .
- البراوى ، راشد : اليمن والانقلاب الأخير. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ .
- البردونى ، عبد الله : الثقافة والثورة فى اليمن . دمشق: مطبعة الكاتب العربى ، ١٩٩١.
- نفسه : رحلة فى الشعر اليمنى قديمه وحديثه . بيروت : دار العودة ، ص ١٩٨٢ .
- نفسه : من أول قصيدة إلى آخر طلقة . بيروت : دار الحداثة ، ١٩٩٣ .
- نفسه : اليمن الجمهورى . دمشق : الكاتب العربى ، ١٩٨٣ .
- البرطي ، سفيان أحمد : شهداء الثورة . بغداد : المكتبة الوطنية ، ١٩٧٧
- بعكر ، عبد الرحمن طيب: المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى . صنعاء: مطابع المختار الإسلامى، ١٩٩٠ .
- نفسه : النعمان ثمانون عاماً من حياة النعمان . صنعاء : ١٩٩٠ .
- البغدادى ، عبد القاهر : الفرق بين الفرق . القاهرة : مطبعة المعارف ، ١٩٧٣ .
- البنا ، حسن: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا . بيروت : المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر ، ١٩٨٣ .
- البيضانى ، عبد الرحمن : أوجاع اليمن . صنعاء : الآفاق للطباعة والنشر ، ١٩٩٩
- نفسه : مصر وثورة اليمن . القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ١٩٩٣ .
- تامر ، عارف : الإمامة فى الإسلام . بيروت : دار الأضواء ، ص ١٩٩٨ .
- الجاوى ، عمر : حصار صنعاء . عدن : مؤسسة صوت العمال ، ١٩٧٥ .

– نفسه : الزبيرى شاعر الوطنية . عدن : مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٢ .
– جزيلان ، عبد الله : التاريخ السري للثورة اليمنية من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٢ . بيروت : منشورات العصر الحديث ، ١٩٨٧ .
– الجناحي ، سعيد أحمد : الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة . دمشق : مطبعة الكاتب العربي ، ١٩٩٢ .
– حارب ، عبد الرحمن يوسف : الوحدة اليمنية – التاريخ ، الواقع ، المستقبل . الشارقة : دار الثقافة العربية ، ١٩٩٠ .
– الحارثي ، صالح بن أحمد ناصر : الزامل فى الحرب والمناسبات . دمشق: مطبعة الكاتب العربي ، ١٩٩٠ .
– الحبشي ، عبد الله محمد : الصوفية والفقهاء فى اليمن . القاهرة : دار نشر الثقافية ، ١٩٧٦.
– الحجرى ، محمد بن أحمد : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، (جزءان) . بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٤ .
– نفسه : مساجد صنعاء عامرها وموفيها . صنعاء : مكتبة اليمن الكبرى ، ١٣٩٨هـ .
– حسن، حنفي : الدين والثورة فى مصر ، (٨ أجزاء) . القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٧٧.
– الحسني، السيد عبد الله: مؤتمر حرض وثائق ومحاضر. بيروت: دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦.
– الحكيمى ، عبد الله على : دعوة الأحرار . دمشق : دار المختار ، ١٩٨١ .
– الحلوجى ، عبد الستار : الزبيرى شاعر اليمن . القاهرة : مطبعة الكيلانى ، ١٩٦٨ .
– حمزة ، فؤاد : قلب جزيرة العرب . الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٩٦٨ .
– الخترش ، فتوح عبد المحسن : تاريخ العلاقات السعودية اليمنية . الكويت : منشورات ذات السلاسل ، ١٩٨٣ .
– الرحومى ، أحمد وآخرون : أسرار ووثائق الثورة اليمنية . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٨.
– الريس ، رياض نجيب : رياح الجنوب اليمن ودوره فى الجزيرة العربية. بيروت: مؤسسة رياض الريس ، ١٩٩٨ .
– الزبيرى ، محمد محمود : البرنامج الأول من برامج شباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . القاهرة : مطبعة الحرية ، ١٩٤١ .
– نفسه : دعوة الأحرار ووحدة الشعب . عدن : مطبعة الجماهير ، ١٩٥٦ .
– نفسه : الخدعة الكبرى فى السياسة العربية . القاهرة : د . ت .
– نفسه : ديوان الزبيرى . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٨ .
– نفسه : مأساة واق الواق . بيروت : دار العودة ، ١٩٨٨ .
– نفسه : الإمامة وخطرها على الوحدة اليمنية . القاهرة : د . ت .
– زرتوقة ، صلاح سالم : أنماط الاستيلاء على السلطة فى الدول العربية . القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٩٢ .

- زيـد ، على محمـد : تيارات معتزلة اليمن فى القرن السادس الهجرى . بيروت : بيسان للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ .
- نفسه : معتزلة اليمن دولة الهادى وفكره . بيروت : دار العودة ، ١٩٨١ .
- الزيدى ، مفيد : التيارات الفكرية فى الخليج العربى ١٩٣٨ - ١٩٧١ . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٠ .
- سالم ، سيد مصطفى : البريد الأدبى حلقـة مفقودة من حركة التنوير فى اليمن دراسة ونصوص . القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٩٩ .
- نفسه : تكوين اليمن الحديث (١٩٠٤ - ١٩٤٨) . القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٤٨ .
- نفسه : مجلة الحكمة اليمانية (١٥٣٨-١٦٣٥) . القاهرة : مطبعة الحيلاوى ، ١٩٧٨ .
- نفسه : وثائق يمنية دراسة وثائقية تاريخية . القاهرة : المطبعة الفنية ، ١٩٨٥ .
- السقاف ، أبو بكر : دراسات فكرية وأدبية . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٧ .
- السقاف، أحمد : أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية. الكويت: مطبعة الأبناء، ١٩٨٥.
- السلال ، عبد الله وآخرون : ثورة اليمن الدستورية . صنعاء : دار الكلمة ، ١٩٨٥ .
- سلام ، قاسم : البعث والوطن العربى . باريس : منشورات العالم العربى ، ١٩٨٠ .
- سلطان، عبد الرحمن : الثورة اليمنية وقضايا المستقبل. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٧٩.
- سميع ، صالح حسن : أزمة الحرية السياسية فى الوطن العربى . القاهرة : الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٨ .
- الشـامى ، أحمـد محمد : تاريخ اليمن الفكرى فى العصر العباسى (٤ أجزاء) . بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٧ .
- نفسه : رياح التغيير فى اليمن . دمشق : مطبعة الكاتب العربى ، ١٩٨٥.
- نفسه : من الأدب اليمنى . بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٤ .
- شحرة ، حميد أحمد : مصرع الابتسامة سقوط مشروع الدولة الإسلامية فى اليمن (١٩٣٨ / ١٩٤٨) . صنعاء : المركز اليمنى للدراسات الاستراتيجية ، ١٩٨٨ .
- شرف الدين ، أحمد حسين : اليمن عبر التاريخ .القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٦٤ .
- نفسه : تاريخ الفكر الإسلامى فى اليمن . الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ١٩٨٩ .
- الشرجبى ، قائد نعمان : القرية والدولة فى المجتمع اليمنى . بيروت : دار التضامن ، ١٩٩٠ .
- نفسه : الشرائح الاجتماعية التقليدية فى اليمن. الرياض : مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٨٩.
- الشعيبـى ، محمد : عبد الناصر والفريق العمرى . صنعاء : مطابع الفضيل ، ١٩٩٦ .
- نفسه : مؤتمر حرض ومحاولات السلام باليمن . دمشق : ١٩٨٠ .
- الشماحى ، عبد الله عبد الوهاب : اليمن الإنسان والحضارة . القاهرة : دار الهناء ، ١٩٧٢.

- الشـــهارى ، محمـــد علي : اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال . بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٤ .
- نفسه : مساجلات حول حركة الأحرار اليمنيين . بيروت : دار الفارابي، ١٩٨٠.
- الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل . جزئان (تحقيق محمد سيد كيلانى) . بيروت : دار الجليل ، ١٩٨٦ .
- الشـــوكانى ، محمـــد بـــن على : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (جزءان) . القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٤٨هـ / ١٩٩٣م .
- الصائدى ، أحمد قايد: حركة المعارضة اليمنية فى عهد الإمام يحى بن محمد حميد الدين. بيروت : دار الآداب ، ١٩٨٣ .
- صبحى ، أحمد محمود: فى علم الكلام – دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين – الزيدية . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٩١ .
- الصياد، أحمد صالح : السلطة والمعارضة فى اليمن المعاصر . بيروت : دار الصداقة ، ١٩٩٢.
- طاهر ، علوى عبد الله : الزبيرى شعره ونثره . بيروت : دار الفارابى ، ١٩٧٧ .
- الطيب ، عبد الملك بن محمد : التاريخ يتكلم . ١٩٩١ .
- نفسه : الثورة والنفق المظلم . ١٩٩٩ .
- نفسه : منهج الزبيرى فى الإصلاح والحكم . ١٩٧٤ .
- الظاهـــرى ، محمد محسن : الدور السياسى لقبيلة فى اليمن ١٩٦٢ – ١٩٩٠. القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٩٠ .
- عارف ، أحمد عبد الله: الصلة بين الزيدية والمعتزلة . بيروت: دار آزال للطباعة والنشر، ١٩٨٧ .
- نفسه : مقدمة فى دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية فى اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجرى . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ١٩٩١ .
- عباد ، الصاحب بن : الزيدية ، (تحقيق ناجى حسن) . بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٦ .
- عبده ، على محمد : الطائفية فى اليمن . عدن : مؤسسة الجماهير ، ١٩٦٥ .
- نفسه : مسار الحركة الوطنية فى اليمن. صنعاء : وزارة الإعلام والثقافة، ١٩٧٩.
- عبد الرازق ، علي : الإسلام وأصول الحكم . القاهرة : ١٩٧٢ .
- عبد السلام ، محمد : الجمهورية بين السلطنة والقبيلة فى اليمن الشمالي. القاهرة: شركة الأمل ، ١٩٨٨ .
- عـــبد العزيـــز ، ياسين : الحرية والشورى دراستان فى الفقه السياسى . صنعاء : المركز اليمنى للدراسات الاستراتيجية ، ١٩٩٩ .
- عـــبد المولى ، محمد راشد : تطـــور التشريع والقضـــاء فى الجمهورية العربية اليمنية مع استعراض للأنظمة القضائية فى بعض الدول العربية . لبنان : شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨٥ .

- عبد الإله ، بن عبد الله : نكسة الثورة اليمنية . د . ت .
- العـرشـي ، حسـين بن أحمد : كتاب بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام . بيروت : دار الندوة الجديدة ، د . ت .
- العطار ، محمد سعيد: التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى اليمن. بيروت : دار الطليعة، ١٩٦٥ .
- العظم ، نزيه مؤيد : رحلة فى بلاد العربية السعيدة . لندن: مؤسسة فادى بريس ، ١٩٨٥.
- عفيف ، أحمد جابر وآخرون : البيضانى يرد على البيضانى . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٦ .
- نفسه : الحركة الوطنية فى اليمن . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٢ .
- العلفى ، على محمد : حصار صنعاء . صنعاء : مطابع الكتاب المدرسى ، ١٩٨٨ .
- نفسه : نصوص يمانية . بغداد ، دار الحرية ، ١٩٧٦ .
- عمر ، سلطان أحمد : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٩ .
- العمرانى ، عبد الرحمن محمد : الزبيرى أديب اليمن الثائر . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٧.
- العمرى ، حسين عبد الله : الإمام الشوكانى رائد عصره . دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٠ .
- نفسه : فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٦ .
- نفسه : مائة عام من تاريخ اليمن الحديث . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٨ .
- العينى ، محسن أحمد: معارك ومؤتمرات ضد قضية اليمن . القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٩.
- غالب ، محمد أنعم : عوائق التنمية فى اليمن . فيسبان : اتوهار سوفيتش ، ١٩٨٧ .
- غليس ، أشواق أحمد مهدى : التجـديد فى فكر الزيدية فى اليمن . القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٩٧ .
- فخرى ، أحمد : اليمن ماضيها وحاضرها . بيروت : منشورات المدينة ، ١٩٨٨ .
- فخرى ، عبد الرحمن : الكلمة والكلمة الأخرى . بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٨٣.
- فرج ، أحمد أحمد : رجال فى خنادق الدفاع عن الثورة . بيروت : ١٩٩٥ .
- الفسيل ، محمد عبد الله وآخرون : كيف نفهم القضية اليمنية . نحو النور ، ١٩٨٥ .
- القاسمي، خالد بن محمد: الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً . بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٨.
- القرشى ، رياض : شعر الزبيرى بين النقد وأوهام التكريم . القاهرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٩٠ .
- الكبسى ، محمد بن إسماعيل: اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية ، القاهرة. مطبعة السعادة ، ١٩٨٤ .
- الكمالي، محمد محمد الحاج: الإمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى وأثره فى الفكر الإسلامى سياسياً وعقائدياً . صنعاء : دار الحكمة اليمنية ، ١٩٩١.
- الكمـيم ، عـبد العزيـز محمد ناصر : الوحـدة اليمنية دراسة سياسية فى عوامل الاستقرار والتحديات. صنعاء: الأفاق للطباعة والنشر ، ١٩٩٦.

- كيبل ، جيل : يوم الله الحركات الأصولية المعاصرة فى الأديان الثلاثة (ترجمة نصير مروة) . قبرص : دار قرطبة للنشر ، ١٩٩٢ .
- كير ، مالكولم : الحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) عبد الناصر ومنافسوه (ترجمة عبد العزيز قائد المسعودي). صنعاء : مركز عبادى للدراسات والنشر ، ٢٠٠٠ .
- لورنس ، هنرى : اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية (ترجمة محمد مخلوف) . بيروت : دار قرطبة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢ .
- مانع، إلهام محمد: الأحزاب والتنظيمات السياسية فى اليمن (١٩٤٨ - ١٩٩٣) - دراسة تحليلية ، كتاب ثوابت المؤتمر الشعبى العام . صنعاء : ١٩٩٤.
- المحافظة ، على : الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤. بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ .
- محجوب ، محمد أحمد : الديمقراطية فى الميزان . بيروت : دار النهار للنشر ، ١٩٧٣ .
- مجموعة من الكتاب اليمنيين: الزبيرى شاعراً ومناضلاً . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٧.
- المسعودى ، عبد العزيز قائد : معالم اليمن المعاصر أو القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية . صنعاء : مكتبة السنحانى ، ١٩٩٢ .
- المصري، أحمد عطية: النجم الأحمر فوق اليمن . بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٦ .
- مطر ، جميل وآخرون : النظام الإقليمى العربى دراسة فى العلاقات السياسية العربية . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٣ .
- مطهر ، عبد الغنى : يوم ولد اليمن مجده . القاهرة : دار نوبار للطباعة ، ١٩٩٠ .
- المقالح، عبد العزيز صالح: الزبيرى ضمير اليمن الثقافي. بيروت: دار أزال للطباعة ، ١٩٨٠.
- نفسه : عبد الناصر واليمن - فصول من تاريخ الثورة اليمنية. بيروت: دار الحداثة ،١٩٨٦.
- نفسه : قراءة فى فكر الزيدية والمعتزلة . بيروت : دار العودة ، ١٩٨٢ .
- المقحفي، إبراهيم: حوار مع أربعة شعراء من اليمن. القاهرة: دار الهناء للطباعة، ١٩٧٥.
- المقبلى ، حسين محمد : مذكرات المقبلى . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٦ .
- المقبلى ، صالح مهدى : الأبحاث المسددة فى فنون متعدد . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٢ .
- المقرمى ، عبد الملك علوان : التاريخ الاجتماعى للثورة اليمنية. بيروت: دار الفكر، ١٩٩١.
- المعلمى ، أحمد عبد الرحمن : الثورة المصرية فى الأدب اليمنى . القاهرة : دار الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٦ .
- نفسه : الصديقان الإريانى والمعلمى على طريق النضال . دمشق : مطبعة عكرمة ، ١٩٩٩.
- المؤتمر الشعبى العام : الأستاذ أحمد محمد نعمان . بيروت : شركة دار الجديد ، ١٩٩٧ .

– الموزعي ، شمس الدين عبد الصمد : الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان (تحقيق عبد الله محمد الحبشي) . بيروت : شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨٦ .

– ميتشل ريتشارد : الأخوان المسلمون ، (ترجمة عبد السلام رضوان) . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٨٥ .

– ناجي ، سلطان : التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩–١٩٦٧ . عدن : ١٩٧٦ .

– ناجي ، هلال : شعراء اليمن المعاصرون . بيروت : مؤسسة المعارف ، ١٩٦٦ .

– نعمان ، أحمد محمد : الهيار الرجعية في اليمن ، دار القاهرة للطباعة ، د . ت .

– نفسه : كلية بلقيس قلعة تقدمية . عدن : مطبعة الجماهير ، د . ت .

– نعمان ، محمد أحمد : الأطراف المعنية في اليمن. عدن: منشورات مؤسسة الصبان وشركاه ، ١٩٦٥ .

– نفسه : من وراء الأسوار . بيروت : درا الكاتب العربي ، ١٩٦٦ .

– النونو ، يحيى بن حسين : نظام الحسبة عند الزيدية دراسة مقارنة بالمذاهب الأربعة . صنعاء : مركز عبادي للدراسات والنشر ، ١٩٩٩ .

– نيلسن ، ديتلف وآخرون : التاريخ العربي القديم (ترجمة فؤاد حسنين علي) . القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ .

– هويدي ، أمين : حروب عبد الناصر . القاهرة : دار الموقف العربي ، ١٩٨٢ .

– الواسعي ، عبد الواسع : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن . القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٤٧ .

– وزارة الإعلام: وثائق يمنية . صنعاء : ١٩٦٩ .

– نفسه : الكتاب السنوي ١٩٦٧ . د . ت .

– وزارة الثقافة والسياحة : القاضي الإرياني حكيم الثورة اليمنية . صنعاء : ١٩٩٨ .

– الوزير ، إبراهيم بن علي : بدلاً من التيه . ١٩٦٥ .

– الوزير، أحمد بن محمد: حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير . دمشق : منشورات العصر الحديث ، ١٩٨٧ .

– الوزير ، زيد بن علي : محاولة لفهم المشكلة اليمنية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧١ .

– الوزير ، عبد الإله بن علي : تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى (تحقيق محمد عبد الرحيم جازم) . صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٨٥ .

– اليمني ، مركز الدراسات والبحوث اليمني : ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات.بيروت: دار العودة ، ١٩٨٢ .

– نفسه : ثورة ٢٦ سبتمبر . بيروت : دار العودة ، ١٩٨٦ .

– نفسه : حصار صنعاء . دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٩ .

(ب) المقالات باللغة العربية :

– جيراسيموف ، أوليج : " القبلية في اليمن " . مجلة قضايا العصر ، العدد الرابع (إبريل ١٩٩١) ، السنة الحادية عشر : ١٢٧–١٣٨ .

– سالم ، سيد مصطفى: " الديمقراطية كما عبر عنها الأحرار " . اليمن الجديد – صنعاء، العدد الرابع ، (رمضان ١٤٠٨هـ / إبريل ١٩٨٨ ، السنة السابعة عشر : ١٨–٢٧ .

– سحويل، يحيى طاهر: "الحركة الوطنية وأثرها على حركة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ في الجمهورية العربية اليمنية "، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد (٢٣) ، السنة السادسة، (يوليو ١٩٨٠) : ١١٩ – ١٥١ .

– السقاف ، أبو بكر : " الزبيرى شاعراً ومفكراً " . الكلمة ، العدد ٣٩ (يونيو – يوليو ١٩٧٦) : ٤٥ – ٦٨ .

– السيد ، أحمد إبراهيم : " الزبيرى في تجربته الشعرية " . اليمن الجديد – صنعاء ، العدد الحادى عشر، (ربيع أول ١٤٠٨هـ / نوفمبر ١٩٨٧م) ، السنة السادسة عشر : ١٠٠ – ١١٢ .

– سيف ، عبد الودود : " الأنة الأولى وبذور المعارضة اليمنية " . اليمن الجديد – صنعاء، العدد (٧) ، السنة الرابعة عشر ، أكتوبر ١٩٨٥ : ٨ – ٥٠ .

– شحرة ، حميد: " رائد الحركة الإصلاحية اليمنية الشهيد الزبيرى والعمل الحزبي ". مجلة نوافذ – صنعاء ، العدد التاسع (إبريل – مايو ١٩٩٨): ٤٠ – ٤٨ .

– طاهر ، علوى عبد الله : " الهيئات الشعبية اليمنية وأثرها في الحياة الثقافية والسياسية "، مجلة الإكليل ، العدد (١) ، السنة السادسة ١٩٨٨ : ١٥٨ – ١٨٠ .

– المسعودى ، عبد العزيز قائد : " الزبيرى ومرحلة الأمر بالمعروف (١٩٤١–١٩٤٢)" . اليمن الجديد – صنعاء ، العدد الثانى عشر (جماد الأول ١٤١٠هـ / ديسمبر ١٩٨٩) ، السنة الثامنة عشر : ٤٣ – ٥٠ .

– المقالح ، عبد العزيز صالح : " المثقف والسلطة : النموذج اليمنى " مجلة دراسات يمانية – صنعاء ، العدد ٣٦ (رمضان، شوال، ذو القعدة ١٤٠٨هـ / إبريل، مايو، يونيو، ١٩٨٩م) : ١٤٣–١٥٥ .

– ناجى ، عبد الله سلام : " رأى الزبيرى في المعارضة " . مجلة الكلمة، العدد ٣٩ (صفر ١٣٠٤هـ / فبراير ١٩٧٤) ، السنة الثالثة : ١٧ – ٣٢ .

– ناشر ، صادق : " يحيى المتوكل في شهادة يمنية استثنائية : هزيمة ١٩٦٧ أخرجتنا من السجن الحربي " . صحيفة الأيام ، العدد ٣٢٥٧ ، (١١ شوال ١٤٢١ هـ / ٦ يناير ٢٠٠١ م) ، السنة العشرون : ص ٤ – ٧ .

(ج) الكتب باللغات الأوروبية :

- Bidwell, Robin. The Two Yemen's. London: Longman, Westview Press, 1983.
- Bridham, B. R., ed. Contemporary Yemen Political and Historical Background. London: Croom Helm, 1984.
- Halliday, Fred. Arabia without Sultans. London: Penguin Book, 1979.
- Hisham B. Sharabi. Nationalism and Revolution In the Arab World. New York: Van Nostrand Reinhold Co. 1966.
- Hudson, Michael. C. Arab Politics the Search for Legitimacy. New Haven: Yale University Press, 1977.
- Ingrams, Harold. The Yemen Imams, Rulers & Revolutions. London: John Murray, 1963.
- Ledger, David. Shifting Sands: The British in South Arabia.London: Peninsular Publishing, 1983.
- Little, Tom. South Arabia Arena of Conflict. London: Pall Mall Press, 1968.
- Marsot, A. L. al-Sayyid. Egypt in the reign of Muhammad Ali. Cambridge: Cambridge University Press, 1984.
- Monare, Elizbeth. Britain's Moment in the Middle East 1914 - 71, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1981.
- Nyrop, Richard., ed. Area Handbook for The Yemens. Wash, D.C. Government Printing Office, 1977.
- Peterson, J.E. Yemen the Search for a Modern State. Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1982.
- Sanger, Richard. The Arabian Peninsula. Ithaca: Cornell University Press, 1954.
- Schmidt, Dana Adams. Yemen the Unknown War. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1968.
- Stookey, Robert. Yemen the Politics of the Yemen Arab Republic Bulder, Colorado: Westview Press, 1978.
- Swanson, Jon C. Emigration and Economic Development: The Case of the Yemen Arab Republic, Colorado: Westview Press, 1979.

- Wenner, Manfred W. Modern Yemen 1918-1966. Baltimore: the. Johns Hopkins University Press, 1968.

- Zabarah, Muhammed. Yemen Traditional Vs. Modernity. New York: Prager, 1982.

(د) المقالات باللغات الأوروبية :

- Al-Abdin, A. Zein." The Free Yemeni Movement (1940-1948) And Its Ideas of Reform ". Middle East Studies, Vol. 15, no. 1 (January 1979): 36 - 48.

- Al-Msaudi, Abd al-Aziz. Q. " The Islamic Movement in Yemen ". Middle East Affairs Journal, Vol. 2 no. 2 - 3 (Winter/ Spring1995): 26-55.

- Brown, William. " The Yemeni Dilemma ". The Middle East Journal. Vol. XVII (fall, 1963): 349-367.

- Hottinger, Arnold. " The War in Yemen ". Swiss Reviews of World Affairs. Vol XV (September 1965): 17-22.

- Lombardi, Nello. " Divisioni administrative del Yemen; con natize economichee demografiche ". Orient Moderno, Vol. XXVII, no. 7-9 (July-September, 1944): 143-162.

- Sarjeant, R.B. " The Yemeni Poet Al-Zubairi ". Arabian Studies, Vol. 5 (January 1979): 78-130.

- Schloss, Rolf W. " Al-Baidani The Real Ruler ". Atlas, Vol. no. V (March 1963): 161-165.

يحيط الكثير من اللبس والغموض بنشأة حـزب الله وتطـوره فى اليمن المعاصـر ، وتعرض زعيمه القاضى محمد بن محمود الزبيرى لإغتيال سياسـى فى ظروف غامضـة . سـوف أسلط الضوء فى هذه الدراسة على تجربة حزب الله ، مع الأخذ بعين الإعتبار مدى تأثر زعامته بأفكـار ومبادئ تنظيم الإخوان المسلمين فى مصر ، ومحاولة تطبيق بعض برامجـة فى الساحة اليمنيـة . ولا تتعدى الفترة التاريخية التى نتناولها بالدراسـة والبحث ثلاثـة أعوام ، وهى فترة مزدحمـة بالأحداث التاريخيـة والوقائع السياسيـة – تحديداً منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢، حتى تاريخ إغتياله فى مطلع شهر إبريل ١٩٦٥ .(١)

إن الغاية من هذا البحث استقصـاء مدى الدور الذى لعبـه الزبير فى قيادة المعارضـة فى العهدين الملكى والجمهورى . ولذا فإن الدراسة تحمل أهمية خاصة ، لأنها تحلل وتناقش أموراً ما زالت مثار جدل وخلاف فى الأوساط العلمية ؛ وتفتح البـاب على مصراعيه أمـام إمكانيـة التقييم التاريخى لتجـربة حزب الله وزعامته . فثمة فكرتان متضادتان فى وصف سـيرة الزبيرى الذاتيـة : الأولى تظهـره كمؤسس فعلى لتنظيم جماعة الإخـوان المسلمين فى اليمن . (٢) وفى الطرف المقابل يرفض كثير من الكتاب المشايعين للزبيرى رفضاً قاطعاً هذه المقـولة . القاضـى الزبيرى ، من وجهه نظرهم ، لا ينتمـى إلا لحركة الأحرار اليمنيين كعقيدة سياسية تنبع مـن واقع اليمن ، ويعتنق اتباعها الشورى والدستور ، قد والاها طيلة حياته حتى تاريخ وفاته .(٣)

إن ضعف التاريخ المكتوب والشفوى لتلك المرحلـة ، لا يبرر للدراسين الإقتصـار على نقل المعلومات من مصدر واحد دون تدقيق ، وبإشكالية حولت الزبيرى من شخصية سياسيـة إجتماعية إلى شخصيـة أسطورية . فكل الذين نسبوا حياتـه وفكره لحركة الأحرار اليمنيين ، أهملوا تلك الحلقة المفقودة من حياته الحافلة بالنشاط بدار العلوم فى مصـر ، حيث أعتنق هناك فكر جماعة الإخوان المسلمين . ولم يتطوع واحداً من هؤلاء الدارسين والباحثين بذكـر أهميـة هذه المحطة فى حياته الثقافية والسياسية حتى تاريخ وفاته .

محمد الزبيرى- ومشروع حزب الله
(١٩٤١ - ١٩٦٥)
د. عبد العزيز قائد المسعودى
مكتبة مدبولى